تطور الملابس فى المجتمع المصرى من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الفاطمى

(٢٠ - ٥٦٧هـ/ ٦٤٠ - ١١٧١م)

دراسة تاريخية

د. محمد أحمد أحمد إبراهيم

الناشر
مكتبة مدبولى

إهــداء

إلى أستاذى

الدكتور محمود عرفة

إنساناً ..

وأستاذاً ..

وعالماً..

هذا بعض منك..

أرده إليك..

محمد أحمد إبراهيم

تطور الملابس فى المجتمع المصرى من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الفاطمى

(٢٠ ـ ٥٦٧هـ/ ٦٤٠ ـ ١١٧١م)

(دراسة تاريخية)

مكتبة مدبولى

العنوان : ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤
البريد الإلكترونى :
WWW.madboulybooks.cominfo@madboul
ybooks.com
الكتاب : تطور الملابس فى المجتمع المصرى من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى
المؤلف : د. محمد أحمد إبراهيم
الغلاف للفنان : محمود الهندى
رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٢٧٦٧
القطع : ١٧ × ٢٤سم

الطبعة الأولى ٢٠٠٧م

مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع

ش المرور بالدراسة - القاهرة
تليفون : ٥٩٠٣٠٣٠ - ٥٩٠٣٥٣٥

المحتـــويات

الموضـــــــــوع الصفحة

الباب الثانى : الملابس والحياة الاقتصادية

الموضـــــــــوع	الصفحة

الباب الثالث: الملابس والحياة الاجتماعية

الموضـــــــوع	الصفحة



المقدمة

تعد دراسة الملابس وتطورها من الموضوعات الحضارية المهمة فى الدراسات التاريخية، فهى دراسة غير تقليدية ترتبط بتطور المجتمع فى مسيرته التاريخية ، كما أنها توضح مدى انعكاس الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية على ثبات أو تغير الملبس فى المجتمع ودور المؤثرات الحضارية فى تطوره .

كانت النظرة العامة السائدة بشأن الملبس - عند البعض - لا تتعدى اعتباره مظهراً من مظاهر التحضر والرقى الإنسانى ، أو انعكاسًا لرفاهية وثراء الأفراد والمجتمعات ، إلا أنها نظرة فى غالب الأمر قاصرة ومحدودة ، حيث لم تتضمن العوامل الأخرى المرتبطة بتطور الملبس فى إطار المتغيرات التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

على الرغم من كون الملبس شعارًا خارجيًا استخدمه الفرد فى حماية وستر الجسد أو لاكتساب المكانة والتميز بين عناصر وطبقات المجتمع ، فإنه كان - دائمًا - يعبر وبصدق عن الاتجاهات والمتغيرات المصاحبة لتطور المجتمع فى شتى جوانبه ، حتى إننا نستطيع أن نصور الملابس على أنها اللغة غير المكتوبة التى عبرت عن الفرد والمجتمع فى تفاعله مع المتغيرات والتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ومن هنا كان سبب اختيار موضوع الملابس وتطورها فى المجتمع المصرى من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى ، ولأسباب أخرى عديدة منها على سبيل المثال :

١ - تعتبر الفترة الزمنية موضوع الدراسة من الفترات الثرية فى التاريخ المصرى ، لما شهدته من كثير من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، انعكست بشكل مباشر على تطور ملابس المجتمع المصرى وطبقاته .

٢ ـ احتلت مصر منذ فجر التاريخ وعلى مر العصور مركزًا متقدمًا فى صناعة وإنتاج النسيج، مما جعلها دائمًا فى موقف الصدارة فى ازدهار صناعة الملابس وتطورها بين كثير من بلدان العالم ، بل كانت مصر من أولى الدول التى أمدت العالم الإسلامى بالعديد من أنواع المنسوجات والثياب ، التى حملت أسماء كثير من المدن والمراكز المصرية الشهيرة بإنتاجهما .

٣ ـ كانت الملابس – وما زالت – أحد المعايير المستخدمة فى التصنيف الطبقى لعناصر المجتمع، ومن ثم فهى تكشف عن العديد من الظواهر الاجتماعية المرتبطة بعناصر وطبقات المجتمع ، كما تفسر مدلولات وقيم وتقاليد المجتمع وارتباطها بالملابس .

٤ ـ شهدت مصر الكثير من النظم والرسوم الحضارية المصاحبة لأشكال الحكم والسلطة ، كانت الملابس جزءًا منها وعنوانًا لها ، لذلك فدراسة الملابس تفسر الكثير من أجزاء هذه النظم والرسوم ومدى تطورها فى مجال الحكم والسياسة فى مسيرة مصر التاريخية .

لذلك كله كان اختيار تطور الملابس فى المجتمع المصرى من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى ، فرصة جيدة لإبراز العديد من جوانب تطور المجتمع المصرى فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

تنقسم الدراسة إلى ثلاثة أبواب يسبقها فصل تمهيدى ثم تتبعها دراسة وصفية لبعض الصور عن المنسوجات والملابس الموجودة بالمتاحف وعلى الآثار الإسلامية .

أما التمهيد وعنوانه : أحكام الملابس فى الإسلام ، فيتناول موقف الإسلام من اللباس وأحكامه ، وما جاء من الآيات القرآنية بشأن الملابس وآدابها ، كما تناول موقف السنة المطهرة وأحكامها الخاصة باللباس وما ارتبط بها من شعائر وعبادات ، كما تناول الألوان المرغوبة والمكروهة فى الملابس ، وأهم المنسوجات التى ورد عنها نهى فى السنة والأحاديث الخاصة بها .

الباب الأول : الملابس والحياة السياسية ، وينقسم إلى أربعة فصول : **الفصل الأول** : **سياسة الدولة تجاه ملابس أهل الذمة** ، ويستعرض أهم الشروط التى وضعت لأهل الذمة بشأن ملابسهم ، وما تعلق بتشدد بعض الحكام والوزراء فى تطبيق هذه الشروط ، خاصة فى العصر الفاطمى الذى وصفه البعض بأنه عصر اضطهاد لأهل الذمة ، فبينا ظلم هذه المقولة وأوضحنا الظروف والملابسات التى كانت تستدعى بعض الصرامة فى تطبيق هذه الشروط .

الفصل الثانى : **الخلع والهدايا** ، ويتناول معنى الخلع وتطورها ومدى ارتباطها بالنظام السياسى وتولى الوظائف ، كما يظهر مدى ازدهار الخلع فى العصر الفاطمى وما ارتبط بها من نظم ورسوم فى الحكم والإدارة ، كذلك يتحدث الفصل عن الاختلافات التى كانت قائمة بين خلع البعض من وزراء وأمراء ، وقواد وأصحاب مناصب مدنية ودينية ، ويختتم الفصل بالحديث عن أهم الهدايا التى تم تبادلها من المنسوجات والملابس بين الحكام ، ودورها فى تدعيم العلاقات السياسية والاجتماعية .

الفصل الثالث : **ملابس الخلفاء وكبار رجال الدولة** ، ويتناول أهم مـــلابس الولاة والحكام فى المرحلة المبكرة من تاريخ مصر الإسلامية ، موضحًا مدى ارتباطها بالتراث العربى للملابس فى شبه الجزيرة العربية ، ثم ارتباطها بما شاع وانتشر فى بلاط الخلافة العباسية فيما بعد ومدى تأثر مصر به ، كما تناول الفصل أهم ملابس حكام الدولتين الطولونية والإخشيدية ، كذلك استعرض أهم ملابس الخلفاء الفاطميين ومدى التطور الذى أحدثه بعض خلفائهم فى ملابسهم الرسمية ، وارتباطها بالطقوس والرسوم الخاصة بعصرهم فى الأعياد والاحتفالات والمواكب .

الفصل الرابع : **ملابس رجال الدولة والجيش** ، ويتحدث عن أهم الملابس المرتبطة برجال الدولة وموظفيها وأهم المناصب التى ارتبطت بالملابس الرسمية ، وما كان يخلع من ثياب على متوليها ، ثم يستعرض أهم ملابس القادة ورجال الجيش والأسطول والشرطة ، موضحًا ما بينها من اختلافات وما ميز بعضها عن بعض .

أما الباب الثانى : الملابس والحياة الاقتصادية ، فينقسم إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : **خامات المنسوجات والأقمشة** ، ويتناول أنواع المنسوجات التى انتشرت فى العالم الإسلامى ، وأكثرها استخدامًا فى صناعة وإنتاج الملابس فى مصر ، كالكتان والحرير والصوف ومشتقاتها ، كما تناول شهرة مصر فى إنتاج نسيج القباطى وطريقة صنعه ، وارتباط بعض المنسوجات بتصنيع أنواع محددة من الثياب وازدهارها فى مصر .

الفصل الثانى : **مراكز صناعة النسيج والملابس** ، ويتناول أهم مراكز ومدن النسيج والثياب فى مصر ، فى الوجهين القبلى والبحرى ، ونشأة دور الطراز الخاصة والعامة وتطورها ، ومدى ما أسهمت به فى الدعاية السياسية لبعض الحكام ، خاصة دور الطراز فى العصر الفاطمى ، كذلك يستعرض أهم المنشآت الخاصة بالنسيج والملابس فى عصر الفاطميين كدار الكسوة ودار الديباج والقائمين عليها والعاملين بها ودور الدولة فى الإشراف عليها .

الفصل الثالث : **صناعة الملابس** ، ويتناول أهم الحرف والصناعات المرتبطة بالنسيج والملابس ، كالغزل والنسيج والخياطة والصباغة والنقش والزخرفة ومدى تطورها وازدهارها فى مصر ، وأهم الأدوات المستخدمة وأحوال العمال وأجورهم ، وأشهر الطبقات والعناصر التى احترفت هذه المهن والصناعات وعلاقتهم بالدولة ، كما يستعرض دور الدولة فى الإشراف على تلك الصناعات والغرض منه ، ودور المحتسب فى مراقبة النشاط الصناعى الخاص بالنسيج والملابس خاصة فى العصر الفاطمى .

الفصل الرابع : **تجارة المنسوجات وأسواقها** ، ويتناول التجارة الداخلية والخارجية للمنسوجات والثياب ، موضحًا أهم الأسواق وتخصص البعض منها ، وأسعار المنسوجات والثياب وتفاوت قيمتها ، من خلال ما ورد منها فى أوراق البردى العربية ، ثم يستعرض بعض أسماء تجار النسيج والثياب فى مصر منذ الفتح الإسلامى ودور بعضهم فى التجارة الخارجية مع بلدان العالم الإسلامى والأوربى .

أما الباب الثالث : الملابس والحياة الاجتماعية ، فينقسم إلى خمسة فصول :

الفصل الأول : **الملابس والدلالات الاجتماعية** ، ويستعرض أهم الدلالات الاجتماعية المرتبطة بالملابس ، وأهمية الملبس فى التصنيف الطبقى لعناصر وفئات المجتمع ، ثم دلالة بعض الألوان وعلاقتها بالأحداث والمناسبات الاجتماعية وارتباطها ببعض المهن والأعمال ، كذلك يناقش التعدد الوظيفى للملبس وتطوره فى المجتمع ، واستخدام الثياب فى العقوبة والتشهير .

الفصل الثانى : **ملابس رجال الدين** ، وخصص للحديث عن ملابس رجال الدين على اختلاف عقائدهم ، مبينًا ارتباط ملابسهم بالشعائر والعبادات لدى كل منهم ، موضحًا أهمية أغطية الرؤوس وما احتلته من مكانة فى ملابسهم ، كما يستعرض أيضًا بعض دلالات الألوان فى ملابسهم ، خاصة ما ارتبط ببعض الفرق والمذاهب الدينية .

الفصل الثالث : **ملابس النساء** ، ويتناول ملابس النساء الحرائر ونساء القصر ، موضحًا مدى التطور الذى صاحب ملابسهم بعد دخول الإسلام ، خاصة فى أغطية الرؤوس والأردية الخارجية ، وما ارتبط منها بالتراث العربى ، ثم تناول أهم ملابس نساء القصر وزوجات الخلفاء وخاماتها وتعدد قطعها ومكوناتها وعلاقتها بمكانتهن .

الفصل الرابع : **ملابس العامة** ، وخصص لاستعراض ملابسهم وعلاقتها بالتصنيف الطبقى لهم ، والمستوى المادى والحرف التى مارسوها ، ثم بين علاقة بعض الألوان بهذه الحرف ، كذلك أشهر الخامات والأقمشة التى شاعت فى ملابسهم ، ثم تناول ملابس نساء العامة والجوارى والراقصات ، والفروق الظاهرة فى ملابسهن وما امتازت به عن غيرها من الملابس .

الفصل الخامس : **ملابس أهل الذمة** ، ويتناول ملابس أهل الذمة بشكل مفصل ، موضحًا أهم ما ميز ملابسهم عن غيرهم من العناصر ، ومدى التشابه بين ملابسهم

وملابس عناصر وطبقات المجتمع ، كما تعرض لأهم أجزاء ملابس نسائهم ، وما ورد منها فى قوائم الجهاز بوثائق الجنيزة ، خاصة ملابس اليهوديات منهن ، موضحًا مدى حرصهن على تأكيد بعض العادات والتقاليد الخاصة بملابسهن فى شريعتهم .

ثم تُخْتَتَم الدراسة بتحليل لبعض الصور واللوحات الخاصة ببعض قطع النسيج والملابس الواردة على الآثار الإسلامية أو بعض التحف التطبيقية ، ثم ذيلنا الدراسة ببعض الملاحق والجداول والخرائط المتعلقة بأسماء الملابس ومراكز إنتاجها ، أما الخاتمة فقد استعرضت أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج والتوصيات التى تراها الدراسة مهمة وضرورية فى هذا الصدد .

وعلى الله قصد السبيل

دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع

اعتمدت الدراسة على عدد كبير من المصادر المخطوطة والمطبوعة ، إلى جانب مجموعة أخرى من المراجع العربية والأجنبية المتعلقة بالمنسوجات والملابس ، بعضها تاريخى والبعض الآخر أثرى .

ومن أهم المصادر المخطوطة التى أفادت الدراسة مخطوط (شروط النصاري) لأبى محمد عبد الله بن أحمد بن زَبر القاضى المتوفى عام ٨٥٩هـ الذى استفادت منه الدراسة فيما يختص بالشروط الأولى التى وضعت للنصارى فى ملابسهم ، وموقف بعض الحكام والخلفاء من تطبيقها أو إلزام أهل الذمة بها ، خاصة فى العصر الفاطمى .

كما استفادت الدراسة من مخطوط (در الغمامة فى در الطيلسان والعذبة والعمامة) لأحمد بن حجر الهيتمى (د. ت) . الذى تعرض فيه للكثير من الأحكام الخاصة بارتداء الطيلسان والعمامة وأهم أنواعهما وأشكالهما والمناسبات الخاصة بارتدائهما والألوان المنتشرة لهما .

أما مخطوط (أنيس الجليس فى أخبار تنيس) لمحمد بن أحمد بن بسام التنيسى المحتسب المتوفى قبل عام ٨٤٤هـ فكان من المصادر القيمة التى أمدت الدراسة بالكثير من المعلومات عن مدينة تنيس ، أشهر المدن المصرية فى إنتاج وصناعة النسيج ، إذ ذكر ابن بسام أنواع المنسوجات التى أنتجتها وأشهرها وأثمانها وأحوال العمال المشتغلين بالنسيج والخياطة ، وعدد ما بتنيس من دكاكين لبيع النسيج والأنوال والمغازل ، كذلك كان مخطوط (ضوء السراج فيما قيل فى النساج) لشمس الدين محمد بن طولون الحنفى المتوفى عام ٩٥٣هـ من المصادر المهمة فى التعريف بحرفة النسيج وأهم النساج فى مصر وأدواتهم ، كما فسر الاختلاف بين النساج والخياط ومراحل عمل كل منهم .

أما المصادر المطبوعة التى اعتمدت عليها الدراسة فكثيرة ومتنوعة ، إذ اعتمدت على كتب التاريخ العام وتاريخ مصر الإسلامية بصفة خاصة ، كما استفادت من كتب الجغرافيا والأدب والمعاجم اللغوية وكتب الحديث والفقه وبعض كتابات الرحالة ومشاهداتهم ،

كذلك اعتمدت على بعض المصادر الأثرية المتمثلة فى المتاحف الإسلامية وما احتوته من قطع للنسيج وتحف تطبيقية وملابس كاملة ، كما كانت أوراق البردى العربية من المصادر الجيدة التى أمدت الدراسة بأسماء بعض المنسوجات والملابس وأسعارها وألوانها .

أ ـ كتب التاريخ العام :

رجعت الدراسة إلى بعض كتب التاريخ العام ، التى احتوت على بعض المعلومات القيمة عن الملابس والنظم والرسوم السياسية المرتبطة بها ، وما كان سائدًا منها فى بلدان العالم الإسلامى وما اشتهر من الحكام والخلفاء بارتداء بعضها فكان كتاب (الإمامة والسياسة) وكتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة : أبى محمد عبد الله بن سلم بن قتيبة الدينورى المتوفى عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م من المصادر القيمة فى هذا الصدد ، كذلك كان كتاب (تاريخ اليعقوبي) لأحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح المتوفى عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م ، وكتاب (تاريخ الأمم والملوك) : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى ٣١٠هـ/ ٩٢٢م وكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى المتوفى ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م ، أما كتاب (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير : عز الدين بن الحسن على المتوفى ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م فاستفادت منه الدراسة فى مواضع عديدة من فصولها ، إذ احتوى على معلومات أكثر تفصيلاً عن أنواع الملابس والمنسوجات كما أورد بعض النصوص الخاصة بالخُلع الممنوحة لرجال الدولة ، كما أشار فى أكثر من موضع إلى مراكز إنتاج وصناعة النسيج والثياب فى مصر ، وما احتلته من مكانة بين مدن وبلدان العالم الإسلامى المشتهرة بإنتاج النسيج والثياب .

أما عن كتب التاريخ الخاصة بمصر الإسلامية ، فقد اعتمدت الدراسة على كل ما وصل إلينا منها خاصة فى المراحل المبكرة لتاريخ مصر الإسلامية مرورًا بالدولتين الطولونية والإخشيدية حتى قيام الخلافة الفاطمية .

كان كتاب (فتوح مصر وأخبارها) لابن عبد الحكم : أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المتوفى عام ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م من المصادر المهمة للدراسة فى التعرف على أسماء وأنواع الملابس التى سادت فى المرحلة الأولى من تاريخ مصر ، فاستفادت منه الدراسة فى التعرف على ملابس بعض الولاة والحكام ومدى تأثرهم بما كان سائدًا فى شبه الجزيرة العربية .

كما اعتمدت الدراسة بشكل كبير على كتاب (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) وكتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) وكتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة) لتقى الدين أحمد بن على المقريزى المتوفى ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م من المصادر المهمة التى استفادت منها الدراسة استفادة كبيرة ، إذ اعتنى المقريزى بأحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية خاصة فيما تعلق بعصر الدولة الفاطمية ، فاستفادت الدراسة من كتبه فى الكثير من فصولها خاصة ما أورده عن ملابس الخلفاء والوزراء وقادة الجيش، وما كان يمنح لهم من خُلع وكسوات بتفصيلات لم نجدها عند غيره من المؤرخين، كما استفادت الدراسة بمعلومات قيمة عن دور الطراز ودار الكسوة ودار الديباج فى العصر الفاطمى ، كما استفادت الدراسة منه فيما تعلق بالحياة الاقتصادية خاصة أسواق بيع وتجارة النسيج والملابس بمصر ، وأسعارها وتخصص بعض الأسواق فى أنواع محددة من النسيج والثياب .

ومن المصادر القيمة والمهمة التى استفادت منها الدراسة فى تطور الملابس وعلاقته بالحياة السياسية ، فى العصر الفاطمى كتاب (أخبار مصر فى سنتين ٤١٤-٤١٥هـ) للأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى المتوفى ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م وكذلك كتابه (نصوص ضائعة من أخبار مصر) إذ استعرض فيهما الكثير من الأحداث الخاصة بالدولة الفاطمية وخلفائها ووزرائها وما ارتبط بهم من الثروات فى مجال الملابس ، والمواكب والاحتفالات التى عنيت بها الدولة وما ارتداه رجالها فيها من ثياب .

كما كان كتاب (المنتقى من أخبار مصر) لتاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جلب بن ميسر المتوفى ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م من أغنى المصادر التى تناولت تاريخ الفاطميين فى مصر وسياستهم وأهم وزرائهم ، كما تعرض لأهل الذمة فى مصر فى ظل الخلافة الفاطمية موضحًا دورهم فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وما تعلق بهم من ملابس ألزمتهم بها الدولة .

أما كتاب (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) لابن تغرى بردى : جمال الدين أبى المحاسن يوسف المتوفى ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م فكانت مادته ثرية وقيمة للدراسة ، خاصة أنه تعرض للعديد من حكام وولاة مصر الإسلامية منذ الفتح الإسلامى وحتى سقوط

الخلافة الفاطمية ، فاستفادت منه الدراسة بمعلومات مهمة عن تطور زى وملابس الولاة والحكام خاصة فى عصر الدولتين الطولونية والإخشيدية ، وأهم ما تعلق بملابس أحمد بن طولون وخمارويه ، كذلك استمدت الدراسة منه بعض المعلومات عن مواكب الفاطميين واحتفالاتهم وثروات الوزراء والأمراء من الثياب والمنسوجات ، إضافة إلى بعض المعلومات الخاصة بطبقات وعناصر المجتمع المصرى خاصة أهل الذمة .

كما كان كتاب (الانتصار بواسطة عقد الأمصار) لابن دقماق : إبراهيم بن محمد أيدمر العلائى المتوفى ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م من المصادر المهمة فى إبراز أهم الخطط المصرية والأسواق والوكالات والقياسر التى ارتبطت بالملابس والمنسوجات منذ الفتح الإسلامى وحتى عصر الفاطميين ، كما أمدنا بمعلومات عن بعض المدن والبلدان المصرية والمراكز الصناعية الخاصة بإنتاج النسيج والثياب .

٢ ـ كتب الجغرافيا والرحالة :

تعد كتب الجغرافيا والبلدان من المصادر الضرورية لتحديد بعض أماكن القرى والمدن المعنية بصناعة النسيج والملابس ، سواء فى العالم الإسلامى أو فى مصر ، لذلك اعتمدت الدراسة على عدد كبير منها فى توثيق المعلومات الخاصة بالمدن والبلدان .

كان كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموى : شهاب الدين أبى عبد الله المتوفى ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م من المصادر الجغرافية المهمة فى إعطاء المعلومات اللازمة عن أهم المدن المصرية ومدن العالم الإسلامى ، وتحديد أماكنها وما اشتهرت به ، كما كان كتاب (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) للبكرى : أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسى المتوفى ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م من المصادر القيمة فى تفسير أسماء بعض المدن وتحديد أماكنها .

تعد كتب الرحالة استكمالاً لكتب الجغرافيا والبلدان ، إذ تعطى كتب الرحالة وصفًا لبعض الأحوال والعادات والتقاليد الخاصة بكل بلد أو إقليم ، كما تعد صورة صادقة ومعبرة - فى الغالب - عن الحياة الاجتماعية لهذا البلد أو الإقليم ، خاصة أن أغلب الرحالة كانوا من بيئات ومجتمعات مختلفة مما جعلهم يلتفتون إلى كل ما هو غريب أو لافت للنظر

، لذلك اعتمدت الدراسة على بعض كتب الرحالة فكان كتاب (سفر نامه) لناصر خسرو : ناصر خسرو العلوى المتوفى ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م وكتاب (الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) لعبد اللطيف البغدادى المتوفى ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م وكتاب (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) لابن بطوطة : عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى المتوفى ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م من أكثر المصادر القيمة فى هذا الصدد ، إذ وصف هؤلاء الرحالة الكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بمصر ، كما كانت مشاهداتهم وتعليقاتهم على بعض النواحى السياسية والحضارية من الأمور المهمة التى استفادت منها الدراسة خاصة فى وصفهم لملابس طبقات المجتمع ، أو الأسواق الخاصة بالنسيج والثياب والأسعار .

٣ ـ المعاجم اللغوية وكتب الأدب :

تعد المعاجم اللغوية من أكثر المصادر أهمية فى دراسة تطور الملابس ، إذ تقدم الكثير من المعلومات المتعلقة بأسماء الثياب والمنسوجات وأصولها اللغوية ، كذلك احتوى بعضها على وصف للعديد من الثياب موضحة الاختلافات بين ملبس وآخر ، لذلك اعتمدت الدراسة على عدد كبير من المعاجم اللغوية المتخصصة فى هذا الصدد ، فكان كتاب (معجم العين) للخليل بن أحمد : أبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى ١٧٥هـ/ ٧٩٢ من المعاجم القيمة فى تفسير الكثير من أسماء المنسوجات والملابس وطرق ارتدائها ، خاصة ما تعلق بالبيئة العربية قبل الإسلام ، كذلك كان كتاب (المخصص) لابن سيده : أبى الحسن على بن إسماعيل المتوفى ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م من المعاجم القيمة التى خصصت فصلاً كاملاً للحديث عن أسماء الملابس وأنواعها وما انتشر منها فى مصر ، كذلك كان كتاب (لسان العرب) لابن منظور : جمال الدين أبى الفضل محمد بن كرم المتوفى ٧١١هـ/ ١٣١١م من المعاجم التى استفادت منها الدراسة فى التعرف على أسماء الملابس والمدن المصرية التى نسبت إليها بعض الثياب ، وما كان شائعًا من المنسوجات فى مصر والعالم الإسلامى، أما كتاب (المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم) للجواليقي : أبى منصور موهوب بن أحمد بن محمد المتوفى ٥٤٠هـ/

١١٤٥م ، فكان من المعاجم المفيدة فى التعرف على بعض أسماء الملابس غير العربية وأصولها الفارسية ، وقد استفادت منه الدراسة كثيرًا فى هذا الصدد وفى إبراز ما هو عربى وما هو فارسى من الثياب .

تعد كتب الأدب مصدرًا مهمًا فى الدراسة ، لما احتوته من أخبار طريفة وأشعار عن الملابس والثياب ، كما احتوت على بعض المعلومات الخاصة بمجالس الحكام والعلماء والأدباء وملابسهم ، كما عنيت كتب الأدب بأخبار بعض التحف والهدايا المتبادلة بين الملوك والخلفاء وما كان منها من المنسوجات والملابس .

وقد اعتمدت الدراسة على عدد كبير من كتب الأدب كان منها كتابا (البخلاء) و(البيان والتبيين) للجاحظ : أبى عثمان عمرو بن بحر المتوفى ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م وهما من الكتب المهمة التى تناولت بعض أسماء الملابس ووصفت الكثير منها ، كما اهتمت بالحديث عن العناصر الاجتماعية فى العالم الإسلامى وما تميزت به ملابسهم خاصة أغطية الرؤوس .

كما كانت كتب (أدب الملوك) و (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) و (لطائف اللطف) للثعالبى : أبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل المتوفى ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م من المصادر الأدبية المهمة فى الدراسة ، إذ أوردت هذه الكتب الكثير من المعلومات عن الحياة الاجتماعية وما ارتبط بها من ملابس ، والنظم والرسوم التى وضعها بعض الملوك والحكام بشأن الملبس ، كما تضمنت بعض النوادر والقصص التى يمكن أن نستنتج منها بعض المعلومات عن آداب الملبس وتقاليده .

أما كتاب (نهاية الأرب فى فنون الأدب) للنويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب المتوفى ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م فيعد دائرة معارف فى الفنون والآداب استفادت منه الدراسة فى كثير من فصولها خاصة فيما تعلق بالحياة الاجتماعية وطبقات المجتمع .

كما كان كتاب (الموشى أو الظرف والظرفاء) للوشاء : أبى الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى المتوفى ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م من المصادر الأدبية التى أمدت الدراسة بالكثير من المعلومات عن حياة الجوارى والراقصات وأهم ملابسهن وما كتب على بعضها من أشعار ، خاصة تكك السراويل والعصائب .

٤ ـ كتب الحديث والفقه :

رجعت الدراسة إلى العديد من كتب الحديث والفقه لما لها من أهمية فى إبراز موقف الإسلام من اللباس والزينة ، وأهم الأحاديث الخاصة بتحريم بعض الثياب أو المنسوجات وموقف السنة المطهرة .

وكان كتاب (صحيح البخاري) للبخارى : الإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل المتوفى ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م وكتاب (صحيح مسلم) لمسلم : الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى المتوفى ٢٦١هـ/ ٨٧٤م من أهم المصادر الفقهية التى اعتمدت عليها الدراسة فى تخريج الأحاديث الخاصة بالملابس أو التعرف على بعض الملابس التى ارتداها الرسول ﷺ ، وكانت سائدة فى شبه الجزيرة العربية ، كما استفادت الدراسة من البعض الآخر من كتب الحديث كمسند الإمام أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ/ ٨٥٥م ، وسنن أبى داود المتوفى ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م ، والتى أشارت إلى بعض الأحاديث التى لم ترد لدى البخارى ومسلم .

٥ ـ المصادر الأثرية :

كان لا بد للدراسة من الرجوع إلى المصادر الأثرية الإسلامية ، لما لها من أهمية وضرورة فى التعرف على نماذج المنسوجات والملابس ، سواء فى العالم الإسلامى أو فى مصر على وجه الخصوص ، لذلك اعتمدت الدراسة على أغلب ما جاء عن الملابس والمنسوجات والتحف فى عدد كبير من المتاحف المعنية بالفن والآثار ومنها :

١ ـ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة .

٢ ـ متحف الفن القبطى بالقاهرة .

٣ ـ متحف الخزف الإسلامى بالزمالك .

٤ ـ متحف كلية الآثار بجامعة القاهرة .

٥ ـ متحف سعد الخادم بالقاهرة .

كذلك اعتمدت الدراسة على أوراق البردى العربية لما لها من قيمة تاريخية وأثرية، فتم الرجوع إلى أهم المراكز المتخصصة بها ومنها :

١ ـ مركز الدراسات البردية بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

٢ ـ مركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس .

حيث تم الحصول على صور لبعض نماذج من أوراق البردى العربية ، التى استفادت منها الدراسة فى التعرف على أسماء وأسعار المنسوجات والثياب فى الفترة المبكرة لتاريخ مصر الإسلامية ، كما تم الحصول على برديتين من البرديات التى توضح المحاولات الأولى للرسم والتلوين على أوراق البردى ، ظهرت من خلالهما بعض أشكال الملابس البسيطة التى سادت مصر فى القرون الإسلامية الأولى .

من ناحية أخرى رجعت الدراسة إلى عدد كبير من المراجع الأثرية القيمة والمهمة فى مجال الفنون الإسلامية ، خاصة مؤلفات الأستاذ الدكتور زكى حسن ، والأستاذ الدكتور حسن الباشا ، والأستاذة الدكتورة سعاد ماهر ، إضافة إلى بعض كتالوجات النسيج والملابس العربية والأجنبية .

التمهيد

أحكام الملابس فى الإسلام

احتلت الملابس مكانة مهمة فى الإسلام بوصفها من الأمور الضرورية لستر الجسد ، فاعتبر اللباس فرض عين على كل مسلم ومسلمة لما فيه من ستر للعورة ، قال تعالى : **﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾**[1] كما حث الإسلام على التزين فى الملبس وحسن الهيئة فقال تعالى : **﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾**[2] ، كذلك أشارت بعض آيات القرآن إلى أهمية الملبس فى حفظ الجسد ووقايته ، فقال تعالى : **﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ**[3] **تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾**[4] ، ولم تقتصر الآيات القرآنية فى بيان أهمية اللباس ومنافعه ، بل وجهت النساء إلى ما يجب أن يكون عليه ملبسهن ، على اعتبار أن جسد المرأة كله عورة عدا الوجه والكفين ، فقال تعالى : **﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٦ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٣٢ .

(٣) السربال : القميص والدرع . ابن منظور : لسان العرب . دار إحياء التراث العربى ١٩٨٨ ، جـ١١ ص٣٣٥ ، وانظر أيضًا يحيى الجبورى : الملابس العربية فى الشعر الجاهلى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٩ ، ص١٦٧ .

(٤) سورة النحل : الآية ٨١ .

وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[5]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[6]، كما لم تقف الآيات القرآنية بالنسبة للملابس عند التوجيه أو الحث لما يجب أن تكون عليه ملابس المسلم فى دنياه ، بل امتدت إلى الترغيب للمتقين بارتداء أثواب الجنة جزاء لإيمانهم وتقواهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[7]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[8]، ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾[9]، وفى المقابل أتت بعض الآيات لتذكر العصاة بملابسهم فى الآخرة فقال تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾[10]، ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾[11]، وإذا تأملنا أغلب آيات اللباس فى القرآن فسنجدها

---

(٥) سورة النور : الآية ٣١ .
(٦) سورة الأحزاب : الآية ٥٩ .
(٧) سورة الحج : الآية ٢٣ .
(٨) سورة الكهف : الآية ٣٠-٣١ .
(٩) سورة الإنسان : الآية ١٢ .
(١٠) سورة الحج : الآية ١٩ .
(١١) سورة إبراهيم : الآية ٥٠ .

تعتبر الملابس تكرمة وسترًا وزينة للإنسان ، سواء فى الدنيا أو الآخرة ، كما أصبحت أيضًا عقوبة للعصاة فى الآخرة كما كانت مكرمة لهم فى الدنيا .

على الجانب الآخر جاءت السنة المطهرة بالكثير من الأحاديث المبينة لأحكام الملابس فى الإسلام ، وما يجب أن يكون عليه لباس المسلم فى حياته ، خاصة فى أثناء تأديته لبعض الشعائر والمناسك الدينية كالصلاة(١٢) والحج .

كانت الصلاة من العبادات التى حثت الأحاديث النبوية على اختيار الملابس المناسبة وستر العورة فى أدائها ، لما فيها من مناجاة لله تعالى(١٣) ، فعن يحيى عن مالك عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عُمر بن أبى سلمة « أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى ثوب واحد مشتملاً به فى بيت أم سلمة واضعًا طرفيه على عاتقيه »(١٤) ، كما حرم ارتداء الحرير فى ملابس الرجال أثناء الصلاة ، فعن عبد الله بن يوسف قال : حدثنا أبو الخير عن عقبة بن عامر قال : أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فروج(١٥) حرير ، فلبسه فصلى فيه ، ثم انصرف ، فنزعه نزعًا شديدًا ، كالكاره له ، وقال : « لا ينبغى هذا للمتقين »(١٦) ، كذلك حَرم استخدام الثياب المزينة بصور أو المعلمة التى تلهى المصلى أثناء الصلاة ، فعن أحمد بن يونس قال : حدثنا إبراهيم بن سعد قال : حدثنا ابن شهاب ، عن عروة عن عائشة : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى خميصة لها أعلام ، فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما انصرف قال : « اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم ، وائتونى

---

(١٢) كان للصلاة شأن كبير فجاء فى حدودها وأحكامها وشروطها وسننها وآدابها الكثير من الأحاديث ، حتى إن المصنفين عجزوا عن جمعها فى مصنف واحد شامل يحوى كل ما يتعلق بها .

(١٣) قال ابن عمر لغلامه نافع لما رآه يصلى حاسراً ، أرأيت لو خوجت إلى الناس ، كنت تخرج هكذا ؟ قال : لا . فقال : فالله أحق من يتجمل له . ابن تيمية : لباس المرأة والرجل فى الصلاة وحدود العورة. دار الحرمين بالقاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٢٠ .

(١٤) مالك بن أنس : الموطأ . المكتبة التوفيقية ٢٠٠٣ ، جـ١ ، ص٨٩ .

(١٥) الفروج : قباء فيه شق من خلفه . ابن سيده : المخصص . بيروت ، دار الآفاق الجديدة (د. ت) جـ٤ ، ص٨٦ .

(١٦) البخارى : صحيح البخارى . المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٩٧ ، جـ١ ، ص١٣٩ .

بأنبجانية[١٧] أبى جهم ، فإنها ألهتنى آنفًا عن صلاتى »[١٨]، كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى الثوب المُصلب أى الذى فيه تصاوير كالصليب ، فقد جاء فى رواية أن نسوة مع عائشة رضى الله عنها كن يمشين بين الصفا والمروة فلاحظت عائشة امرأة عليها خميصة[١٨] فيها صُلب ، فقالت لها عائشة : انزعى هذا من ثوبك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه فى ثوب قضبه »[١٩]، كذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشتمال الصماء[٢٠]، فعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى أن يأكل الرجل بشماله ، أو يمشى فى نعل واحدة ، وأن يشتمل الصماء ، وأن يحتبى فى ثوب واحد ، كاشفًا عن فرجه »[٢١]، كذلك حرمت الصلاة فى ثوب كاشف للكتف ، فعن مالك عن أبى الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يصلى أحدكم فى الثوب الواحد ، ليس على عاتقيه شىء »، كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على اتخاذ ثياب خاصة بيوم الجمعة لأهميتها وعظمها ، فعن يحيى عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبى مهنته »[٢٣] وفى رواية أخرى: « ما على أحدكم إن وجد سعة ، أن يتخذ ثوبين لجمعته ، سوى ثوبى مهنته »[٢٤].

---

(١٧) أنبجانية : كساء من الصوف له خمل ولا علم له ، وهى من أدون الثياب الغليظة ، وهى منسوبة إلى مدينة منبج . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس ، دار الآفاق العربية بالقاهرة ٢٠٠٢ ، ص٤٠ ، محمد بن فارس الجميل : اللباس فى عصر الرسول . حوليات كلية الآداب ، الكويت ١٩٩٤ ، ص٨٤ .

(١٨) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان ، وقيل ثوب خز أو صوف معلم . ابن منظور : لسان العرب . جـ٧ ، ص٣١ .

(١٩) ابن حنبل : المسند . جـ٦ ص٢٢٥ .

(٢٠) اشتمال الصماء : أن يتجلل الرجل بثوبه ولا يرفع منه جانبا ، وإنما قيل لها الصماء ، لأنه يسد على يديه ورجليه المنافذ كلها ، كالصخرة الصماء ليس فيها خرق ولا صدع ، والفقهاء يقولون : هو أن يتغطى بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبه ، فتكشف عورته . محمد بن فارس الجميل : اللباس فى عصر الرسول . ص١٦ .

(٢١) مسلم : صحيح مسلم . مكتبة أبو بكر الصديق بالقاهرة ٢٠٠١ ، جـ١٤ ، ص٧٠ .

(٢٢) البخارى : صحيح البخارى . جـ١ ، ص١٣٤ .

(٢٣) مالك بن أنس : الموطأ . جـ١ ، ص٧٠ .

(٢٤) مالك بن أنس : المصدر نفسه . جـ٢ ص٩١٠ .

أما فيما اختص بملابس المحرم أثناء الحج ، فوردت عدة أحاديث توضح ما يرتديه المسلم من ثياب أثناء تأدية هذه الشعيرة ، فحين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لباس المحرم قال : « لا يلبس القميص ولا السراويل »[٢٥]، وفى رواية أخرى أكثر تفصيلاً قال : « لا يلبس القميص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ، ولا الخفاف إلا أحد لا يجد نعلين ، فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل الكعبين ، ولا يلبس من الثياب شيئًا مسه الزعفران ولا الورس »[٢٦]، كما وجه الرسول صلى الله عليه وسلم النساء فيما يلبسنه فى هذه الشعيرة، قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى النساء فى الإحرام عن القفاز والنقاب »[٢٧]، وفى رواية أخرى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المحرمة لا تتنقب ولا تلبس القفازين »[٢٨]، ويعكس النهى عن استخدام القفاز فى ملابس النساء أثناء الحج حقيقة استخدامه فى الأوقات الأخرى لاتقاء البرد .

كانت قضية ارتداء الحرير فى ملابس الرجال من القضايا التى تعرض لها الإسلام وبين كراهتها لما فيه من التشبه بالنساء ، فورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث فى تحريم الحرير ، فعن يزيد عن محمد بن إسحق عن يزيد أبى حبيب عن عبد العزيز بن أبى الصعبة عن عبد الله بن زرير الغافقى قال : سمعت عليًا يقول : « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبًا بيمينه ، وحريرًا بشماله ، ثم رفع بهما يديه فقال : هذا حرام على ذكور أمتى »[٢٩]، وعن يحيى بن سعيد عن التيمى عن أبى عثمان قال : كنا مع عُتبة بن فرقد ، فكتب إليه عمر باشياء يحدثه عن النبى صلى الله عليه وسلم فكان فيما كتب إليه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يلبس الحرير فى الدنيا إلا من

---

(٢٥) البخارى : صحيح البخارى . جـ١ ، ص١٤٣ .

(٢٦) مسلم : صحيح مسلم . جـ٨ ، ص٦٧ ، ابن قتيبة : المغنى . جـ٥ ، ص١١٩ .

(٢٧) ابن حنبل : المسند . جـ٢ ، ص٢٢ .

(٢٨) أبو داود : صحيح سنن المصطفى . دار الكتاب العربى ، بيروت (د.ت) جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٢٩) ابن حنبل : المسند . جـ٢ ، ص١٠٩ .

ليس له فى الآخرة منه شيء ، إلا هكذا ، وقال بإصبعه السبابة والوسطى »[٣٠]، وعن على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، أن أكيدر دومة الجندل أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثوب حرير ، فأعطاه عليًا ، فقال : « شَقّقه خمرًا بين الفواطم »[٣١]، وهى إشارة واضحة للرسول صلى الله عليه وسلم لارتباط وملاءمة الحرير للنساء .

كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ارتداء الثياب القسية الآتية من مصر لوجود الحرير بها ، فحين سئل على بن أبى طالب رضى الله عنه : ما القسية ؟ قال : ثياب أتتنا من الشام أو مصر مضلعة فيها حرير أمثال الأترج[٣٢].

على أن تحريم ارتداء الرجال للحرير وإن كان قاطعًا فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه رخص فيه لبعض الرجال من الصحابة فى حالات خاصة ، كالمرض الجلدى الذى يستوجب ليونة نسيج الثوب وعدم الخشونة ، فعن أحمد بن المقدام عن خالد بن الحارث عن سعيد عن قتادة أن أنسًا حدثهم : أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير فى قميص من حرير ، من حكة كانت بهما[٣٣]، كما أجاز بعض الفقهاء أن يكون بالثوب بعض الحرير المختلط بغيره وألا يكون الحرير به أكثر وزنًا ، وكان مقدار الحرير الذى سمح به بعض الفقهاء كالشافعى ألا يتجاوز قدر إصبعين أو أربعة أصابع مضمومة[٣٤]، وأن تكون فى حواشى الجبة والعمامة أو علم الثوب ، كما غالى بعض الفقهاء كابن تيمية بتحريم الأجر المأخوذ على خياطة الثياب من الحرير ، إذ اعتبره من العمل المحرم الخبيث الذى يجب إنكاره[٣٥]، وهو بلا شك تشدد لا يؤخذ به ، خاصة أنه لم يرد نص صريح يؤيد ذلك فى القرآن أو السنة المطهرة .

(٣٠) ابن حنبل : المصدر نفسه . جـ١ ، ص٢٦١ .
(٣١) مسلم : صحيح مسلم . جـ٣ ، ص٦٤٥ .
(٣٢) البخارى : صحيح البخارى . جـ٥ ، ص٢١٩٥ .
(٣٣) البخارى : المصدر نفسه . جـ٢ ، ص٩٠٠ .
(٣٤) السبكى : معيد النعم ومبيد النقم . تحقيق محمد على النجار وآخرين ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٩٣ ، ص١٣٤ ، ممدوح محمود : الزينة والجمال فى ميزان الإسلام . مكتبة الزهراء بالقاهرة ١٩٩٦ ، ص٩١ .
(٣٥) ممدوح محمود : الزينة والجمال فى ميزان الإسلام . ص٩٠ .

على الجانب الآخر كانت ألوان الثياب من الأمور التى تناولتها السنة المطهرة وحث على بعضها ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث دائمًا على ارتداء الأبيض من الثياب ، فعن عمر بن على قال : حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبى عروبة عن أبى المهلب عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « البسوا من ثيابكم البياض ، فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم »(٣٦) ، وفى رواية أخرى « البسوا من ثيابكم البياض ، فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم »(٣٧) ، ويعتبر اللون الأبيض من الألوان التى ترمز للنقاء والصفاء ، وهو يرمز - أيضًا - لأصحاب النعيم فى الجنة ، إذ قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾(٣٨) ، وكانت عمائم الرسول صلى الله عليه وسلم فى السفر بيضاء وفى الحضر سوداء(٣٩) ، كما كان اللون الأخضر من الألوان المحببة والدالة على ثياب أهل الجنة ، إذ قال تعالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾(٤٠) ، كما كان للرسول صلى الله عليه وسلم بعض الجباب من السندس الأخضر(٤١) .

وكما كانت هناك بعض الألوان المحببة والمفضلة لدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت هناك - أيضًا - بعض الألوان التى نفر منها الرسول صلى الله عليه وسلم ونهى أصحابه والمسلمين عن استخدامها ، مثل الألوان المصبوغة بالعصفر ، أو الأصفر الضارب إلى الحمرة ، فعن محمد بن المثنى ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنى أبى عن يحيى حدثنى

---

(٣٦) أحمد بن حجر الهيتمى : در الغمامة فى در الطيلسان والعذبة والعمامة . مخطوط بدار الكتب ميكروفيلم رقم ٥٧٩٠٢ ، ورقة رقم ٧ ، ابن قدامة : المغنى . جـ٥ ، ص٧٧ ، الغزالى : إحياء علوم الدين . دار التقوى بالقاهرة ٢٠٠٠ ، جـ٥ ، ص٥٣٦ .

(٣٧) أحمد بن حنبل : المسند . جـ٤ ، ص٤٨ .

(٣٨) سورة آل عمران : الآية ١٠٦ .

(٣٩) البلاذرى : أنساب الأشراف . تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف ، ١٩٨٧ ، جـ١ ص٥٠٧ .

(٤٠) سورة الإنسان : الآية ٢١ .

(٤١) ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى . تحقيق حامد زيان ، القاهرة ١٩٨٥ ، جـ١ ، ص١١٠ ، على المتقى علاء الدين الهندى : كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن بالهند ١٩٥٩ ، جـ٧ ، ص٧١ .

محمد بن إبراهيم بن الحارث أن أبا مَعدان أخبره أن جبير بن نُفير أخبره أن عبد الله بن عمرو بن العاص أخبره ، قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين . فقال : « إن هذه من ثياب الكفار ، فلا تلبسها »[٤٢] وفى رواية أخرى قال : « أأُمك أمرتك بهذا؟ » قلت : أغسلهما . قال : « بل أحرقهما »[٤٣]، ولم يقتصر نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن بعض الألوان على الثياب بل امتد لملابس القدم ، إذ نهى عن لبس الخفاف الحمر حيث اعتبرها من الشهرة[٤٤]، ويفترض دوزى سببًا لكراهية اللون الأحمر فى الإسلام، وهو أن الأحمر لون يرمز إلى الدماء والقتل[٤٥].

من ناحية أخرى حث الإسلام - أيضًا - فى أحكامه وآدابه الخاصة بالملابس على التواضع والبعد عن الزهو والخيلاء فى اللباس ، فعن عبد الرحمن بن سلام الجمحى عن الربيع عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى ، قد أعجبته جُمته وبُرْداه ، إذ خسف به الأرض ، فهو يتجلجل[٤٦] فى الأرض حتى تقوم الساعة »[٤٧]، وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله إلى من جَر ثوبه خيلاء »[٤٨] وفى رواية أخرى : « إن الذى يجر ثيابه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة »[٤٩]، وفى وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى ذر الغفارى قال : « يا أبا ذر إنى ألبس الغليظ وأجلس على الأرض وأركب الحمار وأردف خلفى ، فمن رغب عن سنتى فليس منى ، يا أبا ذر البس الخشن من اللباس والصفيق - الغليظ - من

(٤٢) مسلم : صحيح مسلم . جـ١٤ ، ص٤٦ .

(٤٣) مسلم : المصدر نفسه . جـ١٤ ، ص٤٧ ، محمد بن فارس الجميل : اللباس فى عصر الرسول . حوليات كلية الآداب ، الحولية الرابعة عشرة ، الكويت ١٩٩٤ ، ص٦١ .

(٤٤) ابن الجوزى : تلبيس إبليس . ص١٩٩ .

(٤٥) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب . ترجمة أكرم فاضل ، العراق ١٩٧١ ، ص١٧ .

(٤٦) يتجلجل : أى يتحرك وينزل مضطربًا . الرازى : مختار الصحاح ، دار الكتب العربية ، بيروت ١٩٨٢ ، ص١٠٨ .

(٤٧) مسلم : صحيح مسلم . جـ١٤ ، ص٥٦ .

(٤٨) مسلم : المصدر نفسه . جـ١٤ ، ص٥٣ .

(٤٩) البخارى : صحيح البخارى . جـ٥ ، ص٢١٨٢ .

الثياب لئلا يجد الفخر فيك مسلكًا»(٥٠)، كذلك كان ترقيع الثياب من الصفات النافية للكبر فى نفوس بعض الصحابة ، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ثوبه بعض الرقاع من أدم (جلد) وكان دائمًا ما يقول : من لم يستح من الحلال خفت مؤنته وقل كبره. فكان ترقيع الثوب يجمع دائمًا بين الإصلاح والتواضع(٥١).

على أن الحث على التواضع فى الملبس والبعد عن الزهو لم يكن ليحول بين حسن الهيئة ونظافة الثياب ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده »(٥٢)، كما كان إذا قدم عليه الوفد لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك(٥٣)، كما ورد عن مالك بن أنس أنه قال : حسن السمت وحسن الزى جزء من كذا كذا جزء من النبوة(٥٤).

وكانت نظافة الثوب وطهارته من الأمور التى استوجبها الإسلام دائمًا فى لباس المسلم ، فعن طلحة بن عبيد الله أنه قال : « المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة »(٥٥)، كما ورد عن مكحول الشامى أنه قال : « عليك بالطيب فإنه من طاب ريحه زاد عقله ، ومن نظف ثوبه قل همه »(٥٦)، كذلك كان الاهتمام بحفظ اللباس وصيانته من الأمور التى اهتم بها الرسول صلى الله عليه وسلم وسنها للمسلمين حيث قال : « اطووا ثيابكم ترجع إليها أرواحها ، فإن الشيطان إذا وجد ثوبًا مطويًا لم يلبسه وإذا وجد ثوبًا منشورًا لبسه »(٥٧)، ومن الآداب التى حثت عليها - أيضًا - السنة المطهرة التيمن فى ارتداء الثياب ، فكان الرسول

(٥٠) الخطيب العدنانى : الملابس والزينة فى الإسلام . دار الانتشار العربى ١٩٩٩ ، ص١٣٩ .

(٥١) الجاحظ : البخلاء . تحقيق طه الحاجرى ، دار المعارف ، ١٩٩٧ ، ص١٢ .

(٥٢) الترمذى : سنن الترمذى . القاهرة ، مطبعة الحلبى ١٣٩٨هـ، جـ٥ ، ص١٢٣ .

(٥٣) على المتقى علاء الدين : كنز العمال . جـ٧ ، ص٧٣ .

(٥٤) وكيع بن خلف : أخبار القضاة . صححه وعلق عليه عبد العزيز مصطفى المراغى ، القاهرة ١٩٤٧ ، جـ١ ، ص٢٥٦ .

(٥٥) الجاحظ : البيان والتبيين . تحقيق حسن السندوبى ، القاهرة ١٩٢٧ ، جـ٢ ، ص١٣٦ .

(٥٦) الثعالبى : لطائف اللطف . تحقيق عمر الأسعد ، بيروت ١٩٨٠ ، ص٣٠ .

(٥٧) أحمد بن حجر الهيتمى : در الغمامة فى در الطيلسان والعذبة والعمامة . مخطوط بدار الكتب ، ميكروفيلم رقم ٥٧٩٠٢ ، ورقة رقم ٨ .

صلى الله عليه وسلم إذا لبس ثوبًا لبسه من قبل ميامنه قائلاً : « الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس »(٥٨)، وفى رواية أخرى : « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك من خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له »(٥٩)، وكان إذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره ، كما كان إذا لبس ثوبًا جديدًا أعطى خلق ثيابه مسكينًا ثم يقول : « ما من مسلم يكسو مسلمًا من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما وراه حيًا وميتًا »(٦٠).

كما استن الرسول صلى الله عليه وسلم فى أطوال الثياب أن تكون فوق الكعبين ، وأن يكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق ، فعن أبى النضر وحسين قالا : حدثنا شيبان عن أشعث حدثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر إلى مسبل »(٦١)، كما قال : « إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ، لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين »(٦٢)، وروى عن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه نظر إلى رجل يجر ذيله على الأرض لطول ثيابه فقال له : « يا هذا قصر من هذا فإنه أبقى وأنقى وأتقى »(٦٣)، ويذكر ابن الحاج أن توسيع الثوب وكبره وتوسيع الأكمام ليس للرجل به حاجة ، فيمنع ما زاد على الكعبين سواء بسواء(٦٤).

وتعتبر أغطية الرأس من أكثر أجزاء الملابس التى احتلت مكانة مهمة فى السنة المطهرة ، فوردت بشأنها أحاديث عديدة ، فروى عن النبى أنه قال : « فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس »(٦٥)، كما كان للنبى صلى الله عليه وسلم طريقة وسنة فى التعمم ، قال ابن عمر رضى الله عنهما : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا اعتم سدل

(٥٨) الغزالى : إحياء علوم الدين . جـ٥ ، ص٥٣٨ .
(٥٩) أبو داود : صحيح سنن المصطفى . جـ٤ ، ص٤١ ، الترمذى : سنن الترمذى . جـ٤ ، ص٢٣٩ .
(٦٠) ابن ماجه : سنن ابن ماجه . جـ٢ ، ص١١٧٨ ، الغزالى : إحياء علوم الدين . جـ٥ ، ص٥٣٩ .
(٦١) أحمد بن حنبل : المسند . جـ٤ ، ص٣٤٥ .
(٦٢) مالك : الموطأ . جـ٢ ، ص٩١٤ .
(٦٣) الثعالبى : لطائف اللطف . ص٢٨ .
(٦٤) المدخل . جـ١ ، ص١٣١ .
(٦٥) الترمذى : سنن الترمذى . جـ٤ ، ص٢٤٧-٢٤٨ .

عمامته بين كتفيه[٦٦] ، وفى رواية أخرى عن ابن حريث عن أبيه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه[٦٧] ، وعن ابن عبيد قال : أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتلحى ونهى عن الاقتعاط أى ترك التحنيك[٦٨] ، وقال بعض العلماء إن السنة فى العمامة أن يسدل طرفها إن شاء أمامه بين يديه وإن شاء من خلفه بين كتفيه ، وقال لا بد من التحنيك فى الهيئتين[٦٩] .

كانت العمائم من أجزاء الملابس المتعددة الأغراض ، فكانت تلبس فى الحرب وغيرها ، كذلك كانت تتخذ عصابة تربط على البطن ، فحين طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عصب بطنه بعمامة سوداء[٧٠] ، وحين كسرت ساق الصحابى عبد الله بن عتيك رضى الله عنه عصبها بعمامته[٧١] ، ويفهم من ذلك أن استخدامات العمامة كانت متعددة ، وأن طولها كان كبيرًا بحيث كان يمكن لفها على البطن أو الساق لعلاج الجروح ، ويذكر ابن الحاج أن السنة فى طول العمامة أن تكون سبعة أذرع ونحوها[٧٢] .

كذلك كانت القلانس من أغطية الرأس التى أشير إليها فى بعض الأحاديث حينما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس»[٧٣] مشيرًا إلى أن المشركين كانوا يلبسون القلانس دون العمائم ، لذلك كان على المسلمين أن يخالفوهم فى الزى فجمعوا بين العمائم والقلانس ، وفى رواية لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الشهداء ثلاثة : رجل مؤمن جيد الإيمان ، لقى العدو فصدق الله حتى قتل ، ذلك الذى يرفع إليه الناس

(٦٦) الترمذى : سنن الترمذى . جـ٤ ، ص٢٢٥ .

(٦٧) أبو داود : صحيح سنن المصطفى . جـ٤ ، ص٥٤ .

(٦٨) أحمد بن حجر الهيتمى : در الغمامة فى در الطيلسان والعذبة والعمامة . مخطوط بدار الكتب ، ميكروفيلم رقم ٥٧٩٠٢ ، ورقة رقم ١٦ .

(٦٩) ابن الحاج : المدخل . جـ١ ، ص١٤١ .

(٧٠) ابن حنبل : المسند . جـ١ ص٥١ .

(٧١) البخارى : صحيح البخارى . جـ٤ ، ص١٤٨٣ .

(٧٢) المدخل . جـ١ ص ١٤٠ .

(٧٣) الترمذى : سنن الترمذى . جـ٤ ، ص٢٤٧-٢٤٨ .

أعناقهم يوم القيامة » ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه حتى وقعت قلنسوته أو قلنسوة عمر(٧٤).

كما امتدت تعاليم السنة المطهرة إلى ما يلبس فى القدم ، إذ حث الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه على الانتعال ، فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى غزوة غزوناها : « استكثروا من النعال ، فإن الرجل لا يزال راكبًا ما انتعل »(٧٥)، كما أمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه - أيضًا - بالانتعال لمخالفة أهل الكتاب ، فحين قال له أصحابه : يا رسول الله إن أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون ، قال لهم : « فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب »(٧٦) . كذلك تظهر بعض الروايات أن الجوارب كانت تلبس مع النعال ، إذ توضأ النبى صلى الله عليه وسلم ومسح على الجوربين والنعلين(٧٧)، كما كان ارتداء النعال من لوازم الإحرام فى الحج ، حيث قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من لم يجد نعلين فليلبس خفين »(٧٨)، وقال صلى الله عليه وسلم : « . . . وليحرم أحدكم فى إزار ورداء ونعلين »(٧٩).

ويذكر السبكى أنه لا يجوز للإسكاف أن يخيط أو يغرز النعل بخيط نجس من شعر خنزير أو غيره ، لأن الصلاة فى النعلين جائزة(٨٠).

مما سبق يتضح أن الإسلام وضع بعض الضوابط الشرعية والخلقية التى تحكم الإنسان فى ملبسه ، وأن تلك الضوابط والأحكام هى التى جعلت لدينا ما يعرف فيما بعد باللباس أو الزى الإسلامى ، كما كانت الضوابط الشرعية للإسلام بشأن الملابس تحث - دائمًا - عن البعد عن الكبر والزهو فى اللباس ، بل كان الرسول صلى الله عليه وسلم شديد النهى فى

---

(٧٤) ابن حنبل : المسند . جـ١ ، ص٢٢-٢٣ .
(٧٥) مسلم : صحيح مسلم . جـ١٤ ، ص٦٧ .
(٧٦) ابن حنبل : المسند . جـ٥ ، ص٢٦٤ .
(٧٧) الترمذى : سنن الترمذى . جـ١ ، ص١٦٧ .
(٧٨) البخارى : صحيح البخارى . جـ٥ ، ص٢١٩٩ .
(٧٩) ابن حنبل : المسند . جـ٢ ، ص٣٤ .
(٨٠) معيد النعم ومبيد النقم . ص١٤٦ .

ذلك حيث قال : « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة »[81]، كـذلك كانت تعاليم وأحكام الإسلام صريحة فى عدم تشبه الرجال بالنساء فى الملبس ؛ لذلك حُرم ارتداء الحرير للرجال وأبيح للنساء ، فوردت بعض الأحاديث التى تلعن هذا التشبه ، فروى عن أبى هريرة : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل »[82].

على الجانب الآخر حرصت السنة المطهرة على شرح وإيضاح كل ما تعلق بارتداء الملابس أثناء ممارسة الشعائر الدينية كالصلاة والحج ، وما استنه الرسول فيهما وما نهى عنه ، كما أمر الإسلام بضرورة تميز المسلمين فى لباسهم عن أهل الكتاب ومخالفتهم فيما يرتدون ، وهى من الأمور التى أوجبت فيما بعد وضع شروط خاصة لملابسهم من قبل بعض الخلفاء ، استمرت بعض الوقت ونفذت فى حالات خاصة .

ولا ينبغى لنا أن نختتم الحديث عن أحكام الملابس فى الإسلام ، دون الإشارة إلى أن أغلب هذه التعاليم والأحكام ظلت مرعية ومنفذة فى العهود الأولى للإسلام ، حين كانت هناك القدوة من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين والأتقياء ، إلا أن طبيعة المجتمعات الجديدة وحركة الفتوحات ، وما استحدث من عادات وتقاليد جعلت هذه الأحكام والتعاليم غير مرعية لدى البعض ، لتحل بدلاً منها عادات وتقاليد أخرى فى الزى ، أقل ما يمكن أن توصف به أنها تخالف الشرع ، ليس فى ملابس النساء فقط بل الرجال أيضًا .

---

(٨١) ابن ماجه : سنن ابن ماجه . جـ٢ ، ص١١٩٢ .

(٨٢) أبو داود : صحيح سنن المصطفى . جـ٤ ، ص٦٠ .



الباب الأول

الملابس والحياة السياسية

الفصل الأول

سياسة الدولة تجاه ملابس أهل الذمة

تعكس سياسة الدولة بشأن ملابس أهل الذمة طبيعة العلاقة بين عناصر المجتمع وبين الإدارة السياسية داخل هذا المجتمع ، إذ امتد تأثير الدولة إلى القيام بدور توجيهى بشأن تحديد الملابس المميزة لبعض العناصر - أهل الذمة - داخل المجتمع الإسلامى ، وذلك لتحقيق قدر كبير من التبعية والالتزام لهذه العناصر تجاه السلطة الحاكمة وأهدافها السياسية والاجتماعية .

فمنذ الفتح الإسلامى لمصر كانت السلطة السياسية حريصة على تأكيد الهوية الإسلامية للمجتمع الجديد من خلال ما ترتديه عناصره وطبقاته من ملابس ، ويتجلى ذلك من استعراض تطور ملابس أهل الذمة والأوامر والتعليمات التى صدرت لهم بهذا الشأن ، إذ حرصت هذه السلطة على تمييزهم عن باقى عناصر المجتمع من المسلمين من خلال ما يرتدونه من ملابس ، لاعتبارات دينية وسياسية .

كان الهدف الدينى من تمييزهم فى ملابسهم وألوانها يستمد شرعيته لدى السلطة السياسية من بعض الأحاديث النبوية التى أشارت إلى ضرورة مخالفتهم فيما يرتدونه ، وعدم التشبه بهم لتأكيد الاختلاف الدينى ، فعن ابن عمر رضى الله عنهما (ت٧٤هـ) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم »[١]، وعن عثمان بن عروة عن أبيه عن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود »[٢]، كذلك ما نقل عن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بشأن

(١) ابن حنبل : المسند . شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر بمصر ١٩٤٨ ، جـ٣ ، ص١٠ .

(٢) أبو داود : صحيح سنن المصطفى . دار الكتاب العربى ، بيروت (د.ت) جـ٢ ، ص١٧٣ .

أهل الذمة ومن بينها : « لا يمشين نصرانى إلا مفروق الناصية ولا يلبس قباء ، ولا يمشين إلا بزنار[3] من جلد ، ولا يلبس طَيْلَسان[4] ولا يلبس سراويل ذات خدمة[5]، ولا يلبس نعلاً ذا علامة»[6]، وجاء أيضًا : « ولا يتشبهوا بالمسلمين فى لباسهم ولا فى هيئتهم ولا فى سروجهم ولا نقش خواتيمهم »[7]، ولما رأى الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) من إهمال أهل الذمة فى تنفيذ الشروط السابقة ، طلب من ولاة مصر والأمصار الإسلامية منع

---

(٣) الزنار : خيط غليظ بقدر الأصبع من الابريسم أو الجلد يشد على الوسط ، وهو بمثابة منطقة أو حزام . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . دار الآفاق العربية ، القاهرة ٢٠٠٢ ، ص٢١٥ .

(٤) طيلسان : قطعة من القماش المربع يجعل على الرأس فوق العمامة أو القلنسوة ، والكلمة فارسية الأصل من تالشان أو تالسان ، ويذكر ابن منظور عنه أنه ضرب من الأكسية والجمع طيالس وطيالسة ، وقد عاب أنس بن مالك فى الصدر الأول على من لبس الطيلسان من المسلمين ، إذ كان يهود خيبر مشتهرين بارتدائه . ابن منظور : لسان العرب . جـ٢ ، ص١٢٥ ، أدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة . دار العرب للبستانى ، ١٩٨٨ ، ص١١٣ .

(٥) ذات خدمة : حلقات توضع فى حاشية السراويل . ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز . تحقيق أحمد عبيد ، دار الفضيلة بالقاهرة ، ١٩٩٤ ، ص١٦٠ .

(٦) ابن زَبر القاضى : شروط النصارى . مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٢٩٢ تاريخ ، ورقة رقم ١١ .

(٧) ابن زبر القاضى : المصدر نفسه . ورقة رقم ١١ ، من الجدير بالذكر أن هذه الشروط والتعليمات - العمرية - تعددت أشكالها وصيغها عند تناول الفقهاء والمؤرخين لها ، بل امتدت إليها بعض الإضافات والشروح ودار الجدل بكثرة حول صحتها وانتسابها للخليفة عمر بن الخطاب ، بل ذهب البعض إلى انتسابها للخليفة عمر بن عبد العزيز ، وسواء نسبت هذه الشروط لعمر بن الخطاب أو لعمر بن عبد العزيز ، فإنها كانت - دائمًا - السند الشرعى الذى كان يسمح - من وجهة النظر الدينية - لأصحاب السلطة السياسية بكل أشكالها المتتابعة على حكم مصر ، فى وضع القيود والالتزامات على أهل الذمة فيما تعلق بملابسهم . عبادة كحيلة : عهد عمر قراءة جديدة . دار عين للدراسات ، القاهرة ١٩٩٦ ، ص٢٤ ، قاسم عبدة قاسم : أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى . دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص١٥٥ ، أ. س. ترتون : أهل الذمة فى الإسلام . ترجمة وتعليق حسن حبشى ، دار الفكر العربى ١٩٤٩ ، ص١٢٢ ،

Mark R. Cohen : Jewish Self Government in Medieval Egypt. (New Jersey 1980) P.66 .

أهل الذمة من لبس العمائم والطيالس والأقبية والسراويل ذات الخدمة ، والنعال العربية ، وأن يكون زنارهم فوق ثيابهم ظاهرًا غير مخفى[٨].

أما عن نساء أهل الذمة فكان عليهن - أيضًا - شد الزنار فوق الإزار وأن يكون ظاهرًا ، وأن يكون أحد أخفافهن أسود والآخر أبيض[٩]، فضلاً عن ارتدائهن لألوان صفراء عند الخروج للطرقات والأسواق[١٠].

كان تحديد ألوان ملابس أهل الذمة من الأمور التى حرصت السلطة السياسية على التزام أهل الذمة بها ؛ لتحقيق التمييز بينهم وبين المسلمين ، فكان عليهم الالتزام ببعض الألوان المحددة كالأصفر والأزرق والرمادى ، إذ كان المسلمون لا يرتدون هذه الألوان فى ملابسهم بكثرة[١١].

كانت هذه هى الأوامر والالتزامات الأولى التى فرضت على أهل الذمة فى ملابسهم ، وبطبيعة الحال كانت هذه الأوامر والالتزامات تمثل قيودًا على أهل الذمة ، ولكنها لم تمنعهم - فى الواقع الفعلى - من الاندماج الاجتماعى ببقية عناصر المجتمع فى كل فتراته التاريخية .

أما عن التشدد فى تنفيذ تلك الالتزامات من جانب بعض الحكام أو الخلفاء ، فيرجع إلى مغالاة بعض أهل الذمة فى ارتداء بعض الملابس المفرطة فى الفخامة أو التميز للتعالى على العناصر الأخرى فى المجتمع الواحد ، لذلك كان المرسوم الذى أصدره الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٣٦-٨٦١م) عام ٢٣٥هـ لأهل الذمة كافة فى الأمصار الإسلامية بإلزامهم بما اشترط عليهم فى ارتداء ملابسهم ، بل أضاف إليهم بعض

---

(٨) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز . ص١٦٠ ، چاك تاجر : أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى . القاهرة ١٩٥١ ، ص٥٩ .

(٩) ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة . تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، دار ابن خلدون (د. ت) جـ١ ، ص١٨٤ ، الطرطوشى : سراج الملوك . تحقيق محمد فتحى أبو بكر ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٤ ، جـ٢ ، ص٥٤٧ ، قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى ، ص١٥٦ .

(١٠) أ. س. ترتون : أهل الذمة فى الإسلام ، ص١٢٦ .

(١١) ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة . جـ٢ ، ص١٨٣ ،
S. D. Goitein : A Mediterranean Society . (U. N. V. of California) Vol IV, P. 195 .

التعليمات الجديدة ومنها : « أن يرتدوا طيلسانًا عسلى اللون ، وشد الزنانير ، وعمل رقعتين على لباس رجالهم تخالفان لون الثوب ، قدر كل واحدة منهما أربع أصابع ، ولون كل واحدة غير الأخرى ، ومن خرجت من نسائهم فعليها أن تلبس إزارًا عسليًا ، وأن يقتصروا فى ركوبهم على البغال والحمير دون الخيل »(١٢)، وهذا يعنى إهمال أهل الذمة للشروط الأولى التى وضعت لملابسهم ، ومن ناحية أخرى لم تشر المصادر إلى مغالاة الطولونيين والإخشيديين فيما اختص بملابس أهل الذمة ، فلم تصدر فى عهديهما أى مراسيم أو أوامر بشأن ملابسهم لما اتسم به عهد الدولتين من تسامح فضلاً عن قصر عهديهما (٢٥٤ ـ ٣٥٨هـ) .

أما فى عهد الدولة الفاطمية فكان الأمر مختلفًا إلى حد كبير ، إذ شهدت الدولة تطورًا كبيرًا فيما اختص بملابس أهل الذمة ، ففى عهد الخليفة المعز لدين الله (٣٤١ـ ٣٦٥هـ/ ٩٥٢ـ٩٧٥م) حرص قائده جوهر الصقلى من البداية على ألا يظهر يهودى إلا بالغيار(١٣)، (وهو الزنار) ويذكر بعض المؤرخين أن هذا التشدد مع أهل الذمة فى بداية حكم الفاطميين كان الهدف منه تيسير مهمة جمع الجزية منهم(١٤)، بعد أن عمد الكثيرون منهم من قبل إلى نزع الغيار والتشبه بالمسلمين فى ملابسهم اتقاءً للرقابة والمطاردة .

أما فيما يتعلق بعهد الخليفة العزيز بالله (٣٦٥ـ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ـ٩٩٦م) فلم نسمع عن أى قيود فرضت على أهل الذمة ، إذ تمتع أهل الذمة فى عهده بقدر كبير من التسامح والعطف ، لكون زوجته نصرانية(١٥).

(١٢) ابن زَبر القاضى : شروط النصارى . مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٢٩٢ تاريخ ورقة رقم ١٢ ، الطرطوشى : سراج الملوك ، جـ٢ ، ص٥٤٥ .

(١٣) الغيار : هو كل ما خالف وغاير ملابس المسلمين ، وكان أبرزه الزنار وبعض الألوان المفروضة فى ملابسهم، فكان اللون الأزرق للنصارى والأصفر لليهود . المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ١ ، ص١٣٢ هامش (١) .

(١٤) سيدة إسماعيل كاشف : مصر الإسلامية وأهل الذمة . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣ ، ص١٥٤ ، سلام شافعى محمود : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٥ ، ص١٨١ .

(15) Stanly Lane - Pool : History of Egypt in the Middle Ages . (London 1924) P.119 .

أما فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) فقد بلغت القيود والأوامر بشأن ملابس أهل الذمة حداً بالغ الصرامة ، جعلت البعض يغالى فى وصف العصر الفاطمى بأكمله بأنه عصر اضطهاد شامل لأهل الذمة ، كان الهدف منه إجبارهم على ترك دينهم واعتناق الإسلام[١٦]، وهو رأى يجانبه الصواب ، فضلاً عن مجافاته للموضوعية والمنطق فى تفسير بعض الأحداث التاريخية ، إذ كانت أوامر الحاكم بأمر الله سواء لأهل الذمة أو غيرهم من عناصر المجتمع ، نابعة بالدرجة الأولى من طبيعة شخصيته الغامضة غير المستقرة فى معظم فترات حكمه ، ففى عام ٣٩٥هـ قرئ سجل فى جوامع مصر والقاهرة بأن يلبس النصارى واليهود الغيار والزنار ، وكان غيارهم السواد غيار العباسيين ، وأن يشدوا الزنار على أوساطهم ، كما أعاد هذا الأمر مرة أخرى وزاد عليه ، ففى عام ٣٩٨هـ ألزم اليهود بحمل قرامى[١٧] الخشب وهى ظاهرة فوق ثيابهم ، وزنتها خمسة أرطال[١٨]، وفى عامى ٣٩٩ - ٤٠٠هـ نودى بألا يمشى يهودى إلا بالغيار ، وفى عام ٤٠٣هـ أمر اليهود بلبس العمائم السود لأن هذا اللون هو شعار منافسيه العباسيين[١٩]، إذ اعتبر الحاكم أهل الذمة فى منزلة العصاة ، لذلك استحقوا من وجهة نظره ارتداء اللون المخالف لمذهب الفاطميين وعقيدتهم ، والتقيد بألوان الخصوم أعداء الخلافة[٢٠].

لم يقف الأمر لدى الحاكم بأمر الله عند هذا الحد ، بل امتد إلى منعهم من ركوب الخيل والبغال ولبس الخواتم فى يدهم اليمنى ، أو لبس العمائم البيض[٢١]، كما منع نساء

(١٦) أ. س. ترتون : أهل الذمة فى الإسلام . ص١٢٨ .

(١٧) قرامى : إشارة إلى رأس العجل الذى قدسه اليهود أيام السامرى . أ. س. ترتون : أهل الذمة فى الإسلام . ص١٢٨ ، نريمان عبد الكريم : معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية . الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٦ ، ص٦٧ .

(١٨) القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ . مكتبة المتنبى بالقاهرة (د. ت) ص١٩٢ ، أ. س. ترتون : أهل الذمة فى الإسلام . ص١٢٨ .

(١٩) ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة . تحقيق حسين نصار ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ ، ص٥٢ ، أ. س. ترتون : أهل الذمة فى الإسلام . ص١٢٧ .

(٢٠) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية . مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ١٩٨٣ ، ص١٣٦ .

(٢١) ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة . تحقيق أيمن فؤاد سيد ، مكتبة الدار العربية للكتاب ١٩٩٦ ، ص٧٠ ، أ. س. ترتون : أهل الذمة فى الإسلام . ص١٢٨ .

أهل الذمة من ارتداء النعال العربية وجعلهن يرتدين حذاء آخر يسمى (سرموزه)[٢٢] كـان أحدهما أحمر والآخر أسود[٢٣].

والملاحظ على أغلب المراسيم الصادرة فى عهد الحاكم بأمر الله، أنها تكرار للشروط الأولى كـما أنها تركزت وبصفة خاصة على اليهود، ويرجع ذلك إلى ازدياد نفوذهم ومكانتهم فى الدولة منذ عهد العزيز بالله[٢٤] وازدياد أعدادهم بصفة عامة فى مصر فى عهد الفاطميين حتى بلغت ما يزيد على ٢٠ ألف يهودي[٢٥].

أما فى عهد الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ ـ ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠ ـ ١٠٣٥م) فتمتع أهل الذمة بقدر من التسامح ، فخففوا من الغيار الذى كان عليهم ارتداؤه ، واقتصر فى عهده على لبس الزنار والعمائم السود[٢٦].

من الجدير بالذكر أن أوامر وتعليمات السلطة فى العصر الفاطمى بشأن ملابس أهل الذمة لم تقتصر على الخلفاء ، بل امتدت لتشمل ـ أيضًا ـ بعض الوزراء ، خاصة بعد تولى بعض أهل الذمة لمنصب الوزارة وعلو مكانتهم فى المجتمع، مما انعكس ذلك ـ بطبيعة الحال ـ على الوضع العام لأهل الذمة فى المجتمع ، إذ أدى إلى تماديهم مرة أخرى فى الخروج على التقاليد والتعليمات الخاصة بملابسهم ، لا سيما اليهود حتى إن بعض الشعراء وصف أحوالهم وما حازوه من مكانة وحظوة فأنشد :

يهـــود هذا الزمـــان قـــدبلغـــوا

غـــاية آمـــالهم ، وقـــد ملكوا

---

(٢٢) سرموزة : كلمة فارسية معربة ، مركبة من سَر بمعنى : فوق ، وموزه بمعنى : الخف ، وقد امتازت هذه الأحذية بأنها قصيرة . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٢٣٣ .

(٢٣) أ. س. ترتون : أهل الذمة فى الإسلام . ص١٢٨ .

(٢٤) نريمان عبد الكريم : معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية . ص ٦٦ .

(25) Encyclopaedia Judaica . (Jerusalem, Keter publishing house, 1982) Vol 6, P.491 .

(٢٦) البيرونى : الآثار الباقية فى القرون الخالية . مطبعة لايبزك ١٩٢٧ ، ص٢٨٨ .

العـــز فـــيــــهم والمال عندهــم
ومنهـم المســـتـــشـــار والملك
يا أهل مـــصـــر إنى نصـــحت لكم
تهـــودوا قـــد تهـــود الفلك[٢٧]

فكان من الطبيعى أن يتشدد بعض الوزراء المسلمين فى إلزام أهل الذمة - مرة أخرى - بما وضع لهم من تعليمات وشروط فى ملابسهم إرضاءً للشعور العام فى المجتمع الإسلامى وكسبًا للتعاطف الاجتماعى، ففى خلافة المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥ - ١٠٩٤م) ولمواجهة هذه الظاهرة ألزم الوزير بدر الجمالى عام ٤٧٥هـ أهل الذمة جميعًا بشد الزنار وتشدد فى تنفيذ ذلك[٢٨]، ففى عهد الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٦ - ٥٤٤هـ/ ١١٣١ - ١١٤٩م) أمر وزيره رضوان بن الولخشى ديوان الإنشاء عام ٥٣٢هـ بإصدار سجل يمنع فيه النصارى واليهود من إرخاء الذوائب[٢٩] وركوب البغلات ولبس الطيالس[٣٠]، كما تكرر هذا الأمر فى خلافة الفائز بنصر الله (٥٤٩ - ٥٥٥هـ/ ١١٥٤ - ١١٦٠م) فأمر وزيره الصالح طلائع بن رزيك بألا يكون لعمائمهم ذوائب بالمرة[٣١]، وفى أواخر عهد الخليفة العاضد لدين الله (٥٥٥ - ٥٦٧هـ/ ١١٦٠ - ١١٧١م) أمر وزيره أسد

(٢٧) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر . تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٨١ ، ص٢ ، آدم متز . الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، مكتبة الخانجى ، القاهرة (د. ت) ص٦٧ .

(٢٨) ابن زَبر القاضى : شروط النصارى . ورقة رقم ١٤ - ١٥ .

(٢٩) الذوائب : جمع ذؤابة وهى طرف العمامة من الخلف . ابن منظور : لسان العرب . جـ١ ، ص٥٨٥ .

(٣٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا . تحقيق جمال الدين الشال ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٧ ، جـ٣ ، ص١٦٥ .

(٣١) ابن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية أو سير الآباء البطاركة . المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٤٨ ، جـ٢ ، ص٤٦ ، فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى . الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٠ ، جـ١ ، ص٤٣٢ .

الدين شيركوه فى عام ٥٦٤هـ بأن يرفع النصارى عذب(٣٢) عمائمهم ، وأن يجعل اليهود فى عمائمهم خرقة صفراء ليتميزوا بها عن النصارى(٣٣) .

وإذا كانت ـ أغلب ـ أوامر وتعليمات السلطة السياسية انصبت على أهل الذمة لطبيعة وضعهم الدينى والاجتماعى فى المجتمع الإسلامى ، وتكرار خروجهم على الضوابط التى وضعت لهم ، إلا أن ذلك لم يمنع من امتداد أوامر السلطة وتعليماتها أيضًا إلى بقية العناصر الأخرى ، خاصة إذا ما كان ذلك يتعلق بتشبه بعض المسلمين بأهل الذمة فى ملابسهم ، ففى المقابل منع عبد الله بن عبد الملك والى مصر الأموى (٨٤ـ٩٠هـ/ ٧٠٣ـ ٧٠٩م) فى عام ٨٧هـ المسلمين من لبس البرانس(٣٤) التى اشتهر بها أقباط مصر(٣٥) ، ولم يكن المنع من قبل التحريم بل كان من أجل عدم تمادى بعض المسلمين فى التشبه بالقبط فى ملابسهم .

أما فى العصر العباسى فحرص ولاة مصر ـ أيضًا ـ على إلزام أهل مصر بما كان يسود فى حاضرة الخلافة ـ بغداد ـ وما كان يأمر به الخلفاء بشأن الملابس ، فكان الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦ـ١٥٨هـ/ ٧٥٥ـ ٧٧٥م) فى عام ١٥٣هـ قد أمر الرعية بلبس القلانس(٣٦) الطوال ، فأمر بعد ذلك والى مصر يحيى بن داود (١٦٢ـ١٦٥هـ/ ٧٧٩ـ ٧٨٢م) أهل مصر من الأشراف والفقهاء والأعيان بلبس هذه القلانس الطوال والدخول بها عليه فى

---

(٣٢) عذب : جمع عذبة وهى طرف العمامة ، وكانت العذبة من السمات الخاصة لعمائم المسلمين . صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية فى العصر العباسى . العراق ١٩٨٠ ، ص١٢٢ .

(٣٣) ابن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية أو سير الآباء البطاركة . جـ٢ ، ص٦٣ .

(٣٤) البرانس : جمع برنس ، وهو رداء أو ثوب رأسه ملتصق به . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٦١ .

(٣٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها . تحقيق محمد صبيح ، دار التعاون للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص٨٨ ، الكندى: تاريخ ولاة مصر . مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ١٩٨٧ ، ص٥٢ .

(٣٦) القلانس : أغطية للرأس تستعمل إما بمفردها أو تلبس تحت العمائم ، وقد تعددت أسماؤها وأشكالها ومنها هذه الطوال ، والتى كانت أطرافها تثبت بأعواد من الخوص . الخليل بن أحمد : معجم العين . جـ٥ ، ص٧٩ .

يومى الاثنين والخميس بلا أردية ، فقاسى أهل مصر منه شدائد[٣٧] ، لأنها كانت مفرطة فى الطول فلم تجد استحسانًا منهم[٣٨] ، حتى قال فيها الشاعر أبو دلامة :

كنا نرجِّى من إمـــــام زيادة
فزاد الإمام المصطفى فى القلانس
تراها على هام الرجال كأنها
دنان يهود جُللت بالبرانس[٣٩]

كذلك ألزم المنصور أهالى بغداد بالكتابة على ظهور الجباب والدراريع[٤٠] عبارة ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤١] تمييزًا لدراريع المسلمين عن دراريع أهل الذمة[٤٢] ، فبعث إلى عماله فى سائر الأمصار أن يأمروا رجالهم بمثل ذلك ، فعمل ولاة مصر على إلزام الرعية بذلك تمشيًا مع ما كان سائدًا فى مركز الخلافة .

مما سبق يتضح أن أوامر السلطة السياسية لعناصر المجتمع لم تقتصر على عنصر محدد دون الآخر ، فإذا كانت السمة العامة لأوامر السلطة أنها انصبت بصفة خاصة على أهل الذمة لاعتبارات دينية وسياسية ، إلا أن ذلك لم يمنع من تدخل هذه السلطة - أيضًا - فى تحديد ما يجب أن تكون عليه ملابس عناصر المجتمع الأخرى ، وهو أمر محمود كان

---

(٣٧) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ ، جـ٢ ص٤٤ .

(٣٨) غيثان بن على بن جريس : بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية . الإسكندرية ١٩٩٣ ، ص٢٠٦ .

(٣٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . جـ٢ ، ص٢٠ .

(٤٠) الدراريع : جمع دراعة وهى نوع من أنواع الجباب ، عبارة عن جبة مشقوقة المقدم ، ولا تكون إلا من الصوف ، وهى من ملابس الوزراء والكتاب والشعراء . الأزهرى : تهذيب اللغة . تحقيق عبد الحليم النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٨ ، جـ٢ ص٢٠١ .

(٤١) سورة البقرة : الآية ١٣٧ .

(٤٢) أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى . تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار الشعب بالقاهرة ١٩٦٩ ، جـ٩ ، ص١٢١ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . بيروت ١٩٩٨ ، جـ٥ ، ص٢٨٩ .

الهدف منه إظهار نوع من التميز فى ظل وجود أتباع لكل الديانات الأخرى داخل المجتمع، وللحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمع المصرى ، خاصة لما عرف عن المصريين من ميلهم إلى التقليد والمحاكاة والاقتباس من بعض الثقافات والحضارات الوافدة .

على الجانب الآخر لا يجب أن تدعونا هذه الأوامر والالتزامات التى فرضت على أهل الذمة ، إلى الاعتقاد بأنها كانت ملزمة طيلة عصور مصر الإسلامية ، فلم تكن تلك الأوامر والشروط تظهر عادة أو تطبق إلا فى بعض الأوقات التى ارتبطت ببعض الحكام والخلفاء ، كما أنها لم تمنع أهل الذمة من الاندماج والاختلاط ببقية عناصر المجتمع .

الفصل الثاني

الخلع والهدايا

الخلعة كلمة عربية تعنى ما يُخلع على الإنسان من الثياب والملابس القيمة ، والتى يمنحها الحكام والخلفاء لكبار رجال الدولة ورعاياهم ، الذين يودّون مكافأتهم أو تشريفهم[١] .

وكان منح الخلع تقليدًا عرفه المصريون القدماء ، كما عرفه ملوك الفرس قبل الإسلام[٢]، كما منح الرسول صلى الله عليه وسلم لكعب بن زهير بردته الشهيرة تكريمًا وتشريفًا له[٣]، ولكن ارتباط الخلع بالحياة السياسية وتقلد المناصب والوظائف لم يظهر إلا مع الخلافة العباسية، خاصة بعد ظهور منصب الوزارة، إذ كان الخليفة يخلع على وزيره ثيابًا هى بمثابة تقليد وتول للمنصب ، وكانت خُلع الوزير فى العصر العباسى تتألف من قباء[٤](*)وسيف بمنطقة[٥] وعمامة سوداء ، ثم أصبح تقليدًا سياسيًا عند تولى جميع الوظائف[٦] .

---

(١) الخليل بن أحمد : معجم العين . العراق ١٩٨٠ ، جـ١ ص١١٨ .

(٢) ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . دار النهضة العربية ١٩٨٣ ، ص٣٠ .

(٣) ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة . تحقيق أيمن فؤاد سيد ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠ ، ص٣٢ ، محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية . مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٧٤ ، ص٧٣ .

(٤) القباء : ثوب يشبه القميص ، يصل إلى الأطراف ، مقفول من الأمام بإزار ومقور (مفتوح) عند الرقبة ، وكانت الأكمام ضيقة أول الأمر حتى عهد المعتصم ، الذى أمر بجعلها فضفاضة حتى بلغ عرضها ثلاثة أذرع ، وهو فارسى معرب . ابن سيده : المخصص . تحقيق لجنة إحياء التراث العربى ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت (د. ت) جـ١ ، ص٨٦ .

(*) الملحق : شكل رقم (٢٩) .

(٥) المنطقة : جمعها مناطق ، وهى حزام عريض يشد على الوسط ، ويكون غالبًا من الذهب أو الفضة . القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧ ، جـ٣ ص٢٨٨ .

(٦) ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص٢٢ .

واختلفت الخلع فى كل بلد وكل عصر ، فلم تقتصر على نوع محدد من الملابس ، كذلك اختلفت باختلاف مكانة الرجل الممنوحة له والمنصب المسند إليه(٧)، ونظرًا لمكانة من يَمنح الخلع (الخليفة ـ الوالى) كما كان قبولها دليلاً على الخضوع والولاء ، أما رفضها أو ردها فيعتَبر إساءة خطيرة أو رفضًا للمنصب الذى يسند للممنوحة له .

أ ـ تطور الخِلع فى مصر :

لما كانت مصر ولاية تابعة للخلافة الإسلامية ، فقد سارت عليها رسوم الخلافة ونظمها، وعرفت مصر نظام الخلع الذى ارتبط بتعيين الولاة والحكام والقادة ، فكان هؤلاء الولاة والحكام يخلعون بدورهم على رجالهم وحاشيتهم ومن يتبعهم .

يذكر القلقشندى (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) : (إن كان الذى يوليه الخليفة من ملوك النواحى البعيدة عن حضرة الخليفة كملوك مصر إذ ذاك ونحوهم ، جهز له التشريف من بغداد صحبة رسول من جهة الخليفة ، وهو جُبَّة أطلس أسود بطراز مُذهب وطوق من ذهب يجعل فى عنقه ، وسواران من ذهب يجعلان فى يديه ، وسيف قرابه ملبس بالذهب، وفرس بمركب من ذهب ، وعلم أسود مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة ينشر على رأسه ، كما كان يبعث إلى السلطان صلاح الدين . . ثم أخيه العادل . . وربما جهز مع خلعة السلطان خلع أخرى لولده أو وزيره أو أحد من أقاربه بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ)(٨). وتَبرز أهمية هذا النص فى أنه يوضح لنا بعض التفاصيل الخاصة بخلع الولاة فى مصر الإسلامية وما اشتملت عليه ، كما يوضح لنا حرص الخلافة على تأكيد شعارها السياسى بإرسال العلم الأسود ، كذلك الجبة(*) السوداء ، لأن السواد كان شعار العباسيين .

يرى الدكتور عطية مصطفى مشرفة أن أول أمير من ولاة مصر خُلع عليه بالطوق والسوارين هو محمد بن طغج الإخشيد (٣٢٣ ـ ٣٣٤هـ)(٩)، إذ لم يرد فى النصوص التاريخية والأثرية ما يؤكد تكرار ذلك مع ولاة سابقين ، فخمارويه بن أحمد بن طولون

---

(٧) دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : ترجمة أكرم فاضل ، بغداد ١٩٧١ ، ص٣٤ .
(٨) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ٣ ، ص٢٩٤ .
(*) الملحق : شكل رقم (٣٠) .
(٩) نظم الحكم بمصر فى عهد الفاطميين . القاهرة ١٩٧٠ ، ص١١٣ .

(٢٧٠ـ ٢٨٢هـ/ ٨٨٣ـ ٨٩٥م) لم يرسل له الخليفة إلا السيف والتاج والوشاح من غير طوق، فيذكر ابن تغرى بردى « قدم رسول المعتضد إلى خمارويه بالخلع وكانت اثنتى عشرة خلعة وسيفًا وتاجًا ووشاحًا »[١٠] وعلى ذلك كانت مكانة الوالى لدى الخليفة تلعب دورًا مهمًا فى تحديد نوعية الخلعة وقيمتها ، يضاف إلى ذلك طبيعة العلاقة السياسية بين الخليفة ومن يوليه .

على الجانب الآخر نهج ولاة مصر نهج الخلافة والخلفاء فى منح الخلع والملابس لرجالهم ورعاياهم ، فخلع أحمد بن طولون (٢٥٤ـ ٢٧٠هـ/ ٨٦٨ـ٨٨٣م) على قائد جيشه ـ بَهم بن الحسين ـ خلعًا حسانًا وطوقه بطوق ثقيل من ذهب صامت (خالص)، وأجازه وقاد بين يديه خيلاً حسانًا ، فكان ـ بَهم ـ إذا ركب فى الأعياد يركب بذلك الطوق[١١]، ويستنتج مما سبق أن منح أطواق الذهب كان سمة من سمات خلع رجال السيف والحرب .

وفى عهد الطولونيين أمرت زوجة خمارويه لإحدى القابلات بألف دينار ، وخلعت عليها وعلى سائر حشمها أكثر من ثلاثين خلعة من الملابس الثمينة[١٢]. وكذلك فى عهد كافور الإخشيدى (٣٥٥ـ٣٥٧هـ/ ٩٦٥ـ٩٦٧م) خلع على يعقوب بن كلس بعد أن أظهر إسلامه عام ٣٥٠هـ غِلالة[١٣] ومبطنة[١٤] ودراعة[١٥](*) وعمامة، وزادت مرتبته

(١٠) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٣ ، جـ٣ ص٥٣ .

(١١) البلوى : سيرة أحمد بن طولون . مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (د. ت) ، ص٦٣ .

(١٢) ابن الداية : المكافأة وحسن العقبى . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٤٠ ، ص١٤٠ .

(١٣) غلالة : بكسر الغين ، شعار يلبس تحت الثوب يلى الجسد مباشرة ، وكان يصنع من الأقمشة الرقيقة الشفافة . صلاح حسين العبيدى : الملابس الإسلامية فى العصر العباسى . دار الرشيد للنشر ، العراق ١٩٨٠ ، ص٢٢٤ .

(١٤) المبطنة : نوع من أنواع الجباب (جمع جبة) تبطن من الداخل بالفرو . دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب . ص٩٤ .

(١٥) الدراعة : جبة مشقوقة من الأمام ، وجمعها دراريع . الخليل بن أحمد : معجم العين . جـ٢ ، ص٣٥ ، ثريا نصر : تاريخ الأزياء . عالم الكتب ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص٧٩ .

(*) الملحق : شكل رقم (١٩) .

عنده[١٦] . فلم تكن عادة الخلع تقتصر على رجال الدولة وقادتها بل امتدت لتشمل بعض الرعية والشعراء ومن اعتادوا تقديم خدمات للولاة والحكام ، فقد خلع كافور على الشاعر أبى الطيب المتنبى عام ٣٥٦هـ نظير ما قال فيه من أشعار .

ازدادت أهمية الخلع وبلغت أوج ازدهارها وتطورها فى العصر الفاطمى ، فامتدت لتشمل موظفى الدولة وأسرهم ، بل خصصت لها أوقات ومواسم محددة ، وارتبطت بها بعض الطقوس والمراسم ، وحرصت الخلافة الفاطمية من خلال توزيع الخلع على كسب ولاء رجالها وطاعتهم والظهور بمظهر العظمة والرفاهية ، فأنفقت على الخلع مبالغ هائلة[١٧]، وخصصت براءات (شهادات) صاحبت منح هذه الخلع من ديوان الإنشاء[١٨] .

وكان من عادة الفاطميين أن يميزوا بعض رجالهم فى منح الخلع وعددها تبعًا لمكانة الرجل ومنصبه ، فتنوعت بذلك الخلع بتنوع المناصب وتعددها ، فكانت خلع الوزراء والقواد تختلف عن خلع القضاة ورجال الدين والعلم ، وخلع موظفى القصر وحاشيته تختلف عن خلع الكُتَّاب وأصحاب الوظائف الدنيا .

ب- خلع الوزراء والولاة :

احتل الوزراء فى الدولة الفاطمية مكانة مهمة ونفوذًا قويًا ، خاصة فى العصر الفاطمى الثانى ، الذى أطلق عليه عصر الوزراء العظام نظرًا لما تمتع به الوزراء من سلطة ونفوذ ، فنال بعضهم حظوة ومكانة لدى بعض الخلفاء ، وانعكس ذلك على خلعهم وما أهدى إليهم من ملابس ومنسوجات ، فضلاً عما قدمه الوزراء أنفسهم من خلع لبعض رجالهم ومن يتبعهم . وكان تقديم الخلع للوزراء لا يتوقف عند توليهم لمناصبهم ، بل تعدد فى المناسبات والاحتفالات أو حين يرضى الخليفة عن وزيره[١٩] .

---

(١٦) ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة . ص٤٩ .

(١٧) المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٧ ، جـ٣ ، ص٣٠٨ .

(١٨) ابن المأمون : نصوص من أخبار مصر . المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٣ ، ص٥٤ ، زكى حسن : كنوز الفاطميين . دار الرائد العربى ، بيروت ١٩٨١ ، ص٣٦ .

(١٩) محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى . دار المعارف بمصر (د. ت)ص٥٥ .

واختلفت الخلع باختلاف مكانة الوزير ومهامه ، فالوزير من أرباب السيوف والحرب يختلف عن الوزير من أرباب الأقلام . وكانت خلع الوزير تتألف من دراعة محلاة بعرى وأزرار تتخذ من ذهب مشبك ، أو لؤلؤ ، كذلك يضع على رأسه عمامة ذات لفات عديدة ينزل طرفها ليدور حول الحنك ، وكان يتقلد بالسيف أيضًا إذا كان من وزراء السيف[٢٠] .

أما بعض الوزراء ممن أضيفت إليهم سلطة القضاء فكان يزاد فى خلعهم بالطيلسان المقور[٢١](*)، وهو من سمات ملابس القضاء[٢٢]، كذلك أضيف إلى خلع بعض الوزراء طوق من الذهب ، وفى أحيان أخرى استبدل بالطوق عقد من الجوهر بلغت قيمته ما بين الخمسة والعشرة آلاف دينار[٢٣]، فكان عقد الجوهر رمزًا لزيادة سلطات الوزير وارتفاع مكانته لدى الخليفة خاصة فى عصر نفوذ الوزراء ، فالخليفة المستنصر بالله خلع على وزيره بدر الجمالى العقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق ولقبه بالسيد الأجل أمير الجيوش[٢٤]، كذلك خلع الخليفة العاضد لدين الله على صلاح الدين الأيوبى بالعقد المنظوم ولقبه بالملك الناصر[٢٥] .

ارتبط منح الخلع للوزراء بالأعياد والمناسبات الدينية كعيدى الفطر والأضحى وغرة رمضان وأول جمعتين منه وفى موسم فتح الخليج وعيد الغدير[٢٦]، ففى عيد الأضحى كان الخليفة يخلع على وزيره ملابسه الخاصة (الحمراء)[٢٧] بالإضافة إلى منديل (عمامة)

(٢٠) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم . مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٨٥ ، جـ١ ، ص٨٩-٩٠ .
(٢١) الطيلسان : سبق شرحه وتفسيره فى ص ٤٠ هامش ٤ .
(*) الملحق : شكل رقم (٩) .
(٢٢) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر . تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨١ ، ص٤٠ .
(٢٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٣٤٣ .
(٢٤) ابن حجر العسقلانى : رفع الإصر عن قضاة مصر . تحقيق حامد عبد المجيد (د.ت) جـ١ ، ص١٣٢ .
(٢٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٣٠٨ .
(٢٦) محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى . ص٦١ .
(٢٧) تميزت ملابس الخليفة فى هذا اليوم باللون الأحمر لما ارتبط به من ذبح الأضاحى ، حيث كان الخليفة يقوم بنحر بعض الخراف طيلة ثلاثة أيام العيد ، فكان الأحمر هو اللون المناسب للون الدماء .

بغير اليتيمة (الجوهرة) والعقد المنظوم ، وكانت هذه الخلع وما يرتبط بها من مراسم وطقوس تتكرر فى معظم الأعياد الأخرى ، فكان الوزير يركب من القصر بهذه الخلعة ، ويشق شوارع القاهرة إلى دار الوزارة[٢٨] .

أما عن عدد قطع الخلع الممنوحة للوزراء فبلغت فى بعض الأحيان إحدى عشرة قطعة من الملابس الداخلية والخارجية[٢٩]، كذلك امتدت الخلع لتشمل بعض أولاد وزوجات الوزراء ، وكان ذلك - أيضًا - يُعد من مظاهر التشريف والتكريم لهم[٣٠] .

على الرغم من أن توزيع الخلع على الوزراء كان شبه قاعدة ثابتة سار عليها الفاطميون، إلا أن بعض الوزراء لم يحظ بهذا التشريف عند توليهم مناصبهم ، فالخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ/ ٩٩٦ - ١٠٢٠م) أمر أبا العباس ابن الوزير أبى الفضل بن جعفر بن الفرات عام ٤٠٥هـ بالجلوس للوساطة من غير خلع[٣١]، كما احتل بعض الوزراء منزلة فى الدولة الفاطمية ومكانة كبيرة - كما ذكرنا - فانعكس ذلك على خلعهم، فأفاض الخلفاء عليهم من مظاهر التكريم والتشريف ما فاق غيرهم ، فكان بدر الجمالى (٤٦٦ - ٤٨٧هـ/ ١٠٧٣ - ١٠٩٤م) وولده الأفضل (٤٨٧ - ٥١٥هـ/ ١٠٩٤ - ١١٢١م) أبرز هؤلاء الوزراء ، فقد منح الخليفة المستنصر (٤٢٧ - ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥ - ١٠٩٤م) من الخلع لبدر الجمالى ما فاق غيره من الوزراء ، فكان أول الوزراء الذين أضيف إلى خلعهم الطيلسان المقور، وهو رمز لجمعه بين الوزارة والقضاء[٣٢]، وهو ما كان نادرًا حدوثه مع الوزراء الآخرين قبل بدر الجمالى ، كما تمتع ابنه الأفضل بهذه المكانة وانعكس

---

(٢٨) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . جـ٣ ، ص٥٨٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . جـ٤ ، ص٩٩ .

(٢٩) ابن المأمون : نصوص من أخبار مصر . ص٨٩ ، وانظر أيضًا : عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمي . دار الثقافة العلمية بالقاهرة ١٩٩٩ ، ص٢٩٤ .

(٣٠) محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى . ص٥٣ .

(٣١) عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين . ص١٣٥ .

(٣٢) ابن حجر العسقلانى : رفع الإصر عن قضاة مصر . جـ١ ، ص١٣٢ ، Seta B. Dadoyan : The Fatimid Armenians . (Leiden, New York Kaln 1997), P. 119 .

ذلك على ما منح له من خلع ، فلم يجد الخليفة فى تكريمه أفضل من ملابس جسده الخاصة ، كما خلع عليه تاجه (عمامته) المرصع بفاخر الجوهر ، ووضعه بيده على رأسه(٣٣) .

ونستنتج مما سبق أن مهام الوزير واتساع اختصاصاته كانت تنعكس على ما يمنح له من خلع ، كذلك كانت خلعهم مرآة أنعكست من خلالها قوة الدولة الفاطمية وثراؤها .

أما فيما يختص بخلع ولاة الأقاليم والبلدان فنصوصها نادرة ، فلم تشر أغلب المصادر إلى ما تعلق بهم من خلع ، ويبدو أن بعدهم عن مقر الخلافة (القاهرة) ومركزها ، جعلهم بعيدين عن أنظار الخليفة وطقوس الخلافة واحتفالاتها ، غير أن ولاة بعض الأقاليم فى العصر الفاطمى كقوص والشرقية والغربية والإسكندرية وتنيس كان يخلع عليهم فى يوم فتح الخليج من خزانة الكسوة بثوب يسمى البدنة(٣٤) ، وهو نوع من الثياب الفاخرة كان يلبسها الخليفة الفاطمى نفسه ، وكانت تصنع خصيصًا فى تنيس(٣٥) .

ونستنتج من ذلك أن الخليفة نظرًا لعدم اتصاله الدائم بالولاة ، حرص على تشريفهم بالخلع عليهم بما يرتديه هو نفسه من أغلى وأنفس ما يصنع له ، كذلك خصص يومًا محددًا للخلع عليهم تحتفل به جميع الأقاليم وهو وفاء النيل .

جـ- خِلع الأمراء وقواد الجيش :

تميز الأمراء(٣٦) وقواد الجيش بمكانة كبيرة لدى الحكام والخلفاء ، فقد شكلوا أحد دعائم الحكم ، لذلك تمتعوا بما تمتع به رجال الدولة من الخِلع والملابس ، ففى العصر

(٣٣) المقريزى : الخطط . جـ٢ ، ص١٤٠ . عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر . دار الفكر العربى بالقاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٣٤ .

(٣٤) البدنة : ثوب شبه القميص إلا أنه قصير الكمين ، ولا يدخل فى نسجه من الغزل سوى أوقيتين ، وينسج باقيه بالذهب بحيث لا يحتاج إلى تفصيل أو خياطة ، وبلغت قيمته ألف دينار . الخليل بن أحمد : معجم العين . جـ٨ ص٥٢ ، ابن منظور : لسان العرب . جـ١ ، ص٢٣٣ .

(٣٥) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . جـ٣ ، ص٥٧١ ، محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية ، ص١٨٨ .

(٣٦) نقصد بالأمراء بعض الشخصيات التى تولت مهام إدارية فى الدولة أو قامت ببعض شئون القصر والبلاط ، وكان بعضهم يتولى قيادة بعض فرق فى الجيش .

الطولونى خلع أحمد بن طولون على قائد جيشه ـ بَهم بن الحسين[٣٧] ـ كما مر بنا ، أما فى العصر الفاطمى فيذكر المقريزى : « ويختص الأمراء فى الخلع بالأطواق والأساور الذّهب، مع السيوف المحلاة »[٣٨] .

تميز الأمراء فى العصر الفاطمى بحمل الأطواق المذهبة فى أعناقهم حتى أطلق عليهم الأمراء المطوقون[٣٩] وهم أعلى مراتب الأمراء يليهم فى المرتبة طبقة الأمراء المحنكين ، وهم من يديرون أطراف العمائم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة ، وكانوا من أقرب الناس إلى الخليفة والمطلعين على أسراره بالقصر ، وكانت خلعهم تختلف من شخص إلى آخر حسب مكانته فى الحاشية أو أهمية وظيفته ، ولكنها غالبا ما كانت تشتمل على الأجزاء الأساسية للملابس وهى القميص والسروال والعمامة والبدل المذهبة ، وكان يخلع عليهم بهذه الملابس فى كل مناسبة واحتفال يحتفل به الخليفة[٤٠] ، فهم خاصته وواجهته فى القصر واحتفالات الدولة ومواكبها .

حظى قواد الجيش فى العصر الفاطمى بمكانة عالية لدى الخلفاء ، فلما حضر المعز لدين الله (٣٦٢ـ٣٦٥هـ/ ٩٧٢ـ٩٧٥م) إلى القاهرة حرص على تكريم قائده جوهر الصقلى ، فخلع عليه خلعة مذهبة وعمامة حمراء ، وقلده سيفًا ، وقاد بين يديه عشرين فرسًا مسرجة ملجمة ، وحمل بين يديه خمسين ألف دينار ومائتى ألف درهم وثمانين تخت[٤١] ثياب[٤٢] ، وخلع العزيز بالله (٣٦٥ـ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ـ٩٩٦م) على قائده ـ

---

(٣٧) البلوى : سيرة أحمد بن طولون . ص٦٣ .

(٣٨) الدبيقى : نسبة إلى دبيق بلدة من أعمال دمياط ، تقع بين الفرما وتنيس ، اشتهرت بصناعة المنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب . البغدادى : مراصد الاطلاع . تحقيق على محمد البجاوى ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٢ ، جـ٢ ، ص٥١٣ .

(٣٩) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر . ص٨٩ .

(٤٠) اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص٣٤٣ .

(٤١) التخت : وعاء تصان فيه الثياب ، وهو أشبه بالصندوق الخشبى . المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ، ص١٥ ، معروف الرصافى : الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات . تحقيق عبد الحميد الرشودى ، العراق ١٩٨٠ ، ص٤٥ .

(٤٢) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر . ص١٦٠ ، أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد . الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٢ ، ص٤٧ .

الفضل بن صالح - ثوبًا مذهبًا ، ومنديلاً مذهبًا ، وقلده بسيف محلى بالذهب ، وحمل على فرس وبين يديه أربعة أفراس بمراكبها ، ومائة ألف درهم ، وخمسون قطعة من الثياب الملونة فركب بالطبول والبنود[٤٣]، كما خلع الحاكم بأمر الله على القائد الحسين بن جوهر (ثوبًا ديباجًا أحمرًا ومنديلاً أزرق مذهبًا ، وتقلد سيفًا عليه ذهب ، وحُمل على فرس بسرج ولجام ذهب وبين يديه ثلاثة أفراس بمراكبها، وخمسون ثوبًا من كل فن)[٤٤]. وامتد الخلع على القواد إلى الخلع على مقدم الأسطول ، فيذكر ابن المأمون (وجلس الآمر بالمنظرة واستدعى مقدم الأسطول وخلع عليه وانحدرت الأساطيل مشحونة بالرجال والعدة)[٤٥]، أما عن أهم المناسبات التى كانت تمنح فيها الخلع للجيش وقواده فتتجلى فى توديع القادة عند خروجهم للمعارك والحروب ، أو احتفالاً بعودتهم منتصرين ، كذلك أحيانًا ما كان يضاف إلى خلعهم طوق أو سواران من الذهب المرصع بالجواهر كالوزراء لتأكيد مكانتهم[٤٦].

ونستنتج مما سبق تشابه بعض خلع الوزراء مع خلع القواد خاصة إذا كان الوزراء من أرباب السيوف ، فقد مُنح كل منهم الأطواق المذهبة والسيوف المحلاة ، وهو بلا شك يعكس تساويهم فى المكانة والأهمية لدى الخلفاء ، وإن زيد فى بعض خلع الوزراء لتعدد مهامهم .

د - خلع القضاة :

احتل القضاة مكانة دينية كبيرة فى المجتمع الإسلامى عامة والمجتمع المصرى خاصة ، لما ارتبط بهم من تحقيق العدل والنظر فى الشريعة ، ويذكر المقريزى (أن القضاة هم أجل أرباب العمائم رتبة)[٤٧]، فقد تميزوا فى ملابسهم بالعمائم التى أولوها اهتمامًا كبيرًا .

---

(٤٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ١ ، ص٢٤٦ .

(٤٤) المقريزى : المصدر نفسه . جـ٢ ، ص٢٩ .

(٤٥) نصوص من أخبار مصر . ص٦٢ .

(46) Muhammed Manazir : Social life under the Abbasids . (London 1979) P. 60 .

(٤٧) اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٣٣٧ .

أما خلع القضاة التى كانت تمنح لهم عند توليهم ، فكانت خلعًا تنسج بلحمة (الخيوط الأفقية) من الذهب أو الفضة[٤٨] أو الخيوط متعددة الألوان ، ولم تذكر المصادر عن خلع القضاة قبل العصر الفاطمى سوى الدراعة والعمامة ، أما فى العصر الفاطمى فتعددت قطع الملابس التى تم خلعها على القضاة ، خاصة مع ارتفاع مكانة رجال الدين والعلماء فى الدولة الفاطمية ، فيذكر المقريزى أن المؤتمن حيدرة أخا الوزير المأمون وزير الآمر خلع على قاضى الإسكندرية فى عام ٥١٧هـ « بدلة مذهبة بطيلسان مقور وثياب حرير . . وعلى أخيه . . وأنعم على كل حواشيه وأصحابه » ردًا على هدية للقاضي[٤٩] . وأحيانا ما كانوا يقلدون بالسيوف والأطواق المذهبة[٥٠]، وكان القاضى بعد الخلع عليه يسير فى موكب إلى دار القضاء دون طبل أو أبواق ، إلا أن يضاف إليه أمور الدعوة (الشيعية) حينئذ يسير بالطبول والأبواق والأعلام ، كما كان يقدم له من اصطبلات الخليفة بغلة شهباء يركبها ، وقد اختص بهذا اللون من البغال دون سائر رجال الدولة زيادة فى تميزه[٥١] .

ويذكر عطية مشرفة عن ألوان خلع القضاة فى العصر الفاطمى أنها كانت بيضاء (رمز وشعار الفاطميين) حتى يخالفوا - أيضًا - ألوان العباسيين التى تميزت بالسواد[٥٢] .

حفل العصر الفاطمى بنماذج من القضاة الذين تم منحهم العديد من الخلع ، سواء عند توليتهم أو فى المناسبات العديدة والاحتفالات ، فكان أبرزهم (مالك بن سعيد بن مالك الفارقى) و (على بن النعمان) و (أبو عبد الله الحسين بن على بن النعمان)[٥٣] ممـن

---

(٤٨) استخدم المسلمون الخيوط الفضية والذهبية نقلاً عن الفن الساسانى وقد كانت صناعة الملابس لديهم مـــزدهرة . M. Rosen - Ayalon : Themes of sasanian origin in Islamic Art (Jerusalem Studies in Arabic and Islam . 1984). P. 70 .

(٤٩) اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٩٩ .

(٥٠) أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد . ص٢٧٣ .

(٥١) القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٣ ، ص٥٥٨ ، عطية مشرفة . نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين . ص٢٥١ .

(٥٢) نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين . ص٢٥٢ .

(٥٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ، ص٢٣ ، ٧١ .

حازوا مكانة كبيرة ضمن العديد من قضاة العصر الفاطمى ، وكانت أسرة النعمان أشهر من تولت وظيفة القضاء وأمور الدعوة الشيعية فى الدولة الفاطمية لفترة طويلة .

أعطى الخلفاء الفاطميون بعض القضاة التفويض لأن يخلعوا بدورهم على نوابهم ، إذ استخلف القاضى مالك بن سعيد الفارقى على قضاء القاهرة أبا القاسم حمزة بن على ابن يعقوب الغلبونى وخلع عليه ، فكان بذلك أول من فعل ذلك من القضاة(٥٤)، لأن الخلع كانت لا تمنح إلا من قبل الخليفة أو الوزير .

ويستنتج مما سبق أن مكانة القضاة فى عصر الفاطميين كانت عالية بين رجال الدولة ، حتى إنه سمح لهم بشرف منح الخلع لنوابهم .

ومن الوظائف التى ترتبط بالقضاء وارتبط أصحابها بالخلع وظيفة الحسبة ، وهى من الوظائف التى عنيت بالأسواق ومراقبة الحياة الاقتصادية والاجتماعية بها ، وكانت خلع المحتسب عبارة عن جبة(*) وعمامة مذهبة ، بجانب بعض الملابس الداخلية ، فيذكر المسبحى (أنه فى عام ٤١٤هـ استُحضر دواس بن يعقوب الكتامى ، فخلع عليه ثوبًا مثقلاً وعمامة ، وقلد الحسبة والأسواق والسواحل)(٥٥). لم تكن هذه الخلع رسومًا ثابتة للمحتسب ، بل كانت تختلف من خليفة إلى آخر ، فبعض المحتسبين أضيف إلى خلعهم سيف مذهب(٥٦).

كما امتدت الخلع لتشمل أغلب رجال الدولة وموظفيها فى العصر الفاطمى صغارًا وكبارًا ، فكان متولى مقياس النيل ممن شملتهم خلع الدولة ، فكان جوهر الصقلى أول من خلع على أبى الرداد متولى مقياس النيل ، وكانت خلعته من ثوب دبيقى حريرى وطيلسان

---

(٥٤) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم . جـ١ ، ص١٤٦ .

(*) الملحق : شكل رقم (١٨) .

(٥٥) أخبار مصر فى سنتين . تحقيق وليم ج. ميلورد ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٠ ، ص٣٣ .

(٥٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص٣١، عبد المنعم سلطان : الأسواق فى العصر الفاطمى . مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٧٧ ، ص٧٧ .

وعمامة شرب مذهبة بالإضافة إلى أكياس الذهب(٥٧)، وكان الخلع على متولى المقياس يتم بعد ذلك بانتظام فى كل عام مع موسم فتح الخليج ووفاء النيل .

لما كانت الخلع وسيلة من وسائل السلطة فى اكتساب ولاء رجالها ورعاياها ، أو مكافأة وتشريف لمن يقدم خدمات للدولة ، فلنا أن نتخيل مدى ما أنفقته الدولة على هذه الخلع التى امتدت إلى كل موظفى الدولة ، وفى بعض الأحيان إلى المقربين والأصدقاء ، حتى إن عيد الفطر صار يعرف بعيد الحلل بسبب كثرة ما كان يوزع فيه من خلع وملابس(٥٨)، ويذكر المقريزى أنه فى عام ٥٢٦هـ بلغت الخلع المهداة ما يزيد على ١٤٣٠٥ خلع ، كان متوسط قيمة كل خلعة ما بين المائة إلى الخمسمائة دينار ذهبًا ، كذلك بلغ حجم ما أنفق على الخلع فى إحدى السنين ستمائة ألف دينار(٥٩)، ولا شك أن هذا المبلغ مبالغ فيه إلى درجة كبيرة ، ونحسب أن يكون هذا المبلغ هو إجمالى ما أنفق على الخلع طيلة العصر الفاطمى ، ويعكس ذلك كله مقدار الأهمية التى أولتها الدولة الفاطمية فى الاحتفاء برجالها ورعاياها وتكريمهم كمظهر من مظاهر الدعاية السياسية لحكمها ، وهو ما أضفى على هذا الحكم الطابع الدعائى المحكم .

هـ - الملابس والهدايا :

كان الهدف الأساسى للهدايا من الملابس والمنسوجات تدعيم العلاقات الودية أو المجاملات فى بعض المناسبات الاجتماعية ، أو ردًا على تلقى الهدايا المماثلة وتدعيم أواصر الصداقة بين الأفراد والملوك .

حرص ولاة مصر وحكامها على أن تكون هداياهم لمن يهادونهم من الملابس المصرية ، فكان عبد العزيز بن مروان (٦٥ - ٨٤هـ/ ٦٨٥ - ٧٠٣م) والى مصر كثيرًا ما يرسل

---

(٥٧) أحمد بن حجر الهيتمى : در الغمامة فى در الطيلسان والعذبة والعمامة . مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٣٢٥ ورقة رقم ٢١ .

(٥٨) ابن المأمون : نصوص من أخبار مصر . ص٣٨ ، عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر . ص٢٥٠ .

(٥٩) اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٣٤٣ .

هداياه إلى خلفاء بنى أمية من المنسوجات المصرية[٦٠]، وكان أحمد بن طولون يرسل هداياه إلى الخلافة العباسية من أنفس ما كان يصنع من النسيج المصرى من الكتان ، الذى اشتهرت به تنيس ودمياط ، وتوجد بعض القطع من النسيج باسم الخليفة المعتمد مؤرخة عام ٢٧٨هـ وقطعة أخرى باسم الخليفة المكتفى بالله والأمير الطولونى هارون بن خمارويه مؤرخة عام ٢٩١هـ محفوظة بمتحف الفن الإسلامى . كما أنتجت مصانع المنسوجات المصرية أقمشة تذكارية من الكتان وكتاباتها من الحرير كانت تهدى إلى الخلفاء العباسيين خلال العصرين الطولونى والإخشيدى منها قطعة من نسيج الكتان باسم الخليفة المتوكل على الله صنعت بمصر سنة ٢٤٠هـ (أطلس الفنون الزخرفية لزكى حسن شكل رقم ٥٨٣) وعلى هذه القطعة كتابة نصها : « بسم الله بركة من الله لعبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أيده الله ، مما عمل بمصر سنة أربعين ومائتين » وهى أقدم ما وصل إلينا من المنسوجات العباسية المطرزة بكتابة تاريخية ، كما توجد قطعة أخرى باسم الخليفة المعتمد على الله صنعت بالإسكندرية سنة ٢٧٢هـ، من الكتان (أطلس الفنون الزخرفية لزكى حسن شكل رقم ٥٨٥) وجاء على هذه القطعة شريط كتابة تاريخية نصها « بركة من الله لعبد الله أحمد الإمام المعتمد على الله أمير المؤمنين أعزه الله، مما عمل بالإسكندرية سنة اثنين وسبعين ومائتين» ، كما أهدت قطر الندى بنت خمارويه إلى المعتضد بالله فى يوم عيد النيروز عام ٢٨٢هـ طائفة من الهدايا من بينها خمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار[٦١] .

وكان تولى الخلفاء فرصة طيبة لولاة مصر وحكامها لتقديم هداياهم من النسيج والملابس المصرية ، إذ أرسل خمارويه هداياه للخليفة المعتضد بالله عام ٢٧٩هـ وكان من بينها صندوقان من أفخر الأقمشة المصرية خاصة نسيج الكتان[٦٢]، كذلك حرص الخلفاء العباسيون على رد الهدايا وتبادلها مع ولاة مصر وحكامها لتأكيد العلاقات الودية

---

(٦٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها . تحقيق محمد صبيح ، دار التعاون للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص٣٨ .

(٦١) الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف . ص٣٨ ، الأبشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف . تحقيق مصطفى محمد الذهبى ، دار الحديث بالقاهرة ٢٠٠٠ ، ص٣٩٨ .

(٦٢) الرشيد بن الزبير : المصدر نفسه ، ص٤١ .

وتدعيمها . فأهدى الخليفة المعتضد بالله إلى خمارويه عام ٢٨٠هـ وشاحًا(٦٣) وتاجًــا(*) وقلنسوة(٦٤)(**) .

كما حرص الخلفاء على تبادل هداياهم مع ملوك الهند وأوروبا ، والتى تضمنت أيضًا الملابس والمنسوجات المصرية ، إذ أهدى الخليفة المأمون إلى ملك الهند هدايا متنوعة كان من بينها ثمانية أصناف من قماش مصر ومئة ثوب(٦٥) .

أما فى العصر الفاطمى فاحتلت الهدايا من الملابس والمنسوجات مكانة ومنزلة كبيرة ، وكانت السمة الغالبة على هدايا الخلفاء والوزراء فيذكر المقريزى أن المعز لدين الله أهدى إلى قائده جوهر الصقلى مجموعة كبيرة من الهدايا من بينها (شاشية مرصعة فى غلاف)(٦٦) ، كذلك كانت بعض المناسبات الاجتماعية لبعض رجال الدولة فرصة لتقديم الهدايا من قبل الخلفاء ، فلما ولد لأبى القاسم على بن القائد الفضل بن صالح ولد ، بعث إليه العزيز بالله ثلاثين ثوبًا فاخرة ، وعشرة أردية وعشر عمائم ، وثوبًا مثقلاً ، ومنديلاً طوله مائة ذراع ومنديلاً دونه ، وحملت إليه السيدة العزيزية مائة ثوب صحاحًا من كل فن(٦٧) ، ولما ولد للوزير يعقوب بن كلس ولد ، أرسل إليه العزيز مهدًا من صندل مرصع ، وثلاثمائة ثوب(٦٨) .

---

(٦٣) الوشاح : حزام عريض منظوم باللؤلؤ . ابن سيده : المخصص . جـ١ ، ص٩٨ .
(*) الملحق : لوحة رقم (٣٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل ١٣٤٧٨ .
(٦٤) قلنسوة : نوع من أغطية الرأس توضع تحت العمامة وتكون مبطنة من الداخل . رشيدة اللقانى : ألفاظ الحياة الاجتماعية فى كتابات الجاحظ . دار المعرفة الجامعية ١٩٩١م ، ص٢٠٧ ، أحمد عبد الباقى : معالم الحضارة العربية فى القرن الثالث الهجرى . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩١ ، ص٧٨ .
(**) الملحق : لوحة رقم (٦١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل ١٥١٢١ .
(٦٥) ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين . تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، جامعة أم القرى (د. ت) ص١٠٩ ، سيف شاهين المريخى : مركز إنتاج المنسوجات والملابس . مجلة المؤرخ المصرى ، العدد الثالث والعشرون ، يناير ٢٠٠٠ القاهرة ، ص١٣١ .
(٦٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ١ ، ص١٣٦ .
(٦٧) المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٧١ .
(٦٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ١ ، ص٢٥٢ ، سلام شافعى محمود : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٥ ، ص١٦٨ .

وكما حرص الخلفاء والولاة على منح هداياهم لرجالهم وخاصتهم ، حرص كذلك بعض رجال الدولة على تبادل الهدايا مع الخلفاء الفاطميين ، فأهدى القائد أبو الحسين جوهر إلى الخليفة المعز لدين الله بعد ما ملك مصر ، هدية منها مناطق(*) الذهب المكللة بالجوهر(٦٩) .

كما امتدت الهدايا من الملابس والأقمشة إلى أفراد الأسرة الحاكمة بينهم وبين بعضهم البعض ، فأهدت ست الملك أخاها الحاكم بأمر الله الكثير من الملابس والأقمشة ، ففى عام ٣٨٧هـ أهدت إليه مائة تخت من الثياب وتاجًا مرصعًا وشاشية مرصعة(٧٠) .

هكذا لعبت الملابس والمنسوجات دورًا مهمًا ومؤثرًا فى العلاقات السياسية الرسمية وغير الرسمية ، فكانت وسيلة من وسائل الدعاية للنظام السياسى ، ومظهرًا من مظاهر الرفاهية والثراء الذى تمتعت به مصر عبر العصور ، كما كانت الملابس وسيلة لتدعيم بعض الروابط الاجتماعية بين الدولة ورعاياها وبين أفراد البيت الحاكم .

(*) الملحق : شكل رقم (٥٢) .

(٦٩) الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف . ص٦٧ .

(٧٠) المصدر السابق . ص٦٨ ، نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ ، ص١٩٨ .



الفصل الثالث

ملابس الخلفاء وكبار رجال الدولة

تمثل ملابس الخلفاء والأمراء أحد العناصر المهمة لتطور الزى الرسمى فى الدولة الإسلامية وولاياتها ومصر على نحو خاص ، حيث إن الخلفاء والأمراء هم صفوة الطبقة الاجتماعية ، لمكانتهم السياسية العالية ووضعهم الاجتماعى المتميز ، وترجع أهمية الزى الخاص بالخلفاء والأمراء إلى أنه يكشف عن التأثيرات الحضارية المتبادلة ، خاصة أن المظهر الخارجى لرموز السلطة والحكم احتل مكانة كبيرة فى العديد من هذه الحضارات ، وشكل جزءًا مهمًا من المراسم السياسية لها ، فيذكر الجهشيارى (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م) : « كان من رسم ملوك الفرس أن يلبس أهل كل طبقة ، ممن فى خدمتهم ، لبسة لا يلبسها أحد ممن فى غير تلك الطبقة ، فإذا وصل الرجل إلى المُلك عرف بلبسته ، صناعته والطبقة التى هو فيها»[١] .

وعلى ذلك فملابس الخلفاء وكبار رجال الدولة تعكس بوضوح مكانة الشخص ومقدار ما اقتبسته الصفوة السياسية من طرز الحضارات السابقة ونظمها ورسومها وما أضافته إليها ، بما يتلاءم مع الروح الإسلامية والتقاليد السائدة فى المجتمع[٢] .

أ- ملابس الولاة :

لا بد لنا عند الحديث عن ملابس الحكام فى مصر ، أن نبدأ أولاً بالولاة لارتباط مصر الإسلامية فى مرحلة كبيرة من تاريخها بالخلافة المركزية فى المدينة ثم دمشق فبغداد ، مرورًا

(١) الوزراء والكتاب . تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبيارى ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ١٩٣٨م ، ص٣ .

(2) Hazel Canway : Design History a students, handbook (Landon 1977) P. 18, Daniel Rache : The Culture of clothing Dress and fashion in the ancien regime . (Cambridge U. N. V, 1994) P. 5 .

بالاستقلال المرحلى فى الدولتين الطولونية والإخشيدية ، ثم ظهور الدولة الفاطمية وما مثلته من تطور سياسى وحضارى لمصر . ومن الملاحظ أن ملابس الولاة فى مصر فى العهود الأولى للخلافة الإسلامية خاصة عهد الراشدين ، كانت امتداداً للتراث العربى السائد للملابس فى شبه الجزيرة العربية ، والذى تميز بالبساطة وعدم المغالاة فى الشكل أو نوعية المنسوجات المستخدمة .

انقسمت الملابس العربية إلى قسمين : المقطعات وغير المقطعات ، فالمقطعات من الثياب هى كل ما يفصل ويخاط من قمصان وجباب وسراويل ، أما غير المقطعات فمنها الأردية والإزار(*) والمطارف والرياط ، وهى كلها ملابس يتعطف بها مرة ويلتحف بها مرة أخرى(٣)؛ لذلك فقد تعددت أسماء الملابس العربية ومسمياتها وتشابهت استخداماتها ، الأمر الذى يفسر لنا صعوبة الحصول على ملابس رسمية اتخذها الولاة تميزهم عن غيرهم فى هذه الفترة المبكرة ، إذ ارتدى أغلب الولاة خاصة فى المرحلة المبكرة لحكم مصر كل أنواع الملابس العربية التى اعتادوها فى المنطقة العربية ، وإن اختلفت خاماتها وجودتها وبالتالى أثمانها ؛ لتتناسب مع مكانتهم ووضعهم السياسى ، عدا ذلك لا نستطيع أن نجزم بوجود لباس رسمى يحمل الصفة الرسمية لهم كرجال حكم وإدارة كما حدث بعد ذلك فى عصر الخلافات الأموية والعباسية والفاطمية .

أما عن السمات العامة لملابس الولاة وما ارتدوه من ثياب ، فيمكن من خلال بعض المصادر التى ألمحت إلى أحداث عصر الولاة فى مصر وحكمهم ، أن نستخلص أهم هذه الملابس ، وهى بالدرجة الأولى امتداد للتراث العربى فى الزى كما سبق أن أشرنا آنفًا .

(*) الملحق : شكل رقم (١٤) .

(٣) الأزهرى : تهذيب اللغة . تحقيق عبد الحليم النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٨ ، جـ١ ، ص١٨٨ ، أبو هلال العسكرى : التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء . تحقيق عزة حسن ، دمشق ١٩٦٩ ، جـ١ ، ص٢٠٧ .

كانت الجباب[٤](*) من الثياب التى فضلها الولاة فى ملابسهم الرسمية وكانت جبة الوالى تتميز عن غيرها بعرضها وطول ذيلها وكمها ، واتخاذها من قماش غالى الثمن ، فيذكر ابن الأثير عن عمرو بن العاص « أن عثمان بن عفان عزله عن مصر وولاها لعبد الله ابن سعد بن أبى السرح ، فدخل عمرو بن العاص على عثمان وعليه جبة محشوة (قطنًا) فقال له عثمان : ما حشو جبتك ؟ فقال عمرو : قد علمت أن حشوها عمرو ، فقال عثمان : لم أرد هذا إنما سألت أقطن هو أم غيره؟»[٥] ونستنتج من هذا النص أن جبب الولاة كانت تبطن من الداخل ، وقد تطورت الجبة بعد ذلك فصارت حواشيها وأطرافها تكفف بالحرير ، كما صنعت من الخز والقطن والكتان خاصة فى العصرين الأموى والعباسى مع ازدياد حياة الترف والبذخ[٦] .

ومن الثياب التى انتشرت فى ملابس الولاة العباءة[٧](**) وكانت تنسج فى الغالب من الصوف المبروم إذا كانت لفصل الشتاء ، أما عباءة الصيف فتنسج من الحرير أو الخز[٨] ، كما تميزت بأنها ذات خطوط بيضاء وسوداء ، وتكون الخطوط البيضاء أعرض من

(٤) الجباب : جمع جبة وهى رداء واسع مفتوح يوضع فوق لباس آخر ، لها أكمام تحيط باليد ، وتلبس فوق القميص ، وغالبا ما كانت تصنع من الصوف وكانت أحيانا ما تبطن من الداخل إما بالفرو أو القطن بغرض الدفء فى الشتاء . الخليل ابن أحمد : العين . جـ٦ ص٢٥ ، الزبيدى : تاج العروس . تحقيق عبد الستار أحمد فرج ، الكويت ١٩٨٦ جـ٢ ص١١٩ ، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٤٣ ، ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص٥٩ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٥٠) من مخطوط مقامات الحريرى .

(٥) الكامل فى التاريخ . دار صادر بيروت ، ١٩٩٨ ، جـ٣ ، ص٨٨ .

(٦) غيثان بن على جريس : أهم الملابس العربية خلال العهود الإسلامية الأولى . الإسكندرية ١٩٩٣ ، ص٢١٠ .

(٧) العباءة : رداء مفتوح من الأمام لا أكمام له ، وإنما توجد فتحتان فى الزاويتين العلويتين لإمرار الذراعين منهما . صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية ، ص٢٧٨ .

(**) الملحق : شكل رقم (٢٢) .

(٨) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك . دار الفكر ١٩٧٩ ، جـ٤ ، ص٢٢٩-٢٣٠ .

السوداء[٩]. كذلك شاع استخدام البرود[١٠] فى ملابس الولاة ، وتميزت برودهم بوجود خطوط وخص بعضهم به الوشى[١١].

وكانت البردة[*] من الملابس التى تطرح على الأكتاف ويشتمل بها خاصة فى المناسبات الرسمية ، كما عرفت بعدة أسماء كالشملة (المخططة)[**] والحبرة (الموشاة المنقوشة ، كذلك اشتهرت عدة مناطق فى الجزيرة العربية بإنتاج عدة أنواع من البرود أشهرها اليمن خاصة فى نجران ، حتى أطلق عليها برود اليمن وأصبح الاسم ملازمًا لها بعد ذلك[١٢].

من الملابس أيضًا التى ارتداها الولاة ومثلت شبه لباس رسمى لهم الدّراعة[١٣][***]، وهى كالجبة مشقوقة من الأمام ولكنها تختلف عن الجبة بعض الشىء ، فهى

---

(٩) الزبيدى : تاج العروس . جـ١ ص٣٣٩ .

(١٠) البرود : جمع بردة وهى قطعة طويلة من القماش الصوفى السميك الذى يستعمل لإكساء الجسد بالنهار والمتخذ كذلك غطاء أثناء الليل . دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب . ص ٥٥ ، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص ٢٣٢ .

(١١) الوشى : خلط لون بلون آخر . الخليل بن أحمد : العين . جـ٨ ص٢٩ .

(*) الملحق : شكل رقم (٢١) .

(**) الملحق : شكل رقم (٢٠) .

(١٢) الجاحظ : الحيوان . جـ٥ ص٥٠٥ ، ابن منظور : لسان العرب . دار إحياء التراث العربى ١٩٨٨ ، جـ٣ ص١٦ ، صبيحة رشيد رشدى : الملابس العربية وتطورها . ص٦٥ ، محمد عبد الحكيم القاضى : اللباس والزينة من السنة المطهرة ، دار الحديث ١٩٨٩ ، ص٨٠ .

(١٣) الدراعة : ثوب طويل مفتوح من جهته الأمامية حتى أعلى القلب ، ولكنها تمتاز بوجود أزرار وعرى وأكمامها عريضة وتتسع فتحتها عند الرسغ . أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى . تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار الشعب ١٩٦٩ ، جـ١ ص٤٦ ، الثعالبى : لطائف اللطف . تحقيق عمر الأسعد ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص٤٠ ، ابن قدامة : المغنى . تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٩٢ ، جـ٥ ص١١٩ .

(***) الملحق : شكل رقم (١٩) .

(١٤) الوشاء : الموشى أو الظرف والظرفاء . تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ١٩٩٣ ، جـ٢ ص١٦٠ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد . تحقيق إبراهيم الإبيارى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٩ ، جـ٦ ، ص٢٢٥ .

لا تكــون إلا من الصــوف ، إلا أنهــا فى بعض الأحــيــان كــانت تصـــنع من الديبــاج والخز[١٤] .

كما كانت الريطة من الملابس التى استخدمها أيضًا الولاة ، وهى ملاءة قطعة واحدة رقيـقـة لينة[١٥] ، وذكر الكندى (ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م) عن والى مـصر حنظلة بن صـفوان (١١٩-١٢٤هـ/ ٧٣٨-٧٤٣م) أنه (كانت له ريطة مثنية يلبسها ويصلى فيها ، فإذا كان يوم الجمعة احتزم بها على قباء أبيض وتقلد السيف ثم يصعد المنبر فيخطب »[١٦] . ويظهر لنا هذا النص ارتباط الريطة ببعض المناسبات الدينية كصلاة الجمعة والحرص على الخروج لها بزى خاص له قيمته .

كذلك كان القبـاء[١٧](*) من الملابس التى اختص بها الولاة خاصة فى عصر الدولة العباسية ، بعد أن انتشرت الملابس الفارسية وبدأ يظهر لرجال الحكم رسوم وتقاليد فى ملابسهم[١٨] ، فكان القباء يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه بحزام ثم تلبس فوقه الجبة ، وقد اختلفت وتعددت أشكال وألوان القباء فظهر القباء المشقوق من الخلف والقباء القصير الذى لا يتعدى الركبة ، كذلك صنع من عدة خامات كالكتان والديباج والخز[١٩] .

---

(١٥) ابن سيده : المخصص . جـ١ ، ص٧٧ ، الطرطوشى : سراج الملوك . جـ٢ ، ص٥٤٠ .

(١٦) تاريخ ولاة مصر وقضاتها . مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ١٩٨٧ ، ص٦٨ .

(١٧) القباء : ثوب طويل قد يصل إلى الأرض ومفتوح عند الرقبة ، مقفل من الأمام بأزرار ، وكان ضيق الأكمام حتى عصر المعتصم الذى أمر بجعلها فضفاضة حتى قيل إنها بلغت ثلاثة أذرع . ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين . تحقيق محمد أنيس مهرات ، دار الحكمة دمشق ١٩٨٧ ، ص٢٠٣ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام . مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٢ ، جـ٣ ، ص٤٤٣ .

(*) الملحق : شكل رقم (٢٩) .

(18) Nancy Lindisfarne : Languages of Dress in the Middle East. (the centre of Near and Middle Eastern Studies, 1997) P. 43 , Alisa Baginski : Textiles from Egypt. (L. A. Mayer Memorial institute for Islamic Art, 1980) P. 15 .

(١٩) معروف الرصافى : الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس . تحقيق عبد الحميد الرشودى ، العراق ١٩٨٠ ص٢٥٩ ، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٨٣ .

ومن الثياب التى ارتدها الولاة المطارف ، وهى ثياب مربعة من الخز لها أعلام[٢٠]، واشتهر هذا النوع من اللباس بين العرب قديمًا خاصة الأغنياء والأشراف[٢١].

كانت تلك الملابس هى أهم ما ميز طبقة الولاة فى العهود الأولى لمصر الإسلامية ، وهى كما نلاحظ كانت امتدادًا طبيعيًا للتراث العربى للباس الذى تميز بالبساطة وعدم التكلف ، على أن هناك أيضًا بعض السمات الخاصة التى عنى بها الولاة فى ملابسهم ، ونعنى بها ملابس الرأس ، إذ كان اعتناء العرب بها كبيرًا منذ القدم ، فكانت رمزًا للسيادة والمكانة الاجتماعية بين طبقات المجتمع ، لذلك تعددت أسماؤها وأشكالها وطرق ارتدائها ، وكانت من الأشياء التى تفنن العرب فى صنعها والاهتمام بها .

أما عن أهم أغطية الرؤوس فكانت القلانس[*] والعمائم ، والقلانس (جمع قلنسوة) وهى غطاء للرأس كانت تستعمل إما بمفردها أو تلف حولها العمامة[٢٢]، وكانت القلانس تصنع من عدة خامات كالجلود والفراء واللباد والكتان والخز[٢٣]، وقد تطورت من حيث الشكل فى العصر العباسى وعرفت بعدة أسماء، فكانت الطويلة[**] (المخروطية الشكل) التى أمر الخليفة المنصور الولاة باستعمالها[٢٤]، فكانوا يحتالون لطولها بأعواد القصب من الداخل[٢٥].

---

(٢٠) الأصفهانى : الأغانى . جـ١ ص٩٩ .
(٢١) صالح العلى : الألبسة العربية فى القرن الأول الهجرى . مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٣ ، العراق ١٩٦٦ ، ص٦٢ .
(*) الملحق : شكل رقم (٤) .
(٢٢) الوشاء : الموشى أو الظرف والظرفاء . جـ٢ ص٢٢٢ .
(٢٣) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص ١٤٦ .
(**) الملحق : لوحة رقم (٤٦) من مخطوط مقامات الحريرى .
(٢٤) السيوطى : الوسائل إلى معرفة الأوائل . تحقيق عبد القادر أحمد ، الكويت ١٩٩٠ ، ص١٠٢ .
(٢٥) غيثان بن على جريس : أهم الملابس العربية خلال العهود الإسلامية الأولى . ص ٢٠٦ ، ثريا نصر : تاريخ الأزياء . جامعة حلوان ١٩٩٤ ، ص ٧٨ .

كذلك كان من أنواع القلانس الشاشية ، التى تنسب إلى مدينة الشاش من بلاد ما وراء النهر ، حيث كانت الأقمشة تأتى منها ، فشاع استعمالها وارتبط هذا الاسم بها ، خاصة فى العصر العباسي[٢٦] ، فيذكر الجهشيارى « عندما دخل عمر بن مهران إلى مصر من قِبَل هارون الرشيد عام ١٧٦هـ، بكّر فلبس ثيابه ووضع الشاشية على رأسه ومضى إلى دار الإمارة »[٢٧] . كذلك كانت الدنية من الأنواع التى انتشرت فى ملابس الرأس للولاة ، وهى قلنسوة بشكل الدن تتخذ من ورق وفضة على عيدان قصب وتغشى بالسواد ، ولكنها لم تستمر طويلاً[٢٨] .

أما عن العمائم فقد احتلت المكانة الأولى فى أغطية الرؤوس للولاة ، وكان الإنفاق عليها يفوق الإنفاق على غيرها من الملابس الأخرى[٢٩] ؛ فاعتبرت العمامة أحد العناصر الأساسية للتميز الطبقى والوظيفى فى المجتمع ؛ لذلك تعددت طرزها وأنواعها وألوانها وطرق ارتدائها ، وتميزت عمائم الولاة بأنها تصنع من أرقى أنواع النسيج وأغلاه خاصة الخز[٣٠] .

أما عن طرزها وأنواعها فكانت القعطاء والزوقلة والقفداء والكوارة ، وكلها أسماء اطلقت على العمامة تبعًا لطريقة ارتدائها ، فالقعطاء هى العمامة التى تلف على الرأس دون إدارة جزء منها تحت الذقن[٣١] ، والزوقلة هى العمامة المرخى طرفها من ناحية

---

(٢٦) ثريا نصر : تاريخ والأزياء ، ص ٧٨ ، رشيدة اللقانى : ألفاظ الحياة الاجتماعية فى كتابات الجاحظ . دار المعرفة الجامعية ١٩٩١ ، ص٢٠٨ .

(٢٧) الوزراء والكتاب . ص ٢١٩ .

(٢٨) ميخائيل عواد : مصطلحات حضارية فى التراث العربى . مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد ٣٧ ، جـ١ ، العراق ١٩٨٦ ، ص١٠٤ .

(29) S. D. Goitein : A Mediterranean Society . (U. N. V. of california , 1983, vol IV) P.158 .

(٣٠) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص ٢٥ .

(٣١) الخليل بن أحمد : العين . جـ١ ص ٢٢٢ ، ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين . ص١٩٦ ، القرافى : الذخيرة. تحقيق محمد حجى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٤ ، جـ١٣ ، ص٢٦٤ .

الرأس(٣٢)(*)، والقفداء هى التى تلف على الرأس ولا يسدل منها شيء على الظهر أو يمر جزء منها تحت الذقن ، بل تعقد فى القفا دون أن يرسل لها عذبة (طرف)(٣٣)، أما الكوارة فهى التى يزاد فى عدد طياتها أو تكويرها على الرأس(٣٤)(**) .

وبالنسبة للألوان التى تميزت بها عمائم الولاة ، فنجد أن اللون الأبيض كان من الألوان المفضلة لعمائمهم باعتباره من السنة ، ثم شاع استعمال اللون الأخضر فى العصر الأموى(٣٥)، وفى العصر العباسى أصبحت عمائم الولاة سوداء ، بعد أن اتخذ العباسيون السواد شعارًا لدولتهم .

هذا وقد كان للعمامة أصول وتقاليد متبعة فى ارتدائها ، بعضها مستمد من التقاليد العربية الموروثة ، وبعضها الآخر مستمد من السنة المطهرة كالتلحى ، وهى أن يلف الرجل العمامة على رأسة ويمرر جزء منها تحت دقنه(٣٦)(***)، وكان نزع العمامة أمام الناس أمرًا يُفقد الرجل وقاره وهيبته ويعتبر ساقط المروءة وتارك الآداب ، كما كان الرجل يعاقب إذا ما نزع عمامته فى دار الخلافة ، وكان لا يجوز نزعها إلا فى مناسبات محددة ، كتعزية الخليفة أو عند الصلاة(٣٧)، بل إن بعض الخلفاء فى عصر الراشدين اتخذ من نزع العمامة

---

(٣٢) ابن سيده : المخصص . جـ١ ص٨٢ ، أحمد مطلوب : معجم الملابس فى لسان العرب . لبنان ١٩٩٢ ، ص٢٤ .

(*) الملحق : شكل رقم (٢) .

(٣٣) الجاحظ : البيان والتبيين . جـ٣ ص٥٩ ، أحمد مطلوب : المرجع نفسه ، ص٩٩ .

(٣٤) الزجاجى : أمالى الزجاجى . تحقيق عبد السلام هارون ، المؤسسة العربية الحديثة ١٩٦٨ ، ص١١٠ ، معروف الرصافى : الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس . ص ٣٠٧ .

(**) الملحق : لوحة رقم (٣٨) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة سجل رقم (١٤٩٢٣) .

(35) Thomas Patrick Hughes : Dictionary of Islam (New Jersey 1965) P. 93 .

(٣٦) أحمد بن حجر الهيتمى : در الغمامة فى در الطيلسان والعذبة والعمامة . مخطوط بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم رقم ٥٧٩٠٢ ، ورقة رقم ١٦ ، أبو هلال العسكرى : التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء . جـ١ ص٢٠٢ .

(***) الملحق : شكل رقم (٣) .

(٣٧) غيثان بن على جريس : أهم الملابس العربية خلال العهود الإسلامية الأولى . ص٢٠٥ .

وسيلة من وسائل العقاب فذكر الشعبى : « كانت العصاة فى زمن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، إذ أُخذ الرجل منهم (بعثرة) نزعت عمامته ، وطيف به فى المسجد على قومه وقيل : هذا أخذ بثغره (سقطته)[٣٨] .

ومع ازدياد حياة الترف والبذخ فى الدولة الإسلامية وولاياتها تطورت عمائم الولاة فصنعت عمائمهم من النسيج الموشى والمطرز من الديباج والحرير والخز ، كما أضيف إليها بعض الأحجار الكريمة والجواهر فى مقدمتها خاصة فى العصر العباسى .

أما ما كان يرتدى فى القدم فتمثل فى الخفاف[*] والنعال[**] والجوارب[***] ، والخف عرف عند العرب منذ القدم ، وهو يحيط بالقدم كله ويخلو من الكعب ، فكان فى مستوى الأرض تقريبًا ، وإن وجدت فى بعض الخفاف كعوب ولكنها كانت قليلة السمك جدًا[٣٩] ، وتميزت خفاف الولاة بجودة جلودها المدبوغة والمبطنة من الداخل أحيانًا ، وبالنسبة لألوانها فكان يفضل اللون الأسود والأصفر ، أما اللون الأحمر فكان من الألوان المستنكرة والمعيبة ، لأنه كان شعار أهل الخيلاء والمجون[٤٠] ، وكان الخف يلبس صيفًا وشتاءً وعرفت بعض الأنواع منه بمسميات مختلفة كالجرموق ، وهو الخف الصغير الذى يلبس فوق الخف وقاية له ، والكلمة فارسية الأصل[٤١] ، والموزج وهو الخف الغليظ فارسى الأصل أيضًا[٤٢] . كذلك كانت النعال من الأنواع التى ارتداها الولاة فى

(٣٨) الطرطوشى : سراج الملوك . جـ١ ص ٣٣٥ .
(*) الملحق : شكل رقم (٢٨) .
(**) الملحق : شكل رقم (٢٦) .
(***) الملحق : شكل رقم (٢٧) .
(٣٩) الخليل بن أحمد : العين . جـ٤ ص ١٤٤ .
(٤٠) الجاحظ : البيان والتبيين . جـ٣ ص ٦١ .
(٤١) الخليل بن أحمد : العين . جـ٥ ص٢٤٢ ، ابن سيده : المخصص . جـ١ ص١١٤ ، التهانوي : كشف اصطلاحات الفنون . تحقيق لطفى عبد البديع ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٣ ، جـ٢ ص٢١٨ .
(٤٢) الجواليقى : المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم . تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١هـ ، ص٣١١ .

أقدامهم، إذ عرفها العرب منذ زمن طويل وورد ذكرها فى القرآن الكريم فقال تعالى لموسى: ﴿ إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾(٤٣).

واستمرت النعال مستعملة ووجدت عدة أنواع منها، أشهرها ما كان يثبت حول الإبهام بحلقة خاصة، أو برباط من الجلد يغطى القدم، حيث تتم عملية ربطه فى الغالب بواسطة شريط يسمى (البريم) يدور حول العرقوب مرتكزًا على العقب(٤٤)، كما عرفت بعض الأنواع التى حرص الولاة على ارتدائها كالنعال السبتية(٤٥)، المدبوغة بالقرظ ولا شعر عليها، وهى من النعال التى كان يفضلها الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله ابن يوسف عن عبد الله بن عمر قال: (أما النعال السبتية: فإنى رأيت رسول الله يلبس النعل التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها)(٤٦)، كما اشتهرت النعال السندية وكانت تأتى من بلاد السند، والنعال المصنوعة من جلود البقر الحبشية التى تشبه جلد النمر(٤٧).

أما عن الجوارب(٤٨) فقد عرفها العرب واعتادوها خاصة فى أثناء الطواف حول الكعبة لحماية أقدامهم من الحرارة، ثم انتشرت بعد ذلك لتصبح مظهرًا من مظاهر الترف والتحضر، فكانت تصنع من الكتان والحرير والخز(٤٩)، وهى من الأشياء التى لم يطرأ عليها تطوير خاصة فى الشكل لكونها غير ظاهرة.

(٤٣) سورة طه: آية ١٢.
(٤٤) أ. بينول: اللباس والزينة فى العالم العربى. تعريب د. نبيل سليمان، بيروت ١٩٩٢ ص٣٧.
(٤٥) السبتية: سميت النعال السبتية بهذا الاسم لأنها انسبتت بالدباغ أى لانت. ابن منظور: لسان العرب. جـ٦ ص١٤٠.
(٤٦) البخارى: صحيح البخارى. جـ١ ص٧٩.
(٤٧) ناصر خسرو: سفر نامة. ص١١٨.
(٤٨) الجوارب: جمع جورب وهى كلمة فارسية الأصل، أصلها كورب بمعنى لفافة الرجل. الجواليقى: المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم. ص١٠١، محمود إبراهيم حسين: المرأة فى إنتاج المصور المسلم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة ١٩٨٣، ص٣٤.
(٤٩) صلاح العبيدى: الملابس العربية الإسلامية. ص٣١٣، ثناء عبد الرحمن بلال: الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى. ص ٤١.

مما سبق يتضح أن ملابس الولاة فى مصر الإسلامية لم تختلف فى هذه المرحلة المبكرة من الحكم عن الملابس العربية التى اعتادوا عليها ، كما أن التطور الذى طرأ على بعضها كان تطورًا طفيفًا ، تركز على استخدام بعض الخامات عالية الجودة والقيمة ؛ لتتناسب مع مكانة هؤلاء الحكام ، عدا ذلك لم تخرج ملابس الولاة عن الإطار العام للملابس العربية وإن أضيف إليها بعض الملابس الفارسية التى انتشرت مع حركة الفتوحات ، أو مع توافد بعض العناصر غير العربية على المجتمع الإسلامى ، كذلك نلحظ أن الدلالة السياسية للألوان كانت من الأمور التى حرص عليها الولاة وتمسكوا بها فى ملابسهم ، باعتبارهم رموزًا للسلطة المركزية فى الأمصار الإسلامية ، خاصة مصر التى كانت تشكل وضعًا سياسيًا متميزًا للخلافة الإسلامية .

مظهر آخر نلحظه على ملابس تلك الفترة ، وهو اتساع ملابس الولاة خاصة الأكمام[٥٠]، إذ ارتبط الاتساع عند العرب بالجود والكرم ، حتى عرف ذلك فى بعض أمثالهم القديمة فقيل : أوسع القوم ثوبًا[٥١]، أى أكثرهم معروفا وأطولهم يدا ، كما قيل : عمرو طويل الرداء ، إذا كان سخيًا ، كذلك ارتبطت أذواق الولاة وملابسهم فى تلك الفترة بأذواق بعض الخلفاء وملابسهم وما يحدثونه من تطور فى الزى ، لذلك لا نعجب من تشابه ملابس الخلفاء - الراشدين - والولاة فى هذه المرحلة الأولى للحكم الإسلامى لمصر .

على أن عصر الولاة وملابسهم لا تعتبر بأى حال من الأحوال حدًا فاصلاً واضح المعالم لتطور الزى الرسمى فى الحضارة الإسلامية ؛ إذ إن التطور والتغير فى مجال الزى والملابس يتطلب بصفة عامة وقتًا طويلاً ، لارتباطه بعناصر وعوامل عديدة متداخلة ، وهو ما سيتضح بعد ذلك فى مراحل أخرى من تطور أشكال الحكم السياسى والاقتصادى والاجتماعى لمصر ، خاصة فى عصر الدولة الفاطمية ، والتى كانت النظم والرسوم السياسية والمذهبية أحد أركانها المهمة ومعالمها الرئيسية ، فلعبت الملابس فيها دورًا مؤثرًا وحيويًا ، وهو ما سنشير إليه فى موضعه فيما بعد .

(٥٠) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك . تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٤ ، جـ١ ص١٧ .

S. D. Goitein : A Mediterranean Society . Vol IV, P. 159 .

(٥١) الميدانى : مجمع الأمثال . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٧ ، جـ٣ ص٤٣٩ .

ب ـ ملابس الطولونيين والإخشيديين :

أما عن ملابس رجال الدولة والحكم فى العصرين الطولونى والإخشيدى ، فتجدر الإشارة إلى أن أغلب المصادر التاريخية والأدبية التى تناولت هاتين الحقبتين تكاد تكون نادرة وغامضة فيما يتعلق بملابسهم ، ويرجع السبب الرئيسى لهذا الغموض والندرة إلى استقرار الزى الرسمى فى الخلافة العباسية التى ظهرت خلالها هاتان الدولتان ، بالإضافة إلى قصر مدة الحكم السياسى لهما وتركيز أغلب المصادر على الجانبين السياسى والاقتصادى لحكمهما .

من الملاحظ أن ملابس حكام الطولونيين والإخشيديين لم تختلف كثيرًا عن الملابس التى استقرت فى بلاط الخلافة العباسية ، وإن ظهرت بعض الملابس والخامات والمنسوجات التى تطورت بفعل التفاعل الحضارى والتأثيرات الفارسية والعراقية التى كان لها أثر كبير على تطور الزى الرسمى للحكام فى مصر .

وعن أهم الملابس الخاصة بأحمد بن طولون يذكر البلوى : (وركب يوم الجمعة قبل رحيله من طرسوس ودخل إلى الجامع ليصلى راجلاً برداء ونعل»[٥٢] . ويبدو من النص أن ابن طولون لم يكن يهتم كثيرًا بارتداء أشياء محددة أو غالية الثمن ، بل كان متواضعًا فى ملابسه ، الأمر الذى جعل المصادر التاريخية لا تذكر أية تفاصيل خاصة لها ، على أن ذلك لا يجب أن يدعونا إلى التسليم بأن هذه هى كل الملابس التى ارتداها ، إذ كانت تنتشر العديد من الملابس والثياب الخاصة بالحكام فى تلك الفترة ، كالقباء الفارسى والدراعة والجبة والعباءة والقمصان[*] – المطرزة – والسراويل والعمائم والقلانس ، وهى بالتالى من الملابس التى ارتداها ابن طولون ، وإن أغفلت المصادر ذكرها أو الحديث عنها بالتفصيل .

أما عن خمارويه وملابسه ، فقد كان أكثر اهتمامًا بالملابس من أبيه ، بل يذكر البعض أنه لم يكن يلبس الرداء أكثر من يوم واحد ، وأن عشرة آلاف رجل كانوا يعملون دون

(٥٢) سيرة أحمد بن طولون . ص ٩٨ ، حسن أحمد محمود : حضارة مصر فى العصر الطولونى . دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص٨٧ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٧٣) نقلاً عن سعد الخادم (الملابس الشعبية فى مصر الإسلامية) .

انقطاع فى إعداد ملابسه وملابس نسائه[٥٣]، وهو - بالطبع - رقم مبالغ فيه ويصعب تصديقه، ولكنه يدل على اهتمام خمارويه وعنايته بالملابس ، يتجلى من دراسة الخلع التى منحها الخليفة العباسى المعتضد بالله لخمارويه بعد زواجه من ابنته قطر الندى ، أن نتعرف على بعض الملابس التى ارتداها ، فذكر ابن تغرى بردى (ت٨١٣هـ) « قدم رسول المعتضد إلى خمارويه بالخلع وكانت اثنتى عشرة خلعة وسيفًا وتاجًا ووشاحًا »[٥٤].

ونستنتج من النص ظهور الوشاح[٥٥](*) كجزء من ملابس الحكام فى ذلك الوقت، إذ استعمل فى هذا العصر لتكريم رجال الدولة ، بل إن البعض كان يتوشح بوشاحين ، وهو دليل على ارتفاع مكانته[٥٦]. أما عن التاج ، فالمقصود به هنا العمامة المزينة بالجواهر .

وعن ملابس العباس بن أحمد بن طولون فاشتهر عنه ارتداؤه للخفتان ، إذ يذكر ياقوت أنه فى عام ٢٦٩هـ « خالف العباس بن أحمد بن طولون أباه ، وخرج عليه وهو بالشام وسار إلى برقة ، ووقف العباس بين أبيه فى خفتان ملحم وعمامة وخف وبيده سيف مشهور»[٥٧]، والخفتان عبارة عن ثوب مفتوح من الأمام ومزين بأزرار حول الصدر ، وبأكمام قصيرة حتى الكوع[٥٨]، ويبلغ طوله حتى منتصف الساق وأحيانا أقل انخفاضا وإن كان لا يقصر عن الركبة ، ويذهب البعض إلى أن لفظ خفتان هو المرادف التركى لكلمة قفطان[٥٩](**)، وهو إن دل فإنما يدل على تأثر الطولونيين بالملابس التركية

(٥٣) مصطفى طه بدر : مصر الإسلامية من الفتح الإسلامى حتى زوال الدولة الإخشيدية . مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩ ، جـ١ ص١٢٥ ،

Zaki Hassan : Les Tulunides. (Paris, 1933) P. 131 .

(٥٤) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . جـ٣ ص٥٣ .

(٥٥) الوشاح : هو عبارة عن جلد عريض يزين بالأحجار الكريمة يتقاطع عند الصدر . ابن سيده : المخصص . جـ١ ص٩٨ ، معروف الرصافى : الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس . ص٤٣٢ .

(*) الملحق : شكل رقم (٥٣).

(٥٦) أحمد عبد الباقى : معالم الحضارة العربية . ص٨٥ .

(٥٧) معجم الأدباء . طبعة القاهرة ١٩٣٠ جـ٢ ، ص٤١٥ .

(٥٨) جروهمان : أوراق البردى العربية ، جـ٦ ، وانظر أيضًا عبد المنعم سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص٣٤٣ .

(٥٩) البلوى : سيرة أحمد بن طولون . ص ٤٤ ، هامش ٢ .

(**) الملحق : شكل رقم (٤٦).

فى ظل المؤثرات الفارسية للملابس فى المجتمع الإسلامى . ومن الخامات التى صنع منها الخفتان الحرير والقطن والقطيفة(٦٠)، وكان الخفتان يلبس منفردًا أو تحت الجبة ، وهو من الملابس التى صارت منتشرة فى المجتمع المصرى بعد ذلك خاصة بين طبقة الأثرياء ، وهو من المظاهر الحضارية التى تأثر بها ونقلها الطولونيون عن الأتراك إلى مصر . أما ما كان يرتديه الطولونيون فى القدم فقد مر بنا ارتداء أحمد بن طولون للنعال ، كما يشير النص السابق إلى استخدام العباس بن أحمد بن طولون للخف .

وعن ملابس الحكام فى الدولة الإخشيدية يذكر ابن تغرى بردى عن محمد بن طغج الإخشيد : (كان متجملاً فى مركبه وملبسه)(٦١) فكان الإخشيد يهتم بالملابس اهتمامًا كبيرًا حتى إنه أمر بألا يلبس أحد سواه جبة من الديباج المحلى بخيوط الفضة(٦٢)، وهى إشارة إلى حرص الإخشيد على التميز فى ملابسه واختيار أنفس المنسوجات التى تصنع منها ثيابه، وإذا كانت الجبة من الملابس المفضلة للإخشيد ، فكذلك كانت الدراعة التى أصبحت من الملابس الرسمية لرجال الحكم ، بل كانت من أهم أجزاء الملابس التى تخلع على الولاة والحكام والوزراء ، ويذكر المقريزى « ولما كان آخر شهر رمضان ركب الإخشيد بعد عتمة فحضر ختم الجامع وصلى وأوتر وهو فى وجوه عبيده فى دراعة بياض »(٦٣)، ونستنتج من النص أن الدراعة ارتبطت بالشعائر والاحتفالات الدينية وحرص الحكام على ارتدائها فى هذه المناسبات ، وأن اللون الأبيض كان من الألوان المفضلة لهذه المناسبات اتباعًا للسنة . كما عرف عن الإخشيد أيضًا حبه لكل ما هو غال وثمين من الثياب . فكان حريصًا على ارتداء الفرو(٦٤).

---

(٦٠) رشيدة اللقانى : ألفاظ الحياة الاجتماعية فى كتابات الجاحظ . ص ١٩٦ ، عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٢٩٣ .

(٦١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . جـ٣ ص٢٥٦ .

(٦٢) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب . ليدن ١٨٩٩ ص٣٤ .

(٦٣) السلوك لمعرفة دول الملوك . جـ١ ص٤٥٢ .

(٦٤) ابن سعيد : المصدر نفسه . ص٣٤ .

وبصفة عامة لم تخرج الملابس الرسمية للإخشيد - أيضًا - عن الجبة والدراعة والعمائم والقلانس والسراويل والخفتان(٦٥) .

أما عن ملابس كافور الإخشيدى ، فلم نجد فى المصادر أى إشارات إليها وهو ما يؤكد - على ما يبدو - أنها كانت امتدادًا لنفس الملابس التى ارتداها سيده محمد بن طغج ، وإن زادت وارتفعت قيمتها ، فيذكر ابن ظافر (ت٦٢٣هـ) أن كافورًا خلف فى خزانته بعد وفاته ما قيمته نحو مليون دينار من الجواهر والثياب(٦٦) ، وهى إشارة على ما بها من مبالغة إلا أنها توضح لنا ما تمتع به من ثراء وما حازه من الثياب .

ويمكن لنا من خلال ما وصف عن الخلع التى خلعها كافور على الوزراء والأمراء أن نستنتج أهم الملابس التى ارتداها هو نفسه ، على اعتبار أن عادة الخلع كانت تمثل جزءًا مهمًا من الملابس الرسمية السائدة فى الدولة وما كان يرتديه المانح للخلعة أيضًا .

فيذكر ابن الصيرفى فى حديثه عما خلعه كافور على يعقوب بن كلس حين أعلن إسلامه عام ٣٥٠هـ « وبلغ خبره إلى كافور فسره ذلك ، وعاد من الجامع إلى دار كافور فخلع عليه غلالة ومبطنة ودراعة وزادت مرتبته عنده »(٦٧) . ويوضح النص بعض الملابس التى حرص الإخشيديون على منحها كتكريم لرجالهم ، وهى التى كانت ضمن ما يرتدونه هم أنفسهم ، أما عن الغلالة(*) فهى ما يلبس تحت الثوب ويلى الجسد مباشرة ، وكانت تصنع من الأقمشة الرقيقة اللينة(٦٨) ، والمبطنة هى نوع من أنواع الجباب تبطن من الداخل بالفرو ، لذلك سميت بالمبطنة(٦٩) ، وبالنسبة للدراعة فقد مر بنا تعريفها من قبل .

---

(٦٥) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع . ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، مكتبة الخانجى ، جـ٢ ص١٨٦ .

(٦٦) أخبار الدول المنقطعة . مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٧٢ ، ص٣٨ .

(٦٧) الإشارة إلى من نال الوزارة . ص٤٩ .

(*) الملحق : شكل رقم (٣٩) .

(٦٨) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٢٤ .

(٦٩) دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب . ص٩٤ .

وعلى ذلك يتضح لنا أن الملابس الرسمية لرجال الدولة والحكم فى كل من العصرين الطولونى والإخشيدى كانت متشابهة إلى حد كبير ، خاصة بعد أن استقر اللباس والزى الرسمى فى بلاط الخلافة العباسية ، فنهج رجال الحكم فى الأمصار الإسلامية - أيضًا - نهج الخلفاء وأفراد البلاط العباسى فيما يرتدونه من ثياب ، على أن هذا لم يمنع من ظهور بعض المؤثرات التركية التى مال إليها حكام الطولونيين والإخشيديين فيما ارتدوه من ثياب ، كما حدث من ظهور الخفتان واستخدام ملابس الفرو ، وهو ما يؤكد مدى التأثر بالموطن والنشأة الأولى لهؤلاء الحكام ، كذلك نلحظ عناية البعض فى استخدام بعض الخامات الخاصة من النسيج فى ملابسهم كخيوط الفضة والذهب ، بعد أن تطورت صناعة النسيج فى عهدهم وقطعت شوطًا كبيرًا من الرقى والتقدم ، حتى وصلت إلى حد البراعة والإبهار مع قدوم الفاطميين لمصر ، فأصبحت الملابس والمنسوجات مظهرًا من مظاهر الدعاية السياسية والمذهبية لحكمهم .

جـ - ملابس الفاطميين :

تمثل ملابس الحكام فى العصر الفاطمى مرحلة مهمة من مراحل تطور الزى الرسمى فى الحضارة الإسلامية ، فكان حرص الفاطميين كبيرًا على أن تكون الملابس جزءًا رئيسيًا من نظم الحكم ورسومها التى أحاطوا بها دولتهم وخلافتهم فى مصر ، وأن تعبر بصدق عن ثرائهم المادى وعقيدتهم الدينية الشيعية .

ارتبطت الملابس فى عصرهم بالاحتفالات والأعياد والمواكب ، فكانت عنصرًا مهمًا من عناصر الدعاية السياسية والدينية التى سعى الفاطميون إلى نشرها وترسيخها فى المجتمع المصرى بصفة خاصة ، وفى المشرق العربى بصفة عامة . ويرى المؤرخون أن عناية الفاطميين بالأعياد والاحتفالات بلغت حدًا لم تبلغه أى دولة من قبل ، فبلغت الأعياد فى عهدهم ما يقرب من ٣٠ عيدًا فى السنة ، شملت الأعياد الإسلامية والقبطية وأعيادًا أخرى أدخلها الفاطميون إلى مصر تأكيدًا لعقيدتهم الشيعية ، كمولد على بن أبى طالب ومولد الحسن والحسين والسيدة فاطمة الزهراء ويوم عاشوراء .

ولا شك أن تنوع هذه الأعياد والاحتفالات وتعددها كان له أكبر الأثر فى تنوع الملابس المصاحبة لها وتعددها أيضًا ، والتى حرص حكامهم على ارتدائها ، يضاف إلى ذلك رغبة الخلفاء الفاطميين أنفسهم فى التميز والظهور بمظهر الثراء والترف ، فيذكر عن الخليفة العزيز بالله أنه قال لعمه حيدرة : (يا عم أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة ، وأرى الذهب والفضة والجواهر ، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار ، وأن يكون ذلك كله من عندى »[٧٠] .

ويوضح لنا هذا النص ميل الفاطميين إلى حياة الترف والبذخ والتمتع بمباهج الحياة ، لذلك لا نعجب من حرصهم الزائد على اقتناء كل ما هو غال من الثياب والمنسوجات ، إذ يذكر أيضًا ابن خلكان (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) عن المعز لدين الله : « كان يعرف الجوهر والبز »[٧١] ، كذلك حرص بعض الخلفاء كالعزيز بالله على إدخال بعض أنواع المنسوجات الراقية إلى مصر فى عهده لتصنع منها ملابسه ، كنسيج السقلاطون (مزيج من الحرير وخيوط الذهب) ونسيج العتابى والشرب[٧٢] ، وهى أنواع من المنسوجات انتشرت ولم تعرف فى مصر إلا فى عهده .

أما عن أهم الملابس التى تميز بها الخلفاء الفاطميون فعديدة ومتنوعة ، وإذا أردنا الحديث عنها ومعرفة التفاصيل الخاصة بها ومكوناتها ، فعلينا أن نتتبع الأعياد والاحتفالات والمواكب التى عنى بها الخلفاء ، لارتباطها المباشر بما ارتدوه من الثياب ، فهى تعكس بوضوح المظهر الرسمى لهم ولملابسهم ، كما تكشف لنا أهم ملامح النظم والرسوم الخاصة بحكمهم .

كانت الأعياد الدينية من أهم الأعياد التى حرص الفاطميون على إحيائها والاحتفال بها ، تأكيدًا للطبيعة المذهبية لخلافتهم ، فكان عيد رأس السنة الهجرية ، وعيدى الفطر والأضحى والجمعة الأخيرة من شهر رمضان والمولد النبوى ، مناسبات يحرص الخلفاء

(٧٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ١ ص٢٤٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٤ ص١٢٥ .

(٧١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ ، جـ٥ ص٨ .

(٧٢) ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة . ص٣٥ .

على الظهور فيها بأفخم ما لديهم من الملابس والخروج فى مواكب تعد لهم ويجهز لها خصيصًا .

كما حرص الخلفاء الفاطميون على إظهار وتأكيد شعار دولتهم من خلال ألوان الملابس التى كانت تغاير ألوان ملابس العباسيين ، وهو ما يؤكد الدلالة السياسية للون فى ذلك العصر واستخدامه كوسيلة من وسائل الدعاية السياسية ، فكان اللونان الأبيض والأخضر من الألوان التى سادت ملابس الفاطميين ، فتحدثنا المصادر عن تفضيل كل من المعز لدين الله والعزيز بالله للون الأخضر وكثرة ارتدائهم له(٧٣) ، أما اللون الأسود فكان لا يلبس كشعار لهم ، بل ارتبط فى أكثر الأوقات بمناسبات الحزن والجنائز ويوم عاشوراء .

وقد أفاضت بعض المصادر فى ذكر تفاصيل ملابس الخلفاء عند خروجهم لهذه الاحتفالات والأعياد، فعن ملابس الخليفة فى بداية العام الهجرى يذكر القلقشندى : «فإذا صلى الخليفة الظهر ، جلس لعرض خزانة الكسوة الخاصة وتعيين ما يلبس فى ذلك الموكب ولباسه فيه ، فيعين منديلاً لشد التاج (العمامة) وبدلة من هذا النوع ، والجوهرة الثمينة وما معها من الجواهر لشد التاج ، وتشد مظلة تشبه تلك البدلة ، وتلف فى منديل دبيقى فلا يكشفها إلا حاملها عند ركوب الخليفة ، ويرفع صاحب المجلس الستر فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة من الأستاذين ، ويخرج الخليفة فى إثرهم فى ثيابه المختصة بذلك اليوم وعلى رأسه التاج الشريف ، والدرة اليتيمة على جبهته وهو مُحنك مرخى الذؤابة مما يلى جانبه الأيسر متقلدًا بالسيف العربى وقضيب الملك بيده »(٧٤) ويضيف لنا ابن الطوير (ت٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) بعض التفاصيل الأخرى الخاصة بملابس الخليفة فى هذا اليوم «ويكون لباسه فيه البياض غير الموشح فيعين على منديل خاص وبدلة »(٧٥)، ومن خلال النصين السابقين يتضح لنا بعض مكونات الملابس التى حرص الخلفاء على ارتدائها فى هذه المناسبة ، فكانت العمامة المرصعة بالجواهر واليواقيت والتى كانت تعرف بالتاج الشريف

(٧٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ١ ص٢٣١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٤ ص٧٤ ، أحمد ابن على الحريرى : منتخب الزمان فى تاريخ الخلفاء . تحقيق عبده خليفة ، دار عشتار بيروت ١٩٩٥ ، جـ٢ ص٢٥٢ .

(٧٤) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . جـ٣ ص٥٧٨-٥٧٩ .

(٧٥) نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين . تحقيق أيمن فؤاد سيد ، بيروت ١٩٩٢ ، ص١٥٥-١٥٦ .

أهم ما يميز ملابس الرأس ، وقد بالغ الفاطميون فى العناية بهذه العمامة فاختص بتجهيزها موظف خاص عرف بشاد التاج ، وهو من أخص خدم الخليفة ، وكان من الأستاذين المحنكين ، وكانت له ميزة عن سائر الخدم لماسة ما يعلو رأس الخليفة ، فكان يشد عمامة الخليفة بشدة تسمى بشدة الوقار ، وهى الشدة العربية فى هيئة مستطيلة(٧٦)، وبلغ من تعظيم هذه العمامة والدرة اليتيمة(٧٧) أن كانت تخفق لها الأعلام ويتجنب الكلام ويهاب عند ارتدائها(٧٨) .

أما عن البدلة فهى الثوب الذى يرتديه الخليفة ، وكان يصنع من الحرير المزين بالرسوم المذهبة ، ويكون مفصلاً على قدر جسده ، يليه ثوب آخر من الحرير الدبيقى ثم قميص حرير آخر بالإضافة إلى سروال له حزام مطرز بالذهب(٧٩) .

وعرف مصطلح البدلة وشاع فى المصادر الفاطمية لهذه المكونات السابقة لملابس الخليفة ، كما اختلفت مكونات البدلة وعدد قطعها من خليفة لآخر ، فيذكر ابن المأمون أن بدلة الخليفة الآمر بأحكام الله بلغ عدد قطعها إحدى عشرة قطعة(٨٠)، كذلك يفهم من النصين السابقين حرص الخلفاء على الخروج بمظلة(٨١)، كانت دائمًا ما تشبه لون ثياب الخليفة ولا تخالف ذلك أبدًا (٨٢)، وكانت المظلة تقليدًا ابتدعه الفاطميون فى مواكبهم وخروجهم للاحتفالات من أيام المعز لدين الله ، ويرى الدكتور عطية مصطفى مشرفة أن

---

(٧٦) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٦ ص١٢٢ .

(٧٧) الدرة اليتيمة : جوهرة عظيمة لا يعرف لها قيمة ، ومن هنا جاءت تسميتها باليتيمة ، ويذكر البعض أن وزنها بلغ سبعة دراهم . ابن الطوير : المصدر نفسه . ص١٥٦ ، الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف . ص١٧٧ .

(٧٨) ابن الطوير : المصدر نفسه . ص١٥٦ .

(٧٩) عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٢٨٩ .

(٨٠) نصوص من أخبار مصر . ص٤٨ .

(٨١) المظلة : هى قبة على هيئة خيمة على رأس عمود ، وكانت لها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة ، وكان حاملها من أكبر الأمراء . ابن الطوير : المصدر نفسه . ص١٥٧ .

(٨٢) القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٣ ص٥٤٢ .

هذا التقليد عرفه الفاطميون من المغرب عندما كان الناس يظللون حكامهم بريش الطواويس(٨٣) .

وعن ملابس الخلفاء فى الاحتفال بالجمعة الأخيرة من رمضان تذكر لنا المصادر بعض الاختلافات فى ملابس الخلفاء ، تمشيًا مع ما يمثله هذا الشهر الكريم من مكانة ، فضلاً عن إمامة الخليفة للمسلمين فيه للصلاة فكان الخليفة يرتدى فى هذا اليوم ثوبًا من الحرير الأبيض غير الموشح بالذهب ، توقيراً للصلاة ، ويتعمم بعمامة من الحرير الأبيض الرقيق مرتديًا فوقها الطيلسان المقور ، بيده القضيب وفى قدمه الحذاء(٨٤)، تظله المظلة المذهبة ، ويحيط به حرسه الخاص(٨٥) . وكان حرص الخليفة على ارتداء الطيلسان المقور المميز لرجال الدين باعتباره شخصية دينية بالدرجة الأولى وإماما للمسلمين فى هذا اليوم .

وأحيانا ما كانت تختلف نوعية الملابس لكل خليفة عن الآخر فى هذه المناسبة ، وهى اختلافات تكاد تكون طفيفة ، فالخليفة الظاهر كان يميل فى هذه المناسبة إلى ارتداء القمصان والأردية الدبيقية(٨٦)، ويبدو أن شهرة مدينة دبيق ومنسوجاتها الراقية جعلت بعض الخلفاء حريصين على أن تكون جميع ملابسهم فى هذه المناسبة من نسيجها .

أما عن ملابس الخلفاء فى احتفال عيد الفطر فكانت أكثر فخامة وبهاءً ، فكان يصنع للخليفة ثوب خاص يسمى البدنة ، وهو قميص يصنع بتنيس لا يدخل فى نسجه من الغزل سوى أوقيتين وينسج باقى بخيوط الذهب بصناعة لا تحتاج إلى تفصيل أو خياطة ، وبلغت قيمته ألف دينار(٨٧)، وكان يلبس تحته ثوب مطرز بالحرير يطلق عليه ثوب وسطانى ،

(٨٣) نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين . ص٩١ .

(٨٤) الحذاء : بدأ ينتشر الحذاء مع الفاطميين بشكل واضح ، وكانت الأحذية ذات رقبة طويلة ، وكانت تتناسب فى لونها مع لون الرداء الخارجى . صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٣١٨ .

(٨٥) المسبحى : نصوص ضائعة من أخبار مصر . تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨١ ، ص١٣-١٤ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص١٥٩-١٦٠ .

(٨٦) كان ولع الخليفة الظاهر بالمنسوجات الدبيقية كبيرًا ، حتى أن مظلته فى هذا اليوم كانت تصنع أيضًا من النسيج الدبيقى المذهب . المسبحى : أخبار مصر فى سنتين . تحقيق وليم چ . ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ ، ص١٨٠-١٨٣ .

(٨٧) كاتب مراكشى : كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار . تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، العراق ١٩٨٥ ، ص٨٧-٨٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٣ ص٥٦ ،

M. S. Dimand : A handbook of Muhammadan Art. P. 254 .

وعلى الجسد غلالة منسوجة من القماش الخفيف الشفاف المطرز أيضًا بالحرير ، ويلبس حول وسطه حزام عريض يعلوه حزام آخر مطرز بالذهب يعقد ويتدلى جزء منه من الأمام(٨٨) .

أما عن غطاء الرأس فكان الخليفة يرتدى عمامة منظومة بالجواهر تتصدرها الدرة اليتيمة، ويلف حول العمامة منديل يعرف بشاش العمامة منسوج بخيوط الذهب ، ويربط المنديل حول العمامة بطريقة مميزة ، ويلبس فى قدميه حذاء من الجلد(٨٩) .

وعلى الرغم من أهمية عيد الفطر لدى الفاطميين ، وحرصهم على الخروج للصلاة بهذه الهيئة السابقة من الثياب ، إلا أن بعض الخلفاء كالحاكم بأمر الله خاصة فى المرحلة الأخيرة من حكمه ، كان لا يبالى بهذه النظم والرسوم ، فكان يميل إلى البساطة والتواضع عند خروجه فى هذا اليوم ، فيحدثنا المقريزى عن موكب الحاكم فى هذا اليوم عام ٤٠٣هـ « وركب فى يوم الفطر إلى المصلى بغير شيء مما كان يظهر فى هذا اليوم من الزينة والجنائب ونحوها فكان فى عشرة أفراس جياد بين يديه بسروج ولجم محلاة بالفضة البيضاء الخفيفة، ومظلة بيضاء بغير ذهب ، وعليه بياض بغير طرز ولا ذهب ولا جوهر فى عمامته »(٩٠) .

ويبدو أن ميل الحاكم بأمر الله ونزوعه إلى حياة الزهد والتصوف فى آخر أيامه انعكس بشكل واضح ومباشر على النظم والرسوم المتبعة فى الاحتفال بالأعياد فى عهده ، حتى إنه لم يعد يبالى بما كان عليه أجداده وآباؤه وما تقتضيه مكانة الخليفة وهيئته ، ليس فى هذا اليوم فحسب بل فى أغلب الأعياد والاحتفالات ، وهى سمة انفرد بها الحاكم بأمر الله فى هيئته ولازمته حتى وفاته سنة ٤١١هـ.

---

(٨٨) عبد المنعم سلطان : المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ، ص٢٨٨ و ٢٨٩ .

(٨٩) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص٧ ، ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص٤٢ ، ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٨٩ .

(٩٠) اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص٩٧ ، محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية . مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٣ ص١٦٥ .

وأما بالنسبة لملابس الخليفة فى عيد الأضحى ، فكانت تختلف بعض الشيء عن عيد الفطر ، فكان الخليفة يلبس فيه لباسًا أحمر موشى ومظلته كذلك ، ليتناسب مع ذبح الأضاحى التى كان على الخليفة أن يقوم بذبح قدر كبير منها طيلة ثلاثة أيام ، ثم يستريح فى اليوم الرابع(٩١) ، وكانت ملابس الرأس العمامة السابقة بالدرة اليتيمة وشدة الوقار بغير قضيب ملك فى يده(٩٢) .

وكانت هيئة وملابس الخليفة تتكرر فى الأعياد والاحتفالات الأخرى مع بعض الاختلافات التى تقتضيها طبيعة المناسبة ، ففى موكب فتح الخليج وبعد أن يأخذ النيل فى الزيادة ، كان الخليفة يخرج فى موكب حافل مرتديًا ثوب البدنة والتاج الذى فيه اليتيمة ، ولا يخلى المظلة على رأسه فى ذلك اليوم (٩٣) ، فإذا صلى العصر ركب لابسًا غير الثياب التى كانت عليه فى أول النهار ، ويتوجه إلى تربة آبائه للترحم عليهم(٩٤) .

ويتجلى من دراسة مواكب الخلفاء اختلاف ملابسهم التى يرتدونها فى الذهاب عنها فى العودة ، فيذكر ابن المأمون : « ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تختان(٩٥) ضمنهما بدلتان إحداهما منديلها وثوبها طميم(٩٦) برسم المضى ، والأخرى جميعها حريرى برسم العود»(٩٧) ، وهو ما يؤكد اهتمام وعناية الفاطميين بالملابس وتخصيص الزى المناسب لكل موكب ، ويظهر ذلك بوضوح فى المواكب الأخرى التى كان يتطلب الظهور فيها بمظهر خاص يعبر عن طبيعة المناسبة ، كالاحتفال بيوم

(٩١) ابن المأمون : نصوص من أخبار مصر . ص٤١ ، القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٣ ص٥٨٨ .
(٩٢) ابن المأمون : المصدر نفسه . ص٤١ .
(٩٣) القلقشندى : المصدر نفسه . جـ٣ ص٥٩٠-٥٩٣ .
(٩٤) ابن المأمون : المصدر نفسه . ص٥٨ .
(٩٥) التخت : وعاء تصان فيه الثياب وتحفظ ، فارسى معرب : الجاحظ : الحيوان . جـ٥ ص٣٨٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص١٥ .
(٩٦) طميم : ضرب من التطريز تحلى به الثياب النفيسة ويكون غالبًا من الذهب . المسبحى : أخبار مصر فى سنتين . ص٣١ هامش (٤) .
(٩٧) نصوص من أخبار مصر . ص٧٤ .

عاشوراء أو الخروج فى الجنائز ، ففى يوم عاشوراء[٩٨] حرص الخلفاء على ارتداء الثياب القاتمة غير الموشاة واضعين على وجوههم اللثام[٩٩][*] إظهارًا للحزن[١٠٠] ، وربما لإخفاء وجوههم استنكارًا لما حدث للحسين بن على .

كما حرص الخلفاء فى التعبير عن حزنهم وجزعهم فى الجنائز ، فارتدوا الملابس المعبرة عن ذلك ، فقد خرج الحاكم بأمر الله فى جنازة والده العزيز بالله وعليه دراعة مصمتة[١٠١] وعمامة فيها الجوهر وبيده رمح وقد تقلد السيف[١٠٢] ، كذلك خرج الخليفة الحافظ فى جنازة وزيره بهرام الأرمنى مرتديًا عمامة خضراء وثوبًا أخضر بغير طيلسان[١٠٣] ، فكان ترك ارتداء الطيلسان مظهرًا أيضًا من مظاهر الحزن فى خروج الخلفاء للجنائز .

أما عن ملابس الخلفاء فى مناسباتهم الخاصة كالصيد والنزهة وتفقد أحوال الرعية ، فكانت مختلفة ومتنوعة أيضًا ، بل اختلفت من خليفة لآخر ، فعرف عن الخليفة الظاهر كثرة خروجه للتنزه فى عين شمس والمقس ، فيذكر المسبحى : « وركب الظاهر إلى نواحى

---

(٩٨) كان الخليفة العزيز بالله هو أول من بدأ بإحياء هذا اليوم ، ثم تبعه من جاء بعده من خلفاء الفاطميين ، ويمثل هذا اليوم ذكرى مقتل الحسين بن على بكربلاء فى اليوم العاشر من شهر المحرم عام ٦١هـ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٤ ص١٢٦ .

(٩٩) اللثام : كان اللثام معروفًا منذ القدم عند العرب للتخفى والتنكر ، بل استخدمه بعض الخلفاء العباسيين ، فكان الرشيد كثيرًا ما يتلثم فيحضر مجالس العلماء بالعراق وهو لا يُعرف . ابن قتيبة : الإمامة والسياسة . تحقيق طه محمد الزينى ، مؤسسة الحلبى ١٩٦٧ ، جـ٢ ص١٦ .

(*) الملحق : شكل رقم (٣) .

(١٠٠) ابن المأمون : نصوص من أخبار مصر . ص٣٥ ، جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق . دار الفكر العربى ١٩٧٣ ، ص١٩٢ .

(١٠١) مصمته : لون واحد لا يخالطه لون آخر . المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص٣ ، محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية . ص٩٠-٩١ .

(١٠٢) المقريزى : المصدر نفسه . جـ٢ ص٣ .

(١٠٣) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر . ص١٣٣ ، المقريزى : المصدر نفسه . جـ٣ ص١٧٥ .

عين شمس وعليه ثوب نبكي[١٠٤] أحمر معلم[١٠٥] مذهب دبيقى ، وعلى رأسه عمامة شرب نبكى مذهبة »[١٠٦]، ومرة أخرى نلحظ حرص بعض الخلفاء على ارتداء الملابس المنتجة فى مدينة دبيق والتى اعتبرت منسوجاتها من أرقى وأغلى المنسوجات المصرية .

أما عن الخليفة الحاكم بأمر الله فعرف عنه أيضًا كثرة الخروج سواء للصحراء أو الفسطاط وجبل المقطم ، فضلاً عن تجواله فى الأسواق ، وقد اختلفت ملابسه فى بداية عهده عنها قبيل وفاته ، فكان فى البداية حريصًا على التزيى بزى آبائه وأجداده ، فكان يرتدى الثياب المذهبة الفاخرة والعمائم المنظومة بالجواهر[١٠٧]، إلا أنه بعد ذلك بدأ فى إظهار الزهد والتقشف خاصة بعد عام ٤٠٠هـ، فأكثر من لبس الصوف والخروج بمفرده دون موكب مكتفيًا بغلام أو غلامين ، وكانت الدراعة والجبة المصنوعتان من الصوف هى الملابس المفضلة له فى هذه المرحلة[١٠٨]، أما غطاء الرأس فاكتفى الحاكم بارتداء شاشية مكشوفة دون عمامة ، أو التعمم بفوطة من النسيج الرخيص[١٠٩].

وعلى الرغم من بعد الفاطميين عن استعمال اللون الأسود فى ملابسهم بكثرة إلا فى مناسبات الحزن والجنائز ، إلا أن الحاكم بأمر الله أكثر من استخدامه فى ملابسه فى المرحلة الأخيرة من حكمه بعد أن مال إلى الزهد والتصوف[١١٠]، ويصف المقريزى هذه الظاهرة

(١٠٤) نبكى : نسبة إلى النَبك وهى قرية بين حمص ودمشق . المسبحى : أخبار مصر فى سنتين . ص٣١ هامش(٢)

(١٠٥) معلم : جعل فيه علامات أى زين وطرز بالذهب ، المصدر السابق ص ٣١ هامش (٣) .

(١٠٦) المسبحى : المصدر نفسه . ص٣٧ .

(١٠٧) ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة . ص٥٠ .

(١٠٨) ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والسلاطين . تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، جامعة أم القرى (د. ت) ص٢٠٥ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص١٠١ ، ابن تغرى بردى : مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة . تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٧، جـ١ ص٢٧٥ .

(١٠٩) المسبحى : أخبار مصر فى سنتين . ص٣١ ، ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة . ص٦٦، المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص٩٩-١٠٨-١١٠ .

(١١٠) ابن ظافر : المصدر نفسه . ص٥٥ ، محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية . ص١٦١ ، عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٢٩٢ .

بأن الحاكم كان يتشبه بملابس الرهبان فى تلك الفترة والتى ميزها اللون الأسود(١١١)، كذلك اكتفى الحاكم بارتداء الحذاء العربى البسيط (النعل)(*) .

وتعتبر ملابس الحاكم فى أواخر عهده استثناءً من القاعدة العامة التى سار عليها أغلب الخلفاء الفاطميين ، وهو استثناء له ما يبرره لارتباطه بشخصية ومزاج الحاكم ، الذى تميز بالغموض والغرابة والبعد عن المألوف ، فلم نسمع عن هذا الزهد والبساطة فى الملبس لدى بعض الخلفاء سوى فى عهد المستنصر بالله حين حدوث الشدة العظمى ، التى اضطرته - مرغمًا - إلى بيع ما لديه من غالى الثياب ، حتى إنه شوهد فى إحدى حجراته جالسًا على حصير بال لابسًا قبقابًا(١١٢)(**) .

أما أغلب الخلفاء - قبل وبعد الحاكم والمستنصر - فقد أولوا الملابس عنايتهم واهتمامهم الفائق ، حتى أصبحت لملابس الخليفة مكانة عالية فى نفوس الأمراء والرعية باعتباره إمام المسلمين وخليفتهم ، فكان الولاة والوزراء يقفون احترامًا عند تسلمهم ملابس الخليفة من مصانع النسيج ، بل كان من التبرك للشخص أن يلبس ثوبًا من الملابس التى كان قد لبسها الخليفة من قبل ، كما اعتبر تقبيل طرف الرداء شرفًا عظيمًا لا يناله إلا المقربون من الخليفة من الوزراء والأمراء(١١٣) .

وكانت خزانة الكسوة الشريفة الخاصة بملابس الخلفاء من أهم الحجرات التى ضمها قصر الخليفة ، وكان يشرف عليها وعلى جميع ملابس الخليفة وتجهيزاتها المعقدة سيدة تدعى بزين الخزان ، تعاونها فى عملها ثلاثون جارية ، وكان الخليفة لا يغير ثيابه إلا

(١١١) اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص١١٧ .
(*) الملحق : شكل رقم (٢٦) .
(١١٢) المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة . ص٢٥ . ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة . ص٧٥ ، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر . ص٢٥٨ .
(**) الملحق : شكل رقم (٥٠) .
(١١٣) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم . جـ١ ص٦٩ ، عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عهد الفاطميين . ص٧٩ .

عندها[١١٤]، وهذا ما يؤكد خصوصية الملابس لدى الخلفاء الفاطميين ويدعمها ، حتى إن الخليفة كان لا يحتفظ بأى ثياب لدى زوجاته ، كما حرص الفاطميون على جلب أنواع شتى من العطور والعنبر والورود والرياحين وإلحاقها بخزانة الكسوة لتعطير ثيابهم يوميًا[١١٥].

وعن الملابس اليومية للخلفاء داخل قصورهم فى غير أوقات المواكب والاحتفالات أو المقابلات ، والتى عرفت بالملابس الدارية ، فكانت تختلف بعض الشىء عن ملابسهم الرسمية ، فكانت تتميز بالبساطة وقلة مكوناتها لتتيح لهم حرية الحركة داخل قصورهم ، فكان أهم ما ميزها قصر الأكمام وقلة اتساعها[١١٦].

وكانت أكثر ملابسهم اليومية داخل القصور القفطان ، فعرف عن الخليفة العزيز بالله أنه دائمًا ما كان يتخفف فى ملابسه الدارية مكتفيًا بالقفطان وحول وسطه الحزام[١١٧].

مما سبق يتضح لنا مدى التطور الذى طرأ على ثياب الحكام وملابسهم فى مصر ، فبلغ فى عهد الخلفاء الفاطميين درجة كبيرة من الرقى والازدهار ، لما ارتبط بهم من نظم للحكم ورسوم ساروا عليها فى سياستهم وحياتهم الشخصية ، فأظهرت بوضوح الثراء المادى لدولتهم وارتباط الزى الرسمى بالعقيدة المذهبية لهم كارتداء اللون الأخضر ، وهو ما اختلف عمن سبقهم من الحكام فى عصر الولاة والدولتين الطولونية والإخشيدية ، فبدا واضحًا ارتباط الملابس فى عصرهم بالمواكب والاحتفالات والأعياد ، والتى بالغوا فى العناية بها واستخدامها كإحدى الوسائل الجيدة والمؤثرة فى الدعاية السياسية والمذهبية لخلافتهم .

(١١٤) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . جـ٢ ص٢٦٢ .
(١١٥) المصدر نفسه . جـ٢ ص ٢٦٢ .
(١١٦) المصدر نفسه . جـ٢ ص٢٦٢ .
(١١٧) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر . ص١٧٦ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ١ ص٢٩٣ .

على الجانب الآخر كان من مظاهر التطور الذى طرأ على ملابس الحكام خاصة الخلفاء الفاطميين ارتباط الملابس بعناية الخلفاء أنفسهم ، وحرصهم على استحداث بعض المنسوجات غالية القيمة واستخدامها فى ملابسهم . كنسيج الشرب الرقيق ، والحرير المذهب ، وخيوط الذهب والفضة ، فازدهرت معهم بعض المدن المصرية التى تخصصت فى إنتاج هذه الأنواع من المنسوجات؛ مما أدى إلى تهافت أغلب مدن وبلدان العالم الإسلامى فى المشرق والمغرب ، إلى الحصول على هذه المنسوجات بأسعار عالية ، فكان لذلك أكبر الأثر فى إحداث رواج اقتصادى وشهرة لهذه المدن المصرية كدبيق وتنيس ودمياط والإسكندرية .

كذلك كان من مظاهر التطور الذى أحدثه الفاطميون فى الملابس ولم يعرف من قبل ، حرصهم على استخدام بعض المكملات والإضافات الخاصة فى ملابسهم ، كالأحجار الكريمة والجواهر واليواقيت ، خاصة فى تزيين غطاء الرأس الذى احتل لديهم مكانة ومنزلة كبيرة ، فاشتهر بعض خلفائهم - كالعزيز بالله - بارتداء العديد من العمائم المزينة بخيوط الذهب والمرصعة بالعديد من الجواهر واليواقيت ، بأحجامها وألوانها المختلفة ، حتى إن إحدى هذه العمائم بلغ طولها ما بين الستين ذراعًا والمائة(١١٨)، كذلك استخدام الأحزمة (المناطق) المرصعة أيضًا بالجواهر واليواقيت كعنصر مكمل لتزيين الثياب من الخارج .

وكان من مظاهر التطور الذى حرص الفاطميون كذلك على إظهاره فى ملابسهم واختلف عمن سبقهم من الحكام ، العناية الفائقة بالألوان وتناسقها فى ملابسهم ، فعمد الفاطميون إلى اختيار الألوان لتتماشى مع كل موكب واحتفال وربطها بلون المظلة المصاحبة لهم فى مواكبهم ، فضلاً عن الخروج والعودة فى نفس الموكب بملابس مختلفة ، لإضفاء نوع من الفخامة والمهابة عليهم.

(١١٨) عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٢٨٠ ،
Stanley Lane-Poole : History of Egypt in the Middle Ages. P. 122 .

ولا شك أن الثراء المادى الذى صاحب الخلافة الفاطمية والتقدم الصناعى الذى شهدته صناعة الملابس والمنسوجات فى عصرهم ، كان له انعكاس كبير على تطور الزى الرسمى فى العالم الإسلامى عامة وفى مصر بصفة خاصة ، فانتقلت الملابس فى عهدهم من كونها وسيلة من وسائل الظهور اللائق والمتميز للحكام عن الرعية ، إلى كونها مظهرًا مهمًا من مظاهر النظام السياسى للحكم وبخاصة خلال حكم الفاطميين لمصر .

الفصل الرابع

ملابس رجال الدولة والجيش

تمثل ملابس رجال الدولة وموظفيها حلقة أخرى من حلقات تطور الزى الرسمى فى الحياة السياسية وأنظمة الحكم فى مصر ، فكانت وظائفهم ومكانتهم السياسية جزءًا مكملاً للنظام السياسى ، ويقصد بموظفى الدولة الرجال المعاونون للسلطة السياسية من وزراء وأمراء وقواد الجيش وولاة الأقاليم وقضاة وكتاب وما إلى ذلك .

كان على رأس رجال وموظفى الدولة الوزراء ، فاحتلوا منزلة ومكانة كبيرة فى النظام السياسى بعد الحكام والخلفاء ، بل طغت سلطتهم ومكانتهم - فى بعض الأحيان - على سلطة الحكام والخلفاء ، خاصة فى العصر الفاطمى الثانى ، حتى سمى بعصر الوزراء العظام .

ومن الجدير بالذكر أن منصب الوزارة لم يعرف فى النظام السياسى لمصر بالشكل الرسمى إلا مع بداية الدولة الإخشيدية ، وإن كان عرف قبل ذلك فى الخلافة العباسية ، فكانت وظيفتهم مؤثرة فى بغداد طيلة العصر العباسى ، أما فى مصر فلم يتبلور كيانهم الوظيفى ودورهم فى شئون الحكم إلا مع الخلافة الفاطمية .

أما عن ملابس كبار رجال الدولة فى العصر الإخشيدى ، فمن الملاحظ من خلال ما جاء فى أغلب المصادر بخصوصهم ، أن ملابسهم - خاصة الوزراء - لم تختلف عن ملابس الوزراء فى الخلافة العباسية ، فجاءت أغلبها متماثلة مع الوزراء العباسيين ، فكانت الدراعة والقميص والمبطنة (نوع من الجباب)(*) والقباء والمناطق والأحزمة وأغطية الرأس والخف ، أهم ما ميز ملابسهم الرسمية .

(*) دوزى : المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب ، ص٩٤ .

(١) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب . ص٢٤ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الإخشيديين . ص١٦٦ .

أما عن أغطية الرأس فاحتلت مكانة كبيرة ضمن ملابسهم ، فكانت القلانس والعمائم أهم ما ميزهم ، وكان الغالب ـ دائمًا ـ على ألوانها السواد (شعار العباسيين)[1] أما الطيلسان فتركه الوزراء للفقهاء والعلماء ، فيذكر ابن سعيد (ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) : «استعان الإخشيد بأبى محمد بن على الماذرائى فأطلقه من اعتقاله واستوزره فى رجب سنة ٣٢٨هـ وخلع عليه ومشى الأشراف وسائر الناس فى ركابه ، واستكتب ابنه الحسين بن محمد ورد إليه التدبير بمصر والشام والرملة ، ولبس الدراعة ونزع الطيلسان»[2] .

ونستنتج من النص السابق أن الدراعة[*] فى عصر الإخشيديين كانت اللباس الرسمى للوزراء كما كانت لدى العباسيين ، وأن لبس الطيلسان لم يكن من الملابس المميزة لهم ، وهو ما يؤكد ـ كما ذكرنا ـ توحد الملابس الخاصة بالوزراء فى مصر وبغداد ، ولا عجب فى ذلك فقد حكم الإخشيديين باسم الخلافة العباسية .

أما عن ملابس الوزراء الفاطميين فتمدنا المصادر بالكثير من التفاصيل الخاصة بملابسهم ، فتبرز لنا بجلاء أهم ما ارتدوه وأضافوه ، ومدى مشاركتهم لخلفائهم فى حب الظهور والتميز فى مظهرهم .

كانت سلطة الوزير ومهامه عاملين مؤثرين من عوامل تميز الملابس الخاصة به ، فكانت هناك بعض الاختلافات فى ملابس وزراء السيوف عن ملابس وزراء الأقلام ، «فكان من زى وزرائهم أصحاب الأقلام أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم كالعدول ، وينفردون بلبس الدراريع مشقوقة من النحر إلى أسفل الصدر بأزرار وعُرَى ، وهذه علامة الوزارة»[3] . وكان إرخاء طرف العمامة على الظهر[*] يعد تكريمًا لصاحبها ، لا يسمح لأى شخصًا أن يفعل ذلك خاصة فى المواكب الرسمية غير الخليفة والوزير .

أما عن ملابس وزراء السيوف فأضيف إليها – علاوة على ما سبق – ارتداء الطيلسان المقور أو الطرحة ، خاصة فى العصر الفاطمى الثانى ، وذلك بعد أن أضيفت إليهم مهام

(٢) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب . ص٢٥ .
(*) الملحق : شكل رقم (١٩) .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٣ ، ص٥٦٢ .
(**) الملحق : شكل رقم (١) .

جديدة أهمها أمور الدعوة والقضاء ، عدا ذلك كانت ملابس الوزراء الفاطميين تنحصر فى الدراعة المشقوقة من الأمام إلى أسفل الصدر بعرى وأزرار ، تكون - غالبًا - من ذهب أو لؤلؤ مع وضع طوق من الذهب حول الرقبة(٤)، كما ارتدوا الأحزمة المذهبة والمرصعة بالجواهر(*) والأحجار الكريمة ، وكان الوزير يرتدى تحت الزى السابق سروالاً ينسدل بضيق عند الأقدام(٥)(**)، كما كان تقلد السيف المذهب من المكملات التى اتسمت بها هيئة الوزراء أصحاب السيوف ؛ علامة على أن أمرهم نافذ على أرباب الأقلام(٦).

أدخل على ملابس بعض الوزراء فى العصر الفاطمى الثانى بعض التغيير ، فبدلاً من الطوق الذهب خلع عليهم بالعقد المنظوم بالجوهر كبدر الجمالي(٧). وعلى المستوى الشخصى للوزراء فى العصر الفاطمى ، بلغ من عناية بعضهم بالملابس إلى اقتناء قدر كبير من مختلف الأنواع والأشكال ، وحيازة الفاخر والثمين من المنسوجات ، فيذكر المقريزى عن الوزير الأفضل بن بدر الجمالى : « وجد له من أصناف الديباج وما يجرى مجراه من عتابى ونحوه تسعون ألف ثوب وثلاث خزائن كبار مملوءة صناديق كلها دبيقى وشرب عمل تنيس ودمياط على كل صندوق شرح ما فيه وجنسه »(٨)، وعلى الرغم من المبالغة التى يحملها نص المقريزى لأعداد الثياب إلا أنه يعطينا دلالة واضحة على مدى اهتمام الأفضل بالملابس والمنسوجات واختيار أقيمها .

أما الوزير أبو الفتوح برجوان (ت٣٩٠هـ) ، فترصد لنا بعض المصادر ما كان بحوزته من الثياب والملابس ما يدعو للدهشة ، فيذكر ابن تغرى بردى : « ووجد له ألف قميص ،

---

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٤ ، ص٨٧ .
(*) الملحق : شكل رقم (٥٢).
(٥) ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٩٠ ، ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص٤٣ .
(**) الملحق : شكل رقم (٢٥).
(٦) محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء . ص٥٩ .
(٧) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم . جـ١ ، ص٩٠ ، محمد حمدى المناوى : المرجع نفسه . ص٥٩ .
(٨) اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٧٠ .

وألف سروال ، وألف تكة[٩] حرير فى كل تكة نافحة مسك ونافحة عنبر ، ومائة منديل شرب معممة كلها على مائة شاشية»[١٠] .

ويمكن أن نستنتج من المبالغة فى الأرقام والأعداد الخاصة بثروات الوزراء من الملابس ، أن جزءًا كبيرًا منها كان مخصصًا للهدايا والمنح التى يمنحها الوزراء أنفسهم لذويهم وأتباعهم ، علاوة على ما كان يمنح لهم ويخلع عليهم من الخلفاء .

بلغ من ولع بعض الوزراء بالملابس واقتناء النفيس منها إلى صنع أنوع نادرة خاصة بهم ، فيذكر المقريزى عن الوزير أبى نجاح الراهب (ت٥١٥هـ) وزير الخليفة الآمر بأحكام الله : « وكان يعمل له فى تنيس ودمياط ملابس مخصوصة به من الصوف الأبيض المنسوج بالذهب فيلبسها ومن فوقها غفارة[١١] ديباج»[١٢] .

وكان لسلطة الوزراء وارتفاع رواتبهم[١٣] ومخصصاتهم وما حازوه من ممتلكات أكبر الأثر فى اقتنائهم لكل هذه الثياب ، فضلاً - كما ذكرنا - عن الهدايا والخلع التى كانت تمنح لهم فى العديد من المناسبات ؛ لذلك شكلت الملابس والمنسوجات قدرًا كبيرًا من ثرواتهم ومظاهر ترفهم .

على الجانب الآخر تأثرت ملابس الوزراء فى العصر الفاطمى بالنظم والرسوم التى وضعها الخلفاء فى الاحتفالات والمناسبات والمواكب ، خاصة فى الالتزام بدلالة اللون ، ففى يوم عاشوراء والجنائز حرص الوزراء على الخروج بالألوان القاتمة - السوداء - والعمائم الصغيرة[١٤] ، كما يذكر ابن ميسر عن الوزير طلائع بن رزيك حين قتل الخليفة الظافر :

(٩) التكة : رباط السراويل وجمعها تكك ، وهى فارسية معربة . ابن سيده : المخصص . جـ١ ، ص٨٤ .

(١٠) مورد اللطافة . جـ١ ، ص٢٧٦ .

(١١) يقصد هنا بالغفارة المعطف ، اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص١٢٧ هامش (٢) .

(١٢) اتعاظ الحنفا . جـ٣ ص١٢٧ .

(١٣) بلغ راتب الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله مائة ألف دينار .

Stanley Lane - Poole : History of Egypt in the Middle Ages. P. 120 .

(كان أعلى راتب للوزير فى العصر الفاطمى خمسة آلاف دينار شهريا مما يؤكد خطأ ما ذهب إليه لين بول) .

(١٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٢ ، ص١٥٤ .

«ودخل طلائع القاهرة وشقها بعساكره وهو لابس ثيابًا سوداء ، وأعلامه وبنوده سود ، حافى القدم»[١٥] .

مما سبق يتضح انعكاس مكانة الوزراء ومنزلتهم على ما ارتدوه من ملابس ، فلم تقل ملابسهم عن ملابس الخلفاء والحكام روعة وفخامة ، بل سعى بعضهم إلى تمييز أنفسهم بصنع ملابس خاصة بهم من أفخم المنسوجات والأقمشة ، التى كان الخلفاء أنفسهم يصنعون ملابسهم منها ؛ لذلك كانت ملابسهم أحد الأشياء التى حرص الخلفاء على مصادرتها عندما كان يحدث ما يعكر العلاقة بين الخليفة والوزير [*] .

اعتبر القضاة من كبار موظفى الدولة ، فكانت منزلتهم عالية بين أرباب الوظائف الدينية ، لما عهد إليهم من النظر فى أمور الشرع وإصدار الفتاوى والأحكام ، لذلك تعد ملابس القضاة انعكاسًا لمكانتهم الدينية وتجسيدًا لكل ما جاءت به السنة المطهرة من أحكام وآداب فى الملبس[**] .

كانت أغطية الرأس أحد المظاهر البارزة فى ملابس القضاة ، فامتازت عمائمهم - دائمًا - بكبر حجمها عن باقى العمائم الأخري[١٦] ، باعتبارها رمزًا وشعارًا إسلاميًا ارتبط بهم[١٧] ، لذلك كانت عمائمهم ضمن ملابس التشريف والخلع التى تمنحها الدولة لهم سواء عند توليهم لمنصبهم أو فى المناسبات والأعياد ، خاصة فى العصر الفاطمى[١٨] .

---

(١٥) المنتقى من أخبار مصر . ص١٥٠ .

(*) انظر : البخارى وابن حنبل ، ص١٧ من التمهيد .

(**) محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ص٥٩ .

(١٦) الجاحظ : البيان والتبيين . جـ٢ ، ص٦٧ .

(١٧) يحيى الجبورى : الملابس العربية فى الشعر الجاهلى . دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٩ ، ص٧ ، يذكر ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) : « كان عماد الدين الكندى قاضى الإسكندرية وإمامًا من أئمة اللسان ، وكان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم ، لم أر فى مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها ، رأيته يومًا قاعدًا فى صدر محراب وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب » ، وعلى الرغم من مبالغة ابن بطوطة فى وصفه لعمامة أحد القضاة ، إلا أنها تعطينا مؤشرًا ودلالة على اختلاف عمائم القضاة عن غيرها وتميزها . تحفة النظار فى غرائب الأمصار . جـ١ ، ص٣٨ .

(١٨) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص١١٦ .

ونظرًا لما احتلته العمامة فى ملابس القضاة ، اعتبر سقوطها أو أخذها من الأمور المشينة للقاضى أو الواجبة للعزل ، فيروى أن القاضى الشافعى أبا بكر بن الحداد والقاضى المالكى أبا الذكر محمد والقاضى عبد الله بن وليد ، تنازعوا يومًا فى مجلس الإخشيد وحدث بينهم لغط كثير فلما انصرفوا قال الإخشيد : « يجرى هذا فى مجلسى ! كدت والله أن آمر بأخذ عمائمهم »[١٩] ، كذلك يذكر ابن ميسر : « أضيف لقاضى القضاة هبة الله بن حسن الأنصارى الأوسى المعروف بابن الأزرق تدريس دار العلم ، فمضى إليها وكان مدرسها الفقيه أبا الحسن على بن إسماعيل ، فجرى بينهما مفاوضات أدت إلى المصافعة والخصام ، فخرج القاضى إلى القصر ماشيًا وقد تخرقت ثيابه وسقطت عمامته ، فأعلم الحافظ بالخبر فعظم عليه خروج القاضى فى الأسواق على تلك الهيئة ، فصرفه عن الحكم ورسم عليه وغرمه مائتى دينار وألزمه داره »[٢٠] ، وتبرز لنا هذه الروايات حرص الحكام والخلفاء فى الحفاظ على المظهر العام للقضاة ، لاعتبارهم القدوة والمثل الدينى بين سائر الطبقات .

كما اختص القضاة بارتداء نوع آخر من أغطية الرأس عرف بالطيلسان[٢١](*) ، وهو من الأغطية التى ارتبطت بقاضى القضاة عند حضور مجالس الخلفاء والاحتفالات والمواكب ، وكانت ألوان الطيلسان للقضاة - دائمًا - ما تتماشى مع شعار ومذهب الدولة ، فعند تبعية مصر للخلافة العباسية كانت سوداء ، أما مع الخلافة الفاطمية فأصبحت خضراء[٢٢] ، كذلك اتسمت طيالس القضاة فى مناسبات الحزن والعزاء بأنها زرقاء[٢٣] .

(١٩) الكندى : الولاة والقضاة . ص٥٦٦ .

(٢٠) المنتقى من أخبار مصر . ص١٣٢ .

(٢١) الطيلسان : لفظ فارسى معرب عن تالسان ، وهو غطاء يوضع على الرأس فوق العمامة ويرسل طرفاه على الصدر من دون أن يدار من تحت الحنك ، ويلف حول الرقبة ويرسل طرفاه المكفوفان من الوراء ، وقد عرف منه عدة أشكال ، فكان المدور والمثلث والمربع ، كما ارتبط بالوزراء والقضاة نوع منه عرف بالطيلسان المقور .

الجواليقى : المعرب . ص٢٢٧ ، أدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة . ص١١٣ ، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٧٤ .

(*) الملحق : شكل رقم (١٣) .

(٢٢) الكندى : الولاة والقضاة . ص٣٧٨ .

(٢٣) صلاح العبيدى : المرجع نفسه . ص٢٧٥ ، عبد العزيز حميد : المنسوجات . ص٢٧٣ .

كانت الطرحة - أيضًا - ضمن أغطية الرأس الشبيهة بالطيلسان ، فكانت تصنع من النسيج الرقيق كالشاش الموصلى أو نسيج القصب ، وهى تلاث على العمامة أو تطرح على الكتفين وتتدلى على الظهر كالطيلسان ، ويذكر الهيتمى أنها كانت ضمن شعار القضاة الخاص[٢٤] .

أما عن القلانس الخاصة بالقضاة ، فامتازت أيضًا عن بقية القلانس بالطول[٢٥](*) ، فكانت تعرف بالدنية لتشابهها بالدن (دورق طويل الرقبة) وظلت مستعملة لديهم لفترة حتى استبدلوها بقلانس أقل حجمًا[٢٦] .

وإذا ما انتقلنا لملابس البدن الخارجى ، فسنجدها عديدة ومتشابهة إلى حد ما ، فكان القباء والجبة والدراعة والعباءة والبردة والقفطان ، أهم ما ارتدوه من ملابس رسمية[٢٧] ، كما كانت القمصان والغلائل (جمع غلالة) ضمن الملابس التى تخلع عليهم ، خاصة القضاة فى العصر الفاطمى ، فيذكر المسبحى عن القاضى مالك بن سعيد الفاروقى : « وكان القاضى كلما مر ذكر الحاكم فى السجل قَبّل الأرض ، فلما فرغ خلع عليه قميص مُصمت وغلالة مذهب وعمامة مذهب »[٢٨] ، كذلك أورد ابن حجر العسقلانى عن خلعة القاضى أبى العباس بن أبى العوام السعدى : « وكانت الخلعة غلالة وقميصًا دبيقيًا معلمًا وثوب مُصمت وعمامة شرب كبيرة مذهبة »[٢٩] .

كما عرفت بعض الأنواع الخاصة من الأقبية التى ارتداها القضاة ، كانت تسمى بالفرجية ، وهو قباء امتاز باتساعه وطول أكمامه ، وكان له - دائمًا - فتحة من الخلف ميزته

(٢٤) در الغمامة فى در الطيلسان والعذبة والعمامة . ورقة رقم ٢٠ .

(٢٥) يبدو أن قضية الحجم والطول فى أغطية الرأس للقضاة كانت من السمات الخاصة بهم ، لما اتسموا به من إعمال الفكر والعقل ، وما ارتبط به رجال الدين من إبراز أغطية الرأس .

(*) الملحق : شكل رقم (٥) .

(٢٦) آدم متز : الحضارة الإسلامية . جـ٢ ص٢٢٦ ، ميخائيل عواد : مصطلحات حضارية فى التراث العربى . ص١٠٤ .

(٢٧) عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٣٠٠ .

(٢٨) نصوص ضائعة من أخبار مصر . ص٣٦ .

(٢٩) رفع الإصر عن قضاة مصر . جـ١ ، ص١٠٢ .

عن سائر الأقبية الأخرى[٣٠]، كذلك اشتهرت بعض أقبيتهم بأنها كانت مشقوقة الأكمام[٣١].

كان القضاة يرتدون ـ عادة ـ تحت القباء أو الجبة القفطان[*] ، وهو ثوب يشبه الجبة مفتوح من الأمام ومزين بأزرار حول الصدر ، وأكمامه قصيرة تمتد حتى الكوع ، وكان يُضم طرفاه بحزام يتخذ من الحرير أو القطن ، أما عن طوله فكان يبلغ إلى منتصف الساق ولا يقصر عن الركبة[٣٢].

يعتبر القفطان من الملابس التركية التى شاع استخدامها فى مصر ضمن ملابس رجال الدين منذ عصر الدولة الطولونية ، ثم أصبح أكثر استخدامًا فى ملابسهم ـ خاصة القضاة ـ فى عصر الدولة الفاطمية ، كما انتشرت بعض الألوان التى اتخذتها الدولة الفاطمية شعارًا لها فى ملابسهم ، فكان اللونان الأبيض والأخضر هما السائدين فى ملابس القضاة ، بل بالغ الفاطميون فى نشرهما فى ملابسهم لارتباطهم بالمذهب الشيعى ، فيذكر المقريزى : «لما كان يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان نزل جوهر فى عسكر إلى الجامع العتيق لصلاة الجمعة وخطب بهم هبة الله بن أحمد ـ خليفة عبد السميع بن عمر العباسى ـ ببياض»[٣٣]، كذلك أورد المسبحى : « وفى الثالث والعشرين من صفر استدعى برجوان بأمر الحاكم الحسين بن على بن النعمان فولاه القضاء ، وولى المظالم ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن النعمان ، وخلع عليه ثيابًا بيضاء»[٣٤]، كما يضيف لين بول : وكانت عباءات[**] القضاة تصنع من الصوف وتتميز باللون الأبيض من الخارج والأخضر من الداخل[٣٥].

---

(٣٠) الثعالبى : لطائف اللطف . ص٤٠ ، أحمد عبد الباقى : معالم الحضارة العربية . ص٨٦ ، Thomas Patriek Hughes : Dictionary of Islam, P. 93 .

(٣١) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٨٤ .

(*) الملحق : شكل رقم (٤٦) .

(٣٢) عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٢٩٣ ، صلاح العبيدى : المرجع نفسه . ص٢٥٣ .

(٣٣) أتعاظ لحنفا . جـ١ ص١١٤ .

(٣٤) نصوص ضائعة من أخبار مصر . ص١٩ .

(**) الملحق : شكل رقم (٢٣) .

(35) Art of the Saracens in Egypt, P. 248 .

أما عن اللون الأسود فى ملابسهم ، فكان يستخدم - فى العصر الفاطمى - فى مناسبات الحزن والحداد ، فكان القضاة يرتدون الملابس السوداء فى يوم عاشوراء وجنائز الخلفاء والوزراء[٣٦] .

أما فيما اختص بالقدم ، فكان الخف[*] أكثر ما ارتداه القضاة فى أقدامهم ، فيذكر الأصفهانى (أن لبس القضاة والفقهاء القلنسوة والمبطنة والطيلسان والخف)[٣٧] .

احتل الأمراء ورجال القصر وموظفوه مكانة مهمة بين رجال الدولة ، وذلك لقربهم من الحكام والخلفاء وما أنيط بهم من تقديم بعض الخدمات المهمة للخليفة أو رجال الحكم ، كما ارتفعت مكانتهم فى العصر الفاطمى بعد أن شكلوا جزءًا مهمًا من الرسوم والنظم السياسية لحكمهم .

ومن الجدير بالذكر أن الأمراء ورجال القصر فى الدولتين الطولونية والإخشيدية لم يحظوا بهذه المكانة ، ولم تشر المصادر إليهم أو لملابسهم بكثير من التفاصيل ، اللهم إلا فيما اختص بالحرس الخاص بحكام الدولة الطولونية ، فيذكر ابن تغرى بردى عنهم : «وألبسهم - خمارويه - الأقبية من الحرير والديباج ، وصاغ لهم المناطق وقلدهم بالسيوف المحلاة يضعونها على أكتافهم إذا مشوا بين يديه وسماهم المختارة ، وتلاهم السودان وعدتهم ألف أسود لهم درق من حديد محكمة الصنعة ، وعليهم أقبية سود وعمائم سود»[٣٨] .

ومرة أخرى نلحظ استخدام الملابس التى كانت شائعة فى بلاط الخلافة العباسية ، والحرص على استخدام اللون الأسود ، ويبدو أن الطولونيين كانوا حريصين على تقليد كل ما هو عباسى لتأكيد ولائهم السياسى للخلافة مع استقلالهم النسبى الذى حققوه فى حكمهم لمصر .

---

(٣٦) على حسنى الخربوطلى : العزيز بالله الفاطمى . ص١٠١ .
(*) الملحق : شكل رقم (٢٨) .
(٣٧) الأغانى . جـ٥ ، ص٣٩٠ .
(٣٨) النجوم الزاهرة . جـ٣ ، ص٥٩ .

أما بالنسبة لأمراء القصر وموظفيه فى الدولة الفاطمية فالأمر يختلف كثيرًا ؛ إذ تذكر لنا المصادر والمراجع قدرًا لا بأس به من المعلومات الخاصة بهم وبمكانتهم وما ارتبط بهم من ملابس ، فانقسم الأمراء وموظفو القصر الفاطمى - كما يذكر ابن المأمون - إلى ثلاثة أقسام : المطوقين وأرباب القضب وأدوان الأمراء(٣٩) .

كان أعلى الأمراء منزلة ومكانة الأمراء المطوقون ، وعرفوا بهذا الاسم لما كان يخلع عليهم من أطواق فى أعناقهم ، كما عرفوا - أيضًا بالأستاذين(٤٠) المحنكين لتميزهم عن غيرهم بزى الحنك ، وهو تدوير أطراف عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة ، ويضيف ابن ميسر أنهم كانوا من أرباب السيوف فى الجيش الفاطمى(٤١) ، وكانت لهذه الطائفة من أمراء القصر وموظفيه مكانة عالية ومنزلة جليلة لدى الخلفاء ، ويذكر القلقشندى عن ملابسهم : « كان من طريقتهم أنه متى ترشح أستاذ منهم للحَنَك وحُنك ، حمل إليه كل أستاذ من المحنكين بدلة كاملة من ثيابه وسيفًا فيصبح لاحقًا بهم »(٤٢) .

ونظرًا لتنوع وظائفهم ومهامهم داخل القصر وخارجه ، والتى ارتبطت أساسًا بالخلفاء وذويهم وما يتبعهم ، ازداد عددهم حتى زاد على الألف ، فكان منهم : ١ - متولى شد التاج . ٢ - صاحب المجلس . ٣ - صاحب الرسالة . ٤ - متولى زمام القصر . ٥- صاحب الدفتر . ٦ - حامل الدواة . ٧ - متولى زمام الأقارب . ٨ - متولى زمام الرجال . ٩ - حامل المظلة . ١٠ - حامل سلاح وسيف الخليفة ، وكان لكل واحد من هؤلاء الأمراء مائة مملوك يقومون على خدمتهم ومعاونتهم(٤٣) .

أما عن بعض التفاصيل - الأخرى - الخاصة بملابسهم وهيئتهم فيذكر المسبحى فى خلال حديثه عن أحداث عام ٤١٤هـ : « وفيه حُنك ثلاثة من الخدم المقودين وألبسوا

(٣٩) نصوص من أخبار مصر . ص٢٥ ، هامش (١) .

(٤٠) الأستاذين : جمع أستاذ ، وهى كلمة فارسية الأصل تعنى عبيد القصر الذين يقومون بأعماله المختلفة ، على أنهم لم يكونوا عبيدًا بالمعنى المفهوم ، إذ كان معظمهم من أولاد الأعيان والأحرار . عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر . ص٢٥٨ .

(٤١) المنتقى من أخبار مصر . ص٨٩ .

(٤٢) صبح الأعشى . جـ٣ ص٥٥٢ .

(٤٣) عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين . ص١٠٩ .

العمائم القطن والبيض الشرب الأحبال وتشبهوا بمن تقدم من مقدمى قواد الخدم »(٤٤)، ويكمل المقريزى باقى ما اشتملت عليه ملابسهم : « ويلبسون الثياب بالأكمام الواسعة ، وفى الأعياد يشدون أوساطهم بالعراضى(٤٥) الدبيقى(٤٦)» ، وعن الأمير المتولى لحمل سيف الخليفة يضيف ابن المأمون : « وسلمه - السيف - بعد أن قَبله لأخيه الذى يتولى حمله فى الموكب بعد أن أرخيت عذبته تشريفًا له مدة حمله خاصة وترفع بعد ذلك ، وشد وسطه بالمنطقة الذهب تأدبًا وتعظيمًا لما معه ، وسلم الرمح والدرقة لمن يتولى حملها بلواء الموكب »(٤٧) .

مما سبق يتضح أن مكونات ملابس الأمراء وموظفى القصر المعنيين بخدمة الخليفة وذويه ، كانت تختلف باختلاف الوظيفة وأهميتها ، كما ارتبطت ببعض ملابسهم طقوس خاصة ، كإرخاء عذب عمائمهم فى مواكب الخلفاء أو أثناء حمل سيف الخليفة ، إلا أننا وبصفة عامة نلحظ أن أغلب ملابسهم كانت لا تخرج عن البدل المذهبة من الحرير والعمائم والمناطق المذهبة أيضًا ، كذلك كان يراعى - دائمًا - فى ملابسهم أن تكون متناسقة فى ألوانها مع ألوان ملابس الخليفة ، خاصة فى المواكب والاحتفالات والمجالس لتعطى هيبة وفخامة لأعين الناظرين لهم .

تأتى ملابس الجيش وقواده مكملة لملابس كبار رجال الدولة ، وعلى الرغم من أهمية الجيش وقواده وارتباطه بالنظام السياسى ، إلا أن أغلب المصادر تركز حديثها عنه على تنظيمه وسلاحه ، دون ذكر التفاصيل الخاصة بالملابس ، وهى صعوبة - بلا شك - تواجه كل من يتطرق لهذا الجانب بالدراسة ؛ لذلك ونحن بصدد الحديث عن ملابس الجيش وقواده ، لا بد لنا أن نفصل بين الملابس والأسلحة ، وإن كانت بعض الأسلحة تشكل جزءًا مهمًا فى هيئة القادة والجنود ، كذلك ينبغى لنا أن نؤكد أن الملابس كانت - وما زالت - عنصرًا من عناصر تصنيف الرتب والمناصب داخل الجيش .

(٤٤) أخبار مصر فى سنتين . ص١٩١ .
(٤٥) العَراضى : جمع عريضة ، وهى نوع من القماش المصنوع فى دبيق ، يتخذ من الكتان . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس ، ص٣٢٣ .
(٤٦) اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٥٧ .
(٤٧) نصوص من أخبار مصر . ص٧٦ .

أما بخصوص ملابس الجنود والفرسان سواء مع بداية الفتح الإسلامى لمصر أو مرورًا بالدول الطولونية والإخشيدية والفاطمية ، فكان أهمها القمصان المحبوكة على أجسادهم، وكانت تصل إلى ما تحت الركبة ، لتتيح لهم الخفة وحرية الحركة فى القتال ، كذلك كانت السراويل من أهم مكونات ملابسهم ، وكانت تصنع من نسيج خشن يسمى مسحًا ويرتدى من تحتها تبان(٤٨)(*) قصير جدًا من الشعر(٤٩) .

على الجانب الآخر انتشر فى ملابس الجنود والفرسان الجواشن(٥٠)، وهى القمصان الحديدية ، وكانت تلبس على الجسم ولها أكمام قصيرة تصل إلى منتصف الذراع ، وتصنع من حلقات معدنية صغيرة متداخل بعضها مع بعض(٥١).

كانت الجواشن معروفة ومستخدمة منذ القدم ، وتعددت أشكالها ومسمياتها فكانت هناك الجواشن السابغة وهى الفضفاضة التى تغطى البدن كله ، وأكمامها طويلة تصل إلى الأنامل ، والجواشن البتراء القصيرة بدون الأكمام ، وكانت الجواشن تلبس - عادة - فوق قميص من الكتان يقال له الشليل ، أشبه بوسادة تحت حلقات المعدن(٥٢) .

عرفت هذه الملابس وانتشرت فى الكثير من المصادر باسم الزرد(٥٣)(*)، ويذكر البعض أن هناك بعض الاختلافات بين الزرد والجوشن ، فالزرد يكون من حلقة واحدة متكررة ويلبس على الظهر والصدر ، أما الجوشن فتكون حلقاته متداخلة مع بعضها البعض بينهما بعض الصفائح الرقيقة كما أنه يلبس على الصدر بغير ظهر ، وذلك لإظهار بطولتهم وإياسًا لأنفسهم من الفرار(٥٤) فى المعارك .

(٤٨) التبان : سروال صغير مقدار شبر يستر العورة فقط . اللبابيدى : معجم أسماء الأشياء . ص٣٤٢ .
(*) الملحق : شكل رقم (٣٧).
(٤٩) دائرة المعارف الإسلامية . جـ١١ ، ص٣٧٨ .
(٥٠) الجواشن : جمع جوشن وهو مثل الزرد يلبس على الظهر . آدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة . ص٤٩ .
(٥١) عبد الرحمن زكى : السلاح فى الإسلام . دار المعارف بمصر ١٩٥١ ، ص٢٧ .
(٥٢) عبد الرؤوف عون : الفن الحربى فى صدر الإسلام . دار المعارف بمصر ١٩٦١ ، ص١٧٦ .
(٥٣) الخليل بن أحمد : العين . جـ٦ ، ص٣٧، ابن منظور : لسان العرب . جـ٤ ، ص٣٣١ .
(×) الملحق : لوحة رقم (٦٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (٣٧٧٩).
(٥٤) حسن إبراهيم حسن: النظم الإسلامية . ص٢٣٥، عبد الرؤوف عون : المرجع نفسه . ص١٨٠ .

وكان شبيهًا بالزرد والجوشن التجفاف وجمعه تجافيف ، يذكر ابن منظور عنه : «الذى يوضع على الخيل من حديد وغيره فى الحرب لتقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضًا كالجوشن»[55]، أما الكذاغندات ومفردها كذاغند ، فهى سترات مبطنة بالقطن أو الحرير أشبه بالمعطف الصغير ، وكانت تلبس تحت الدرع ، وهى فارسية الأصل[56] .

أما عن أغطية الرأس فكان أهمها الخوذة والبيضة والمغفر ، وكانت الخوذة قطعة واحدة تصنع من المعدن القوى ، وهى عدة أشكال فمنها المستديرة والبيضية ، وكان ينقش عليها بعض الآيات القرآنية أو عبارات الدعاء[57](*) .

تطورت الخوذ على مر العصور فجعل لها أنف من الأمام حماية للوجه وتفادى السهام وكان ينقش على هذا الأنف - أيضًا - بعض العبارات والأدعية[58](**) .

أما البيضة فهى المسمى العربى للخوذة ، وكانت تصنع أولاً من الجلد ثم أصبحت تصنع من الحديد أو الفولاذ ، وكانت البيضة دائمًا ما تبطن من الداخل بالمواد اللينة ، كالقطن واللباد وغيره ، وهى مستديرة باستدارة الرأس ولها مقدم مدبب يسمى (القونس)، وسميت البيضة بهذا الاسم لأنها تشبه البيضة فى شكلها واستدارتها[59] .

---

(٥٥) لسان العرب . جـ٢ ، ص٣٠٨ .

(٥٦) ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة . تحقيق أيمن فؤاد سيد ، مكتبة الدار العربية للكتاب ١٩٩٦ ، ص٣٥ ، ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى . المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٦٩ ، جـ١ ، ص٥١٩ .

(٥٧) عبد الرحمن زكى : السلاح فى الإسلام . ص٢٣ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية . ص٦٩ ، محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة . دار إحياء التراث ، بيروت ١٩٨٧ ، جـ١ ، ص٧٦٨ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٦٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (٣٥٧٧٨) .

(٥٨) أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار . تحقيق فيليب حتى ، مطبعة جامعة برنستون بالولايات المتحدة ١٩٣٠ ، ص٥١ .

(**) الملحق : لوحة رقم (٦٦) نقلاً عن أحمد شوقى الفنجرى من كتاب (العلوم الإسلامية) .

(٥٩) معروف الرصافى : الآلة والأداة وما يتبعهما من اللباس . ص٣٧ ، زكى حسن : كنوز الفاطميين . ص٥٦ ، عبد الرؤوف عون : الفن الحربى فى صدر الإسلام . ص١٨٤ .

وبالنسبة للمغفر ، فهو نوع من أنواع الزرد على قدر الرأس ، ويلبس تحت القلنسوة ويتدلى جزء منه على الوجه لحمايته ، وأحيانا ما يكون المغفر سابغًا من الخلف بحيث يغطى القفا ويتصل بالزرد بواسطة بعض العرى[٦٠](*) .

وإذا انتقلنا إلى ملابس القدم سنجدها انحصرت فى الجوارب والأحذية ، فأما الجوارب فهى جمع جورب ، وهى كلمة فارسية تعنى لفافة القدم[٦١]، وكانت تلبس تحت الأحذية وتلف جزءًا من الساق(**)، أما بالنسبة للأحذية فانتشرت فى العصر الفاطمى ، وتميزت بطول الرقبة لتحمى الساق من الاحتكاك بجسم الحصان ، ومن وضع الأقدام فى الركاب والتحكم فيه ، كما كانت تسمح بإدخال أطراف السراويل فى فتحة الرقبة[٦٢] .

كما انتشرت فى ملابس القدم الخاصة بالجيش اللفافة والألشين ، وهما عبارة عن شريط طويل من القماش كان يلف به الساق مبتدأ من أعلى عند الركبة ومنتهيًا إلى أسفل[٦٣]، وكانت لهذه الأشرطة فوائد متعددة ، منها شد عضلات الساق ومساعدتها على تحمل السير لمسافات طويلة ، كما كانت تحمى الساق من حرارة ووهج الرمال فى الصحراء والوقاية من الأشواك والحشرات[٦٤] .

اختلفت ملابس الأسطول ورجاله عن ملابس الجنود والفرسان ، وذلك لاختلاف طبيعة القتال فى البحر عنه فى البر ، فكان التبان والسروال والإزار والفوطة من الملابس

(٦٠) معروف الرصافى : الآلة والأداة وما تبعهما من اللباس . ص٣٧٥ ، عبد الرؤوف عون : المرجع نفسه . ص١٤٨ ، عبد الرحمن زكى : السلاح فى الإسلام . ص٥٦ .
(*) الملحق : لوحة رقم (٦٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (٣٥٧٧٨) .
(٦١) جورب : أصلها فارسية من كورب بمعنى لفافة القدم . الخليل بن أحمد : العين . جـ٦ ص١١٣ ، أدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة . ص٣٨ .
(**) الملحق : شكل رقم (٢٧) .
(٦٢) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص١٣٨ .
(٦٣) معروف الرصافى : الآلة والأداة وما يتبعهما من اللباس . ص٣١٧ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية . ص١٢٤ .
(٦٤) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٣٢٧، ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٨٠ .

التى ميزت رجال الأسطول والملاحين ، وهى ملابس تغطى الجزء الأسفل من الجسم ، فتتيح لهم الخفة وحرية الحركة(٦٥) .

أما رؤوساء السفن وقوادها فكانوا يرتدون الشقق الإسكندرانية والدمياطية ، وهى نوع من الثياب القصيرة كانت تلبس فوق القميص(٦٦) ، وكانت الطواقى الصغيرة (الكَلوتات) أهم ما ميز أغطية الرأس لجنود الأسطول ، بينما ارتدى قواد السفن وأمراؤهم العمائم الحريرية ، كما ارتدى جنود الأسطول وقادته المناطق والزرد والخوذ وبعض الملابس الحربية الأخرى التى استخدمها الجيش بصفة عامة(٦٧) .

وعن ملابس القدم لجنود الأسطول ، لم تعطنا المصادر بخصوصها تفاصيل خاصة ، مما يرجح عدم اختلافها عن ملابس القدم للجيش بصفة عامة .

اختلفت - بطبيعة الحال - ملابس قواد وأمراء الجيش عن ملابس الجنود والفرسان ؛ لإظهار التمايز الطبقى والحربى لهم كقواد ، فامتازت ملابسهم بالفخامة وجودة خاماتها خاصة فى العصر الفاطمى ، الذى احتل فيه القادة والأمراء مكانة عالية ، فكانوا يتميزون بالثياب الطويلة المزركشة ، كما وضعت حول أعناقهم قلادة من قماش مذهب (الطوق) تمييزاً لهم كقواد ، وكان لا يشاركهم فيها سوى الوزراء ، كذلك كانت أهم ملابسهم الأقبية الفارسية القصيرة ، والمناطق والدروع المحلاة بالذهب والأحجار الكريمة والمكسوة بالديباج المطرز باسم الخليفة ، والتى بدت واضحة على ملابسهم خاصة فى استعراض الجيش وخروجه للقتال(٦٨) .

---

(٦٥) دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس . ص٨١ ، سليمة عبد الرسول : ملابس العمل لذوى المهن والحرف . مجلة سومر العدد ٣٧ ، جـ١ - ٢ ، العراق ١٩٨١ ، ص٢٤٢ .

(٦٦) أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام . دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١ ، ص١٠٩ .

(٦٧) سعاد ماهر : البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية . دار المجمع العلمى بجدة ١٩٧٩ ، ص٢٠٣ .

(٦٨) آدم متز : الحضارة الإسلامية . جـ٢ ، ص٢٢٩ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام . جـ٣ ص٤٤٤ ، حورية سلام : الحضارة الإسلامية فى مصر زمن الفاطميين . ص٤٤ .

أما عن أغطية الرأس فكانت من العلامات - الأخرى - البارزة لهم كقواد ، فامتازوا بارتداء العمائم الكبيرة من نسيج الشرب والقصب المطرز بالذهب ، فيذكر المسبحى عن أحد قواد الفاطميين : « خرج القائد أبو الفوارس معضاد ، وعليه ثوب طميم حسن ، وعلى رأسه عمامة شرب مطائرة كثيرة الذهب خمرية اللون ومعه سجل قرئ على العامة والخاصة بتلقبه بالقائد عز الدولة وسنائها أبى الفوارس معضاد الظاهرى »(٦٩).

وكما تميزت ملابس القادة عن ملابس الجند ، كذلك تميزت أسلحتهم عن باقى أسلحة الجيش ، فكانت سيوفهم دائمًا محلاة بالذهب ، مرصعة ببعض الجواهر والأحجار الكريمة(٧٠)، تشريفًا لهم وتعظيمًا لمكانتهم خاصة فى العصر الفاطمى(٧١).

أما عن ملابس الشرطة وقوادها فلم تختلف كثيرًا عن ملابس الجيش وقواده ، فلم تعطنا المصادر تفاصيل دقيقة عن ملابسهم ، يمكن من خلالها إيجاد نوع من الاختلاف أو التمايز ، فكانت الأقبية القصيرة والسراويل المتسعة من أعلى الضيقة الأطراف ، والأحذية الطويلة ذات الرقبة من أهم ما ميز ملابسهم(٧٢)، ونظرًا لاختيار متولى الشرطة فى أغلب العصور الإسلامية من رجال الجيش وأمرائه ، فلا توجد إضافات خاصة بملابسهم يمكن الوقوف عليها .

كان الكتاب ورجال الدواوين من العناصر المهمة والحيوية فى الدولة الإسلامية ، فكان يقع عليهم عبء إدارة الدولاب الإدارى للسلطة ، فتعدد الكتاب وتعددت مهامهم فى الدولة الإسلامية بتعدد الدواوين ، وتنوع أغراضها وكان لارتباطهم بأمور الكتابة وتحرير الرسائل وإمساك الدفاتر والحسابات ، أن أصبح لهم داخل التصنيف الطبقى طبقة اجتماعية مميزة ، فأطلق عليهم أرباب الأقلام .

---

(٦٩) أخبار مصر فى سنتين . ص٤٤ .
(٧٠) ناصر خسرو : سفر نامه . ص١٠٩ .
(٧١) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٣، ص٣٤٣ .
(٧٢) عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر فى العصر الفاطمى . ص٩٦ .
(٧٣) التنوخى : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة . تحقيق عبود الشالجى ، بيروت ١٩٧٣ ، جـ٨ ، ص٤٣ .

كان أغلب المشتغلين بالكتابة وإدارة الدواوين يرتدون ملابس خاصة بهم تخالف باقى الطبقات الأخرى وموظفى الدولة ، فكما لبس العالم والفقيه الطيلسان ، لبس الكتاب ورؤساء الدواوين الدراعة والجبة والمبطنة والقلنسوة والخف ، فكانت هذه الأجزاء من المكونات الملازمة لملابسهم فلا يظهرون بدونها[٧٣] .

يذكر ياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ) عن أحد الكتاب : « أن أحمد بن على الحسن البتى فى سنة ٤٠٣هـ كان فى بدء أمره يلبس الطيلسان ويسمع الحديث ويقرأ القرآن على شيوخ عصره ، ثم لبس بعد ذلك الدراعة وسلك فى لبسه مذاهب الكتاب القدماء ، فكان يلبس الخفين والمبطنة »[٧٤]، ومن الجدير بالذكر أن جبة الكتاب تميزت عن غيرها باتساع أكمامها ، واستخدمها كجيوب لحفظ بعض الرقاع والأقلام اللازمة لعملهم ، فيذكر ابن تغرى بردى عن أحد الكتاب : « كان له كم واسع وكم ضيق ، فسئل عن ذلك فقال : الواسع مكتب والآخر لا أحتاج إليه »[٧٥]، ويعلق د. صلاح العبيدى على ذلك بأنهم كانوا دائمًا يتخذون الكم الأيسر لهذه الغاية ؛ لأن اليد اليمنى كانت أكثر استعمالاً وحركة من اليد اليسرى[٧٦] .

ونظرًا لأهمية الأكمام ووظيفتها الحيوية للكتاب ، أصبحت تدخل ضمن الخلع التى كانت تخلع عليهم ، خاصة أنها كانت تطرز وتحلى ببعض الرسومات والزخارف[٧٧]، وهى ظاهرة لم تعرف وتنتشر إلا مع العصر الفاطمى ، الذى شملت فيه الخلع كل الطبقات والوظائف ، فيذكر ابن المأمون عن خلع الكُتّاب ورؤساء الدواوين : « الشيخ الأجل أبو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست الشريف ، بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى ، الشريف أنس الدولة ، متولى ديوان الإنشاء بدلة كذلك ، الشيخ أبو الرضى أبو الشيخ الأجل أبى الحسن النائب عن والده فى الديوان المذكور بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ، الشيخ أبو الفضل يحيى بن سعيد الندمى ، منشئ ما يصدر عن ديوان المكاتبات

---

(٧٤) معجم الأدباء . القاهرة ١٩٣٠ ، جـ١ ، ص٢٣٤ .

(٧٥) النجوم الزاهرة . جـ٢ ، ص٧٩ .

(٧٦) الملابس العربية الإسلامية . ص٢١٧ .

(77) S. D. Goitein : A Mediterranean Society . Vol. IV, P. 161 .

ومحرر ما يؤمر به من مهمات ، بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم »[٧٨]، ويظهر لنا هذا النص ما تمتع به الكتاب وأرباب الدواوين من خلع تتفق ومكانتهم وطبيعة عملهم ، كما نلاحظ تكرار لفظ (كم) الذى أشرنا إليه ، والذى يؤكد أهمية هذا الجزء فى ملابسهم .

على الجانب الآخر كانت هناك بعض الوظائف الدينية ، التى تشابهت ملابس القائمين بها ، كداعى الدعاة والمحتسب والفقهاء والخطباء . أما عن داعى الدعاة فيذكر المقريزى : «وكان فى الدولة داعى الدعاة ، ورتبته تلى رتبة قاضى القضاة ، ويتزيا بـــزيــه»[٧٩]، ونستنتج من هذا النص أن ملابس الدعاة للمذهب الشيعى فى العصر الفاطمى ، لم تخرج أو تختلف عن ملابس قاضى القضاة ، وبالتالى كانت ملابسه هى نفس الملابس التى استعرضناها للقضاة ، كالدراعة والجبة والعباءة والقباء والطيلسان ، كذلك كانت ملابس المحتسب والفقهاء ، أما عن خطباء المساجد فكانت الجبة من أكثر الملابس التى ارتبطت بهم ، كما كان لا يسمح لهم بتركها أثناء الصلاة[٨٠] .

ومن الملاحظ أن أغلب ملابس أصحاب الوظائف الدينية ، كانت متشابهة فى أشكالها وإن اختلفت بعض الخامات المصنوعة منها ، لاختلاف المكانة والمنزلة ، من ناحية أخرى كانت ألوان ملابسهم تتماشى مع شعار ومذهب الدولة فى استخدام اللون الأبيض، خاصة ملابس داعى الدعاة وقاضى القضاة[٨١] .

مما سبق يتضح أن ملابس رجال الدولة وموظفيها ، شكلت جزءاً من تطور اللباس الرسمى فى الحضارة الإسلامية بصفة عامة ، واللباس الرسمى فى مصر بصفة خاصة ، كذلك كانت هذه الملابس دائمًا ما تتناسب مع مهام كل وظيفة أو منصب ، أما عن بعض الاختلافات فى مكوناتها وقيمتها فكان مرده إلى طبيعة التصنيف الطبقى والوظيفى الذى ميز الحياة السياسية والاجتماعية على السواء طوال الحكم الإسلامى لمصر .

(٧٨) نصوص من أخبار مصر . ص٥٢ .

(٧٩) اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٣٣٧ .

(٨٠) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٤٢ .

(٨١) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ١ ، ص١١٤ .

من ناحية أخرى كانت هناك بعض الملابس التى ظلت تشكل قاسمًا مشتركًا لبعض الوظائف كالدراعة والجبة والقباء ، التى ارتداها أصحاب الوظائف الديوانية والدينية ، كذلك اشترك الوزراء وقواد الجيش فى ارتداء المناطق وحمل السيوف المحلاة بالذهب ، والعمائم الكبيرة والأطواق الذهبية ، كما اتفقت ملابس الوزراء والخلفاء فى العصر الفاطمى فى بعض السمات ، خاصة فيما يتعلق بأغطية الرأس ، فكان إرخاء ذؤابة العمامة ووضع بعض الأحجار الكريمة أو الجواهر من الأمور التى اهتم بها كل منهما .

وكانت رغبة بعض رجال الدولة - كالوزراء - فى مجارة الحكام والخلفاء دافعًا لهم فى تقليدهم فى ملابسهم ، فسعى البعض منهم لصنع ملابسهم من نفس الأنسجة والخامات عالية القيمة والجودة ، خاصة أن إمكانياتهم المادية كانت تسمح بذلك لارتفاع رواتبهم .

على الجانب الآخر شكلت ملابس الأمراء وموظفى القصر ، خاصة فى العصر الفاطمى مظهرًا من مظاهر الإتساق والتجانس مع النظم والرسوم التى وضعها الخلفاء الفاطميون لحكمهم ، فجاءت ملابسهم - دائمًا - متسقة مع مكانتهم ومنزلتهم من الخليفة ، بل متفقة فى ألوانها مع ملابسه ، خاصة فى أثناء المواكب والاحتفالات .

من ناحية أخرى جاءت ملابس الجيش والأسطول والشرطة متفقة مع الإطار العام الذى ساد ملابس الطبقة العسكرية ، فلم توجد أى اختلافات فاصلة فيما بينهم ، يمكن من خلالها الوقوف على تغيرات جوهرية تميز بعضهم عن بعض ، اللهم إلا فيما تمتع به القادة منهم من فخامة الملبس وجودة النسيج ، واستخدام بعض الأجزاء المميزة لهم لرتبتهم وطبقتهم العسكرية ، كالأطواق المذهبة والمناطق والسيوف المحلاة بالذهب .



الباب الثاني

الملابس والحياة الاقتصادية



الفصل الأول

خامات المنسوجات

تعد خامات المنسوجات من العناصر المهمة فى دراسة الملابس وتطورها ؛ إذ لازمت المنسوجات الإنسان فى معظم العصور التاريخية ومراحل التحضر الإنسانى[1]، فتنوعت الخامات والأشكال والأسماء النسيجية مما انعكس - بشكل مباشر - على تطور الملابس وتقدمها .

اشتهرت مصر منذ فجر التاريخ وعلى مر العصور بإنتاج العديد من خامات النسيج والأقمشة عالية الجودة ، ومما هو جدير بالذكر أن تاريخ النسيج المصرى يرجع إلى القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد[٢]، فازدهرت صناعة النسيج منذ العصر الفرعونى مروراً بعصرى البطالمة والرومان ، فتحدث مؤرخو اليونان والرومان عن روعة نسيج الكتان المصرى ودقة صنعه، كذلك شاع استخدام الحرير فى ملابس البطالمة والرومان ، حتى إنه كان من أهم السلع التجارية الرائجة فى الإسكندرية[٣] .

ولم يتوقف تقدم صناعة النسيج فى مصر ، بل استمر وازدهر مع الفتح الإسلامى ، فكان حب العرب للملابس واقتناء الفاخر منها وتشجيع الحكام والخلفاء أحد العوامل التى أدت إلى ازدهار المنسوجات المصرية ، ودخولها مجال المنافسة والابتكار مع بلدان العالم الإسلامى ، فظهر العديد من الخامات والأشكال والأسماء للنسيج المصرى التى احتلت الصدارة فى العالمين الإسلامى والأوروبى ، لذلك اعتبر النسيج المصرى من أغلى الهدايا التى يتم تبادلها بين الأشخاص والحكام .

(1) Hazel Conway : Design History a students handbook. (London 1987), P. 18 .

(2) Annemarie S tauffer :The Metropolitan Museum of Art. (New York 1996) P. 5 .

(٣) سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة ١٩٧٧ ص٨-١٧ .

يرجع اهتمام الخلفاء وكبار رجال الدولة بالمنسوجات والأقمشة والملابس إلى أوائل العصر الأموى ، فبلغت هذه الصناعة شأنًا عظيمًا فى بلدان الخلافة ، ثم زادت أهميتها وازدهرت بشكل أكبر مع العصر العباسي(٤) ، فظل الحكام والخلفاء يستمدون كل ما يلزمهم من منسوجات وأقمشة لملابسهم من مصر ، كذلك حرصت معظم الطبقات الاجتماعية فى العالم الإسلامى على اقتناء الملابس المصنوعة من النسيج المصرى ، فحقق بذلك شهرة ومكانة عالية فى أغلب بلدان الشرق والغرب ، يذكر ابن الجوزى : (قال ذو النون المصرى : لما حملت إلى بغداد رُمى بى على باب السلطان مقيدًا ، فمر بى رجل مؤتزر بمنديل مصرى ، معتم بمنديل دبيقى)(٥) .

ويوضح لنا هذا النص مدى ما حققته المنسوجات المصرية من رواج وانتشار بين طبقات المجتمع الإسلامى كافة ، حتى فى حاضرة الخلافة العباسية بغداد .

على الرغم من شهرة المنسوجات المصرية ، وما مثلته من أهمية فى صناعة وتطور الملابس ، إلا أن هناك - أيضًا - بعض المنسوجات التى أنتجتها بعض مدن العالم الإسلامى وبلدانه ، أسهمت هى الأخرى فى تطور الملابس بشكل أو بآخر ، لذلك فالحديث عن المنسوجات والأقمشة لن يقتصر على ما أنتجته مصر فقط ، بل سيمتد إلى بعض المنسوجات التى عرفتها مصروانتشرت فيها .

انقسمت المنسوجات من حيث مادتها الأولى إلى ثلاث أقسام :

أ - خامات نباتية كالكتان والقطن ومشتقاتهما .

ب - خامات حيوانية كالصوف والشعر والحرير(٦) .

جـ - خامات معدنية ومصدرها المعادن كالذهب والفضة .

كانت الخامات النباتية أكثر الخامات التى اعتمد عليها الإنسان فى صناعة النسيج وأقدمها لارتباطها بالزراعة وبداية التحضر الإنسانى .

---

(٤) سامى أحمد عبد الحليم : المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية . القاهرة ١٩٨٩ ص٣١ .

(٥) أخبار الظراف والمتماجنين . تحقيق محمد أنيس مهرات ، دار الحكمة بدمشق ، ١٩٧٧ ، ص٩٠ .

(٦) حمدة محمد الغرباوى : التطريز فى النسيج والزخرفة . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦١ ، ص٨ .

أ ـ الكتـان :

يعتبر نسيج الكتان من أقدم المنسوجات التى عرفها الإنسان المصرى ، فكان الأكثر استخدامًا وانتشارًا فى صناعة الملابس منذ القدم ، إذ تذكر Baginski أن نسبة استخدام الكتـان ونسـيـجـه فى الملابس المصـرية بلغت ٤٦٪ من جـملة المنسـوجـات الأخـرى المستخدمة(٧)، إذ فضله المصريون منذ القدم فى نسيج ملابسهم لاعتقادهم بطهارته ، بينما امتنعوا عن استخدام الصوف بكثرة لاعتباره من المواد الدنسة لأن مصدره الحيوان(٨)؛ لذلك كثرت زراعة الكتان بمصر منذ القدم ، وفى العصر الإسلامى انتشرت زراعته بمنطقة الدلتا والفيوم ومصر العليا ، فأصبح من الخامات التى ارتبطت بصناعة النسيج والملابس ، فكان يقال : القطن لخراسان والكتان لمصر(٩).

عرفت عدة أنواع من نسيج الكتان المصرى وانتشرت كالقباطى(*) والقـــصب والشرب، وهى الأنواع التى امتازت برقة نسيجها وارتفاع أسعارها كما ارتبطت شهرة مصر بإنتاجها(١٠)؛ لذلك انتشر استخدامها فى ملابس الطبقات العليا فى المجتمع الإسلامى كالحكام والخلفاء والوزراء ورجال الدولة(١١).

أما عن القباطى فكان أشهر أنسجة الكتان التى عرفتها مصر وعُرفت بها كما امتاز عن مثيله من المنسوجات الأخرى التى عاصرته بشرف الإهداء إلى الرسول ﷺ ، ثم بشـرف استعماله ككسوة للكعبة المشرفة منذ عصر عمر بن الخطاب وحتى العصر الفاطمى(١٢).

(7) Alisa Baginski : Textiles from Egypt. (L. A. Meyer Memorial Institute for Islamic Art, 1980), P. 16 .

(٨) حمدة الغرباوى : التطريز فى النسيج والزخرفة . ص١١ ، صفى على محمد : مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى . الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٠ ، ص١٢٦ .

(٩) الثعالبى : ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب . تحقيق إبراهيم صالح ، دار البشائر دمشق ١٩٩٤ ، جـ٢ ، ص٧٦٤ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة رقم سجل (٥٢٦١) .

(١٠) الخليل بن أحمد : العين . جـ٥ ، ص٦٧ ، الميدانى : السامى فى الأسامى . ص١٣٢ .

(11) Hazel Conway : Design History a Students handbook, P. 19 .

(١٢) سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص٣٤،

Alisa Baginski : textiles from Egypt, P. 8 .

ويرى بعض المؤرخين أن تسمية القباطى بهذا الاسم نسبة إلى قبط مصر ، الذين اشتهروا بمهارتهم فى صناعته ، حتى أصبح لهم فى أنحاء مصر نقابات تحافظ على أسرار حرفتهم ، التى كانت تنتقل إلى أفرادها بطريق التوارث[١٣]، فظل اسم القباطى يطلق على هذا النسيج الذى ينتجه ويصنعه هؤلاء الأقباط حتى العصر الفاطمى ، ويمتاز نسيج القباطى برقة نسجه وشفافيته ، حتى إن الخليفة عمر بن الخطاب نهى النساء عن استخدامه فى ملابسهن لأنها كانت تبرز مفاتن الجسد إذ قال : (اتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نساءكم القباطى فإنه إن لم يشف فإنه يصف)[١٤].

نستنتج من ذلك أن رقة وشفافية بعض الأنسجة كانت من الأمور التى حرصت عليها المرأة فى استخدامها فى ملابسها ، حتى جاء نهى عمر عن استعمال هذه الأنسجة وأخصها القباطى .

يذكر صبرى أبو الخير أن ارتباط نسيج القباطى بطائفة القبط جعل إنتاجه يتركز بشكل كبير فى مدن الصعيد ، إذ تركز بها أغلب أقباط مصر[١٥]، على أنه لا يجب لهذا الرأى أن يرقى إلى التعميم لأن نسيج القباطى كان يعنى - بالدرجة الأولى - طريقة فنية تطبيقية[١٦] فى صناعة النسيج اشتهر بإنتاجها القبط قبل دخول الإسلام لمصر ، ومن ثم برعوا فيها فأصبح اسمهم يطلق عليها، لكن هذا لم يمنع من اشتغال النساجين المسلمين بها وانتشارها فى باقى المدن المصرية الأخرى ، خاصة بعد انتشار الإسلام ودخول أهل مصر والأقباط فيه[١٧].

---

(١٣) السيد طه السيد أبو سديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩١ ، ص١٩ ، سلام شافعى محمود : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول . ص١٠٥ .

(١٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك . جـ٥ ، ص٢٦ ، القرافى : الذخيرة . جـ١٣ ، ص٢٦٧ ، ابن الحاج : المدخل . جـ١ ، ص٢٤٢ .

(١٥) تاريخ مصر فى العصر البيزنطى . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ١٩٩٧ ، ص١١٦ .

(١٦) تتلخص هذه الطريقة بأن النساج كان يقسم خيوط السدى (الطولية) إلى قسمين متساويين فى العدد (خيوط فردية وزوجية) بواسطة درأتين أو ما يقوم مقامهما ، وعندما يصل النسيج إلى المنطقة المراد زخرفتها ، يستغنى عن خيوط اللحمة (العرضية) بخيوط ملونة تختلف بألوانها عن خيوط اللحمة الأصلية وتنسج ممتدة فى عرضه، وبذلك يتم التكوين الزخرفى للنسيج ، وهى الطريقة التى تستخدم حتى الآن فى صناعة الكليم الشعبى. صلاح العبيدى : الملابس الإسلامية . ص١٦٣ .

أما عن نسيج القصب والشرب ، فهو من المشتقات التى أطلقت على النسيج الكتانى الملون بخيوط ذهبية أو فضية ، فكان نسيج القصب من الأنسجة التى انتشرت فى مصر ووصفها ناصر خسرو فى رحلته بأنها (ثياب رقيقة مهلهلة النسيج كأنها المنخل وهى المسماة بالقصب ، وكان القصب يلون وينسج بتنيس ولم ينسج فى أى مكان آخر قصب ملون مثله)(١٨)، انتشر هذا النسيج فى ملابس النساء وعمائم الخلفاء والوزراء والأمراء الذين حرصوا على أن تكون ثيابهم من هذه النوعية الرقيقة والملونة من الكتان .

أما نسيج الشرب فهو من نوع آخر من مشتقات الكتان الذى امتاز أيضًا بالنعومة والشفافية ؛ نظرًا لاحتوائه على خيوط حريرية أو ذهبية جعلته غاية فى الرقة والنعومة ، فيذكر ابن الطوير أن الشخص كان يستطيع أن يلبس منه عمامة طولها مائة ذراع ، وإنه إذا طوى لا يصير له حجم(١٩)، وهو من المبالغات التى تدل على مدى نعومته ورقته ، ومن ناحية أخرى اشتهرت بعض المدن المصرية بإنتاج القصب والشرب كدمياط وتنيس ودبيق .

بلغ من أهمية نسيج الكتان ومشتقاته النسيجية أن صُدِّر إلى العديد من بلدان العالم الإسلامى بكميات كبيرة وأسعار عالية ، خاصة بعد أن زاد الإقبال عليه ، وشاع استخدامه فى ملابس أغلب طبقات المجتمع ، فكان الكتان الخام هو السلعة المعتاد تصديرها إلى بلاد الحجاز والشام وبرقة وتونس ، فضلاً عن بعض المدن الأوربية كجنوه والبندقية(٢٠)، بل حرص بعض التجار من تونس على الاستقرار ليس فقط فى مراكز صناعة الكتان الشهيرة بمصر ، ولكن فى أماكن زراعته وإنتاجه لاختيار وانتقاء أجود خاماته خاصة فى العصر الفاطمى(٢١) .

(١٧) سامى عبد الحليم : المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية . ص١٣ .

(١٨) سفر نامه . ص٥٨ .

(١٩) نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين . ص١٢٩ ، وانظر أيضًا عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية . ص١١٧ ، حنان قرقوتى : ملامح من صناعة النسيج عند المسلمين . مجلة الدارة ، العدد الرابع للسنة الخامسة والعشرون ، الرياض ٢٠٠٠ ، ص١٨١ .

(٢٠) أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ ، ص٢٣٢-٣٨٨ .

(٢١) حسن خضيرى : علاقة الفاطميين فى مصر بدول المغرب . مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص١١٧ .

مما سبق يتضح أهمية الكتان ونسيجه وما احتله من مكانة فى صناعة الملابس وإنتاجها ليس فى مصر فقط بل فى العالم الإسلامى ككل .

ب ـ القطـن :

كان القطن من الخامات التى استخدمت فى صناعة النسيج منذ القرن الأول الميلادى، بعد أن جاء من الهند عبر الجزيرة العربية ، ومع بداية القرن الثالث الميلادى بدأ القطن ينتشر بكميات قليلة[٢٢]، فلم يعمل فى مصر نسيج من القطن الخالص بل كان يمزج دائمًا بالكتان أو الصوف[*] .

وعلى الرغم من زراعة القطن بعد ذلك فى مصر ، إلا أن كمية ما كانت تنتجه لم يكن يكفى حاجتها ، فكانت تستورد معظمه من الخارج خاصة من الهند[٢٣] .

عرفت بعض الثياب التى نسجت من القطن ، واشتهرت بإنتاجها بعض البلدان الإسلامية كاليمن ، فكانت الثياب السحولية[٢٤] أكثر الثياب التى استخدم فيها نسيج القطن ، ذكر البخارى (ت٢٥٦هـ) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة[٢٥] .

---

(٢٢) أ. بينول : اللباس والزينة فى العالم العربى . ص١٤ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة رقم سجل (١٥٦٦١) .

(٢٣) صفى على محمد : مدن مصر الصناعية . ص١٢٦ ، ل. أ. سيمنوفا : تاريخ مصر الفاطمية . ترجمة وتحقيق حسن بيومى ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠١، ص١١٩ .

(٢٤) سحولية : نسبة إلى قرية سحول باليمن ، التى اشتهرت بإنتاج هذه الثياب التى لا يبرم غزلها . الخليل بن أحمد : العين . جـ٣ ، ص١٣٩ ، البغدادى : مراصد الاطلاع . جـ٢ ، ص٦٩٦ .

(٢٥) صحيح البخارى . مراجعة محمد على قطب ، بيروت ١٩٩٧ ، جـ١ ، ص٣٧٨ .

كانت القمصان(*) هى أكثر الثياب التى صنعت من نسيج القطن والتى عرفت باسم الكرباس(٢٦) كما انتشرت فى الجزيرة العربية ، وارتداها بعض الصحابة كعمر بن الخطاب، كذلك ذُكر عن على بن أبى طالب أنه قال : البسوا الثياب القطن فإنها لباس رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢٧) .

جـ ـ الصوف :

يلى الصوف القطن فى الأهمية بعد الكتان ، خاصة فى العصر الإسلامى ، حيث إن غزله لم يكن يتطلب خبرة أو مجهودًا(٢٨)، وكانت عملية الغزل فى أغلب الأحيان من نصيب المرأة .

استخدم نسيج الصوف فى مصر بعد الفتح الإسلامى بكثرة(**) ، حتى إن البعض يذكر أن نسبة استخدامه بلغت ٥٤٪(٢٩)، كما احتلت مصر شهرة كبيرة فى إنتاجه ، حتى زاد الإقبال عليه ، فيقول ابن الكندى: (وذكر بعض أهل مصر أن معاوية لما كَبُر كان لا يدفأ، فأجمعوا أنه لا يدفئه إلا أكسية تعمل فى مصر ، من صوفها المرعز(٣٠) العسلى غير المصبوغ، فعمل له منها عددًا ، فما احتاج منها إلا إلى واحد)(٣١) .

ويبرز لنا هذا النص قيمة صوف مصر وجودته وأهميته ، التى جعلت معاوية ابن أبى سفيان يحرص على اقتناء ملابسه من نسيجه .

(*) الملحق : لوحة رقم (٧٣) نقلاً عن سعد الخادم (من كتاب الملابس الشعبية فى مصر الإسلامية) .

(٢٦) الكرباس : بكسر الكاف فارسى معرب ، وهو القطن الخشن . هلال الصابى : الهفوات النادرة . تحقيق صالح الأشتر ، دمشق ١٩٦٧ ، ص١٩٩ .

(٢٧) الخطيب العدنانى : الملابس والزينة فى الإسلام . مؤسسة الانتشار العربى ، بيروت ١٩٩٩ ، ص١٥٠ .

(٢٨) سعاد ماهر : الفنون الإسلامية . الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ ، ص٦٦ ، السيد محمد عاشور : صناعة وتجارة الأقمشة فى مصر . دار الاتحاد العربى للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ ، ص٣ .

(**) الملحق : لوحة رقم (٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة رقم سجل (١٣٦٩١) .

(29) Alisa Baginski : Textiles from Egypt. P. 8 .

(٣٠) المرعز : هو النسيج اللين الذى يستخرج من شعر الماعز . الخليل بن أحمد : العين . جـ٢ ، ص٣٣٤ ، الجواليقى : المعرب من الكلام الأعجمى . ص٣٠٧ .

(٣١) فضائل مصر المحروسة . تحقيق على محمد عمر ، مكتبة الخانجى ١٩٩٧ ، ص٤٩ .

اشتهرت مدن الصعيد بإنتاج نسيج الصوف ، خاصة مدينة القيس(٣٢) التى تجاور مدينة البهنسا ، وأسيوط وأخميم(٣٣)، أما عن أهم المنسوجات الصوفية التى اشتهرت بها مصر ، فكان المرعز أو المرعزى السابق الذكر ، وهو من الأنواع عالية الجودة مرتفعة الأثمان ، كذلك كان العهن وهو نسيج الصوف المصبوغ ألوانا(٣٤)(*)، والذى ورد ذكره فى القرآن الكريم قال تعالى ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوش ﴾(٣٥) .

كذلك القرام وهو النسيج الصوفى الغليظ المنقوش(**) ، وكان يتخذ كستر وفراش للهودج(٣٦)، كما كان الجوخ - أيضًا - من مشتقات الصوف التى استخدمت بكثرة فى ملابس العامة، خاصة فى صنع العباءات ، وهو نوعان : المندمج المصقول والصلب الخفيف(٣٧) .

انتشر نسيج الصوف ومشتقاته فى الكثير من الملابس خاصة التى ترتدى فى فصل الشتاء كالجلباب والعباءة والدراعة والشيلان ، كما تم تصديره إلى العديد من بلدان العالم الإسلامى .

---

(٣٢) القيس : سميت نسبة إلى قيس بن الحارث ،الذى فتحها فى عهد عمرو بن العاص . ابن إياس : نزهة الأمم فى العجائب والحكم . تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة مدبولى بالقاهرة ١٩٩٥ ، ص١٩٩ .

(٣٣) محمد عبد الستار عثمان : أخميم فى العصرين القبطى والإسلامى - دراسة أثرية تاريخية . المطبعة العصرية ، الإسكندرية ١٩٨٢ ، ص٣١ .

(٣٤) أبو هلال العسكرى : التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء . جـ١ ، ص١٩٧ ، النووى : تهذيب الأسماء واللغات . جـ٢ ، ص٥٠ .

(*) الملحق: لوحة رقم (٢٨) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى رقم سجل (١٤٤٠٠) .

(٣٥) سورة القارعة آية رقم ٥ .

(**) الملحق : لوحة رقم (٢٩) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى رقم سجل (١٩٢٦٨) .

(٣٦) الخليل بن أحمد : العين : جـ٥ ، ص١٥٩ ، سامى عبد الحليم : المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية . ص٦١ .

(٣٧) معروف الرصافى : الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس . ص٧٧ ، سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر . ص٧٣ .

د ـ الحريـر :

يعـد الحرير من المنسـوجات التى احتلت مكانة كـبيـرة فى الحضـارة الإسـلامية ؛ فانتشرت أنواعه ومشتقاته وكثر استخدامه فى الكثير من الثياب والملابس ، ويرجع اكتشافه إلى الصين التى اشتهرت بصناعة الحرير وتجارته ، بل احتكرته لفترة طويلة لاحتفاظها بسر صناعته ، لذلك عرف الطريق البرى بين الصين وبيزنطة والمار بتركستان وجنوبى روسيا بطريق الحرير ، وانتقلت صناعته إلى بلاد فارس ومنها إلى بلدان العالم الإسلامى(٣٨) .

أما عن أهم المدن المصرية التى اشتـهرت بإنتاج الحرير ، فكانت الإسكندرية التى اشتهرت منذ القدم بصناعته وإنتاجه ، فيروى أنه وجد فى أحد أحيائها منذ القرن الخامس الميلادى مصنع خاص لنسج الحرير ، وكان يعهد بهذا العمل إلى طائفة من النساء(٣٩)، كذلك اشتهرت مدينة تنيس بصناعة الحرير (القرقبى) المنسوج بالذهب خاصة فى العصر الفاطمى(*) .

على الرغم من القيود التى وضعها الإسلام على استخدام الحرير ـ خاصة للرجال ـ إلا أنه شاع استخدامه بكثرة فى ملابس معظم طبقات المجتمع الإسلامى فى مصر خاصة فى العصر الفاطمى ، الذى تميز بالغنى والثراء ، وكانت النساء أكثر طبقات المجتمع استخدامًا له(٤٠)، فوجد فى ثروة ست الملك أخت الخليفة المعز لدين الله ثلاثون ألف قطعة من شقق الحرير الأحمر(٤١)، وعلى الرغم من المبالغة فى هذا الرقم إلا أنه يعكس مدى انتشار الحرير فى ملابس النساء فى هذا العصر .

---

(٣٨) فرضت الصين عقوبة الإعدام على من يذيع سر صناعة الحرير ، ولكن شاءت الأقدار – على ما يُروى – أن يعرف هذا السر بواسطة أميرة صينية تزوجت بحاكم إيرانى ، وعند خروجها إلى مقر زوجها فى إيران خبأت فى ثنايا شعرها بويضات دودة القز ، وفى وطنها الجديد فقست هذه البويضات وتوالدت وانتشرت فعرف الإيرانيون سر إنتاج الحرير ولم يعد وقفًا على الصين . محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية . ص٦٣ .

(٣٩) حمدة الغرباوى : التطريز فى النسيج والزخرفة . ص١٢ ، صبرى أبو الخير : تاريخ مصر فى العصر البيزنطي . ص١١٧ .

(*) الملحق : لوحة رقم (١٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى رقم سجل (١٤٥٣٠) .

(40) Stanley Lane - Poole : Art of the Saracens in Egypt . (Landon 1886) P. 241 .

(٤١) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص٥٦ .

كذلك لم يقتصر استخدام الحرير على صناعة الملابس والثياب ، بل امتد إلى استخدامه فى كتابة عقود الزواج عليه ، خاصة عقود الخلفاء والأمراء والأثرياء ، وذلك حتى تبقى مدة طويلة دون تلف ، على عكس عقود الناس العاديين التى كانت تكتب على البردى والورق(٤٢).

كان لتعدد أنواع الحرير ومشتقاته أكبر الأثر فى انتشاره وشيوع استخدامه فى الكثير من الملابس ، كما أصبح الحرير يلعب الدور الأول والرئيسى بالنسبة لباقى المنسوجات فى آخر العصر الفاطمى ، إذ لم يقتصر على خيوط اللحمة الملونة كما كان سابقًا ، بل امتد إلى استعماله كذلك فى خيوط السدى ، فكان الثوب يصنع من الحرير الخالص خاصة فى ملابس النساء والخلفاء وأصحاب اليسار والثروة(٤٣).

أما عن أسماء الحرير ومشتقاته التى عرفها المجتمع الإسلامى فعديدة ومتنوعة ، كان الديباج(٤٤) أشهرها وأكثرها استخدامًا ، وهو نسيج لامع ملون تقليدًا للحرير الصينى(٤٥).

استخدم الديباج فى العديد من الثياب والملابس كالعمائم والأقبية والقمصان والسراويل، بل حرص البعض على استخدام الديباج فى أغلب ملابسهم فى العصر الفاطمى كالأفضل بن بدر الجمالى الذى يبالغ البعض بأن وجد له بعد موته من أصناف الديباج تسعون ألف ثوب(٤٦).

---

(٤٢) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية . ص١٢٦ .

(٤٣) سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص٨٥ .

(٤٤) الديباج : كلمة فارسية من (ديو) أى جن و (باف) أى نسيج ، وقالت العرب : دبج أى نقش ودبج أى زين ، وقيل هو نوع من الحرير الغليظ . ابن منظور : لسان العرب . جـ٤ ، ص٢٧٨ ، أدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة . ص٦٠ .

(٤٥) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية . ص١١٦ ، سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص١٠٥ .

(٤٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٧٠ .

كما وجد - أيضًا - من الديباج عدة أنواع كالسندس والإستبرق ، أما السندس فهو رقيق الديباج ورفيعه(٤٧)، وكانت تصنع منه البرود وملابس النساء الداخلية وعصائب الرأس ، وقد غلب على ألوانه اللون الأخضر كما ورد فى القرآن الكريم ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾(٤٨)، أما الإستبرق فهو غليظ الديباج ، وقال البعض سمى استبرقًا لشدة بريقه(٤٩)، وكان السندس الأكثر استخدامًا وانتشارًا فى الملابس من الإستبرق ، فلم يرد ذكر الإستبرق فى الكثير من المصادر كما ورد السندس ، لميل الناس إلى كل ما هو رقيق من المنسوجات فى ملابسهم ، كذلك استخدم نوع من الحرير عرف بالدقس أو الدمقس ، وهو الحرير الأبيض ، والاسم الأخير نسبة إلى مدينة دمشق(٥٠)، التى اشتهرت بإنتاجه وتصديره .

كما أطلق العرب على الحرير قبل أن يتم غزله (القز) وسموه بعد الغزل (الإبريسم) وهو تعريب إبريشم بالفارسية بمعنى الحرير الخام(٥١)، كذلك عرف من أنواع الحرير الرفرف ، وهو أيضًا النسيج الرقيق من الديباج الحسن الصنعة(٥٢)، وغلب على ألوانه أيضًا الأخضر كما ورد فى القرآن الكريم ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾(٥٣) .

ومن أشهر أنواع الحرير التى وردت من بلاد فارس ، واستخدمت بكثرة فى ملابس الملوك والخلفاء والأمراء : الحرير الخسروانى ، وهو نوع من الحرير الرقيق الحسن الصنعة غالى الثمن ، اشتهر به ملوك فارس قديمًا نسبة إلى خسرو شاه أحد ملوك الفرس(٥٤)، وشاع استخدام هذا النسيج بكثرة فى أواخر العصر الفاطمى .

(٤٧) الجاحظ : التبصر بالتجارة . مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٩٤ ، ص٢١ ، ابن منظور : لسان العرب . جـ٦ ، ص٣٩٠ .
(٤٨) سورة الإنسان : آية ٢١ .
(٤٩) أبو هلال العسكرى : التلخيص . جـ١ ، ص١٩٧ .
(٥٠) أبو هلال العسكرى : المصدر نفسه . جـ١ ، ص١٩٧ ، أدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة . ص٦٦ .
(٥١) أدى شير : المرجع نفسه . ص٦ .
(٥٢) ابن دريد : جمهرة اللغة . جـ١ ، ص١٤٦ ، ابن سيده : المخصص . جـ١ ، ص٧٤ .
(٥٣) سورة الرحمن : آية ٧٦ .
(٥٤) خسرو : لفظ فارسى بمعنى الملك ، وقد عربها العرب بعد ذلك إلى كسرى .

ومن المنسوجات التى حظيت بمكانة وأهمية بجانب الحرير : نسيج الخز ، وهو نسيج مخملى ثقيل مثل القطيفة مصنوع من خيوط حريرية وخيوط صوفية ، فكانت السدى حريرًا واللحمة صوفًا[٥٥]، وكان أكثر استخداماته فى الملابس التى تتخذ للتدفئة ، كالطواقى والشيلان والجبب والعباءات ، واشتهرت بإنتاج الخز بلدة السوس بإقليم فارس[٥٦]، ثم انتشرت صناعته بعد ذلك فى مصر ، فاشتهرت مدينة أخميم بصعيد مصر بإنتاجه[٥٧].

ومن المنسوجات التى اشتهرت واستخدم فى صنعها الحرير والكتان : نسيج عرف بالأبوقلمونى أو البوقلمون ، وهو نوع من النسيج الرقيق امتاز بألوانه البراقة التى تتلألأ وتتغير إذا انكسرت عليها أشعة الشمس ، اشتهرت بإنتاجه مدينة تنيس وذاع صيتها لجودتها فى صناعته ، يذكر ناصر خسرو : (وينسجون فى مدينة تنيس هذه البوقلمون الذى لا ينسج فى مكان آخر ، وهو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار ، وتحمل أثوابه من تنيس إلى المشرق والمغرب)[٥٨]، وعرف هذا النوع من النسيج فى تونس بعنق الحمام[٥٩].

ويذكر البعض أن لفظ أبوقلمون يونانى معرب Khamilen بمعنى الحرباية[٦٠]، وأن صناعته بدأت فى بلاد اليونان أولاً ثم وصلت بعد ذلك إلى مصر وانتشرت فى القرن الخامس الهجرى[٦١].

ويرجع سبب تفوق مدينة تنيس فى إنتاج هذا النسيج إلى مهارة الصانع التنيسى فى إعداد المواد الخاصة بصباغته ؛ فقد استطاع الصانع أن يحصل على نوع من الحجارة البحرية

---

(٥٥) أبو الفضل الميدانى : السامى فى الأسامى . ص١٣٢ ، أدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة . ص٥٤ .

(٥٦) جروهمان : أوراق البردى العربية . جـ٦ ، ص١٠٤ .

(٥٧) هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع فى مصر الإسلامية . ص١٨٠ .

(٥٨) سفر نامه . ص٩٢ .

(٥٩) الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص٢٢ .

(٦٠) زكى حسن : كنوز الفاطميين . ص٥٢ .

(٦١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام . جـ٤ ، ص٣٩٣ ، جابر سلامة المصرى : مدينة تنيس فى التاريخ الإسلامى . مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٨٧ ، مجلد ٣٥ ، ص١١٤ .

توجد بقاع البحر بالقرب من شاطئ الإسكندرية تسمى فصوص البوقلمان ، وعالجها كيماويًا واستخرج منها الصباغة الخاصة بصنع هذا النوع من النسيج(٦٢) .

ومن المنسوجات التى أنتجتها بغداد وانتشرت فى المجتمع المصرى نسيج يسمى السقلاطون ، وهو نوع آخر من النسيج الحريرى المغشى بخيوط الذهب(٦٣)، وقد تعددت ألوانه فكان منه القرمزى والأبيض والبنفسجى ، يذكر ابن الطوير : (وهو من المنسوجات التى اشتهرت به فى الأصل بلاد الروم ، وانتقل إلى مصر زمن خلافة العزيز بالله فى أعقاب الصلح الذى عقده مع الروم سنة٣٧٧هـ)(٦٤) .

ويوضح لنا النص السابق ما حققته العلاقات السياسية بين الفاطميين وبلاد الروم فترات السلم ، وانعكاس ذلك على المجال التجارى والصناعى ، كذلك يوضح حرص الفاطميين على إدخال كل ما هو جديد فى مجال المنسوجات لإثراء صناعة الملابس والثياب، التى احتلت فى عصرهم مكانة مهمة .

ونخلص مما سبق إلى أن تنوع خامات المنسوجات والأقمشة وتعددها كان له أكبر الأثر فى تقدم صناعة الملابس وازدهارها من ناحية ، وتعدد الملابس فى المجتمع المصرى وتنوعها من ناحية أخرى ؛ فكان لكل نوع من أنواع النسيج خاصية تتلاءم مع أنواع محددة من الملابس والثياب ، وهو ما جعل بعض المدن المصرية تتخصص - أيضًا - فى إنتاج أنواع محددة من الملابس كما سنرى فى الفصل الخاص بمراكز صناعة الملابس والثياب .

كذلك يتضح لنا مدى ما حققه النساج المصرى من مهارة وتفوق فى صناعة العديد من الأنسجة والخامات الأولى ، مما كان له أكبر الأثر فى تقدم مصر وشهرتها فى هذا المجال ، حتى إن بعض أنواع النسيج المصرى كانت تحتل المكانة الأولى فى المشرق والمغرب ، مما جعل البعض يسعى للحصول عليها بأثمان عالية ، أو تقليدها إذا تعذر ذلك .

---

(٦٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية . جـ٢ ، ص٣٥٤ ، أمنية الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى . ص٢٢٨ .

(٦٣) هلال الصابى : الهفوات النادرة . ص٣٢٦ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٥٤٦ .

(٦٤) نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين . ص١٢٩ .

الفصل الثانى

مراكز صناعة المنسوجات

تعددت مراكز صناعة المنسوجات والملابس فى مصر الإسلامية، حتى إننا لم نسمع عن بلد اشتهرت أغلب مدنه وقراه بإنتاج النسيج والملابس كمصر ، وهو ما يؤكد - بلا شك - مدى الارتقاء الحضارى والصناعى الذى تمتعت به مصر عبر العصور ، فتوافرت عدة عوامل طبيعية وبشرية ساعدت على انتشار هذه المراكز وازدهار هذه الصناعة بها ، فكان المناخ الملائم لزراعة القطن والكتَّان من العوامل الطبيعية التى أدت إلى توافر المادة الخام لصناعة النسيج بها، كما كانت سهولة المواصلات ووجود بعض هذه المراكز قرب البحر المتوسط ، عاملاً آخر أعان على تصدير المنتجات المصرية إلى البلدان المجاورة كافة ، يضاف إلى كل ذلك توافر الأيدى العاملة ذات المهارة الخاصة ، نتيجة ممارستها لهذه الصناعة منذ القدم ، كذلك تشجيع السلطة السياسية فى مصر عبر العصور لصناعة النسيج، وإخضاع هذه المراكز للإشراف المباشر لها .

تخصصت بعض هذه المراكز فى إنتاج نوعيات خاصة من المنسوجات والثياب عرفت واشتهرت بها ، خاصة فى العصر الفاطمى بعد أن أولت الدولة الفاطمية لصناعة النسيج والملابس عناية فائقة ؛ فاحتلت هذه المراكز فى عهدهم سمعة ومكانة متقدمة فى العالم الإسلامى .

وتعددت هذه المراكز وانتشرت فى شمالى مصر وجنوبيها ، فكانت مدن تنيس ودمياط ودبيق وشطا وتونة والإسكندرية من أهم المراكز فى شمالى مصر ، كذلك كانت الفيوم والبهنسا وطحا والقيس وأخميم وأسيوط من أهم المراكز فى الجنوب .

١ ـ تنيس :

تعد تنيس[١] من أهم مدن ومراكز صناعة النسيج والثياب فى مصر ، إذ اشتهرت

(١) تنيس : مدينة قديمة بالقرب من دمياط على بُعد تسعة كيلو مترات من الجنوب الغربى لمدينة بور سعيد الحالية ، وكانت قائمة فى العصور الوسطى فى الجهة الشمالية الشرقية من بحيرة المنزلة ، ويذكر أن تنيس تنسب إلى تنيس بن حام بن نوح عليه السلام .
اليعقوبى : البلدان . ص٣٣٧ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان . جـ٢ ، ص٦٠ ، البغدادى : مراصد الاطلاع . جـ١ ص٢٧٨ .

بإنتاج أنواع عديدة من المنسوجات والثياب الفاخرة غالية الجودة والثمن ، ذكر ناصر خسرو : «وينسج بتنيس القصب الملون من عمامات ووقايات ومما يلبس النساء ، ولا ينسج مثل هذا القصب فى جهة غير تنيس »[٢]، ونسيج القصب هو أرق أنواع الكتان ، ولم يكن يلون إلا بتنيس ، وصفه البعض لرقته بأنه نسيج مهلهل كأنه المنخل[٣]. كذلك تخصصت تنيس فى صنع نسيج البوقلمون[٤] المتغير الألوان ، وكان يصدر إلى جميع أقطار الشرق والغرب . على أن أهم ما ميز مدينة تنيس كمركز لصناعة الثياب تخصصها فى صناعة ثوب يسمى البدنة ، وكان ثوبًا ينسج للخليفة خصيصًا لا يدخل فيه من الغزل سداء ولحمة غير أوقيتين ، وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة ، لا تحتاج إلى تفصيل أو خياطة وبلغت قيمته ألف دينار[٥] .

ولا نكاد نسمع عن مدينة تخصص أغلب ساكنيها فى صناعة المنسوجات سوى تنيس، فيذكر ابن بسام : « وأهلها كلهم نصارى على مذهب النسطوريين ، وبها من المناسج التى تعمل فيها الثياب خمسة آلاف منسج وعدد عمالها عشرة آلاف نفس ، سوى من يرقم أو يلون بالأصباغ من ذكر أو أنثى »[٦] .

ويوضح لنا النص السابق مدى التخصص الذى تمتعت به المدينة فى صناعة المنسوجات، الأمر الذى أدى إلى تهافت الجميع على منتجاتها ، فيذكر الكندى : « إنه ليس فى الدنيا منزل إلا وفيه من ثوب تنيس ولو خرقة »[٧] .

أدركت الدولة الفاطمية أهمية تنيس ومكانتها كمركز مهم لصناعة النسيج والملابس ، ففرض الوزير يعقوب بن كلس قيودًا على تصدير الأنسجة الخاصة بها وأصبحت تخصص إنتاجها للملابس الخليفة والحاشية ، كما ذكر ناصر خسرو : « وما ينسج للسلطان من القصب

(٢) سفر نامه . ص٩٢ .
(٣) آدم متز : الحضارة الإسلامية . جـ٢ ص٣٥٣ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة . ص١٦٣ .
(٤) أحمد بن بسام التنيسى : أنيس الجليس فى أخبار تنيس . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٨٥٢ ورقة رقم٧٢ ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص١٧٧ .
(٥) المقريزى : الخطط . جـ١ ص٢٨٦ .
(٦) أنيس الجليس فى أخبار تنيس . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٨٥٢ ورقة رقم ٧٢ .
(٧) فضائل مصر المحروسة . ص٤٨ .

والبوقلمون يدفع ثمنه كاملاً ، بحيث يعمل الصناع برضاهم للسلطان لا كما فى البلاد الأخرى حيث يفرض الديوان والسلطان السخرة على الصناع »[٨]، ويوضح لنا هذا النص - أيضًا - العلاقة بين الدولة والصناع فى العصر الفاطمى ، فعلى الرغم من احتكارها لإنتاج هذه المدينة ، إلا أنها لم تَجر على حقوق الصناع والعمال فتدفع لهم حق ما ينتجون، لإدراكها بأنهم يشكلون الثروة الحقيقية للمدينة .

أدى ازدهار وتقدم صناعة النسيج والملابس بتنيس ، إلى أنها أصبحت مصدر دخل كبير للدولة ، فيذكر السيوطى : « جئ بخراجها فى أيام أحمد بن طولون خمسمائة ألف دينـــار »[٩]، أما فى عصر الدولة الفاطمية فكانت تمد خزانة الدولة يوميًا بألف دينار مغربى[١٠]، ولا عجب فى ذلك إذا ما عرفنا أن المدينة كانت تحتوى على مائة وخمسين دكانا ، وخمسين قيسارية لبيع النسيج والملابس وتجارتها[١١]، وظلت تنيس تمد المجتمع المصرى بالعديد من أنواع النسيج والملابس المختلفة حتى حاصرها الصليبيون عام ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م فخربت وهرب أهلها إلى ثغر دمياط وتركوا المدينة ، فاستولى عليها الصليبيون وملكوها ونهبوا ما فيها، ثم ألقوا فيها النار فاحترقت كلها[١٢]، وعندما خربت وذهبت آثارها ؛ أمر الملك الكامل (٦١٥- ٦٣٥هـ) بهدمها سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م[١٣]. فانتهت بذلك قصة أعظم مدن مصر لصناعة النسيج والملابس ، بعد أن احتلت شهرة ومكانة عالمية فى المشرق والمغرب ، خاصة عندما ارتبط إنتاجها بتصنيع كسوة الكعبة المشرفة لفترة طويلة[١٤].

(٨) سفر نامه . ص٩٤ .

(٩) حسن المحاضرة . جـ١ ص٣٠ .

(١٠) أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص٤٠٣ ، السيد محمد عاشور : صناعة وتجارة الأقمشة فى مصر . ص٧ .

(١١) أحمد بن بسام التنيسى : أنيس الجليس فى أخبار تنيس . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٨٥٢ ورقة رقم ٧١ .

(١٢) ناصر خسرو : سفر نامه . ص٩٢ .

(١٣) المقريزى : الخطط . جـ١ ، ص٢٩٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة . جـ١ ، ص٣٠ .

(١٤) يذكر أن الخليفة المهدى أمر بصنع كسوة الكعبة المشرفة من القباطى المصرى من طراز تنيس عام ١٥٩هـ، وكان يتم العمل بقرية تونة التابعة للمدينة .
السيد محمد الدقن : كسوة الكعبة المعظمة عبز التاريخ . مطبعة الجبلاوى ١٩٨٦ ، ص٣١ ،
Thalma K. Thomas : Textiles from Medieval Egypt. P. 33 .

دميـاط :

كانت دمياط تقارب تنيس فى الشهرة فى صنع نسيج الكتان الأبيض غير الملون(*) ونسيج الشرب[١٥]، وساعد على رواج صناعة النسيج والثياب بها وفرة الكتان بمنطقتها ومنطقة شرق الدلتا[١٦]. وإلى جانب نسيج الشرب اشتهرت دمياط بإنتاج نسيج البوقلمون، ومناشف الأبدان (الفوط) التى كانت تصدر إلى بلدان الشرق والغرب[١٧]، ولم تكن دمياط تنتج نسيج الكتان مثل تنيس فحسب ، بل كانت تصنع ـ أيضًا ـ المنسوجات والثياب الحريرية المذهبة التى ارتفعت أثمانها ، فيذكر أنه فى عام ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م زمن الخليفة الحاكم بأمر الله بيعت حلتان من نسيج دمياط بثلاثة آلاف دينار ، وهو شيء فريد فى تلك الفترة[١٨].

انتشرت فى دمياط المصانع المنزلية والمعامل أو الغرف التى كان يتم تأجيرها من قبل الحكومة للصناع ، حيث تخصصت تلك المعامل أو الغرف فى إنتاج الجيد من هذه المنسوجات ، وكان يتولى أمر تلك – الصناعة – أيضًا الأقباط (المصريون) ويتم الإشراف عليهم بواسطة سماسرة من قبل الحكومة[١٩]، ويرى جمال الدين الشيال أنه إذا كان بمدينة تنيس على صغر حجمها خمسة آلاف منسج ، فإن دمياط كان بها ـ على أقل تقدير ـ نحو ستة آلاف منسج[٢٠]، وهو ما يفسر لنا غزارة إنتاج المدينة وشهرتها العالمية ، حتى أن مدينة كازرون أكبر المدن الفارسية التى اشتهرت بصنع الثياب ، كانت تسمى دمياط الأعاجم[٢١]، وكانت تصنع بها أنواع النسيج والأقمشة المصرية مقلدة بذلك الأسلوب المصرى .

(*) الملحق : لوحة رقم (٢٠) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١٠١٢١) .

(١٥) ناصر خسرو : سفر نامه . ص٩٢ .

(١٦) جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط سياسيًا واقتصاديًا . مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ٢٠٠٠ ص٧٠ .

(١٧) ياقوت الحموى : معجم البلدان . جـ٢ ، ص٥٣٨ .

(١٨) المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٨٦ .

(١٩) المرجع السابق ، ص٢٢٢ .

(٢٠) مجمل تاريخ دمياط سياسيًا واقتصاديًا . ص٧٢ .

(٢١) جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق . دار الفكر العربى ١٩٧٣ ، ص١٣٦ ، حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى . دار الفكر العربى ١٩٧٧ ، ص٢٠٠ .

٣ ـ دبيــق :

دبيق إحدى القرى التابعة لدمياط بين تنيس والفرما[٢٢]، ذاعت شهرتها منذ فجر الإسلام بإنتاجها للثياب والنسيج الحريرى المزركش والمخصص لصنع العمائم والملابس الداخلية للنساء[٢٣]، ويذكر المقريزى : « كانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ويكون طول العمامة منها مائة ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب ، فتبلغ العمامة الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل »[٢٤] ويضيف الرشيد بن الزبير : « وكانت ثياب الوزير أبى الحسن على بن محمد بن الفرات دبيقية كالهواء رقة ، كل ثوب بسبعين دينارًا »[٢٥].

ويوضح لنا النصان السابقان ما بلغته جودة منسوجات دبيق ، الأمر الذى أدى إلى شدة الإقبال على منسوجاتها وما تصنعه من ثياب ، خاصة فى العراق فلم يكن الخليفة العباسى ورجال بلاطه وحدهم هم الذين يستعملون المنسوجات الدبيقية ، بل كان كل عراقى تسمح له ثروته يشترى هذه الأقمشة تشبهًا بأولى الأمر ورجال الدولة ، مما ترتب عليه ركود وكساد فى أسواق الأقمشة فى العراق ، الأمر الذى حز فى نفوس تجار المنسوجات هناك عندما رأوا تسرب أموال مواطنيهم إلى الخارج ، مما اضطرهم إلى إطلاق اسم دبيق على أحد مراكز النسيج فى العراق تشبهًا بالمدينة المصرية ، لكى يدخلوا فى بال المشترى أنها مصرية وما هى بمصرية[٢٦].

وعلى الجانب الآخر حرصت الخلافة الفاطمية ورجال دولتها على أن تكون معظم ملابسهم ومنسوجاتهم من صنع دبيق ، يذكر المسبحى عن الخليفة الظاهر (٤١١هـ-٤٢٧هـ/ ١٠٢٠م-١٠٣٥م) أنه « كان يميل إلى ارتداء القمصان والأردية الدبيقية ، حتى مظلته كانت تصنع من النسيج الدبيقى المذهب »[٢٧].

(٢٢) البغدادى : مراصد الاطلاع . جـ٢ ، ص٥١٣ .
(23) D. Goitein : A Mediterranean Soeiety . vol IV, P. 166 .
(٢٤) الخطط . جـ١ ، ص٣٦٥ .
(٢٥) الذخائر والتحف . ص٢٢٩ .
(٢٦) محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية . ص١٨٧ ، سلام شافعى محمود : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول . ص١١٤ .
(٢٧) أخبار مصر فى سنتين . ص١٨٠ .
(٢٨) اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٧٠ .

كذلك تضمنت ثروات الوزراء الفاطميين العديد من المنسوجات والثياب التى حرصوا على أن تكون من صنع دبيق ، فيذكر المقريزى عن الأفضل بن بدر الجمالى «ووجد له ثلاث خزائن كبار مملوءة صناديق كلها دبيقى »[٢٨] .

ووصلت شهرة دبيق إلى آفاق العالم فأصبحت علمًا على أنواع النسيج الموشى بخيوط الذهب والحرير[*] ، خاصة فى العصر الفاطمى ، فزاد الطلب عليها وارتفعت أسعارها داخل مصر وخارجها ، مما جعلها تشكل مصدر دخل جيد للدولة .

٤ ـ شطا :

تقع شطا بين تنيس ودمياط على بعد ثلاثة أميال من دمياط ، على الشاطئ الغربى لبحيرة تنيس ، ويذكر عنها المقريزى أنها عرفت بشطا بن الهاموك ، وكان أبوه خال المقوقس وكان على دمياط[٢٩] .

وكما سكن القبط فى تنيس ودمياط وتخصصوا فى صناعة النسيج ، سكنوا كذلك فى شطا وبرعوا فى نفس المهنة[٣٠] ، فاشتهروا بصنع نسيج الكتان الرفيع ـ الشرب ـ والذى بلغت قيمة الثوب منه ثلاثمائة درهم دون أن يدخل فيه ذهب[٣١] .

وازدهرت صناعة النسيج والثياب بالمدينة وصارت علمًا على أنواع محددة من الثياب عرفت بالثياب الشطوية ، وكانت تفرض عليها من قبل الدولة مكوس وضرائب عالية القيمة فى جميع مراحل تصنيعها ونقلها وبيعها[٣٢] ، فكانت لا تنسج إلا بعد أن يختم عليها ، ولا يتم تصديرها إلا بمعرفة سماسرة ومندوبين من قبل الخليفة[٣٣] .

(*) الملحق : لوحة رقم (١٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١٤٥٣٠) .
(٢٩) الخطط . جـ١ ، ص٣٦٤ .
(٣٠) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ليدن ١٩٠٦ ، ص٦١ .
(٣١) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد . ص٢٠٩ .
(٣٢) أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد . ص٣٢٤ .
(٣٣) اليعقوبى : البلدان . ص٣٣٨ ، أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص٤١٥ .
(٣٤) سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الوظائف والحرف . جـ١ ، ص٤٩٣ .

مما تجدر الإشارة إليه أن مصانع شطا ظلت عامرة حتى عصر المماليك ، فأنتجت فيها بكثرة المنسوجات القطنية والكتانية والحريرية التى عرفت بالكمخة[٣٤] ، وقد بحثنا عن تفسير أو معنى لهذا الاسم فلم نعثر .

٥ ـ تونـة :

كانت تونة جزيرة قرب تنيس ودمياط ، ويحدد البلاذرى موقعها قائلاً : « كانت فى الجنوب الشرقى من جزيرة تنيس »[٣٥] .

عرفت تونة بأنها مركز من مراكز صناعة النسيج الإسلامية منذ القرن الثانى وحتى القرن الخامس الهجري[٣٦] ، ولا شك أن قربها لتنيس ومجاورتها لها فرض على صناعها العمل - أيضًا - بصناعة النسيج والثياب . فتخصصت تونة فى صنع النسيج والملابس الكتانية ، إضافة إلى اشتهارها بصنع كسوة الكعبة المشرفة والتى حرص الخلفاء والولاة على عملها بدور الطراز المصرية ، وإرسالها سنويًا إلى مكة[٣٧] .

وتوجد بعض قطع النسيج التى تنسب إلى تونة ، بعضها محفوظ فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وبعضها فى عدد من المجموعات والمتاحف العالمية ، ومن بين هذه القطع قطعة نسيج باسم الخليفة العباسى هارون الرشيد يرجع تاريخها إلى عام ١٩٠هـ[٣٨] .

وعدا ما ذكرنا لا تمدنا المصادر أو المراجع بأية تفاصيل أخرى عن منسوجاتها وثيابها ، وهو ما يدعونا إلى القول بأن شهرة تنيس ودمياط ومنسوجاتهما أثرت سلبًا على شهرة تونة ومنسوجاتها ، باستثناء ما حازته من شرف صنع كسوة الكعبة المشرفة .

(٣٥) فتوح البلدان . ص١٥٦ .
(٣٦) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية . ص١٧٧ .
(٣٧) م . س . ديماند : الفنون الإسلامية . ص٢٥٠ .
(٣٨) سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الحرف والوظائف . جـ١ ص٢٨٦ ، عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية . ص١٧٧ .
(٣٩) زبيدة عطا : الحياة الاقتصادية فى مصر البيزنطية . دار الأمين للنشر والتوزيع بالقاهرة ١٩٩٤ .

٦ ـ الإسكندرية :

اشتهرت الإسكندرية ـ منذ أقدم العصور ـ بصناعة المنسوجات والثياب ، خاصة فى العصر البيزنطى ، فكانت أحد المراكز المهمة لصناعة المنسوجات الكتانية[٣٩] ، كان لموقع الإسكندرية المهم لكونها ثغر وملتقى التجار من البلاد الأخرى أن اشتهرت بصناعة النسيج ، كما كان يأتيها الكتان الجيد من المناطق المجاورة لها[٤٠] .

على أن أكثر ما ميز الإسكندرية ـ كمركز لصناعة النسيج منذ القدم ـ هو إنتاجها للمنسوجات الحريرية الفائقة الجودة منذ العصر البطلمى والرومانى والبيزنطى ، فاستمرت تجارته مع إفريقيا والمغرب وإسبانيا وروما[٤١] ، وظلت الإسكندرية تحتفظ بشهرتها فى إنتاج النسيج والثياب حتى العصر الإسلامى ، فيذكر ابن شاهين : « ويعمل بهذا الثغر من الأقمشة العجيبة التى لا توجد فى غيره والأشياء المفردة مما لو أردنا أن نشرح ذلك لاحتجنا إلى عدة مجلدات »[٤٢] .

وكان من ضمن المنسوجات التى تفوقت الإسكندرية فى إنتاجها نسيج الوشى[٤٣] والشرب والبوقلمون ، إذ يذكر الجاحظ . « خير الوشى فى الثوب السابرى والكوفى والإبريسمى والمذهب المنسوج ثم الوشى الإسكندرانى الكتان البحت »[٤٤] .

حملت شهرة الإسكندرية فى صناعة الأقمشة بعض النساج على تقليد أقمشتها وبيعها على أنها من صنع الإسكندرية[٤٥] ، وأغلب الظن أن ارتفاع أسعار منسوجات

ص٩٥ .

(٤٠) محمد محمود أدريس : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصر الفاطمى . مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٦ ، ص٢٠٤ .

(41) Thelma K. Thomas : Textiles from Medieval Egypt. P. 29 .

زكى حسن : الفن الإسلامى فى مصر . ص٩٠ .

(٤٢) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك . صححه بولس راويس ، دار العرب للبستانى ١٩٨٩ ، ص٤١ .

(٤٣) الوشى : نوع من الثياب الرقيقة المنسوجة من الحرير وهى مرقومة بألوان شتى . السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص٢٠ .

(٤٤) التبصر بالتجارة . ص١٩ .

(٤٥) محمد عبد العزيز مرزوق : طراز الإسكندرية . بحث نشر فى مؤتمر الآثار فى البلاد العربية المنعقد فى دمشق ١٩٤٧ ، جامعة الدول العربية ص١٦٨ .

الإسكندرية كان سببًا فى لجوء البعض إلى تقليد هذه المنسوجات ، فيذكر المقريزى : « كان ما يباع من الكتان من نسيج الشرب ، كل زنة درهم بدرهم فضة ، أما ما كان يدخل من هذه الثياب فى الطراز فكان يباع بقيمة وزنه مرات عديدة »(٤٦) .

واستمرت الإسكندرية من أكثر مراكز النسيج شهرة وإنتاجًا ، حتى انتشرت منسوجاتها فى أوربا ، فكان باباوات روما يتهافتون على منسوجاتها ويحرصون على إهدائها إلى الكنائس ، خاصة أنها تميزت بالرسومات والزخارف الجميلة(٤٧) .

٧ ـ الفيـــوم :

كانت مدينة الفيوم إحدى المدن المهمة فى صناعة نسيج الكتان السميك(*) ، فيذكر المقدسى عنها : « الفيوم جليل به مزارع الأرز الفائق والكتان الدون »(٤٨) ويعنى المقدسى بالكتان الدون الأقل جودة لسمكه وعدم رقته ، إلا أن الفيوم بالرغم من ذلك امتازت بالمنسوجات المنفذة بخيوط من الصوف ، إلى جانب استخدام عناصر زخرفية فى نسيجها قوامها رسوم آدمية ورسوم حيوانات وطيور(٤٩)(**) ، كذلك تخصصت فى صناعة نسيج الخيش(٥٠) ، ويصف ليون الإفريقى مدينة الفيوم كمركز من مراكز صناعة النسيج بقوله : «والمدينة متحضرة عامرة جدًا تضم كثيرًا من الصناع ، لا سيما النساجين»(٥١) .

وإلى جانب الفيوم كان هناك عدد من المراكز المتخصصة فى صناعة نسيج الكتان ، وكانت أيضًا تتبع الفيوم كمدينة بوش ودلاص ، فيذكر ابن بطوطة عنهم : « ثم سرت إلى مدينة بوش وهذه المدينة أكثر بلاد مصر كتانًا ومنها يجلب إلى سائر الديار المصرية وإلى

---

(٤٦) الخطط . جـ١ ص٣٦٣ .

(٤٧) دائرة المعارف الإسلامية . جـ١٥ ، ص١٣٣ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (٩٠٦١) .

(٤٨) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ص٢٠١ .

(٤٩) محمد محمد الكحلاوى : آثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة . الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٤ ، ص١٥٧ .

(**) الملحق : لوحة رقم (١٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١٤٨٧٧) .

(٥٠) السيد محمد عاشور : صناعة وتجارة الأقمشة فى مصر . ص١٠ .

(٥١) وصف إفريقيا . ترجمة محمد عجمى ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٣ ، جـ٢ ص٢٣٦ .

إفريقية ، ثم سافرت منها فوصلت إلى مدينة دَلاص ، وهذه المدينة كثيرة الكتان أيضًا كمثل التى ذكرناها قبلها ، ويحمل أيضًا منها إلى ديار مصر وإفريقية »[٥٢] . ويفهم من نص ابن بطوطة أن نسيج الفيوم والمدن التابعة لها لم يكن يستخدم محليًا فقط ، بل بلغت شهرته إلى بلدان إفريقيا فكان يصدر إليها ، وبالتالى كان مصدر دخل جيد لمصر ؛ لذلك ظلت مدينة الفيوم محتفظة بهذه الشهرة فى صناعة النسيج طيلة العصر الإسلامى .

٨ ـ البَهنسا[٥٣] :

كانت البهنسا إحدى مدن الصعيد التى اشتهرت بإنتاج نسيج الصوف والثياب الجيدة منه[٥٤]، يذكر المقريزى عنها : « تعمل بها الستور البهنسية وينسج المطرز والمقاطع السلطانية والمضارب والثياب المحبرة ، وإذا صنع بها شيء من الستور والأكسية والثياب من الصوف أو القطن ، فلابد أن يكون فيها اسم المتخذ له مكتوبًا على ذلك »[٥٥] ويضيف المقدسى : «ويصنع ببهنسة الستور والأنماط والكتان الرفيع مزارعة ببوصير »[٥٦].

ونستنتج من النصين السابقين أن البهنسا لم يقتصر إنتاجها للنسيج على الصوف فقط ، بل أنتجت أيضًا الكتان الرفيع عالى الجودة ، كما نستنتج ـ أيضًا ـ أن البهنسا كانت أحد مراكز دور الطراز الخاصة التابعة للإشراف المباشر للدولة ، ويوجد العديد من قطع النسيج المصنوعة فى دار الطراز الخاصة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة[*]، تحمل اسم البهنسا وبعض الكتابات الكوفية ، سنقوم بعرضها والتعليق عليها فى الدراسة الخاصة بالصور واللوحات .

(٥٢) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . تحقيق على المنتصر الكتانى ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٥ ، جـ١ ص٦٣ .

(٥٣) البهنسا : تقع على بحر يوسف أحد فروع النيل بصعيد مصر على بعد ١٢٠ ميلاً جنوب القاهرة ، المقدسي: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ص٢٠٢ ، سامى أحمد عبد الحليم : المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية . ص٦٨ .

(٥٤) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار . جـ١ ص٦٤ .

(٥٥) الخطط . جـ١ ، ص٣٨٢ .

(٥٦) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ص٢٠٢ .

(*)الملحق : لوحة رقم (٧) و (٨) و (٩) و (١٠) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١٣١٤٣) و(١٣٤٢٥) و (٥/ ١٢١٣٣) و (١٣٤٢٥) .

٩ ـ طحـــا :

هى قرية من قرى الصعيد يحددها الإدريسى بأنها أسفل من مدينة الأشمونى[٥٧]، كما يذكر ابن حوقل موقعها بأنها شمال الصعيد فى غربى النيل ، واسم طحا من الطحو وهو المد أو البسط[٥٨]، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾[٥٩].

ويجمع بعض المؤرخين الرحالة على أن مدينة طحا تفوقت فى صناعة الأقمشة والمنسوجات الصوفية الرفيعة ، فقد وصف المقدسى الثياب والمنسوجات الصوفية الرفيعة بها بالجودة وحسن الذوق، كما لفت الأنظار فى حديثه عن المدينة إلى أن أغلب سكانها كانوا ـ أيضًا ـ من القبط فيذكر (كان سكان طحا فى صدر الإسلام خمسة عشر ألف نفس ، كلهم نصارى)[٦٠] وهو دليل يؤكد جودة منسوجاتها ، حيث تخصص أغلب نصارى مصر ـ كما مر بنا ـ فى صناعة النسيج ، مما يدعونا إلى التسليم بأن أغلب القرى والمدن التى سكنها الأقباط كانت تنتشر بها صناعة النسيج والثياب .

١٠ ـ القَيــس :

يذكر المقريزى عن مدينة القيس « اعلم أن القيس من البلاد التى تجاور مدينة البهنسا ، قال ابن عبد الحكم : بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى الصعيد فسار حتى أتى القيس فنزل بها فسميت به »[٦١].

ويُذكر أن القيس الآن تتبع مركز بنى مزار بمحافظة المنيا[٦٢]، ويخلط البعض ـ أحيانًا ـ بين مدينة القيس وقرية القَس ، فالقيس تقع فى صعيد مصر وكانت تشتهر دائمًا بالمنسوجات الصوفية ، وأكسية المرعز العسلى[٦٣]، وقد عمل لمعاوية بن أبى سفيان عدد

(٥٧) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . جـ٢ ، ص١٢٥ .
(٥٨) صورة الأرض . ص١٤٩ .
(٥٩) سورة الشمس : آية ٦ .
(٦٠) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ص٢٠٢ .
(٦١) الخطط . جـ١ ص٣٣٠ .
(٦٢) ممدوح الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر . مكتبة مدبولى (د. ت) ص١٨٦ ، السيد طه أبو سديرة : الصناعات والحرف . ص٢٢ .

من أكسية المرعز التى تنتجها المدينة عندما احتاج إليها فى كبره ، أما القس فهى قرية على ساحل البحر قريبًا من تنيس[٦٤] ، وكانت تنسب إليها الثياب القَسية ، وهى ثياب مخططة أو مضلعة كانت تنسج من الكتان المخلوط بالحرير أو الإبريسم ، وورد عن الخليفة على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس القسي[٦٥] . ويبدو أن التشابه بين الاسمين جعل البعض يخلط بين موقع كل منهما ، خاصة عند الحديث عن نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الملابس القسية .

على أن مدينة القيس التى نحن بصددها ـ بالصعيد ـ كانت دائمًا متميزة بإنتاج المنسوجات والثياب الصوفية منذ صدر الإسلام ، كما كان للمدينة أهمية وشهرة كبيرة فى إنتاج نسيج المرعز غير المصبوغ ، والذى لم يكن له نظير فى المناسج الأخرى فى الدولة الإسلامية[٦٦] ، حتى زاد الطلب على هذا النوع خاصة فى فصل الشتاء ، فأصبح دخل المدينة يقدر بحوالى عشرة آلاف دينار عام ٢٢٦هـ[٦٧] .

١١ ـ أخميم :

أخميم من مدن الصعيد على الجانب الشرقى للنيل[٦٨] ، وهى مدينة قديمة اشتهرت كأغلب مدن الصعيد بإنتاج المنسوجات الصوفية ، إلا أنها جمعت بين المنسوجات الصوفية والكتانية ذات الأشكال المبتكرة ، والتى تجمع بين الألوان السوداء والبيضاء[٦٩](*) ، وإذا كانت أخميم قد جمعت بين نسيج الصوف والكتان ، إلا أنها اشتهرت كذلك بصناعة

(٦٣) اليعقوبى : البلدان . ص٣٣١ ، المقريزى : الخطط . جـ١ ، ص٣٣٠ .
(٦٤) ابن إياس : نزهة الأمم فى العجائب والحكم . ص١٨٥ .
(٦٥) ابن سيده : المخصص . جـ١ ، ص٧٢ ، محمد عبد الحكيم القاضى : اللباس والزينة من السنة المطهرة . ص٣٨ .
(٦٦) السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات . ص٢٢ .
(٦٧) ممدوح الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر . ص١٨٦ .
(٦٨) ياقوت الحموى : معجم البلدان . جـ١ ، ص١٥٠ .
(٦٩) ممدوح الريطى : المرجع نفسه . ص١٨٦ .
(*) الملحق : لوحة رقم (١٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١٤٨٧٧) .

الحرير وبلغت فى ذلك شأواً بعيداً ، حتى إن إنتاجها كان يصدر إلى خارج البلاد(٧٠)، ويحتفظ المتحف البريطانى ببعض قطع الحرير المنسوبة لأخميم والمنقوش عليها اسم الخليفة الأموى مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٦-٧٥١م)، وكان صناع النسيج والثياب فى أخميم - أيضًا - من النصارى كالكثير من المدن . ويذكر البعض أن نسيج أخميم كانت أسعاره مرتفعة ، نظرًا لجودته ، فكان ثمن الثوب يصل إلى حوالى عشرين دينارًا ، خاصة المصنوع من الحرير أو الصوف المرعزي(٧٢).

١٢ - أُسيــوط :

أُسيوط إحدى مدن الصعيد فى غرب النيل ، وكانت منذ العصور الفرعونية تُشتهر بصناعة النسيج ، وامتدت هذه الشهرة إلى العصر القبطى والإسلامى ، إذ تخصصت أسيوط فى صناعة الأنسجة الصوفية ذات الملمس الناعم ، فيذكر ناصر خسرو : « وقد رأيت فى أسيوط فوطة من صوف الغنم لم أر مثلها فى لهاور أو ملتان ، وهى من الرقة بحيث تحسبها حريرًا»(٧٣) . ويوضح لنا هذا النص مدى جودة منسوجات أسيوط الصوفية وتفوقها على أهم المدن الهندية التى اشتهرت بإنتاج المنسوجات الحريرية .

ولم يقتصر إنتاج أسيوط على نسيج الصوف ، بل انتشرت بها صناعة المنسوجات الحريرية ، فيذكر القزوينى : «وبها مناسج الدبيقى والثياب اللطيفة التى لا توجد فى شىء من البلاد »(٧٤) .

وكان لشهرة منسوجات أسيوط الحريرية أن وصلت إلى أرمينية وزاد الطلب عليها ، فكانت تصدر إليها بكميات كبيرة خاصة فى العصر الفاطمى(٧٥) .

(٧٠) محمد عبد الستار عثمان : أخميم فى العصرين القبطى والإسلامى ، دراسة أثرية تاريخية . المطبعة العصرية بالإسكندرية ١٩٨٢ ، ص٣٥ .
(٧١) السيد محمد عاشور : صناعة وتجارة الأقمشة فى مصر . ص١١ .
(٧٢) ممدوح الريطى : المرجع نفسه . ص١٨٦ .
(٧٣) سفر نامه . ص١٣١ .
(٧٤) آثار البلاد وأخبار العباد . ص١٤٧ .
(٧٥) ل . أ . سمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية . ص١١٨ .

ومن المدن المجاورة لأسيوط أدرُنكة ، التى اشتهرت ـ هى الأخرى ـ بإنتاج الثياب الصوفية الرقيقة ، كما صنعت فيها العمائم من الكتان[٧٦] .

تلك كانت أهم المدن والقرى التى مثلت أهم المراكز لإنتاج المنسوجات والثياب فى مصر ، والتى احتلت مكانة وأهمية كبيرة ليس فى مصر فحسب بل تعدت شهرة بعضها إلى العالم الإسلامى ، وأصبح نسيجها علمًا عليها ، وكما لعبت هذه المراكز دورًا مؤثرًا فى التجارة داخل مصر وخارجها ، فكانت بذلك عاملاً من عوامل تطور الملابس وما ارتبط بها من صناعة وتجارة .

دور الطراز :

كانت دور الطراز[٧٧] ـ الخاصة والعامة ـ أحد المراكز المهمة لصناعة وإنتاج النسيج والثياب ، يصف ابن خلدون الطراز عند الفرس : « وكان ملوك العجم من قبل الإسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهم أو أشكال وصور معينة تميزًا لهم عن غيرهم»[٧٨] ، ونستنتج من نص ابن خلدون أن البداية الأولى للطراز كانت سياسية ، فارتبطت بالرسوم والطقوس الفارسية للحكم ، كما استخدم فى طرازهم الصور والأشكال عكس ما كان عليه الطراز الإسلامى فيما بعد ، والذى استعاض عن الصور

---

(٧٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان . جـ١ ، ص٤٤ ، ممدوح الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر . ص١٨٧ .

(٧٧) تشير أغلب المصادر والمراجع إلى أن كلمة طراز فارسية الأصل من طراز يدن ، وتعنى علم الثوب أو الشريط الكتابى المشتمل على كتابة منسوجة فى لُحمة النسيج أو الثوب ، وتتم بواسطة إبرة الخياطة ولكن بخيوط ملونة غالبًا ، ومن مادة أعلى من مادة النسيج الأصلى ، ثم اتسع مدلول الكلمة بعد ذلك فأصبحت تطلق على المصنع الحكومى الذى تنسج فيه الثياب التى تزدان بالطراز ، خاصة ثياب الطبقة الحاكمة . ابن خلدون : المقدمة . ص٢٦٦ ، أدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة . ص١١٢ ، سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص٢١ ، أحمد محمد عيسى : معجم مصطلحات الفن الإسلامى . ص٣٣ ،
Thelma K. Thomas : Textiles from Medieval Egypt. P. 35 , Clive Rogers : Early Islamic Textiles . (Brighton 1983) P. 31 ، زكى حسن : الفن الإسلامى فى مصر . ص٨٤ .

(٧٨) المقدمة . ص٢٦٦ .

والأشكال بالكتابة والعبارات والأدعية الدينية تمشيًا مع تعاليم الدين الإسلامى(*) .
وتذهب د . سعاد ماهر وسامى عبد الحليم إلى أبعد من ذلك ، فيرجحان أن الطراز وزخرفة الملابس بهذه الأشرطة فن مصرى أصيل يرجع إلى عصر الفراعنة ، حيث وجد بالمتحف المصرى بالقاهرة ثوب كامل بمقبرة توت عنخ آمون ، وقطعة أخرى وجدت بمقبرة أمنحتب الرابع وقد طرز كلاهما بخيوط كتانية ملونة والغرز المستعملة فيهما متعددة[٧٩]،
وأيًا كانت الآراء والتفسيرات حول نشأة الطراز وبدايته ، فالمؤكد أنه فن وطريقة صناعية فى زخرفة النسيج والثياب ، ارتبطت - كما أشرنا من قبل - بالطبقة الحاكمة وحاشيتها فى بعض العصور ، لإضفاء صفة التميز والخصوصية لهذه الطبقة داخل المجتمع ، وكمظهر من مظاهر الحكم والسياسة ؛ لذلك كان محرمًا على الرعية أن ينسجوا أقمشتهم وملابسهم بهذه الطريقة التى اختص بها الحكام[٨٠] .

أما عن نشأة وبداية الطراز فى الدولة الإسلامية ، فقد رجحت بعض المصادر والمراجع أن بدايته كانت فى أواخر عهد الدولة الأموية[٨١] خاصة بعد اصطباغ الحياة السياسية للدولة الإسلامية بالطابع المادى والانفتاح على حياة الترف ، وتشير بعض المصادر إلى أن الشواهد الأولى لنشأة الطراز الإسلامى ترجع إلى فترة حكم الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م) الذى عرب الدواوين كما عرب العملة[٨٢]، وليس إلى الوليد أو هشام بن عبد الملك كما هو شائع فى بعض المراجع[٨٣] .

(*) الملحق : لوحة رقم (٢٢) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١٥٤٨٧/٢) .
(٧٩) النسيج الإسلامى . ص٢٢ ، المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية . ص٤٢ .
(٨٠) السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص٢٤ .
(٨١) الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف . ص٢١١ ، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك . جـ١ ، ص١٤ ، سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص٣١ .
(٨٢) الكندى : رسالة فى قلع الآثار من الثياب . دراسة وتحقيق د. محمد عيسى صالحية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثلاثون ، جـ١ ، عام ١٩٨٦ ، ص٩٧ ، The Encyclopaeda of Islam . Vol X, P. 534 .
(٨٣) أرجع كل من سعاد ماهر وصلاح حسين العبيدى وآخرون ، بداية ظهور مصانع الطراز إلى عهد الوليد وهشام ، استنادًا - فيما يبدو - إلى ما ذكره الرشيد بن الزبير فى كتابه الذخائر والتحف ، على أنه ليس هناك تعارض بين بداية الطراز فى عهد عبد الملك بن مروان وانتشار هذه المصانع فى عهدى الوليد وهشام ، إذ إن هذه المصانع كانت موجودة بالفعل فى عصور سابقة ، ولكن كانت تصطبغ بالصبغة الخاصة بكل عصر ، أما بداية أسلمتها وتعريبها فكان فى عهد عبد الملك بن مروان .

وعلى ذلك فالدولة الأموية تعد هى المؤسس الرسمى لمصانع الطراز الإسلامى ، بينما اشتهرت الدولة العباسية بإتمام هذه الفكرة ونشرها فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، ثم تطورت هذه المصانع وازداد تنظيمها فى عصر الدولة الفاطمية(٨٤) .

كانت دار الطراز عبارة عن إدارة حكومية تتعامل مع إنتاج المنسوجات وما تحتاج إليه الدولة من أقمشة لكسوة الكعبة وعمل الأعلام والخيام والخلع والهدايا التى تحمل إلى الملوك والخلفاء ، كما أمدت الدولة بما تحتاج إليه الطبقة الحاكمة من ملابس لأفرادها وأسرهم وحاشيتهم وموظفيهم(٨٥)، وإلى جانب دار الطراز الخاصة التى أنشأتها الدولة والخاضعة لإشرافها المباشر ، وجدت كذلك دار طراز تخصصت فى إنتاج النسيج والملابس لعامة الشعب والطبقات الأخرى ، أطلق عليها طراز العامة ، انتشرت جنبًا إلى جنب دور الطراز الخاصة ، بل وخضعت أيضًا للرقابة الحكومية وإشراف الدولة ، فكانت تخضع لشرائح ضريبية مرتفعة كان عليها أن تؤديها للدولة ، نظير إمدادها بالمواد الخام ، كما كان ما ينسج فى هذه المصانع - الأهلية - يراجع بواسطة موظف من دور الطراز الخاصة ، والذى كان يسجل ما يباع من هذه المنسوجات ، ويتناول أجره على عمله من أصحاب هذه المصانع الأهلية(٨٦) .

انتشرت دور طراز العامة فى أماكن مختلفة فى مصر خاصة فى الدلتا وفى مدينة الفسطاط(٨٧)، وكثيرًا ما كانت دور الطراز الخاصة تستمد بعض المنسوجات والملابس من دور الطراز العامة ، خاصة فى حالة زيادة الحاجة وكثرة الطلب(٨٨) .

(٨٤) سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص٣١ ، سامى عبد الحليم : المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية . ص٣٣-٣٦ .

(85) M. A. Marzouk : The Tiraz Institution in Mediaeval Egypt. (Studies in Islamic art and Architecture, American U. N. V 1965) P. 158 ,

أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد . ص٣٧٣ .

(٨٦) محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر قبل الفاطميين . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٤ ، ص٧١ .

(٨٧) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية . ص٣٣-٣٤ .

(٨٨) أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص٢٢١ .

وإذا كانت دور الطراز الخاصة والعامة لعبت دوراً اقتصاديًا واجتماعيًا فى صناعة الملابس وتطورها ، فهى على الجانب الآخر لعبت دوراً سياسيًا أخطر ، إذ كانت عنصراً من عناصر الدعاية السياسية للدولة الإسلامية ، بعد أن أصبح الطراز إحدى شارات الحكم والخلافة الثلاث، التى كان لها دور كبير فى الحياة السياسية وهى الخطبة والسكة والطراز(٨٩)، فكانت كتابة اسم الوالى أو الخليفة على الطراز أحد مظاهر الولاء والنفوذ والدعاية ، على اعتبار أن وضع الاسم يعطى لصاحبه حقًا شرعيًا فى الحكم ويجعل اسمه مترددًا بين الناس(٩٠)، لذلك عندما حدثت الجفوة بين أحمد بن طولون والموفق طلحة أخى الخليفة المعتمد ، أسقط ابن طولون اسم الموفق من الطراز(٩١). ويعلق د. محمد عبد العزيز مرزوق على ذلك بقوله : « ومن هنا نرجح أن ابن طولون بعد أن حصلت الجفوة بينه وبين الخلافة العباسية حرص على أن يستكمل كل مظاهر الاستقلال فبدأ فى إنشاء طراز خاص له بعيدًا عن العاصمة ، وجند له نساجين أوحى إليهم أن يستلهموا فنهم القبطى فى الزخرفة ، وترك لهم الحرية فى ابتكار ذلك الطراز الغريب للخط العربى الذى يتمشى مع الزخرفة القبطية»(٩٢).

كان الطراز إذًا من وسائل الدعاية السياسية كما كان إرسال الكسوة السنوية إلى الكعبة وسيلة أخرى لهذه الدعاية ، إذ تبارى الولاة والخلفاء فى إرسال الكسوة التى حملت دائمًا أسماءهم والتى اشتهرت دور الطراز ـ الخاصة ـ المصرية فى تنيس وشطا ودبيق وتونة وغيرها من المراكز بصناعتها(٩٣).

ومنذ قيام الدولة الطولونية أخذت تظهر أسماء بعض الأمراء الطولونيين من خلال الطراز خاصة خمارويه وهارون ابنى أحمد بن طولون ، كما توجد نماذج من النسيج التى

(٨٩) محمد منير حجاب : الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديمًا وحديثًا . دار الفجر للنشر والتوزيع ١٩٩٨، ص٢٤٤ .

(90) Clive Rogers : Early Islamic Textiles . P. 31 .

(٩١) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر . جـ٢ ، ص٥٣ ، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر . جـ٣ ، ٣٣١ ، حسن أحمد محمود : حضارة مصر فى العصر الطولونى . ص٧٦ .

(٩٢) الفنون الزخرفية الإسلامية . ص١٩٧ .

(٩٣) السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص٢٩ ، رأفت محمد النبراوى : دراسة لقطعتين نادرتين من المنسوجات الإسلامية من مصر واليمن . مجلة الدارة ، العدد الثانى ، السنة الثالثة عشرة ١٩٨٧ ، ص٢٠٥ .

ورد عليها أسماء هؤلاء الأمراء الطولونيين ، منها قطعة نسيج تحمل اسم الأمير أبى موسى ابن خمارويه نصها : « بسم الله والحمد لله نعمة من الله لعبد الله أحمد الإمام المعتضد بالله أمير المؤمنين أيده الله والأمير أبو موسى بن خمارويه أعزه الله بعمله فى طراز تنيس على يدى محمد بن خلف سنة سبعين وثمانين ومائتين عبد الله جمعة »(٩٤).

ونلاحظ من خلال النص السابق أن الكتابة على الطراز كانت تشتمل على اسم الخليفة والوالى أو الأمير التابع له ، وبعض الأدعية ومكان الصنع والتاريخ ، وعلى الرغم من أن الطراز كان وسيلة للدعاية السياسية ، إلا أننا لم نر ولم نصادف اسم كافور الإخشيدى على قطع المنسوجات والأقمشة المطرزة، مما يرجح أن كافور - كما يرى البعض - كره أن يغتصب حق الخليفة فى هذا الميدان فوق اغتصابه السلطان من ذرية الإخشيد(٩٥).

تطور الطراز واستخدم بشكل أوسع فى الدولة الفاطمية ، فأضيف إلى شريط الكتابة المطرزة بعض الأدعية وعبارات المديح ذات الصبغة الشيعية ، وتحفظ بمتحف (فكتوريا البرت) : قطعة نسيج نصها (بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله صلى الله عليه . . . . . المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين »(٩٦)، كذلك حرص الفاطميون على إضافة اسماء وزرائهم ورجال دولتهم على الطراز ، فأصبح اسم الوزير وناظر الطراز والصانع - أحيانا - من الأساسيات التى يضمها شريط الطراز(٩٧)، لذلك قلما نجد قطعة نسيج من العصر الفاطمى لا تحمل اسم أحد وزرائهم ، خاصة مع ما تمتع به الوزراء فى عهدهم من مكانة عالية ، وسلطات تنفيذية كبيرة ، ومن أشهر الوزراء الذين طرزت أسماؤهم قطع النسيج المطرز ، واقترنت باسم الخليفة ، الوزير يعقوب بن كلس ، الذى تولى الوزارة للعزيز بالله عام ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م فبسط يده فى الأموال ونظر فى سائر الأعمال وأمر الخليفة بكتابة اسمه

(٩٤) سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص٩٤ .

(٩٥) سيدة كاشف : مصر فى عصر الإخشيديين . ص١٩٣ ، أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص٢٣٠ .

(٩٦) زكى حسن : كنوز الفاطميين . ص١١٨ .

(97) M. A. Marzouk : The Tiraz institutions . P. 159 .

على الطراز وما يعمل فى أعمال مصر من الملابس والفرش والآنية[٩٨]، كذلك كان الوزير الأفضل بن بدر الجمالى (٤٨٧-٥١٥هـ/ ١٠٩٤-١١٢١م) الذى تولى الوزراة لكل من المستنصر والمستعلى والآمر، من أشهر الوزراء الذين كتبت أسماؤهم على الطراز[٩٩].

أما عن تنفيذ كتابة الطراز فيلاحظ أن الكتابة كانت إما تنسج فى لُحمة الثوب وسداه، أى بطريقة نسيج القباطى، أو تطرز الكتابة على النسيج السادة أو على الثوب بعد نسجه، بخيوط من الحرير أو بالذهب أو الفضة، وكانت الكتابة تختلف فى لونها عن لون الثوب المزركشة عليه، وفى بعض الأحيان كانت الكتابة تنقش أو تطبع على الثوب[١٠٠].

ومع تعدد دور الطراز وانتشارها فى مصر تعددت - بالطبع - طريقة التطريز والكتابة واختلفت كل دار عن الأخرى فى أشكال الكتابة، فكان طراز الإسكندرية يمتاز برشاقة حروفه، وتلك النهايات التى نجدها أسفل شريط الكتابة، بينما امتاز طراز تنيس بأن سيقان الحروف تتكون من شكل الصليب، أما مدينة تونة فامتازت ببساطة تطريز شريط الكتابة ووضوحها مع صغر الحروف الكتابية[١٠١].

ومن الجدير بالذكر أن شريط الكتابة كان يوضع بالدرجة الأولى على الملابس، خاصة ملابس الخلفاء وملابس الخلع والهدايا، ولم يكن هذا الشريط يوضع فى مكان واحد، فمرة حول الرقبة (الياقة) والأكمام، ومرة على الجزء العلوى للذراع أو الرسغ، كما كان يوضع على لباس الرأس وفى بعض الأحيان على طول حافة الرداء[١٠٢].

كثرت دور الطراز وازدادت مع العصر الفاطمى بعد أن أصبحت الملابس والخلع جزءاً من رسوم الخلافة الفاطمية فى مصر، فكان بكل مدينة ومركز من مراكز إنتاج النسيج

---

(٩٨) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة. ص٣٩، ابن الصيرفى: الإشارة إلى من نال الوزارة. ص١٠٥، المقريزى: اتعاظ الحنفا. جـ١، ص٢٦٢.

(٩٩) زكى حسن: كنوز الفاطميين. ص١١٨، عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين. ص١٣٥.

(١٠٠) سامى عبد الحليم: المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية. ص٣٥.

(١٠١) سعاد ماهر: النسيج الإسلامى. ص٢٢.

(١٠٢) دائرة المعارف الإسلامية. جـ١٥، ص١٢٢، سامى عبد الحليم: المرجع نفسه. ص٣٩.

السابق ذكرها دار طراز ، اشتهرت بإنتاج نوع محدد من الثياب والملابس ، فدار طراز بورة وأسيوط اشتهرت بالعمائم(١٠٣)، أما تنيس فاشتهرت بإنتاج القمصان والأردية وثوب البدنة للخليفة ، إضافة إلى الخلع والملابس المهداة وكسوة الكعبة(١٠٤)، وفى فضل تنيس وأهمية طرازها يقول الشاعر عمارة اليمنى :

ثم الطـراز بتنيس الـذى عظمـت   منه الصلات لأهل الأرض والدول(١٠٥)

كذلك تخصصت دار طراز الإسكندرية بعمل الثياب الخاصة للخليفة شخصيًا والمفروشات اللازمة لقصره ، خاصة من المنسوجات الحريرية التى اشتهرت بها(١٠٦).

كما اعتبر الطراز من أهم الأنظمة الإدارية فى العصر الفاطمى ، إذ أفردت الدولة له ديوانًا خاصًا يتولاه واحد من كبار الموظفين من أرباب الأقلام ، فيذكر القلقشندى : « كان يتولاه الأعيان من المستخدمين ، من أرباب الأقلام ، وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ومقامه بدمياط وتنيس وغيرها من مواضع الاستعمالات ومن عنده تحمل المستعملات إلى خزانة الكسوة»(١٠٧).

أما عن اختصاصات ناظر الطراز والمتولى لشؤونه ، فكان ينظر فى كل شيء يتعلق بالنسيج والطراز بداية من شراء الغزل إلى الصباغة والحياكة والتطريز والتخزين والنقل ، حتى تصل الملابس والمنسوجات فى النهاية إلى دار الكسوة فى العاصمة(١٠٨)، وكان لناظر الطراز مساعدون فى دور الطراز بالبلاد والمدن المصرية ، يعاونونه فى الإشراف على هذه المهام فى المصانع فى كل إقليم ، بلغ عددهم مائة رجل منهم المشرفون الذين كانوا يقومون

(١٠٣) سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الحرف والوظائف . جـ١ ، ص١٦٨ .
(104) The Cambridge History of Islam. Vol2, P. 715 .
(١٠٥) القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٣ ص٤٧٢ .
(١٠٦) ابن المأمون : نصوص من أخبار مصر . ص٧٣ ، محمد عبد العزيز مرزوق : طراز الإسكندرية . ص١٧٠ .
(١٠٧) صبح الأعشى . جـ٣ ، ص٥٦٧ .
(١٠٨) عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٢٨٢ ،
M. A. Marzouk : The Tiraz institutions . P. 159 .

بفحص النسيج ويحددون جودته وصلابته ، كما كان هناك العريف الذى يترأس كل ورشة ويتابع العمال ، كذلك الشاهد الذى اقتصر دوره على الأمور المالية الخاصة بالطراز(١٠٩) .

وليس أدل على مكانة ناظر الطراز لدى الخلفاء وأهميته ، من أنه كان يحظى بمقابلة الخليفة وقت تسليم المنسوجات من دار الطراز للعاصمة ، فيذكر المقريزى : « عندما كان يحضر كان يجتمع كل الناس بما فيهم الوالى ويقفون احترامًا للخليفة ، إلا ناظر الطراز الذى كان يظل جالسًا فى مكانه »(١١٠)، كذلك كان يمنح عدد من الكسوات شهريًا ، ويكون تحت إمرته عدد من خيول الخليفة أثناء إقامته بالقاهرة ، كما كان يقيم فى منظرة الغزالة(١١١) وتجرى عليه الضيافة كأنه أحد السفراء(١١٢)، بالإضافة إلى ما سبق أعطت له الدولة عددًا من السفن مجهزة بعدد من الملاحين ، حيث يمكنه السفر إلى أى مكان يرغبه(١١٣) .

وعن أسماء من تولوا الطراز فى العصر الطولونى يذكر لنا ابن الداية (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م) : «كان ابن سليمان بن ثابت يكتب لخادم يعرف بشقير ، يتقلد الطراز من خدم السلطان»(١١٤)، أما فى العصر الإخشيدى فكان جابر وشفيع وبكير وأبو يزيد وعبيد وفائز ، ووصلت إلينا بعض هذه الأسماء من خلال بعض قطع النسيج المحفوظة فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، منها قطعة تحمل اسم جابر عليها كتابة بالخط الكوفى مؤرخة بسنة ٣٢٣(١١٥)، وتعكس ميزانية الطراز فى العصر الفاطمى ما مثله الطراز من أهمية بالغة

---

(109) M. A. Marzouk : The Tiraz institutions . P. 161 .

(١١٠) الخطط . جـ٢ ، ص٣٥٢ .

(١١١) منظرة الغزالة : كانت بجوار منظرة اللؤلؤة على شاطئ الخليج ، وكان يسكنها الأمير أبو القاسم ابن المستنصر ، ثم سكنها أبو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست ، وكان ينزلها بعد ذلك من يتولى الخدمة فى الطراز . المقريزى : الخطط . جـ٢ ، ص٣٥١ .

(١١٢) المقريزى : المصدر نفسه . جـ٢ ص٣٥٢ .

(١١٣) حورية عبده سلام : الحضارة الإسلامية فى مصر زمن الفاطميين . ص٨٣ ، M. A. Marzouk : The Tiraz institutions . P. 158 .

(١١٤) المكافأة . ص٧٤ .

(١١٥) سيدة كاشف : مصر فى عصر الإخشيديين . ص١٩١ ، مصطفى طه بدر : مصر الإسلامية . ص٢٣٦ .

للدولة، ذكر ابن المأمون : « كانت تشتمل فى الأيام الأفضلية على واحد وثلاثين ألف دينار ، ثم اشتملت فى الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار ، وتضاعفت فى الأيام الآمرية»(١١٦). ونلحظ من خلال النص السابق تضاعف الميزانية المخصصة لدار الطراز ، مما يدل على زيادة ما تنتجه من ملابس وخلع لتلبية احتياجات الدولة ، يؤكد ذلك تزايد أعداد الصناع والحرفيين العاملين بدار الطراز حتى وصلوا فى عهد الظافر إلى ثلاثة آلاف(١١٧).

دار الكســوة :

تعد دار الكسوة(١١٨) إحدى المنشآت الخاصة فى الدولة الفاطمية ، إذ أمدت البلاط الفاطمى بالكسوات الخاصة صيفًا وشتاءً ، إلى جانب الخلع والملابس التى كان يُحرص على منحها لرجال دولتهم فى المناسبات المتعددة .

وتعتبر دار الكسوة مؤشراً مهمًا لحرص الفاطميين على التقرب إلى رجال دولتهم ورعاياهم منذ بداية حكمهم ، إذ كانت دار الكسوة من المنشآت التى بدأت مع أول خلفائهم المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م) فسن بذلك لأبنائه وخلفائه من بعده سنة ظلوا يتوارثونها حتى سقطت دولتهم(١١٩).

كانت دار الكسوة تحتوى على خزانتين ، الأولى الخزانة الظاهرة ويتولاها أستاذ أو أمير من خواص الخليفة ، وهى تزخر بأنواع الأقمشة وملابس الرجال والنساء من الديباج

---

(١١٦) نصوص من أخبار مصر . ص٧٠ .

(١١٧) ل. أ. سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية . ص١٣٠ .

(١١٨) دار الكسوة : فور وصول الخليفة المعز لدين الله إلى مصر ٣٦٢هـ أمر بإنشاء دار الكسوة عام ٣٦٣هـ لتفصل فيها الثياب والملابس لرجال القصر ونسائهم وأولادهم وخواصهم وخدمهم وحواشيهم ، كما كانت تقوم بصنع خلع الأمراء والوزراء وكبار الموظفين . أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر (تفسير جديد). ص٣٧ .

(١١٩) حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله . ص٢٨٢ .

الملون على اختلاف أنواعه ، والشرب الخاص الدبيقى والسقلاطون ، وكان يحمل إليها ما يصنع بدار الطراز بتنيس ودمياط والإسكندرية[١٢٠]، أما الخزانة الثانية فكانت تسمى الباطنة أو الخاصة وكانت تنقل إليها الملابس التى تخص الخليفة ـ نفسه ـ فى الخزانة الظاهرة[١٢١]، ذكر ابن الطوير : « كانت تتولاها امرأة تنعت (بزين الخُزان) ، وكانت هذه رومية فى عصرنا ، وبين يديها ثلاثون جارية ، فلا يُغير الخليفة أبدًا ثيابه إلا عندها ، وكان برسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطئ الخليج يُعنى أبدًا فيه بالنسرين والياسمين ، فيحمل فى كل يوم شىء فى الصيف والشتاء لاينقطع البتة برسم الثياب والصناديق »[١٢٢]. وكانت دار الكسوة تضم أمهر الصناع والخياطين لصناعة كل ما يلزم الخليفة وخاصته ، فيضيف ابن الطوير : « وبها صاحب المقص وهو مقدم الخياطين ولأصحابه مكان لخياطتهم، والتفصيل يُعمل على مقدار الأوامر وما تدعو الحاجة إليه ثم ينقل إلى خزانة الكسوة الباطنة»[١٢٣].

وكانت أغلب الكسوات والخلع التى توزع فى المناسبات تخرج من دار الكسوة سواء صنعت فيها أم فى دور الطراز ، وقد أسهب المقريزى فى الحديث عن تلك الكسوات ومواسم تفريقها ، فيذكرعن كسوة الشتاء : « ووصلت كسوة الشتاء فكانت أربعة آلاف قطعة وثلثمائة وخمس قطع»[١٢٤].

كان كاتب الدفتر ـ وهو أحد موظفى ديوان المجلس ـ يعد قبل بداية الشتاء ما يطلق عليه جرائد كسوة الشتاء ، وقد بلغ ما اشتمل عليه المنفق على توزيع الكسوات فى عام

(١٢٠) عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين . ص١٠٠ .

(١٢١) زكى حسن : كنوز الفاطميين . ص٣٧ .

(١٢٢) نزهة المقلتين . ص١٢٩ .

(١٢٣) المصدر نفسه . ص١٢٩ .

(١٢٤) اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٨٢ .

٥١٦هـ/ ١١٢٢م فى بداية وزارة المأمون البطائحى من الأصناف أربعة عشر ألفًا وثلاثمائة وخمس قطع ، بينما لم يتعد أكثر ما أنفق عليها فى أيام سلفه الوزير الأفضل بن بدر الجمالى على طولها ، سوى ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وستين قطعة فى عام ٥١٣هـ/ ١١١٩م(١٢٥) .

ونستنتج مما سبق ازدياد نفقات دار الكسوة فى ذلك الوقت ، واهتمام الدولة بالإنفاق على هذا المظهر الدعائى للدولة .

أما عن أكثر المناسبات التى كانت توزع فيها الكسوات فكانت عديدة منها الأعياد وبخاصة عيد الفطر الذى سمى بعيد الحلل(١٢٦)، لأن الحلل كانت تعم فيه الجميع ، بينما كانت توزع الملابس والكسوات على الأعيان والخاصة فى أوقات أخرى(١٢٧) . وكان للمشرف على دار الكسوة مكانة ومنزلة كبيرة فكان ينفرد بديوان عرف بديوان خزائن الكسوة(١٢٨)، ومن بين الذين تولوا هذا الديوان شهاب الدولة دُرى المعروف بالصغير المظفرى، غلام المظفر بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، كان أرمنيًا وأسلم وصار من المتشددين فى مذهب الإمامية ، وقد تولى خزانة الكسوة فى زمن الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٥ـ٥٤٤هـ/ ١١٣٠ـ١١٤٩م)(١٢٩) .

---

(١٢٥) أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد . ص٣٧٤ ؛ حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر . ص٢٦٣ .

(١٢٦) الحلل : جمع حُلة وهى مجموعة من الثياب كانت تشتمل على الرداء والقميص وتمامها العمامة . أحمد مطلوب : معجم الملابس فى لسان العرب . ص٥١ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٣٦ .

(١٢٧) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٨٣ ؛ جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق . ص١٣٧ .

(١٢٨) عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين . ص١٠١ .

دار الديباج :

كان اهتمام الفاطميين بالمنسوجات والملابس دافعًا لاهتمام بعض وزرائهم بذلك أيضًا، فكما أنشأ الخليفة المعز لدين الله دار الكسوة ، أنشأ كذلك الوزير يعقوب بن كلس فى عهد الخليفة العزيز بالله مصنعًا للنسيج بالقاهرة عرف بدار الديباج(١٣٠) .

وكان هذا المصنع فى بادئ الأمر سكنًا خاصًا للوزير يعقوب ودارًا للوزارة ، ثم أصبح بعد ذلك مخصصًا لصناعة نسيج الحرير الديباج ، لذلك عرفت الدار بهذا الاسم حتى بعد أن تحولت مرة أخرى سكنًا لقاضى القضاة وداعى الدعاة علم المجد أبى محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن(١٣١) .

كان يشرف على إدارة دار الديباج موظف من كبار رجال الدولة ، وذكر المقريزى : «تعرف بدار الديباج لأنه يعمل فيها الحرير الديباج ويتولاها الأماثل والأعيان »(١٣٢) .

ولم يقتصر عمل دار الديباج على تصنيع نسيج الديباج ، بل قامت أيضًا بتطريزه ، فنافست بذلك مصانع تنيس وغيرها من المصانع الأهلية(١٣٣) ، وحازت دار الديباج أهمية ومكانة بعد أن أصبحت تصنع كسوات التشريف وبعض الخلع ، خاصة فى عهد الوزير بدر الجمالى(١٣٤) .

قصارى القول أن تعدد مراكز إنتاج المنسوجات والملابس فى مصر الإسلامية ، كان إحدى الدعائم التى ساهمت فى تطور صناعة الملابس فى مصر وتقدمها اقتصاديًا وحضاريًا، إذ لعبت هذه المراكز دورًا اقتصاديًا بما مثلته من مصدر دخل للدولة ، سواء عن

---

(١٢٩) ابن الطوير : نزهة المقلتين . ص١٢٨ .

(١٣٠) المقريزى : الخطط . جـ٢ ، ص٣٤٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٣ ، ص٤٠٢ .

(١٣١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٢٤٣ .

(١٣٢) المقريزى : المصدر نفسه . جـ٢ ، ص٣٤٤ .

(١٣٣) سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص١٠٥ ؛ السيد محمد عاشور : صناعة وتجارة الأقمشة فى مصر . ص١٨ .

(١٣٤) سعاد ماهر : المرجع نفسه . ص١٠٥ ؛ محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ، ص٩٦ .

طريق التجارة فى المنسوجات والثياب أو عن طريق ما فرضته الدولة عليها من رسوم وضرائب خاصة فى عصر الدولة الفاطمية .

وكان اهتمام الفاطميين بهذه المراكز وما أضافوه إليها من منشآت فى عهدهم خاصة بصناعة النسيج والملابس كدار الكسوة والديباج ، من المراحل المهمة فى تطور هذا الجانب الحضارى من جوانب الحياة ، ساعدهم على ذلك ما ارتبط بهم من رسوم وطقوس سياسية ودينية كانت الملابس والثياب أحد مظاهرها ، كذلك أسهم الفاطميون فى إدارة هذه المراكز بشكل أعان على تقدمها وتطورها ، فاحتلت مصر فى عهدهم مركزًا متقدمًا فى العالم الإسلامى فى صناعة المنسوجات ، بل جعلت مصر منافسًا قويًا لبعض المراكز التى اشتهرت فى هذا المجال .



صناعة الملابس

ارتبط تطور الملابس فى المجتمع المصرى ببعض الحرف والصناعات المتصلة بها ، كالغزل والنسيج والخياطة والصباغة والزخرفة والصناعات الجلدية .

وتأتى أهمية هذه الحرف والصناعات فى أنها تلقى الضوء على المراحل الفنية والصناعية التى صاحبت إنتاج الملابس وتصنيعها ، كما تكشف مدى التقدم الصناعى والفنى المصاحب لتطور الملابس فى المجتمع المصرى ، كذلك تلقى الضوء على أحوال المشتغلين بهذه الحرف والصناعات ، والعلاقات القائمة بين الصناع والمجتمع من ناحية ، وبين الصناع والدولة من ناحية أخرى .

تعتبر حرفة الغزل من الحرف الأولى التى مارسها الإنسان لصنع الخيوط اللازمة لنسج الأقمشة الخاصة بصناعة الملابس ، وكانت حرفة الغزل فى بادئ الأمر تقتصر على توفير الخيوط الصوفية المستخلصة من الأغنام ، ثم امتدت لتشمل خيوط الكتان والحرير ، وقد اختصت المرأة بهذه الحرفة منذ القدم ، فكان يطلق على من تعمل بها اسم الغزَّالة [1](*)، ويرجع ارتباط حرفة الغزل بالمرأة إلى أنها حرفة كانت لاتتطلب مكاناً محدداً أو مهارة خاصة ، بقدر ما تتطلب قدراً من الصبر ، لذلك كان أغلب النساء يقمن بها داخل منازلهن أو فى أوقات الفراغ ، ثم أصبحت بعد ذلك حرفة مشتركة بين النساء والرجال ، فكان النساء يغزلن الصوف والكتان ثم يقوم الرجال بنسجه على الأنوال [2]، وكانت المرأة تتقاضى أجرتها يومياً نظير عملها بحسب ما تقدمه من خيوط للنساجين [3].

(١) حنان قرقوتى : ملامح من صناعة النسيج عند المسلمين . مجلة الدارة ، العدد الرابع ، السنة الخامسة والعشرون ١٤٢٠هـ ، الرياض ٢٠٠٠ ص ١٣٣ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٥٢) من مخطوط مقامات الحريرى .

(٢) حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، دارالفكر العربى ١٩٧٧ص ٢٠٠ .

(٣) السيد طه السيد أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص ٢١ .

ولم يقتصر العمل بحرفة الغزل على النساء من الطبقات الدنيا ، بل امتد ليشمل بعض نساء البيت الفاطمى (٤) ، فيذكر ابن تغرى بردى عن السيدة رشيدة بنت المعز لدين الله : «كانت مع ذلك دَيِّنَة تأكل من غزلها لا من مال السلطان» (٥) ويفسر لنا هذا النص ارتباط حرفة الغزل بالميول الدينية عند بعض النساء ، والاتجاه نحو الزهد والكسب الحلال ، مما يؤكد أنها من الحرف الشريفة المرتبطة بالزهاد والنساك ، لذلك فبالرغم من تشدد الخليفة الحاكم بأمر الله مع النساء وأمره بعدم الخروج من منازلهن طيلة سبع سنوات ، إلا أنه أباح للعاملات بحرفة الغزل الخروج لبيعه (٦) .

أما عن أهم أدوات الغزل المستخدمة فكان المردن ، وهو المغزل المصنوع من الحديد(٧)(*) ، كما عرفت الوُشيعة وهى خشبة كان يلوى عليها الغزل من ألوان شتى ، وكانت كل لفيفة منها تسمى أيضاً وَشيعة (٨) ، وهى أدوات كما يبدو يدوية وبدائية وظلت هكذا لفترة طويلة ، فلم يطرأ عليها تطَور يذكر لبساطة عملية الغزل .

على الرغم من أن الغزل من الحرف البسيطة الأولية ، إلا أنها كانت ضرورية ومهمة لتجهيز الخيوط بالكميات الكافية لعملية النسج ، لذلك فرغم انتشار المغازل فى قرى مصر ومنازل الفلاحين لإمداد المناسج اليدوية (٩) ، إلا أنها انتشرت كذلك فى أحياء الفسطاط والقاهرة ، فكانت هناك دار الغزل بجوار جامع عمرو (١٠) ، والتى اشتهرت ببيع أنواع الغزل والخيوط قبل نسجها ، كما كان يباع إنتاج الغزالين فى العديد من الأسواق المنتشرة فى القاهرة لإمداد العديد من المناسج الأهلية والحكومية ، مما أدى إلى انتعاش صناعة النسيج .

---

(٤) نريمان عبدالكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص ٨١ .

(٥) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . جـ ٤ ص ١٩٣ .

(٦) النويرى : نهاية الأرب . ج ٢٦ ص ٥٧ ، نريمان عبدالكريم : المرجع نفسه . ص ٨٨ .

(٧) ابن دريد : جمهرة اللغة . جـ ٢ ص ٢٥٧ ، ابن سيده : المخصص . جـ ٣ ص ٢٥٩ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٥٢) من مخطوط مقامات الحريرى .

(٨) الخليل بن أحمد : العين . جـ ٢ ص ١٩٢ ، الأزهرى : تهذيب اللغة . جـ ٣ ص ٦٥ ، أبوهلال العسكرى : التخليص . جـ ١ ص ٢٢٧ .

(٩) محمد محمود إدريس : تاريخ الحضارة الإسلامية . مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٦ ص ٢٠٩ .

(١٠) ابن تغرى بردى : المصدر نفسه . جـ ٥ ص ٣٨٥ .

أما عن صناعة النسيج [11] فتعتبر من أقدم الصناعات والحرف التى اشتهرت وتفوقت بها مصر منذ القدم ، فمن الثابت أن المصريين القدماء كانوا يستعملون النباتات ذات الألياف كالكتان فى صنع أولى المنسوجات المستخدمة فى صنع ملابسهم [12] .

وعلى الرغم من ازدهار صناعة النسيج فى مصر عبر عصورها التاريخية ، إلا أنها تطورت بعد الفتح الإسلامى ؛ إذ عمل العرب على تنميتها وتشجيعها ، فكان من التقاليد الإسلامية التى كان لها أكبر الأثر فى ازدهار فن النسيج كسوة الكعبة ، كذلك انتشار منح الخلع وحب العرب للباس واقتناء الفاخر من النسيج والثياب [13] .

كانت عملية النسج هى العصب الذى ارتكزت عليه صناعة الملابس ، فكانت المنسوجات العديدة والمتنوعة هى المادة الخام لكل ما كان يفصل ويخاط من الثياب ، لذلك صاحب تطور النسيج والمنسوجات تطور الملابس وصناعتها .

كان الأسلوب الصناعى السائد فى صنع المنسوجات ، هو مد عدة خيوط طولية تكون موازية لبعضها البعض وتسمى هذه الخيوط بالسُّدى ، ثم تمرر بعض الخيوط الأخرى فوق الخيوط الطولية بطريقة عرضية وتسمى باللُّحمة ، ويتم تكرار هذه العملية حتى تلتحم الخيوط ببعضها البعض ليكتمل سطح النسيج [14] .

كانت عملية النسج تتم بواسطة النول الخشبى اليدوي ، وكان يسمى بالمِنْسج [15] ، كما استعمل النساجون بعض الأدوات الأخرى كالحف والصيصة ، وهى خشبة عريضة

(11) يفسر أهل اللغة عملية النسج بأنها ضم الشيء بعضه إلى بعض . ابن دريد : جمهرة اللغة . جـ ٢ ص ٩٥ ، ابن سيده : المخصص . جـ ٣ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(12) سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص ٧ .

(13) المرجع نفسه . ص ٩ .

(14) الخليل بن أحمد : العين . جـ ٧ ص ٢٨٥ ، ابن سيده : المخصص . جـ ٣ ص ٢٦١ ، م س ديماند : الفنون الإسلامية . ص ٢٥٠ - ٢٥١ ، حنان قرقوتى : ملامح من صناعة النسيج عند المسلمين . ص ١٧٢ ، رجب عبدالجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس ، ص ٤٩٠ .

(15) ابن دريد : جمهرة اللغة . جـ ٢ ص ٩٥ ، أحمد محمد عيسى : معجم مصطلحات الفن الإسلامى ص ٤٧ ، أرثركوك : الصناعات والصناع . ترجمة عوض جندى ، دار الكتب ١٩٢٧ ص ٦١ .

كان يسوى بها الناسج بين اللُحمة والسدى [١٦]، كذلك كان النير ، وهو الخشبة التى تمد عليها الخيوط ليتم النسج[١٧]، وكان يتم وضع نيرين إذا أراد الناسج مضاعفة النسج ، وكان النسيج فى هذه الحالة يسمى نسيج مُنير [١٨] أى كثير النسج .

ارتبطت أسماء بعض المنسوجات من خلال الطريقة الفنية التى كانت تتم بها صناعة النسيج ، فظهر النسيج الملحم وهو الذى تكون السدى فيه من الحرير واللُحمة من القطن أو الكتان أو الصوف[١٩] ، كان لازدهار صناعة النسيج فى مصر الإسلامية أن انتشرت فى العديد من البلدان والمدن المصرية العديد من المناسج والأنوال ، فيذكر ابن بسام أن مدينة تنيس وحدها كانت تضم خمسة آلاف مَنْسج ، بلغ عدد العمال الذين يعملون فيه عشرة آلاف عامل[٢٠]، كذلك اشتهرت كل من دمياط وشطا ودبيق والمحلة والفيوم وأخميم ، بأن أغلب سكانها ممن احترفوا صناعة النسيج [٢١]، فكان بعضهم يعمل بدور الطراز الخاصة التابعة لإشراف الدولة ، أو من خلال بعض المعامل أو الغرف التى كان يتم استئجارها لممارسة حرفة النسج ، والتى عرفت بدور الطراز الأهلية أو العامة [٢٢]، كما تضمنت أوراق البردى العربية التى تم اكتشافها فى مدينة البهنسا وترجع للعصر الفاطمى ، قائمة بأشخاص يملكون أنوالاً للنسيج ، فكان البعض يملك أربعة أنوال ، والبعض الآخر خمسة أنوال ، مما يبرهن على رواج صناعة النسيج بهذه المدينة[٢٣] .

ظلت صناعة النسيج من الصناعات المزدهرة فى مصر الإسلامية ، وذلك بفضل تشجيع الحكام والخلفاء لها ، ففى العصر الطولونى اهتم أحمد بن طولون بصناعة النسيج

(١٦) الخليل بن أحمد : العين . جـ٣ ص ٣٠ ، ابن سيده : المخصص . جـ٣ ص ٣٦٠ .

(١٧) ابن دريد : جمهرة اللغة . جـ٢ ص ٤٢١ ، أبوهلال العسكرى . التلخيص . جـ١ ص ٢١٧ .

(١٨) المصدر نفسه . جـ٢ ص ٤٢١ ، ابن سيده : المصدر نفسه . جـ٣ ص ٣٦١ .

(١٩) ابن الداية : المكافأة . ص ١٨ ، الثعالبى : لطائف اللطف . ص ٥١ ، ميخائيل عواد : مصطلحات فى التراث العربى . ص ١١٢ .

(٢٠) أنيس الجليس فى أخبار تنيس . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٨٥٢ ورقة ١٧٥ .

(٢١) ليون الإفريقى : وصف إفريقيا . جـ٢ ص ٢٠١ .

(٢٢) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد . ص ١٩٣ .

(٢٣) جروهمان : أوراق البردى العربية . جـ٦ ص ٧٠-٧٢ .

باعتبارها مصدراً مهماً من مصادر الاقتصاد المصرى ، فنشطت صناعته فى تنيس والإسكندرية والبهنسا والأشمونيين ودمياط وأخميم [٢٤]، أما فى العصر الإخشيدى فقد استمر اهتمام الحكومة بصناعة النسيج ، خاصة بعد أن أنشأ محمد بن طغج الإخشيد بجزيرة الروضة خزائن للكسوة، ضمت مجموعة من الحرفيين العاملين فى مجال النسج والحياكة والتطريز [٢٥].

ازدهرت صناعة النسيج فى العصر الفاطمى ، إذ كانت حياة الترف التى عاشها خلفاء الدولة الفاطمية ورجال دولتهم ، من العوامل المشجعة على كثرة إنتاج المنسوجات ، وظهور العديد من الأنواع المختلفة التى لم تعرف من قبل ، كنسيج البوقلمون[٢٦] والسقلاطون[٢٧] والشرب والعتابى [٢٨]ونسيج عرف بالأيكات [٢٩]، كذلك كان للإشراف المباشر الذى اتبعته الحكومة الفاطمية على مصانع النسيج ، واحتكارها لما تنتجه من منسوجات ، أكبر الأثر فى خلق مجال للتنافس والإجادة بين النساجين ، خاصة أن أغلب هذه المنسوجات كانت تصنع خصيصاً للخلفاء والوزراء ورجال الدولة[٣٠].

---

(٢٤) حسن أحمد محمود : حضارة مصر فى العصر الطولونى . ص ٥٤ ، محمود الحويرى : مصر فى العصور الوسطى . ص ١١٦ .

(٢٥) السيد طه ابوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص ٣٤ .

(٢٦) البوقلمون : نسيج امتاز بألوانه البراقة التى تتغير إذا انكسرت عليها أشعة الشمس ، اشتهرت بإنتاجه مدينة تنيس ، واللفظ يونانى معرب . ناصر خسرو : سفرنامه . ص ٩٢ ، رجب عبدالجواد : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص ٤٠٢ .

(٢٧) السقلاطون : نسيج من الحرير مخلوط بخيوط الذهب ، وكان غالباً ما يصبغ بلون أزرق داكن ، ويرجع أصله إلى بلاد الروم . القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٣ ص ٥٤٦ ، سامى عبدالحليم : المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية . ص ٨٨-٨٩.

(٢٨) العتابى : نسيج من خيوط القطن والحرير ، ينسب إلى محلة العتابية ببغداد ، نسبة إلى الصحابى عتاب بن أسد . ياقوت الحموى : معجم البلدان . جـ٤ ص ١١ ، فريال داود : المنسوجات العراقية الإسلامية . ص ١٢٦ ، عبدالعزيز حميد : المنسوجات . ص ٢٧١ .

(٢٩) الأيكات : نوع من النسيج الحريرى ، قيل هو حرير مطبوع من صناعة مدينة الرى ، والكلمة معربة من التركية ikat، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص ٧١ ، رجب عبدالجواد : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص ٣٨ .

(30) Bernard G. weiss: Asurvey of Arab History. p114.

ومن الجدير بالذكر أن المنسوجات الحريرية كانت هى الأكثر انتشاراً وشيوعاً فى العصر الفاطمي، فكان الحرير على قائمة المنسوجات الفاطمية(*)، بل تفنن النساجون فى إنتاج العديد من المنسوجات الحريرية المزينة بالكتان وخيوط الذهب(٣١) ، وهو ما انعكس بطبيعة الحال على أشكال الملابس والثياب ، فكانت أكثر بهاءً وفخامة خاصة مع ما ارتبط بها من المواكب والأعياد والاحتفالات الفاطمية .

كانت أهم مراكز إنتاج المنسوجات الحريرية بالقاهرة دار الديباج ، وهى دار الوزير يعقوب بن كلس ، والتى تحولت بعد وفاته إلى مصنع حكومى تابع للدولة ، وقيل بعد ذلك للموضع كله خط دار الديباج (٣٢)، كما كانت الإسكندرية من أهم المراكز فى صناعة المنسوجات الحريرية .

ويعتبر الأقباط من أكثر العناصر التى ارتبطت بهم صناعة النسيج ، فعمل الكثيرون منهم بهذه الصناعة منذ زمن طويل كما مارس الرهبان داخل الأديرة هذه الصناعة رجالاً ونساءً ، وكان لمهارة الأقباط أن أطلق على بعض المنسوجات المصرية اسم القباطى(٣٣) ، وظل تفوق الأقباط فى هذه الصناعة حتى بعد الفتح الإسلامى لمصر بسنوات طويلة ، خاصة أن العرب لم يقبلوا على العمل بالصناعات إلا بعد أن أسقط الخليفة المأمون أسماء العرب من ديوان العطاء سنة ٢١٨هـ(٣٤) .

كانت مدينتا تنيس ودمياط من أكثر المدن التى ضمت عدداً كبيراً من الأقباط العاملين بحرفة النسيج ، فكان عدد الأقباط بهما حوالى ثلاثين ألفًا (٣٥)، كذلك احتكر القبط صناعة النسيج فى كل من أسيوط وأخميم(٣٦) وأغلب مدن الصعيد .

(*) الملحق : لوحة رقم (١٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١٤٥٣٠) .

(٣١) سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص ٨٥ ،

The Cambridge History of Islam. vol 2 p 726 .

(٣٢) ابن عبدالظاهر : الروضة البهية فى خطط القاهرة المعزية . ص ١٠٨ .

(٣٣) صفى على محمد : مدن مصر الصناعية . الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٠ ص ١٣٠ .

(٣٤) سعاد ماهر : الفنون الإسلامية . الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ ص ٧٧ .

(٣٥) فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية . جـ١ ص ٩٧ .

(٣٦) محمد محمود إدريس : تاريخ الحضارة الإسلامية . ص ٢١٠ ، فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية ، جـ١ ، ص ٩٥ .

كان لليهود أيضاً دور مهم فى صناعة المنسوجات الحريرية ، وبخاصة فى مدينة الفيوم التى ضمت عدداً من اليهود الذين هاجروا من سوريا ، وقاموا بزراعة أشجار التوت وتربية دود القز ونسج الحرير [٣٧]، فضلاً عن الإسكندرية التى ضمت عدداً من اليهود المهاجرين من المغرب وبلاد الشام العاملين بهذه الصناعة ، والتى ارتبطت لديهم بإخوانهم من التجار الرازانيين ، فكانت المنسوجات الحريرية ضمن ما يحملونه فى تجارتهم شرقاً وغرباً [٣٨].

كما شارك بعض النساج من العراق فى العمل بصناعة النسيج فى العصر الفاطمى ، فهاجرت مجموعة من نساجى بغداد إلى مصر فى زمن العزيز بالله ، وأنشأوا بها مناسج اختصت بعمل المنسوجات البغدادية الشهيرة كالعتابى[٣٩] ، بعد أن حاول الخلفاء الفاطميون تقليد بعض أنواع المنسوجات الفاخرة المنتشرة فى العالم الإسلامى ، على أن قدوم هؤلاء النساجين لم يقلل من أهمية ونشاط القبط فى هذه الصناعة [٤٠].

ومن الجدير بالذكر أن أرباب صناعة النسيج قاموا بإنشاء نقابة لهم فى مصر ، فكانت نقابة النساجين من أقدم النقابات التى ضمت عمال هذه المهنة وصناعها ، وكانت عضوية النقابة تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن ، كما كان لابد للحرفى أو الصانع من الحصول على شهادة من النقابة ليصرح له بمزاولة المهنة ، واستمرت هذه النقابات بمصر تؤدى دورها حتى الفتح العربى ودخول الحكام العرب، الذين أبقوا على هذا النظام معمولاً به كسائر النظم والتقاليد الموروثة عن العهد البيزنطى ، فلم يطرأ أى تغيير يذكر سوى شيوع استخدام لفظ الطوائف والأصناف ، واختفاء لفظ النقابات فى عصر الولاة والعصور اللاحقة[٤١].

(٣٧) ل . أ. سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية . ص ١١٩ .
(٣٨) محاسن الوقاد : اليهود فى مصر المملوكية . ص ١٨٣ .
(٣٩) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص ٧٧ ، ڤريال داود : المنسوجات العراقية الإسلامية . ص ١٣١ .
(٤٠) فاطمة مصطفى عامر : المرجع نفسه . جـ١ ص ٩٣ .
(٤١) زبيدة عطا : الحياة الاقتصادية فى مصر البيزنطية . ص ٨٩ ، عبدالعزيز الدورى : نشوء الأصناف والحرف فى الإسلام . مجلة كلية الآداب ببغداد ، العدد الأول ١٩٥٩ ، ص ١٤١ .

استمر العمل بنظام طوائف الحرف وأصبح لها تقاليد وطقوس خاصة بها مع بداية العصر الفاطمى ، فكان من تقاليد الطوائف الحرفية فى ذلك العصر اختيار شيخ الطائفة ، وكان لايصل إلى هذه الرئاسة إلا برضاء كبار أصحاب الحرفة ورغبتهم فى شغله لهذا المنصب ، وكان يعتبر مسئولاً أمام الجهات الحكومية عن أى اضطراب يصدر عن أعضاء طائفته ، كما كان للمشايخ حق تقدير المستوى الذى يجب أن يكون عليه الصبيان الذين هم تحت التمرين ، كذلك المستوى الفنى الذى يحتاج إليه الصبى ليرقى فيصبح صانعاً ، وأيضاً ترقيته إلى مرتبة المعلم ، كان شيخ الطائفة يبقى فى منصبه مدى الحياة ، غير أنه إذا حدثت منه تصرفات لايرضى عنها كبار أهل الصنعة ، فعندئذ يكون عليه أن يتخلى عن رئاسة الطائفة ليحل محله من يحظى برضاء أفراد الطائفة (٤٢).

لاشك أن ظهور نظام الطوائف ساعد على تقوية الروابط الاجتماعية والاقتصادية بين أبناء كل حرفة خاصة إذا ما أضيف إليه تجمعهم فى أماكن السكن أيضاً ، فكانت طوائف الصناع والحرفيين تسكن فى حارات كبيرة فى الفسطاط والقاهرة (٤٣) جنبًا إلى جنب .

عرف صناع النسيج بعدة أسماء ظهرت فى ألقاب المشهورين منهم ، فظهرت ألقاب الحريرى والديباجى والقزاز (٤٤)، فورد على شاهد رخام مؤرخ فى صفر ٢٤٠هـ عبدالله ابن أحمد المصطفى الحريرى (٤٥)، كما عرف فى العصر الطولونى أحمد بن الحسين بن عبدان الديباجى ، وكانت وفاته عام ٢٩٣هـ (٤٦)، وكانت مدينة الأشمونيين فى منطقة مصر الوسطى إحدى مراكز حرفة القزازة ، لذلك اشتهر العديد منهم ووردت أسماؤهم فى أوراق البردى العربية ، فكان قلتة بن كيل الذى ورد اسمه فى عقد مؤرخ بسنة ٤٤١هـ، وأبو العلاء القزاز وجاء اسمه فى عقد آخر مؤرخ بسنة ٤٤٢هـ ، وأيضاً عبدالمسيح القزاز ،

---

(٤٢) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص ٣٩٢ .

(٤٣) السيد طه أبوسديرة : المرجع نفسه ص ٣٩٧ .

(٤٤) القزار : من القز وهو الحرير قبل غزله ، وهو اسم صار يطلق على نساجى الحرير . رجب عبدالجواد : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص ٣٨٩ ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص٦٦ .

(٤٥) السيد طه أبوسديرة : المرجع نفسه . ص ٣٣ .

(٤٦) السيد طه أبوسديرة : المرجع نفسه . ص ٦٦ .

الذى ذكر فى عقد يرجع تاريخه إلى سنة ٤٦٠هـ فى عهد المستنصر (٤٧)، كما عرف عن بعض رجال الدين امتلاكهم لأنوال النسيج وعملهم بهذه المهنة ، فيروى ابن الزيات عن أبى محمد بن أبى الفرج بن إبراهيم المعروف بالكيزانى «أنه كان له معمل قزازة وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بالباقى ، وكان يدير الدولاب بيده» (٤٨).

أما عن أجور النساجين وقيمة ما يحصلون عليه فكانت بسيطة ، لذلك يمكننا أن نعتبر النساجين من الطبقات الفقيرة(٤٩) ، ففى القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادى كان دخل أصحاب حرفة النسيج لايكاد يكفى حاجة المرء من الضروريات ، إذ كانت أجرة العامل فى مدينة تنيس - أكبر مراكز إنتاج النسيج - حوالى عام ٢٠٠هـ لاتتعدى نصف الدرهم فى اليوم(٥٠) ، بينما كان ثمن النسيج نفسه يرتفع ارتفاعاً باهظاً بسبب المكوس والضرائب المفروضة على العمال والمواد الخام والتجارة ، ولم يختلف الأمر كثيراً مع بداية العصر الفاطمي، ففى عهد العزيز بالله كانت أحوال الصناع غاية فى السوء نتيجة لسياسة الاحتكار التى اتبعتها الحكومة لإنتاجهم من النسيج ، إلى جانب ارتفاع الضرائب المقررة عليهم وتشدد الوزير يعقوب بن كلس فى منع تصدير المنسوجات الى العالم الخارجى خاصة العراق (٥١).

مع منتصف العصر الفاطمى اختلفت أحوال صناع النسيج شيئاً ما ، فاختلفت الأجور وارتفعت إذا ما قورنت بما كانت عليه من قبل ، ويرجع ذلك إلى مشاركة أصحاب رؤوس الأموال والتجار مع الصناع فى إقامة العديد من المصانع الأهلية ، وزيادة الطلب على المنسوجات والأقمشة التى احتاجتها الدولة بكثرة للجنود ورجال الدولة والبلاط الفاطمى، كما كان انتشار دور الطراز الخاصة وعمل النساجين بها بأجور مناسبة عاملاً من عوامل ارتفاع دخلهم وتحسن أحوالهم ، خاصة فى عهد المستنصر بالله فى أعقاب الشدة

(٤٧) جروهمان : أوراق البردى العربية ، جـ٦ .

(٤٨) الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة - مكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٨ ص ٣٠٣ .

(49) Thelma K. thomas : Textiles from Medieval Egypt, p 34.

(٥٠) آدم متز : الحضارة الإسلامية . جـ٢ ص ٣٥٤ ، حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى . ص ٢٠٠ ، السيد طه أبوسديرة : المرجع نفسه . ص ٤٠٦ .

(٥١) أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص ٤٠٦-٤٠٧ .

العظمى[٥٢]، ومن مظاهر تحسن أحوال صناع النسيج أن ما كان ينسج للخليفة من نسيج القصب والبوقلمون كان يدفع ثمنه كاملاً بواسطة السماسرة، الذين كانوا يسلمون الغزل للنساج ثم يتسلمونه أقمشة وأثواباً[٥٣].

تعد حرفة الخياطة [٥٤]من أهم الحرف والصناعات المرتبطة بالملابس وتطورها، فيذكر ابن خلدون عنها فى مقدمته «وهذه الصناعة مختصة بالعمران الحضرى لما أن أهل البدو يستغنون عنها، وإنما يشتملون الأثواب اشتمالاً، وإنما تفصيل الثياب وتَقديرها وإلحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها، وتفهم هذه فى سر تحريم المخيط فى الحج لما أن مشروعية الحج مشتملة على نبذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع إلى الله تعالى كما خلقنا أول مرة» [٥٥]، ونخلص من النص إلى أن معرفة الخياطة كانت منتشرة فى المدن والعواصم المتحضرة وسابقة على مجتمع القرى والبدو، ويضيف ابن خلدون: (وهى قديمة فى الخليقة لما أن الدفء ضرورى للبشر فى العمران المعتدل وأما المنحرف إلى الحر فلا يحتاج أهله إلى دفء، ولهذا يبلغنا عن أهل الإقليم الأول من السودان أنهم عراة فى الغالب»[٥٦]. وتجدر الإشارة إلى أن لفظ خياطة مشتق من الخيط ومنها قوله تعالى: **﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾**[٥٧]، فالخياطة والاشتقاق منها - خياط - لفظة عربية، أما كلمة ترزى الشائعة فهى فارسية من درزه بمعنى شق الثوب الذى يفصل ويخاط ومنه درزى بمعنى الخياط[٥٨]، والتى خففت بعد ذلك إلى ترزى، ويخلط البعض أحياناً بين كلمة حائك

(٥٢) أمينة الشوربجى: رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر. ص ٤٠٧.

(٥٣) السيد طه أبوسديرة: الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية. ص ٦١، فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية. جـ١ ص ٩٩.

(٥٤) تشير بعض المرويات الإخبارية عند المؤرخين العرب إلى أن أول من مارس مهنة الخياطة هو سيدنا إدريس عليه السلام، فهو أول من خاط الثياب ولبسها، وكانوا قبله يلبسون الجلود. أبو هلال العسكرى. الوسائل إلى معرفة الأوائل. ص ٤٢٣، ابن الجوزي: المنتظم. جـ١ ص ٢٣٤، القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء. ص ٦.

(٥٥) المقدمة. ص ٤١١.

(٥٦) المقدمة. ص ٤١٢.

(٥٧) سورة الأعراف: الآية ٤٠.

(٥٨) الجاحظ: الحيوان. جـ٥ ص ٣٨٠، إبراهيم السامرائى، الدخيل فى الفارسية والعربية. ص٥٣.

وخياط ، فالحائك هو ناسج الثوب قماشاً بعد غزل الخيوط[٥٩] ، أما الخياط فهو الذى يقوم بتفصيل هذا النسيج أو القماش على قدر الجسد بأشكال ومقاسات مختلفة ، وكان لارتباط الحرفتين ببعضهما البعض سبباً فى هذا الخلط بينهما ، والذى لم ينتبه إليه إلا أهل اللغة .

كان اختلاط العرب بحضارة الفرس عاملاً من عوامل التأثر بالأذواق الفارسية فى الملابس المخيطة ، خاصة أن الموالى من الأعجام كانوا من المهرة فى هذه المهنة حتى أوائل القرن الثانى الهجرى [٦٠] ، ثم بدأ بعض العرب يقبلون عليها ، إذ تظهر نصوص البرديات العربية عدداً من الأسماء العربية التى مارست هذه الحرفة ، من بينها بردية عربية محفوظة فى مجموعة جون رايلاندز بمانشستر فى إنجلترا ورد بها اسم (يعقوب بن محمد ابن يعقوب الخياط)[٦١] ، وكذلك ورد اسم (عبدالرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى الخياط) ضمن النصوص التذكارية لشاهد قبر مؤرخ فى ١١ من ذى القعدة لسنة ٣٧٢هـ[٦٢] .

---

(٥٩) أورد ابن طولون أن المعنى اللغوى لكلمة حائك هو النساج ، كذلك يذكر ابن سيده : الحائك والنساج وهم الحاكة والحَوكة وقد حاك الثوب يحوكه حوكًا وحياكة بمعنى النسج ، وأورد ابن منظور : الحوك والحوُكة النساجات وهى الثياب بأعيانها ، فالحياكة بصفة عامة هى عملية صنع النسيج قماشاً وهو ما يقوم به الحائك . ضوء السراج فيما قيل فى النساج . مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٥٨٨ ورقة رقم ١ ، المخصص . جـ٣ ص ٢٥٩ ، لسان العرب . جـ٢ ص ١٠٥٤ ، حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية . جـ٣ ص ١٢٧٨ ، رجب عبدالجواد : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص ١٤٠ .

(٦٠) صالح العلى : الألبسة العربية فى القرن الأول الهجرى . مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد ١٣ العراق ص ٤٢-٤٤ ،

Nancy Lindisfarne: LAnguages of Dress, p 42.

(٦١) سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الحرف والوظائف . جـ١ ص ٣٩١ .

(٦٢) المرجع نفسه . جـ١ ص ٣٩٢ .

وتدل كثرة الأسماء العربية فى البرديات وشواهد القبور على اشتغال العديد من الأسر والقبائل العربية بهذه الحرفة ، وعلى الجانب الآخر انتشرت حرفة الخياطة فى مصر بين أهل الذمة (٦٣) شأنها فى ذلك شأن أغلب الحرف المرتبطة بالملابس ، فوردت هذه الحرفة ضمن نصوص البرديات العربية ، فعلى سبيل المثال وردت أسماء (ربهيل الخياط - دانيل الخياط - يواقيم الخياط) (٦٤).

ويرجع انتشار أسماء أهل الذمة فى الكثير من البرديات ووثائق الجنيزة إلى أن غالبية هذه البرديات والوثائق ، كانت عبارة عن كشوف حسابات وإيصالات جزية وضرائب وغيرها ، ففى بردية ترجع إلى منتصف القرن الثالث الهجرى ورد سم «إسحق الأزرق الحائك» وكانت قيمة الضريبة لمزاولته حرفته ثلاثة دنانير (٦٥).

وكان طبيعياً أن تنتشر حرفة الخياطة بشكل كبير فى بعض المدن التى تخصصت فى إنتاج وتصنيع النسيج والثياب ، فازدهرت خياطة الملابس ببلاد الصعيد فى الأشمونين وبرزت أسماء بعض الخياطين بها ، ففى سنة ٢٥٩هـ ظهر اسم أبى السرى الخياط ، ويعقوب بن إسحق ، وأحمد بن محمد ، وكانا ممن يبيعون القماش أيضاً (٦٦).

ويذكر ابن ميسر أن أحد أبناء الوزير الفاطمى اليازورى كان يمارس حرفة الخياطة فى حالات خاصة : فيقول : «وكان ولده خطير الملك قد ناب عنه فى قضاء القضاة والوزارة وغير ذلك ، وسار إلى الشام فأصلح أموره بعساكر جمة فى خدمته ، ثم رئى بعد ذلك بمسجد فى مدينة فوة يخيط للناس بالأجرة وهو فى حال شديد من الفقر» (٦٧) . ويوضح هذا النص اضطرار بعض الطبقات والشخصيات للعمل ببعض المهن والحرف ؛ طلباً للرزق فى أوقات الشدة .

---

(63) Salo w. Baron : Economic History of Jews. p28.

(٦٤) سعيد مغاورى : المرجع نفسه . جـ١ ص ٣٩٠ .

(٦٥) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص ٤١٠

(٦٦) ممدوح الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر . ص١٨٨ .

(٦٧) المنتقى من أخبار مصر . ص ١٧ .

وكانت مدينتا تنيس ودمياط من أكثر المدن التى عمل أهلها بالخياطة - أيضًا - وصنع الثياب الراقية[٦٨] . كذلك كان لشهرة الفيوم بإنتاج المنسوجات الكتانية أن انتشرت مهنة الخياطة فعمل الكثير من سكانها بها[٦٩] .

كان لاهتمام الفاطميين بالملابس وصناعتها أن ازدهرت حرفة الخياطة فى العديد من أحياء القاهرة والفسطاط ، فكانت سويقة أمير الجيوش تضم عدة حوانيت للخياطين[٧٠] ، كذلك كان بسوق الخروقيين ورباط الوزير وقيسارية الصبانة بعض الأماكن التى خصصت لعمل الخياطين والرفائين[٧١] .

كما حرص الفاطميون على أن تضم دار الكسوة مجموعة من أمهر الخياطين ، فكان بالخزانة الظاهرة ما كان يسمى بصاحب المقص ، وهو رئيس الخياطين والمقدم عليهم ، وكان لهم أمكنة خاصة يفصلون ويخيطون ما يكلفون بخياطته من لباس الخليفة ، وما يحتاج إليه من الخلع والتشريفات[٧٢] ، وكان على رئيس الخياطين التأكد من تنظيف الخياطين لأدواتهم قبل العمل فى التفصيل ، حتى لاتظهر بعض البقع البنية على الأقمشة[٧٣] ، كما عرفت فى العصر الفاطمى بعض الورش التى تخصصت فى صنع الأزرار المستخدمة فى الملابس ، والتى اعتمد عليها الخياطون فى عملهم ، وكان أغلب الصناع بها من اليهود[٧٤] .

---

(٦٨) ابن بسام : أنيس الجليس فى أخبار تنيس . مخطوط بدار الكتب العربية برقم ١٨٥٢ ورقة رقم ١٨٠ ، المقريزى : الخطط . جـ١ ص ٢٨٦ ، ابن إياس : نزهة الأمم فى العجائب والحكم . ص ١٨٤ .

(٦٩) محمد محمود إدريس : تاريخ الحضارة الإسلامية . ص ٢٠٧ .

(٧٠) أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص ٣٤٢ ، سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر . ص ٧٤ .

(٧١) ناصر خسرو : سفرنامه . ص ١٢٢ ، ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار . جـ١ ص٨٣ .

(٧٢) المقريزى : الخطط . جـ٢ ص ٢٦٢ ، عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين . ص١٠٠ .

(٧٣) ل . أ . سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية . ص١٦٨ .

(74) S.D. Goitein: AMediterranean Society. vol. IV. p177.

أما عن أهم الأدوات التى استخدمت فى مهنة الخياطة ، فكانت الإبرة ويقال لها المخيط ، والمنصح وهو الخيط[٧٥] ، والنّصّاح اسم من الأسماء التى عرف بها الخياط [٧٦]، وكان المقراض وهو المقص من أهم الأدوات اللازمة للتفصيل والخياطة ، حتى إن رئيس الخياطين بدار الكسوة كان يسمى بصاحب المقص ، كما استخدم الخياط فى أدواته الكستبان [٧٧]، وهو القمع المعدنى الذى كان يرتديه الخياط فى إصبعه أثناء العمل للوقاية من سن الإبرة . ومن الملاحظ أن هذه الأدوات لم يطرأ عليها تطور أو تغير ، بل إن بعضها ظل مستخدماً حتى الوقت الحاضر وبنفس المسميات .

كانت أجور الخياطين أفضل - نوعاً ما - من أجور النساجين ، ويرجع ذلك إلى المهارة التى يتطلبها عملهم وارتباطهم بالأذواق والموضات المختلفة ، كما أن تحديد الأجر كان يخضع عادة للاتفاق بين الطرفين الصانع والعميل ، وهو ما جعل أجورهم متفاوتة حتى فيما بين بعضهم البعض .

وتجدر الإشارة إلى أن نصوص أغلب البرديات العربية وردت بها معلومات على جانب كبير من الأهمية عن الأجرة التى كان يتقاضاها الخياط ، منها بردية عربية محفوظة فى دار الكتب المصرية تنسب للقرن ٣ هـ موضوعها (حساب خياط) وردت بها أجرة الخياط لصنع الجلباب خمسة دراهم ونصف ، كما ورد أن أجرة خياطة الغلايل وهى الثياب الرقيقة - للنساء - أربعة دراهم وربع [٧٨]، كما يستدل من بردية أخرى تنسب أيضاً للقرن ٣ هـ أن أجرة خياطة الجبة والقميص والسروال كانت درهمين [٧٩]، وتوجد العديد

(٧٥) كانت أغلب الخيوط المستعملة من الكتان ، إلا أن البعض أجاز للخياط أن يخيط بخيوط الحرير ، السبكى : معيد النعم ومبيد النقم . تحقيق محمد على النجار وآخرين ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٩٣ ص ١٣٦ .

(٧٦) ابن سيده : المخصص . جـ١ ص ٨٨ ، أبوهلال العسكرى : التلخيص . جـ١ ص ٢٣٠ .

(٧٧) كستبان : لفظ فارسى من أنكشتانه بمعنى إصبع . طوبيا العنيسى : تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية . ص ٦٣ .

(٧٨) جروهمان : أوراق البردى العربية . جـ٦ ص ٧٣ - ٧٤ .

(٧٩) جروهمان : المرجع نفسه ، جـ٦ ص ٧٩ - ٨٠ ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص ٣٨ .

من الأمثلة فى العديد من البرديات عن الأجور التى كان يتقاضها الخياطون ، وهى بلا شك تثبت أن أجر حرفة الخياطة كان أعلى من أجور كثير من الحرف الأخرى ، مما جعل أصحابها يقبلون عليها فى رضا وسرور ، خاصة فى العصر الفاطمى الذى راجت فيه صناعة الملابس والثياب بل اعتبرت الملابس فيه من مظاهر الثراء والترف .

تعد حرفة الصباغة [٨٠] من أهم الحرف التى ارتبطت بتطور الملابس فى المجتمع المصرى ، وترجع أهمية الصباغة إلى الدلالات الاجتماعية والنفسية التى تعكسها فى علاقة الإنسان والمجتمع بالملابس ، فكثيراً ما كان اللون يمثل فاصلاً بين طبقة وأخرى كما ارتبطت بعض المناسبات بألوان الملابس ، كذلك كان اللون شعاراً سياسياً للدولة والخلافة .

وعلاقة الإنسان بالألوان علاقة قديمة ووطيدة خاصة لدى المصريين لارتباطها بالعقيدة [٨١]، كذلك برزت أهمية الألوان من استقراء بعض الآيات القرآنية التى أكدت على استحباب أو كراهية بعض الألوان ، فالأزرق كان دائماً للعصاة قال تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [٨٢] ، والأخضر كان دائماً للمتقين وأهل الجنة ، قال تعالى : ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [٨٣] ، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [٨٤]، لذلك كان اللون من الأشياء المهمة التى استخدمتها الدولة الإسلامية فى مصر للتمييز بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة .

---

(٨٠) الصبغ والصباغة فى اللغة هو كل ما غمس فتغير ، فأصل الصبغ التغيير . الخليل بن أحمد : العين . جـ ٤ ص ٣٧٤ ، ابن منظور : لسان العرب . جـ ٧ ص ٢٨١ .

(٨١) كان المصريون قبل الإغريق يقرنون اللون الأبيض بالطهارة والقدسية ، وكان خير وسيلة لديهم لإظهار تفوقهم على الآسيويين هى ارتداء ثياب بيض ترمز إلى الطهارة . سعد الخادم . تاريخ الأزياء الشعبية فى مصر . ص ١٩ .

(٨٢) سورة طه : الآية ١٠٢ .

(٨٣) سورة الإنسان : الآية ٢١ .

(٨٤) سورة الرحمن : الآية : ٧٦ .

(٨٥) محمد عبدالعزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية . ص ٦١ .

ترجع حرفة الصباغة إلى عهود قديمة حينما بدأ الإنسان فى استخدام النباتات الطبيعية ذات الألوان المتعددة فى تلوين الثياب (٨٥)، ثم الاهتداء إلى المواد الحيوانية والمعدنية واستخلاص الألوان بدرجات محددة ومتنوعة .

كان لبراعة المصريين فى الصباغة أن ازدهرت حرفتهم وتقدمت خاصة بعد أن شجع الحكام العرب المحترفين منهم ، لاسيما الأقباط واليهود(٨٦) ، والذين ظلت حرفة الصباغة حكراً عليهم لفترات طويلة ، ويعتبر العصر الفاطمى أزهى العصور لازدهار حرفة الصباغة بعد اتساع نطاق استخدام الألوان وتقدم صنعة الكيمياء فى ذلك العصر(٨٧) ، فظهرت بعض الألوان التى ارتبطت بهذا العصر واستخدمت بشكل كبير ، كالقرنفلى والأخضر الزرعى والأصفر العاجى والأزرق السماوى ، كما حرصت الدولة الفاطمية على احتكار إنتاج واستيراد الكثير من مواد الصباغة كالقرظ (٨٨)والشب(٨٩) والزعفران(٩٠) والنيلة(٩١) وغيرها من المواد .

انتشرت حرفة الصباغة فى العديد من المدن والمراكز المرتبطة بصناعة النسيج والملابس، فاشتهرت كل من أسيوط وأخميم وتنيس والفسطاط بوجود العديد من ورش ومصانع

(٨٦) فاروق دسوقى : أوضاع اليهود فى الدولة العربية . القاهرة ١٩٩٩ ص ٢٦٨ .

(٨٧) السيد طه ابوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص ٤٤ .

(٨٨) القرظ : هو بذر شجرة السنط . المقريزى : الخطط . جـ ١ ص ٢٠٦ .

(٨٩) الشب : مسحوق أبيض قابض استخدم منذ زمن بعيد فى تثبيت الألوان ، وكان يستخرج من مصر العليا بالقرب من أخميم وأسيوط والبهنسا . المسعودى : مروج الذهب . جـ ٢ ص ٢٧ ، ل . أ . سيمينوفا : تاريخ الدولة الفاطمية . ص ١٧٣ .

(٩٠) الزعفران : هو نبات يشبه السمسم كان يجلب من اليمن وتونس ، وكان يستخدم فى الحصول على اللون الأصفر ، اللبابيدى : معجم أسماء الأشياء . ص ٣٤٥ .

(٩١) النيلة : شجرة يحصد نباتها كل مائة يوم ، وكان يتم استيراد بذورها من سوريا . آدم متز : الحضارة الإسلامية . جـ ٢ ص ٣١٥ ، محمد الجهينى : أحياء القاهرة القديمة ، دار نهضة الشرق ٢٠٠٠ ص٨٢ .

الصباغة[٩٢]، كما أشارت أوراق البردى العربية إلى العديد من أسماء الصباغين فى مصر منذ عصر الولاة حتى أواخر العصر الفاطمى ، فعلى أحد شواهد القبور المحفوظة بمتحف الفن الإسلامى ، وجد شاهد حجر رملى من أسوان باسم «أحمد بن عباد بن إدريس الصباغ» وشاهد آخر مؤرخ فى شعبان سنة ٢٣٩هـ باسم «قاسم بن عبدالله الصباغ» [٩٣]، كما تضمنت شواهد القبور أسماء بعض الصباغين فى العصرين الطولونى والإخشيدى ، فورد ذكر «عبدالغنى بن جعفر بن مسلم الصباغ» على شاهد حجر رملى من الصعيد يرجع إلى القرن الرابع الهجرى ، كما ورد نص جنائزى من أسوان مؤرخ فى ذى القعدة لسنة ٣٥١هـ بأسم «أحمد بن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم الصباغ» [٩٤].

ومن الملاحظ أن معظم أسماء الصباغين حتى نهاية عصر الدولة الإخشيدية كانت لصناع مسلمين ، وأنها تركزت فى مدن الصعيد ، مما يدعونا للقول بأن صناعة الأصباغ كانت أكثر انتشاراً فى هذا الإقليم وأن براعة أهل الذمة [٩٥]فى صناعة الأصباغ لم تمنع من عمل المسلمين بها ، أما فى القاهرة والفسطاط فكان ارتباط الصباغة باليهود أمراً ملحوظاً إذ أوضحت المصادر أن اليهود كانوا يمتلكون العديد من الورش الخاصة بصناعة اللون الأرجوانى ، كما أشارت بعض وثائق الجنيزة إلى اثنين من الشركاء كانا يعملان بالفسطاط فى هذه المهنة ، أحدهما يدعى أفراهام الصباغ ، والثانى يدعى حلفون . وقد هاجر أحدهما إلى فلسطين ووكل إلى شريكه رعاية أملاكه وأسرته بالفسطاط [٩٦]، كما أشارت

(٩٢) كان لسهولة حصول الصباغين بأسيوط على مادة الشب والنيلة من الواحات القريبة منهم أكبر الأثر فى ازدهار حرفة الصباغة لديهم ، كما تميزت أخميم منذ العصر القبطى ببراعة الصباغين بها وتفوقهم فى صناعة الألوان البراقة ، كذلك كان لتفوق الصباغين فى تنيس وخبرتهم ، أن أمكن إنتاج نسيج البوقلمون المتعدد الألوان ، وكانت الفسطاط تضم عدة أحياء اشتهرت بحرفة الصباغة كعقبة الصباغين وقيسارية العصفر . ابن بسام : انيس الجليس فى أخبار تنيس . ورقة رقم ١٧٨ ، محمد عبدالستار عثمان : أخميم فى العصرين القبطى والإسلامى . ص ٣٨ .

(٩٣) جروهمان : أوراق البردى العربية . جـ٦ ص ٢٠٩ .

(٩٤) السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص ٤٣ .

(٩٥) يذكر الثعالبى أن : عيسى بن مريم تنسب إليه حرفة الصباغة واستعمال الألوان ، وهو ما يفسر لنا ارتباط الأقباط بمهنة الصباغة وبراعتهم فيها . قصص الأنبياء المسمى (عرائس المجالس) . طبع الحلبى (د.ت) ص ٣٥٠ ، هويدا عبدالعظيم : اليهود فى مصر الإسلامية . ص ٢٦٢ .

(٩٦) محاسن الوقاد : اليهود فى مصر المملوكية . ص ١٧١ .

الوثائق إلى اسم أحد أصحاب المصانع بالفسطاط ويدعى (عروس بن يوسف) من المهدية بتونس [(٩٧)].

ولم يقتصر نشاط اليهود فى حرفة الصباغة على امتلاك العديد من الورش والمصانع ، بل امتد إلى التجارة فى مواد الصباغة نفسها ، فكان عروس بن يوسف يرسل إلى مدينة صفاقس بتونس كميات من مادة الأرجوان[(٩٨)] طوال العصر الفاطمى ، كذلك كان إسحاق النيسابورى من كبار التجار بالإسكندرية الذين تخصصوا فى تجارة الزعفران والحناء والكثير من المواد الصبغية[(٩٩)].

أما عن أكثر المواد الصبغية التى استخدمها الصباغون فى تلوين المنسوجات والثياب ، فيمكن معرفتها من خلال الألوان التى تعطيها هذه المواد ، فكان الزعفران من المواد النباتية التى يستخرج منها اللون الأصفر ، وهى شجرة كانت تكثر فى إيران واليمن وتونس[(١٠٠)]، نباتها يشبه حبة السمسم ، كذلك كان نبات الورس المنتشر باليمن والحبشة من النباتات التى يستخرج منها اللون الأصفر ، وكان أجوده الهندى والحبشى واليمنى [(١٠١)]، وكان الورس والزغفران يستخدمان بشكل أساسى فى صبغ الخيوط والمنسوجات قبل صناعة الملابس نفسها[(١٠٢)].

أما عن المواد المستخدمة فى الحصول على اللون الأحمر ، فكثيرة ومتعددة منها : النباتى ومنها الحيوانى ، فكانت الصبغة الحمراء تستخلص بالتخمير من أوراق نبات

---

(٩٧) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص ٤٦ .

(٩٨) حسن خضيرى : علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب . ص ١٢٠ .

(٩٩) ل . أ . سيمنوفا : تاريخ مصر الفاطمية ص ١٤٨ ، هويدا عبدالعظيم رمضان : اليهود فى مصر الإسلامية . ص ٣٤٦-٣٤٧ .

(١٠٠) عبدالحميد إبراهيم : قاموس الألوان عند العرب . ص ٣٣ ، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص ٢١ .

S.D. Goitein: AMeditrranean Society, Vol IV. p173.

(١٠١) النويرى : نهاية الأرب . جـ ١١ ص ٣٢٨ ، النووى : تهذيب الأسماء . جـ ٢ ص ١٩٠ .

(١٠٢) سامى عبدالحليم : المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية . ص ٥٠ .

الفوة[١٠٣] والعفص[١٠٤] والبقم[١٠٥] والجميز[١٠٦] ، أما عن المواد الحيوانية المستخلص منها اللون الأحمر فكان أهمها القرمز ، وهى حشيشة تكون فى أصلها دودة حمراء تنبت فى أرمينية ، فتيبس تلك الدودة فيؤخذ من عصارتها اللون الأحمر فتصبغ به المنسوجات الحريرية والصوفية لأنه يكون أكثر ثباتاً بها[١٠٧] ، كما تم استخدام الأرجوان وهو حيوان فى جوف صدفه اكتشفه الفينيقيون فى استخراج اللون الأحمر[١٠٨] . ومن المواد المعدنية التى استخدمت للحصول على اللون الأحمر المغرة ، وهى طين أحكمت الحرارة إنضاجه فزاد فى الغروية والحمرة مع يسير صفرة[١٠٩] .

أما اللون الأزرق فكان يستخرج من نبات النيلة ، وكانت أشجاره تزرع بمصر منذ العصور القديمة خاصة فى الصعيد الأعلى مثل جرجا والأقصر ، وزادت زراعته بمصر منذ الفتح الإسلامى[١١٠] .

---

(١٠٣) الفوة : نبات له عروق طوال حمر وفى رأسه حب أحمر شديد الحمرة كثير الماء ، وكان يخلط مع النيلة البرية ليعطى اللون الأحمر القانى ، وكانت الفوة تعرف بفوة الصباغين . الجاحظ : الحيوان . جـ ٢ ص ٣٣٨ ، الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة . ص ٧٢ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان . جـ ٤ ص ٢٨٠ .

(١٠٤) العفص : ثمر شجر البلوط يجفف ويسحق ويستخدم فى الصباغة . الشيزرى : المصدر نفسه . ص ٧٢ ، حنان قرقوتى : ملامح من صناعة النسيج عند المسلمين . ص ١٧٨ .

(١٠٥) البقم : هو خشب ذو لون أحمر يأتى من الهند وورقه كورق اللوز وساقه أحمر كان يصبغ بطبيخه ، وكان يستخدم بكثرة فى صبغ الحرير . أدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة . ص ٢٥ ، جومار : وصف مدينة القاهرة . ص ٢٦٠ ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص ٤٢ ، ارثركووك : الصناعات والصناع : ترجمة عوض جندى ، دار الكتب ١٩٢٧ ، ص ١٨٣ .

(١٠٦) الجميز : كان يستخرج من غصن الجميز إذا فصد لبن أبيض إذا طلى على الثوب أو النسيج صبغة أحمر . عبداللطيف البغدادى : الإفادة والاعتبار . ص ٦٤ .

(١٠٧) الخليل بن أحمد : العين . جـ ٥ ص ٢٥٥ ، الكندى : رسالة فى قلع الآثار من الثياب . تحقيق محمد عيسى صالحية ، معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثلاثون جـ ١ ، ١٩٨٦ ص ٩٧ ، عبدالحميد إبراهيم : قاموس الألوان عند العرب . ص ٢٠٤ .

(١٠٨) الجواليقى : المعرب . ص ١٩ ، طوبيا العنيسى : تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية . ص ٣ .

(١٠٩) عرف طين المغرة بالمصر ، وثوب ممصر مصبوغ بالطين الأحمر . الجاحظ الحيوان . جـ ٣ ص ٣٥٣ ، الكندى : المصدر نفسه . ص ٩٧ ، أحمد مطلوب : معجم الملابس فى لسان العرب . ص ١٢١ ، عبدالحميد إبراهيم : المرجع نفسه . ص ٢٣٨ .

وكان حجر الشب يستخدم فى كل عمليات الصباغة لتثبيت الألوان ، وكان يستخرج من مصر العليا بالقرب من أخميم وأسيوط وإدفو والبهنسا ، واعتبرت مدينة الإسكندرية من أكبر المراكز الرئيسية لتجارته ، كما كان من المواد التى احتكرت الدولة الفاطمية تجارتها خاصة مع زيادة الطلب عليه فى الدولة البيزنطية [١١١] .

تعرضت حرفة الصباغة للغش على يد بعض أربابها ، فكان بعض الصباغين يصبغون الغزل والثياب بالحناء بدلاً من الفوة ، فيخرج الصبغ حسناً مشرقاً لفترة وجيزة ، فإذا أصابته الشمس تغير لونه وزال إشراقه ، كما كان بعض الصباغين يستعملون العفص والزاج فى صباغة الثياب المراد صبغها باللون الأزرق الداكن ، فتخرج صافية اللون شديدة السواد ، فإذا مضت عليها أقل مدة تعود إلى أصلها ويتغير لونها[١١٢] ؛ لذلك حذرت كتب الحسبة[١١٣] من أساليب الغش فى مجال الصباغة وموادها ، وكان المحتسب يقوم دائماً بالإشراف على الصباغين وصناعتهم ، كما سنذكر فيما بعد فى عمله مع كافة الحرف .

من الجدير بالذكر أن الكثير من الملابس والثياب عُرفت أسماؤها من خلال ما ارتبط بها من الألوان والصباغة ، فقيل ثوب مُعصفر أى مصبوغ بالعصفر ذى اللون الأصفر[١١٤] ، وثوب مجسد من الجساد[١١٥] وهو الزعفران ذو اللون الأصفر أيضاً ،

---

(١١٠) ل . أ . سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية . ص ٨٤، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص ٤٢ .

(١١١) ابن مماتى : قوانين الدواوين . ص ٣٢٨ ، عبد المنعم سلطان : الأسواق فى العصر الفاطمى . ص٣٩ .

(١١٢) السيد طه أبوسديرة : المرجع نفسه . ص ٤٦ .

(١١٣) ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة . ص ١٤٢ ، الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة . ص ٧١ .

(١١٤) الوشاء : الموشى أو الظرف والظرفاء . جـ٢ ص ٢٣٢ ، رجب عبد الجواد : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص ٣٢٧ .

(١١٥) الجساد : الزعفران فى اللغة الفارسية . الثعالبى : فقه اللغة . ص ٣٥٨ ، ابن منظور : لسان العرب . جـ٢ ص ٢٨٢ .

وكـــذلك المورس[116] وثوب ممشق وممصر مصبوغ بالمشق أو المصرة وهو الطين الأحمر[117]، وثوب مُفدم أى المشبع بالحمرة[118]، والأطلس ما كان يميل إلى السواد[119] ، والمفوف الأبيض[120] ، أما الثوب المصمت فهو ما كان لونه لونًا واحدًا لايخالطه لون آخر[121]، على عكس المُشرب وهو ما خلط بلون آخر كأن أحد اللونين سقى اللون الآخر ، كإشراب الأبيض بحمرة خفيفة[122] .

مما سبق يتضح أن اللون ومواد الصباغة احتلت مكانة كبيرة فى تطور الملابس والثياب، حتى أصبح اللون أحد صفات الملبس والدال عليه ، كما يمكن أن نستنتج أن أهمية اللون ساعدت على البحث والتجريب فى خواص النباتات والمعادن ، لاستخلاص العديد من الألوان بدرجات متعددة ، إرضاءً لكل الأذواق وراحة للعين .

على الرغم من ذكر أجور النساجين والخياطين فى أوراق البردى العربية إلا أن أجور الصباغين لم ترد فيها بشكل مفصل فوردت بعض الأسعار فى أغلب البرديات ضمن حساب البزازين والخياطين ، مما شكل صعوبة فى الحصول على الأجر الصافى للصباغين فى صباغتهم للأثواب ، ففى بردية ترجع للقرن الثالث الهجرى بعنوان « كشف حساب بتسليم أثواب مختلفة » وردت عبارة : «ثمن جبة خز خضرا أربعة دنانير وثلث ، وثمن دراعة خز خضرا خمسة دنانير إلا ثلث ، وخفتان خز أحمر ثلاثة دنانير ونصف وقيراط ،

---

(١١٦) الورس : نبت أصفر كالزعفران لايكون إلا باليمن ، ويقال ورست الثوب توريساً وموروس إذ صبغته بالورس . النووى : تهذيب الأسماء . جـ٢ ص ١٩٠ ، عبدالحميد إبراهيم : قاموس الألوان عند العرب . ص ٢٦٥-٢٦٦ .

(١١٧) الخليل بن أحمد : العين . جـ٤ ص ٤١٥ ، ابن سيده : المخصص . جـ١ ص ٩٦ .

(١١٨) عبدالحميد إبراهيم : قاموس الألوان عند العرب . ص ١٩١ ، أحمد مطلوب : معجم الملابس فى لسان العرب . ص ١١٩ .

(١١٩) الجاحظ : الحيوان . جـ٦ ص ٤٣٨ ، ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق . ص ٢٠٤ .

(١٢٠) عبدالحميد إبراهيم : المرجع نفسه . ص ٦٩ ، رجب عبدالجواد : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص ٣٦٧ .

(١٢١) ابن منظور : لسان العرب . جـ٧ ص ٤٠٢ .

(١٢٢) أحمد مطلوب : المرجع نفسه . ص ٣٢ .

وكساء خز أحمر دينارين وخمسة قراريط» (١٢٣)، وفى بردية أخرى ترجع للقرن الثالث الهجرى بعنوان « حساب بزاز » وردت : «وفرد بطانة حمرا بالبقم وجبة خز حمرى صغار وقميص وسروايل معصفر بدرهمين»(١٢٤) وبمقارنة الأسعار فى البرديتين يمكن أن نستنتج أن البردية الأخيرة كانت تتعلق بالأجر الصافى للصباغة ، فمن المستبعد أن تكون الأسعار فى البردية الأولى التى كانت أغلبها بالدنانير متعلقة بأجرة الصباغ فقط ، فالأرجح أن يكون السعر بها متضمناً ثمن الأثواب ككل نسيجاً وخياطة وصباغة .

على الرغم من عدم وجود قوائم مستقلة لأجور الصباغين إلا أنه يمكن القول بأن حرفة الصباغة كانت من الحرف المربحة ، خاصة إذا ما تذكرنا أنها كانت مرتبطة باليهود وأهل الذمة، المتطلعين دائماً إلى العمل بالمهن التى تدر دخلاً كبيراً لهم ، يدعم ذلك ما يذكره المقريزى : «أن عدد الصباغين بالقاهرة وحدها كان يقدر بحوالى ثلاثة وعشرين يهودياً ، وأن الأقمشة المصبوغة كانت تأتى على رأس قوائم السلع التى يتاجرون فيها» (١٢٥)، يضاف إلى ما سبق أن بعض الصباغين كانوا يقومون بتأجير بعض الملابس والثياب المصبوغة فى أيام المواسم والأعياد والأفراح ، لذلك كانوا يتعرضون لمراقبة المحتسب لمنعهم من ذلك (١٢٦) .

وكما لم تحدد أوراق البردى الأجور الخاصة بالصباغين - بشكل واضح - لم تحدد كذلك الأدوات التى استخدموها فى صناعتهم اللهم إلا ما ورد من استخدام الأزيار (جمع زير) لوضع الألوان وغمس الثياب بها ، بينما ورد ذكر الكثير من المواد النباتية والحيوانية والمعدنية المستخدمة فى عملية الصبغ .

شكلت النقوش والزخرفة على الملابس أحد العناصر الفنية المهمة فى تطور الملابس ، فوجه الإسلام نظر الإنسان إلى ناحية الجمال والزينة ولم يحرمها ، قال تعالى : ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ**﴾ (١٢٧) ، فأصول الدين لاتتعارض مع الزخرفة والزينة ، بل لعلها تدفع إلى العناية بها عن طريق غير مباشر (١٢٨) .

(١٢٣) جروهمان : أوراق البردى العربية . جـ٦ . ص ٩٥ .
(١٢٤) المرجع نفسه . جـ٦ ص ٨٠ .
(١٢٥) الخطط : جـ٢ ص ٤٧٨ .
(١٢٦) ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة . ص ١٤٢ .
(١٢٧) سورة الأعراف : آية ٣٢ .
(١٢٨) محمد عبدالعزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية . ص ٢٩ .

عرفت مصر الزخرفة على النسيج والملابس فى جميع عصورها التاريخية ، فكانت المنسوجات والملابس فى العصر القبطى تمتاز بكثرة استخدام الرسوم الآدمية والحيوانية(*) بجانب العناصر النباتية والهندسية ، كما كانت بعض الملابس تصور القصص الدينى وصور القديسين، حتى قيل إن الناس أصبحوا يحملون الأنجيل على ملابسهم بدلاً من أن يحفظوه فى صدورهم(١٢٩)، فكانت الموضوعات الدينية والرموز المسيحية كالصليب والأسماك وأشجار الكروم أهم سمات الزخرفة فى هذه الفترة (١٣٠)(**).

استمر هذا الإنتاج الفنى من الزخارف للمنسوجات والملابس قائماً حتى بعد دخول الإسلام لمصر ، ويرجع ذلك إلى أن أغلب النساجين والمزخرفين فى مصر كان أغلبهم من النصارى المحتفظين بدينهم خلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام (١٣١)، ولاشك فى أن هذه الزخارف القبطية وخاصة النباتية والهندسية كانت هى الأساس الذى استمد منه المسلمون بعد ذلك البدايات الأولى لإبداعهم فيما تعلق بزخرفة النسيج والملابس ، بعد أن قاموا بالتطوير والإضافة بما تلاءم مع الدين الإسلامى .

لم يكن التطور فى استخدام الزخارف والانتقال من المرحلة القبطية إلى بروز الروح الإسلامية ليتم دفعة واحدة ، إذ استمر التأثير القبطى مصاحباً للزخرفة طوال عصر الولاة وحتى العصرين الطولونى والإخشيدى ولكن بدرجات متفاوتة ، فكانت أغلب الرسوم عبارة عن طيور وحيوانات متقابلة أو متدابرة(١٣٢)(***)، ثم تطورت الزخارف لتصبح أكثر

(*) الملحق : لوحة رقم (١) محفوظة بمتحف فيكتوريا والبرت نقلاً عن سعد الخادم (كتاب الملابس الشعبية فى مصر الإسلامية).

(١٢٩) حسن الباشا : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها . القاهرة . ١٩٧٠ ص ٣٨٨ .

(١٣٠) سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص ٥٦ .

(**) الملحق : لوحة رقم (٦٨) محفوظة بمتحف الفن القبطى سجل رقم (٢٢٦٢) .

(١٣١) فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية . جـ١ ص ٩٤-٩٥ .

(١٣٢) لا غرابة فى ذلك فالتغيير الفنى كان لايتبع حتماً التغيير السياسى ، فليست الحدود التى تفصل العصور السياسية هى بعينها التى تفصل العصور الفنية ، فالتطور الفنى كان دائماً يتسم بالبطء ويحتاج إلى وقت طويل حتى ينمو ويكتسب الشخصية المميزة له . محمد عبدالعزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية . ص ٦٨ .

(***) الملحق : لوحة رقم (٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (٥٢٦١) .

استخداماً للأشكال النباتية والهندسية وبعض الكتابات الكوفية التى سادت المنسوجات والملابس منذ العصر الأموى(١٣٣).

كان الغالب على الملابس فى هذه المرحلة أن تضاف إليها القطع ذات الزخارف ، وهى عبارة عن شريط أفقى من الحرير الملون يضاف إلى الثوب المصنوع من الكتان أو الصوف، وكان السائد هو نسج الأجزاء المزخرفة على انفراد ثم ضمها بعد ذلك الى الثوب ، كما كان يحدث فى بعض الأحيان أن تقص هذه الأشرطة والجامات المزخرفة من ثوب لتثبت فى ثوب جديد (١٣٤)، كما كانت أغلب هذه الأشرطة المزخرفة تزين أكمام الثوب والرقبة والأطراف(١٣٥)، وتميزت بعض الملابس بوجود أشرطة أو زخارف على الكتفين وجانب من الصدر (١٣٦)(*).

(١٣٣) أمر الخليفة عبدالملك بن مروان بأن تكون الكتابة على النسيج والملابس باللغة العربية ، كما أمر والى مصر الأموى عبدالله بن عبدالملك فى عام ٨٧هـ المسلمين فى مصر بأن يتخذوا زياً مخالفا لزى القبط ، فبدأت منذ ذلك الوقت تظهر على المنسوجات والملابس بعض الشارات والحروف العربية، أو بعض مقاطع من كلمات عربية غير مقروءة ، وذلك لجهل الناسج باللغة العربية ، وكانت حينئذ هذه الكتابات فى العادة بالخط الكوفى اليابس ذى الزوايا وبحروف صغيرة ، ويرجع بُعد المسلمين فى الاهتمام بالصور والإكثار من الكتابة إلى أن اللباس لم يكن مخصصاً فقط للجلوس به أو ستر العورة ، وانما كان يصلى به أيضاً إذا ما حلت الصلاة . سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص ٥١ ، زكى حسن : الفن الإسلامى فى مصر . ص ٨٨، سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة. ص ١٦٢ ، أبو صالح الألفى : الفن الإسلامي. ص ٢٩٤ .

(١٣٤) زكى حسن : زخارف المنسوجات القبطية . مجلة كلية الآداب ، المجلد الثانى عشر جـ١ مايو ١٩٥٠ ، سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص ١٩ ، حمدة الغرباوى : التطريز فى النسيج والزخرفة . ص ٢١ .

(١٣٥) من الملاحظ أن أغلب الزخارف الكتابية التى استخدم فيها الخط لم تورد نصاً يدل على معنى بعينه، بل إنها وردت بقصد الزخرفة فقط ، خاصة ما كان على الأكمام . صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص ٣٥١-٣٦٦ .

(١٣٦) كانت تقاليد الفروسية القديمة التى شاعت فى العصور الوسطى تلزم كل فرد يريد الانضمام إلى عشيرة من الفرسان أن ينصب فى حفل رسمى ، يضربه فيه زعيم العشيرة ببطن سيفه على الكتفين، لذلك نال موضع الكتفين عناية خاصة فى زخرفة الملابس . محمد جمال عبدالغفور : دراسة للأزياء الشعبية . دار الإسلام للطباعة بالقاهرة ٢٠٠٠ ص ٦٩ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٣٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (٩١/ ٥٤٠١) .

تعددت أساليب ووسائل تنفيذ الزخارف والرسوم والكتابات على النسيج والملابس ، فمنها ما كان يتم عند عملية النسج نفسها ، فكانت المنسوجات التى تزين بهذه الطريقة - القباطى - تتم بتقاطع خيوط اللحمة مع خيوط السدى ، فإذا ما وصل النساج إلى النقطة التى يريد زخرفتها أوقف استخدام خيوط اللحمة الأصلية واستخدم بدلاً منها خيوطاً أخرى تختلف عنها فى اللون أو نوع الخيوط السابقة ، وبهذه الخيوط الجديدة ذات الألوان المغايرة كان ينسج أنواعاً من الزخرفة ، فإذا انتهى من ذلك عاد فنظم خيوط السدى إلى ما كانت عليه من قبل ، ثم أستأنف عملية النسج مستعملاً خيوط اللحمة الأصلية (١٣٧)، كما كانت بعض المنسوجات والملابس يتم زخرفتها بطريقة البصم أو الطبع ، وذلك باستخدام قوالب خشبية للحصول على زخارف مطبوعة ، فكانت هذه القوالب تحفر عليها الرسومات أو الكتابات مقلوبة حتى إذا غمست فى اللون وطبعت على المنسوج تعطى رسومات وكتابات معدولة ، فإذا أراد الصانع أن تكون الطباعة بيضاء على أرضية ملونة فعليه أن يحفر الرسومات والكتابات فى القالب حفراً غائراً ، حتى تكون الأرضية هى المستوى البارز الذى يغمس فى اللون دون الرسومات والكتابات المحفورة ، وبذلك ينتج عن طبعها رسومات وكتابات غير ملونة على أرضية ملونة ، وعلى العكس من ذلك إذا أراد عمل زخارف ورسومات ملونة على أرضية بيضاء فعليه أن يجعل الزخارف والرسومات بارزة والأرضية غائرة حتى تتشبع باللون بمجرد غمسها فى الصبغة(١٣٨).

على الجانب الآخر كانت طريقة الشمع من الطرق التى كان المزخرف يستخدمها فى الحصول على بعض التباين والتنويع فى زخرفة النسيج ، فكان يتم تغطية الحروف الكتابية المنقوشة على سطح المنسوج بطبقة من الشمع السائل إذا أرادها بيضاء على أرضية ملونة ، وعلى العكس من ذلك تغطية الأرضية بطبقة من الشمع وترك الكتابات إذا أراد عمل كتابات ملونة على أرضية بيضاء (١٣٩).

(١٣٧) محمد عبدالعزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية . ص ٦١ .

(١٣٨) م . س . ديماند : الفنون الإسلامية . ص ٢٥٦ ، نعمت إسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط . ص ١٢٩ ، مايسة محمود داود : الكتابات العربية على الآثار الإسلامية . مكتبة النهضة المصرية ١٩٩١ ص ٧٢ .

(١٣٩) مايسة محمود داود : المرجع نفسه . ص ٧٢ .

وكانت أغلب المنسوجات والملابس التى يتم تنفيذ زخرفتها بهذه الطريقة من الأنواع الشعبية الرخيصة ، لأن تكلفتها كانت قليلة [١٤٠] على عكس الزخرفة بالخيوط والأشرطة المنسوجة فى الثوب نفسه ، والتى كانت غالباً ما تتم بخيوط فضية أو ذهبية أثمن من خيوط النسيج نفسه [١٤١]، لذلك كانت هذه الطريقة تنتشر فى ملابس الخلفاء والوزراء والأمراء والقواد والطبقات المترفة .

من الجدير بالذكر أن استخدام الخط والكتابة فى عمل الزخرفة على المنسوجات والملابس، أصبح السمة الرئيسية فى فن الزخرفة الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري[١٤٢] ، كذلك كانت الخطوط والكتابات تختلف فى أشكالها الزخرفية من مكان لآخر فى مصر ، إذ تميزت الإسكندرية برشاقة حروفها وتلك النهايات التى نجدها أسفل شريط الكتابة ، كذلك امتازت تونة ودبيق وتنيس ببساطة تطريز شريط الكتابة ووضوحها مع صغر الحروف [١٤٣]، ولعل أقدم المنسوجات المصرية المؤرخة والمنفذة بهذا الشكل تلك القطعة المنسوجة بالخط الكوفى البسيط بحرير أحمر والتى عرفت بعمامة سمويل ونصها (هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت فى شهر رجب من الشهور المحمدية من سنة ثمان وثمانين) . [١٤٤][*].

يعتبر العصر الفاطمى من أكثر العصور التى استخدمت فيها الزخرفة بشكل كبير حتى أصبحت تملأ فراغ المنسوج كله [١٤٥]، وعلى الرغم من أن الوحدات الزخرفية كانت هى

(١٤٠) م. س. ديماند : الفنون الإسلامية . ص ٢٥٦ ، سعد الخادم : الأزياء الشعبية . ص ٢٣-٢٦ .

(١٤١) مايسة محمود داود : المرجع نفسه . ص ٧٣ .

(142) Alisa Baginski : Textiles from Egypt. p17, Clive Rogers: Early Islamic Textiles. p32.

(١٤٣) سامى عبدالحليم : المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية . ص ٤٢ .

(١٤٤) توجد هذه العمامة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل ١٠٨٤٦ ومؤرخة بسنة ٨٨هـ حسن الباشا : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها . ص ٣٩٠ .

(*)الملحق : لوحة رقم (١١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة سجل رقم (١٠٨٤٦) .

(١٤٥) سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص ٨٥ ، سامى عبدالحليم : المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية . ص ٩١ - ٩٢ ، حنان قرقوتى: ملامح من صناعة النسيج عند المسلمين. ص ١٥١ .

بعينها الوحدات التى استعملها النساجون قبل العصر الفاطمى ، إلا أنها صارت ترسم بدقة ومهارة دلت على رقى الذوق وتقدم الفن (١٤٦)، كما اتسمت الألوان المستخدمة بالهدوء والتناسق فى التوزيع ، أما الحروف فتطورت تطوراً كبيراً فأصبحت لاتقرأ بل تتكرر لا لغرض إلا الحلية والزينة ، وكان أغلبها بخط النسخ (١٤٧).

كما تنوعت العبارات المكتوبة على الأقمشة الفاطمية فكان من بينها : «الملك لله» و «نصر من الله» و «العز من الله» ، «بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق » و «ما شاء الله كان» و «العز الدائم» (١٤٨)، وهى عبارات كثرت فى منسوجات وملابس الخلفاء والوزراء خاصة فى عصرى الظاهر وولده المستنصر (١٤٩)(*)، الذى اتسعت وازدادت فيه هذه الأشرطة الكتابية فشملت الجلاليب والقمصان والعمائم ، وكانت هذه الكتابات تنسج بالحرير وتملأ الثوب كله(١٥٠) .

كذلك لم تقتصر الزخارف على المنسوجات والملابس فى ملابس الرجال ، بل امتدت وبشكل كبير إلى ملابس النساء ، فامتازت ملابس النساء والراقصات وسيدات البلاط الفاطمى بالكثير من الزخرفة (١٥١)، خاصة أغطية الرأس والسراويل وملابس الزفاف والمنادمة(١٥٢)(**) .

---

(146) Encyclopedia of world Art. Vol, v, p 364.

(١٤٧) زكى حسن : كنوز الفاطميين . ص ١٢٢ ، سعاد ماهر : النسيج الإسلامى ص ٨٦ ، أبوصالح الألفى : الفن الإسلامى . ص ٢٩٤ .

(١٤٨) زكى حسن : كنوز الفاطميين . ص ١١٩ .

(١٤٩) سعاد ماهر : النسيج الإسلامى . ص ٨٦.

(*) الملحق : لوحة رقم (١٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (٩٤٤٥) .

(١٥٠) زكى حسن : كنوز الفاطميين . ص ١١١، نعمت إسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط . ص ١٢٦ ، حمدة الغرباوى : التطريز فى النسيج والزخرفة . ص ٣٦ .

(151) Alisa Baginski : Textiles from Egypt. p 14.

(١٥٢) ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص ٩١ ، نريمان عبدالكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص ١٤٨ ،

Muhammed Manazir: Social life under the Abbasids. p68.

(**) الملحق : لوحة رقم (٣٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١٠٥٥١) .

أما عن المزخرفين والرسامين فتعددت أسماؤهم من خلال طبيعة عملهم ، فالرقام هو الذى يرقم الثوب أى يخططه ، والرقم أيضاً النقش والختم [١٥٣]، وهى من المهن التى ارتبطت أيضاً بأهل الذمة[١٥٤] ، ثم عمل بها بعد ذلك المسلمون ، كما عرف المزخرف بالنقاش والمزركش والمطرز والمحبر والوشاء ، وهى كلها أسماء استمدت معانيها من جميع أعمال الرسم والتصوير والتزيين على النسيج والثياب [١٥٥] .

على الجانب الآخر استمدت بعض الملابس والثياب أسماءها من خلال ما كانت تحتويه من رسومات أو زخارف ، فقيل ثوب مزركش أى الثوب المذهب أو المطرز حواشيه بخيوط الذهب [١٥٦]، وثوب موشى أى كثير الألوان ، فالوشى خلط لون بلون[١٥٧] ، وثوب مُعين أى به ترابيع صغار شبه بأعين الوحش [١٥٨]، وثوب مرحل عليه تصاوير رحَل ، والمُمرجل ما فيه صور المراجل وهى القدور النحاسية الكبيرة [١٥٩]، أما الثوب المثقل فهو المنسوج بخيوط الذهب والفضة أو المزين بالأحجار الكريمة [١٦٠]، والمطير ما فيه صور الطيور ، إلى آخر الأسماء التى انتشرت فى الثياب والملابس ، فأصبحت زخرفتها وألوانها صفة لها عرفت بها ، وهو ما يؤكد مكانة اللون والزخرفة فى تطور الثياب والملابس .

---

(١٥٣) ابن سيده : المخصص . جـ١ ص ٦٧ ، التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون . جـ٣ ص ٨١ .

(١٥٤) سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الحرف والوظائف . جـ١ ص ٤٣٦ .

(١٥٥) ابن دريد : جمهرة اللغة جـ١ ص ١٨٠ ، أبوبكر محمد وابن عثمان سعيد : التحف والهدايا . ص ٢١٦ ، سعيد مغاورى : المرجع نفسه . جـ٢ ص ٨٤٠ .

(١٥٦) زركش : كلمة فارسية مركبة من زر بمعنى الذهب وكش بمعنى ذو ، والمعنى الكلى للكلمة الحرير المنسوج بالذهب . طوبيا العنيسى : تفسير الألفاظ الدخلية فى اللغة العربية . ص ٣٢ ، رجب عبدالجواد : المعجم العربى لأسماء الملابس ص ٢٠٨ .

(١٥٧) الوشى : نسيج من الحرير المطرز برسوم الأشخاص وأغصان النبات المتوجة والمزينة بخيوط الذهب ، والوشى المعلم أى المخطط والمنقوط . ابن سيده : المخصص . جـ١ ص ٦٦ ، عبدالحميد ابراهيم : قاموس الألوان عند العرب . ص ٢٧٠ .

(١٥٨) الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص ٢١ ، الثعالبى : فقه اللغة . ص ٣٥٧ ، ابن سيده . المخصص . جـ١ ص ٦٧ .

(١٥٩) ابن منظور : لسان العرب . جـ٣ ص ١٦٠١ ، رجب عبدالجواد : المرجع نفسه ، ص ١٩٠ .

(١٦٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص ١٤٠ ، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص ٧٠ .

من ناحية أخرى حفلت أوراق البردى العربية بالعديد من أسماء المزخرفين والمصورين، ففى بردية بدار الكتب المصرية تنسب للقرن ٣هـ/ ٩م ورد لفظ : «إسماعيل الجروى بن امرت سرجه الرقام» (١٦١) كذلك ورد فى بردية أخرى اسم : «كيل بن قفرى النقاش» (١٦٢)، ويمكن من خلال هاتين البرديتين أن نلحظ تكرار الأسماء القبطية أو غير العربية التى ارتبطت - أيضًا - بحرفة الزخرفة والتصوير ، وهو ما يؤكد ارتباط هذه الحرفة بأهل الذمة ، كما يمكن أن نلحظ تعدد أسماء المزخرفين فمرة يقال النقاش ومرة يقال الرقام، على أن لفظ النقاش كان الأكثر شيوعاً خلال العصور الإسلامية ، فأطلق على الملون والمصور والمزخرف بالألوان سواء على الورق أو النسيج ، أما المطرز فاقتصر على المشتغل بمصانع الطراز .

كان لدقة التصميمات الزخرفية الإسلامية أن انتشرت وازدهرت فى العديد من المنسوجات الأوروبية (١٦٣)، فقلدت مدن إيطاليا وجزيرة صقلية بعض الزخارف الإسلامية التى انتشرت وراجت فى المنسوجات والملابس ، ولا أدل على ذلك من أن عباءة التتويج الخاصة بالملك روجر الثانى ملك صقلية المؤرخة بعام ٥٢٨هـ كانت تحمل هذه التأثيرات الفنية الإسلامية (١٦٤)(*)، كما نجحت بعض المتاحف فى اقتناء بعض قطع المنسوجات التى انتشرت فى كنائس أوروبا ، وحملت الطابع الإسلامى فى الزخارف والتصوير ، ففى كاتدرائية نوتردام بباريس قطعة من النسيج الفاطمى عليها جامات مثمنة تشتمل على رسوم الأرانب والطيور (١٦٥)، كل هذا يشير إلى مكانة النسيج الإسلامى

(١٦١) سعيد مغاورى : المرجع نفسه . جـ١ ص ٤٣٦ .

(١٦٢) تحفظ هذه البردية بمجموعة كارل فسلى بالمعهد الشرقى فى براغ بجمهورية التشيك ، وتنسب للقرنين ٤-٥هـ/ ١٠-١١م ، وعثر عليها فى مدينة الأشمونيين . سعيد مغاورى : المرجع نفسه . جـ٢ ص ٨٤٠ .

(163) Sir Lawrence Gowing : Ahistory of Art. p433.

(١٦٤) حسن الباشا : فن التصوير فى مصر الإسلامية . ص ٧٧ ، نعمات إسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط . ص ١٢٩ ، حسنى نويصر : الآثار الإسلامية . ص ٢٩٠ .

(*) الملحق : لوحة رقم (١٩) محفوظة بمتحف الكنوز بفيينا نقلاً عن زكى حسن (أطلس الفنون الزخرفية شكل رقم ٥٩٩).

(١٦٥) حسن الباشا : القاهرة تاريخها وآثارها . ص ٣٩٣

وزخارفه الفائقة وانجذاب الغرب لهذا اللون من التصوير والزخرفة على المنسوجات والملابس ، كما أنها شهادة دامغة لبراعة ومهارة الفنان المصرى .

كما كانت بعض الملابس تزين بالجلد كلمسة فنية من الصانع المصري(١٦٦) ، كذلك صنعت بعض الملابس الحربية كالخوذ والدروع والأحزمة من الجلود (١٦٧)، وكانت أكثر المدن الشهيرة بصناعة الجلود الإسكندرية والفسطاط منذ عصر الولاة حتى العصر الفاطمى(١٦٨)، كما كان كثيراً ما يتم المشاركة بين المسلمين وأهل الذمة فى العديد من الورش والمصانع الخاصة بالصناعات الجلدية(١٦٩) .

إشراف الدولة على صناعة الملابس :

كان لأهمية الصناعات والحرف فى المجتمع ، وما شكلته من مورد اقتصادى للدولة من خلال ما فرضته عليها من رسوم وضرائب ، أن أصبحت بعض الحرف والصناعات تخضع لرقابة وإشراف من الدولة ، فكانت وظيفة المحتسب وعرفاء الأسواق (١٧٠)من الأدوات التى كانت تشرف الدولة من خلالها وتتابع أحوال الصناعات والحرف ، وهو ما حقق للدولة شكلاً من أشكال السلطة والتوجيه على جانب مهم من جوانب الحياة الاقتصادية ، فما من حرفة أو صناعة إلا وكان للمحتسب حق الإشراف عليها ، خاصة فى العصر الفاطمى الذى تمتع فيه المحتسب بسلطات واسعة ، فكان فى بعض الأحيان يتولى صاحب الشرطة شئون الحسبة كما حدث فى عهد الحاكم بأمر الله ، ففى سنة ٣٩٨هـ تولى

---

(166) George Allen: Islam and the Arabs p. 226.

(١٦٧) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام . جـ٤ ، ص٣٩٨ .

(١٦٨) السيد طه أبو سديرة : المرجع نفسه . ص ٣٦٧-٣٧١ .

(١٦٩) حسن الباشا : موسوعة العمارة والآثار . جـ٢ ص ٣٠٠ ، سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الحرف والوظائف . جـ١ ص ٣٩٥ .

(١٧٠) يذكر المقريزى : «كان فى كل سوق من أسواق مصر على أرباب كل صنعة من الصنائع عريف يتولى أمرهم . . . . وأن العادة جارية باستخدام عرفاء فى الأسواق على أرباب البضائع ويقبل قولهم فيما يذكرونه» . إغاثة الأمة بكشف الغمة . ص ١٨ .

غالب بن مالك الشرطتين والحسبة والنظر فى البلد (١٧١)، كذلك تولى وظيفة الحسبة فى العصر الفاطمى بعض الخلفاء بأنفسهم كالحاكم بأمر الله (١٧٢).

وعن مهام المحتسب ونوابه تذكر لنا كتب الحسبة الكثير منها من خلال عمله مع أصحاب الحرف والصناعات ، فكان يأمر الخياطين بجودة التفصيل ، وحسن فتح الجيب ، واعتدال الكمين والأطراف ، واستواء الذيل ، وأن تكون الخياطة درزاً (الخياطة الدقيقة) لا شلاً (الخياطة الخفيفة الواسعة) (١٧٣)، كما كان يمنع الخياطين أن يماطلوا الناس بخياطة أمتعتهم أو حبس الأمتعة عنهم (١٧٤)، كذلك كان المحتسب يشرف على الحاكة (النساجين) ويأمرهم بأخذ الغزل من الناس بالوزن وإعادته إليهم بعد نسجه بالوزن أيضاً ، مع عدم إبدال أنواع الغزل بعضها ببعض(١٧٥) ، كما كان يأمر الصباغين بألا يصبغوا الأحمر بالبقم فإنه لايثبت لونه ، وأن يكتبوا على ثياب الناس أسماءهم بالحبر لئلا يتبدل منها شيء(١٧٦)، وكان يأمر الحريريين بألا يصبغوا حرير القز قبل تبييضه لئلا يتغير بعد ذلك ، كذلك كان يمنعهم من ثقل الحرير بالنشا المدبر أو السمن أو الزيت (١٧٧)، حتى لايتغير وزنه .

وباشر المحتسب وظيفته مع الرفائين ، فكان يلزمهم بعدم إعارة ملابس الناس ، وأن يكتبوا على كل خرقة اسم صاحبها (١٧٨)، أما صانعو القلانس فكان يأمرهم بعملها من الخرق الجديدة من الحرير أو الكتان وعدم صنعها من الخرق البالية المصبوغة (١٧٩)، كذلك خضع صانعو الأحذية والخفاف (الأساكفة) لإشراف المحتسب وتعليماته ، فكان يأمرهم

(١٧١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص٧٣ .
(١٧٢) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٧٣ .
(١٧٣) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة . ص ٦٧ .
(١٧٤) ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة . ص ١٣٨ .
(١٧٥) ابن الأخوة : المصدر السابق . ص ١٣٦ .
(١٧٦) المصدر نفسة . ص ١٤٢ .
(١٧٧) المصدر نفسه . ص ١٤١ .
(١٧٨) المصدر نفسه . ص ١٣٩ .
(١٧٩) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة . ص ٦٨ .

بعدم خياطة الجلود بشيء من شعر الخنزير ، فإن ذلك نجس على مذهب الشافعى ، كما كان يأمرهم بعدم إكثار الحشو فى النعال والأحذية ، خاصة نعال وأحذية النساء لكى لاتحدث صريراً عند المشى ، كما كان يفعل نساء بغداد فإنه قبيح ومشهرة لاتليق للأحرار(١٨٠) .

نلحظ مما سبق حرص الدولة على توجيه الصناع ورقابتها عليهم من خلال المحتسب وعرفاء السوق (١٨١)، لتحقيق نوع من الجودة فى الصناعات المنتجة خاصة فى العصر الفاطمى الذى عنيت فيه الدولة بالحرف والصناعات .

على الجانب الآخر كانت الدولة تتحكم فى بعض الصناعات من خلال احتكارها لبعض المواد الخام الأولية ، فكانت لاتصرف للصناع إلا من خلال ديوان خاص ، ومتى وجدت هذه المواد من مصدر آخر كان يتم مصادرتها لصالح الدولة خاصة مواد الصباغة(١٨٢)، كالقرظ والشب(١٨٣)، كما تحكمت الدولة فى إنتاج بعض الصناعات ، فكانت الثياب الشطوية لاتنسج ولاتباع إلا بعد أن يختم عليها بخاتم الدولة ، خاصة إذا كانت ستصدر إلى الخارج(١٨٤)، بل كانت أغلب عمليات بيع النسيج والثياب عالية الجودة لايتم بيعها إلا عن طريق بعض السماسرة المعتمدين من الدولة ، كنسيج البوقلمون الذى تحكمت الدولة فى بيعه بالأسعار التى كانت تحددها (١٨٥) .

---

(١٨٠) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة . ص ٦٨ ، السبكى : معيد النعم ومبيد النقم . ص٤٦ .

(١٨١) كان العرفاء يختارون بواسطة المحتسب ، وكان بإمكانه أن يتم صرفهم من قبله مباشرةً .
Goitein: AMediterranean Society, Vol, I, p, 84.

(١٨٢) المقريزى : الخطط . جـ١ ص ٢٠٦ .

(١٨٣) عبدالمنعم سلطان : الأسواق فى العصر الفاطمى . ص ٣٩ .

(١٨٤) أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص ٤١٥ .

(١٨٥) المرجع نفسه . ص ٢٩ ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية . ص ٦١ .

الفصل الرابع

تجارة المنسوجات وأسواقها

تعد تجارة المنسوجات والملابس الجاهزة من الموارد الاقتصادية المهمة التى كان لها أثر فعال فى إنعاش الاقتصاد الحكومى فى مصر الإسلامية

كان لشهرة مصر وتفوقها فى تجارة المنسوجات وصناعة الملابس أكبر الأثر فى إنعاش النشاط التجارى وازدهار الأسواق ، خاصة أن الموقع الجغرافى المتوسط لمصر جعل منها مركزًا للعديد من أنواع التجارة بين بلدان العالم الإسلامى والأوربى ، كذلك كان لانتشار مراكز إنتاج وتصنيع النسيج فى مصر دور كبير فى انتعاش العديد من الأسواق التى تخصصت فى تجارة الملابس ، فانتشرت الأسواق فى العديد من المدن المصرية منذ الفتح العربى ، فضلا عن تشجيع الحكام والخلفاء لصناعة النسيج والثياب ، فازدهرت الأسواق الداخلية والخارجية لهذه التجارة ، وأصبحت تشكل مورد دخل كبير للدولة .

انقسمت تجارة النسيج والملابس فى مصر إلى تجارة داخلية مركزها الأسواق داخل المدن والعواصم المصرية ، وتجارة خارجية بين مصر والبلدان الإسلامية والأوربية .

١ـ التجارة الداخلية :

أولت الدولة الإسلامية تجارة المنسوجات والملابس عناية كبيرة ، فكانت هناك الأسواق العامة التى ضمت مجموعة متنوعة من الدكاكين لبيع النسيج والثياب ، فضلاً عن الحوانيت الملحقة بالخانات[١] والقياسر [٢]والوكالات المتخصصة فى هذه التجارة ، ومنذ

---

(١) الخان : عبارة عن مبنى كبير يشتمل على عدد من الدور مختلفة المساحة ، وكل دار تحتوى على عدد من الحجرات يتوسطها فناء على هيئة رواق مغطى ، بحيث يسهل استخدامه كمخزن للبضائع ، كما يضم الاسطبلات فى حالة إقامة التجار فيه لبعض الوقت أو أثناء مرورهم بالبلاد ، والكلمة فارسية الأصل . أدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة . دار العرب للبستانى بيروت ١٩٠٨ ص ٥٨ ، أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ ص ٣٦٢ .

(٢) القياسر : جمع قيسارية ، ويرجع البعض أصلها إلى اللغة اللاتينية Caesarea بمعنى السوق=

الفتح الإسلامى لمصر ومع إنشاء عمرو بن العاص مدينة الفسطاط ظهرت بعض الأسواق التى ضمت بائعى النسيج والثياب كسوق وردان [٣] ودار الغزل[٤] بجوار جامع عمرو - أول جامع بمصر وإفريقيا - والتى كان يباع فيها أنواع الغزل والخيوط قبل نسجها ، كما عرفت بعض الدور التى اشتهرت بتجارة النسيج وأنواع الثياب ، كدار الأنماط التى تخصصت فى بيع أقمشة النساء وفاخر الثياب والأمتعة [٥] . كما بنى عبدالعزيز بن مروان (٦٥-٨٤هـ) الوالى الأموى على مصر قيسارية البز بين القصر والبحر [٦] ، كذلك بنيت فى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) القيسارية التى عرفت باسمه ، وكان يباع فيها أقمشة الفسطاط[٧] ومنسوجاتها .

كما تعددت أسواق وأماكن بيع وتجارة النسيج والثياب فى عهد الطولونيين ، خاصة بعد تقدم هذه الصناعة وازدهارها ، بفضل اهتمام أحمد بن طولون بها ، فكان بائعو الغزل والنسيج فى مدينة القطائع يتركزون خلف جامع ابن طولون ويتحلقون حول مسطبة

= الأمبراطورى أو القيصرى ، ويفسرها البعض الآخر بأنها اشتقاق من الكلمة العربية قصر ، وهى مجموعة من المبانى العامة على هيئة رواق كبير ، به حوانيت ومصانع ومخازن وأحياناً مساكن . المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص ٣٨ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام . جـ٤ ص ٤١٥ ، عبد المنعم سلطان : الأسواق فى مصر فى العصر الفاطمى . ص ٢٦ .

(٣) وردان : مولى عمرو بن العاص وكان أرمنياً ، ويكنى بأبى عبيد الله . ابن سعد : الطبقات الكبرى . ليدن ١٣٣٨ جـ٧ ، ص ٢٠١ ,

Steta B.Dadoyan : The Fatimid Armenians (Leiden, New york. Koln 1997) p. 82.

(٤) دار الغزل : قيسارية بجوار جامع عمرو ، كان يباع فيها الغزل ، وقد جعلها صلاح الدين بعد ذلك مدرسه للمالكية . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . جـ٥ ص ٣٨٥، هامش ٢ .

(٥) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٩ ص ٣٣ .

(٦) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها . تحقيق محمد صبيح ، دار التعاون للطبع والنشر القاهرة ١٩٧٤ ص ٩٦ .

(٧) ابن عبدالحكم : المصدر نفسه ص ٩٦ .

لاتتجاوز مساحتها ذراعاً فى ذراع ، بلغت أجرتها فى كل يوم اثنى عشر درهماً [٨]، كذلك عرفت قطيعة أو سوق العيارين[٩] ، وكان يتجمع بها أيضًا بائعو البز [١٠]فعرفت بسوق البزازين .

اشتهر سوق القناديل بالقرب من جامع عمرو ، ببيع النعال والخفاف والأحزمة التى صنعت بعناية فائقة ، وخامات جلدية كانت تجلب من الحبشة [١١]، كما كانت سوق خان الوزير إحدى الأسواق المتخصصة فى بيع نسيج القصب ، حيث خصص أسفل بعض الدور لإقامة الخياطين ، وفى أعلى الدور كان يجلس الرفاؤون ، وكانت تلك الخانات يتم تأجيرها بأجرة سنوية[١٢] .

لما راجت تجارة المنسوجات والثياب فى العصر الإخشيدى أنشأ الإخشيد عام ٣٣٠هـ قيسارية البز خلف الجامع العتيق (جامع عمرو) فلعبت هذه القيسارية دوراً مهماً فى تجارة النسيج والملابس ، كما كانت سكنى للتجار الغرباء [١٣]، وتعددت أنواع المنسوجات التى كانت تباع فى قيسارية الإخشيد حتى كان يلتبس على المشترى حقيقة نوعها من الكثرة ، الأمر الذى ترتب عليه صدور أمر من الدولة بأن يذكر على كل قماش نوعه حتى يطمئن

---

(٨) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . جـ٣ ص ١١ .

(٩) العيار : الكثير المجيء والذهاب ، وسمى هذا السوق بهذا الاسم لكثرة المساومة فى البيع والشراء . هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع فى مصر الإسلامية . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ ص ١٩٩ .

(١٠) البز : الثياب الرفيعة من الكتان ، والبزاز هو بائع الثياب أو تاجرها ، كان أبوبكر الصديق بزازاً . الجاحظ : الحيوان . جـ٣ ص ٣٠ ، محاسن الوقاد : اليهود فى مصر المملوكية فى ضوء وثائق الجنيزة . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩ ص ١٩٤ .

(١١) سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الحرف والوظائف فى ضوء البرديات العربية . دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ٢٠٠٠ جـ١ ص ٣٨٠ ، عبدالمنعم سلطان : الأسواق فى العصر الفاطمى . ص ٢٥ .

(١٢) ناصر خسرو : سفرنامه . ص ١٢٢ ، أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص٣٣٦ .

(١٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ١ ص ٢٦٤ ، عبدالمنعم سلطان : الأسواق فى العصر الفاطمى . ص ١٦١ ، مصطفى طه بدر : مصر الإسلامية من الفتح الإسلامى حتى زوال الدولة الإخشيدية . مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ ص ٢٥٨ .

المشترى على ما يشترى [١٤]، كما تخصصت بعض الأسواق فى تجارة المنسوجات الصوفية، فيذكر ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) قيسارية المحلى والتى عرفت بقيسارية الصوافين ، وكانت تقع بين سوق المغربلين والعطارين ، وكان يباع فيها سائر أنواع الصوف والخيش والشعر[١٥]، وأصبحت قيسارية المحلى بعد بناء مدينة القاهرة مقراً لجميع التجار للبيع والشراء خاصة نسيج الصوف ومشتقاته[١٦] ، كما اشتهرت فى الفسطاط بعد عمرانها ازدهار أسواقها بقيسارية الجوخ والفراء، والتى انتقل إليها أصحاب هذه التجارة فيما بعد من القاهرة [١٧].

كان موقع الفسطاط وقربها من النيل أحد العوامل التى ساعدت على انتشار الأسواق وانتعاش التجارة بها ، فكانت تمر من خلالها جميع أنواع البضائع القادمة من الإسكندرية أو من داخل إفريقية أو البحر الأحمر[١٨] ، لذلك اشتهرت أسواق الفسطاط دائمًا برخص أسعارها[١٩] حتى بعد إنشاء مدينة القاهرة وازدهار أسواقها ، فكانت أسواق الفسطاط هى السوق الأم لأسواق مصر ، خاصة مع ازدحامها بالسكان عن القاهرة ، والتى كانت فى العصر الفاطمى عاصمة ملكية .

كان لاهتمام الفاطميين بالنسيج وصناعة الملابس أن شجعت على ازدياد الرواج التجاري، فأصبح الطلب على النسيج والملابس أكثر من ذى قبل[٢٠] ، فانتشرت أسواقهما

(١٤) محمة عبدالعزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية . ص ١٨٧ .

(١٥) الانتصار لواسطة عقد الأمصار . المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ببيروت (د.ت) جـ١ ص ٣٧-٣٨ .

(١٦) ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة فى خطط القاهرة المعزية . تحقيق أيمن فؤاد سيد ، مكتبة الدار العربية للكتاب ١٩٩٦ ص ١٤٤ .

(١٧) ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة . تحقيق حسين نصار ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ ص ١٧ ، جومار : وصف مدينة القاهرة . ترجمة أيمن فؤاد سيد ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٨ ص ٢٦٥.

(١٨) أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر (تفسير جديد) . ص ٣٠٠ .

(١٩) ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة . ص ٢٧ .

(20) Bernard G. weiss : A survey of Arab History. (the American. u. N.V. Cairo press 1990) p114.

فى أرجاء عاصمتهم القاهرة ، وكانت دار الوزير يعقوب بن كلس (وزير العزيز) تعرف بعد وفاته بدار الديباج ، فكان يصنع ويباع فيها نسيج الحرير ، وعرفت فى الدولة الفاطمية بسويقة (٢١) الوزير ، وفى أواخر العصر الفاطمى عرفت بالسوق الكبير (٢٢) بعد أن اتسعت أنشطتها وازداد عمرانها .

كان من أشهر أسواق تجارة النسيج والثياب فى الدولة الفاطمية ، سويقة أمير الجيوش (٢٣) على رأس حارة برجوان الممتدة من شارع المعز لدين الله بالجمالية - الآن - وكان بها عدة حوانيت للرفائين والخياطين والرسامين وبائعى الثياب المخيطة والأمتعة ، كما كان معظمها سكناً للبزازين والخلعيين وبائعى الأقبعة (٢٤)(*) ، وعرفت سويقة أمير الجيوش فى أواخر القرن ٩هـ بسوق الخروقيين (٢٥) أو الخلعيين ، بعد أن انتشرت فى مصر تجارة الملابس المستعملة وزاد الطلب عليها .

ومع انتشار استخدام الفراء بين طبقة الحكام والأعيان فى أواخر عصر الفاطميين وبداية عصر الأيوبيين وصولا إلى عصر المماليك ظهرت بالقاهرة أسواق تخصصت فى بيع

(٢١) السويقة : تصغير السوق ، وهى أصغر حجماً من السوق ولكنها اختصت بتلبية الحاجات اليومية لقطاع صغير فى المدينة . محمد عبدالستار عثمان : المدينة الإسلامية . عالم المعرفة العدد ١٢٨ الكويت ١٩٨٨ ص ٢٥٣ .

(٢٢) ابن عبدالظاهر : الروضة البهية الزاهرة فى خطط القاهرة المعزية . ص ١٠٨ ، المقريزى : الخطط . جـ١ ص ١٦٩ .

(٢٣) المقريزى : الخطط . جـ٣ ص ١٩٤ ، أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص٣٤٢ ، شحاته عيسى : القاهرة . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩ ص ٢٢٠ .

(٢٤) الأقبعة : جمع قبعة وهى الطاقية . المقريزى : الخطط . جـ٣ ص ١٦٤ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٥٥) محفوظة بمركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس سجل رقم (١/٧٣٨) .

(٢٥) الخروقيون : تطلق على بائعى الثياب المستعملة ، والخرق الشق من الثياب . محاسن الوقاد : الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩ ص ٤٩ .

وتجارة فراء السمور(٢٦) والسنجاب والفنك (٢٧)، فكان سوق الفرائيين بجوار الجامع الأزهر(٢٨) ، كذلك كان سوق الجوخيين(٢٩) بجوار سوق اللجميين(٣٠) ، وكان يباع فيه الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج والمغرب ، بعد أن أصبح أيضاً من جملة ملابس الكبار والأعيان خاصة وقت المطر ، وكان يزدهر نشاط هذه الأسواق فى موسم الشتاء (٣١) .

كان سوق باب الزهومة بجوار القصر الشرقى الكبير من الأسواق التى انتشرت بها تجارة الحرير بكل أنواعه ، وكان يعرف قديمًا بسقيفة العباس(٣٢) ، وفى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥ ـ ٥٢٤هـ/ ١١٠١ ـ ١١٢٩م) أنشأ وزيره المأمون البطائحى عام ٥١٦هـ دار الوكالة الآمرية بين سوق الخيميين والجامع الأزهر ، فكانت أكبر مركز تجارى لتجار النسيج والملابس العراقية والشامية وغيرهما من التجار الوافدين (٣٣) .

بلغ من انتشار وازدهار أسواق النسيج والثياب فى العصر الفاطمى أن أصبحت كل حارة من حارات القاهرة الفاطمية تزخر بالحوانيت والدكاكين لبيع النسيج والثياب ، فيذكر ابن عبدالظاهر أن كل حارة من حارات القاهرة كانت بلداً مستقلة بالبزازين (٣٤) . لم تقتصر

---

(٢٦) السمور : حيوان برى يشبه القط وابن عرس ، لونه أحمر مائل إلى السواد ، كان يتخذ من جلده فراء ثمين . معروف الرصافى : الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات . ص ١٥٠ ، الخطيب العدنانى : الملابس والزينة فى الإسلام . ص ١٤٥ .

(٢٧) الفنك : حيوان صغير من فصيلة الكلبيات شبيه بالثعلب ، فروته من أحسن الفراء وأغلاها . الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمى . ص ٢٤٨، ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة . ص ٤٠ .

(٢٨) المقريزى : الخطط . جـ٣ ص ١٦٨ .

(٢٩) المقريزى : المصدر نفسه . جـ٣ ص ١٠٣ .

(٣٠) سوق اللجميين : سوق تباع فيها الآت اللجم والركاب والسروج للخيل والدواب . المقريزى : الخطط . جـ٣ ص ١٥٩ .

(٣١) دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ص ١٠٨ .

(٣٢) المقريزى : الخطط . جـ٣ ص ١٦٦ ، محاسن الوقاد : الطبقات الشعبية فى مصر المملوكية . ص٢٧ .

(٣٣) ابن المأمون : نصوص من أخبار مصر . ص ٣٩ ، المقريزى : المصدر نفسه . جـ٢ ص ٣٢٢ .

(٣٤) الروضة البهية الزاهرة فى خطط القاهرة المعزية . ص ١٣٧ .

أسواق وتجارة النسيج والملابس فى مصر على ما كان ينتج ويصنع بها ، بل كانت تباع فى أسواقها المنسوجات والثياب المستوردة من سائر البلدان الإسلامية والأوربية ، كمنسوجات بعلبك ودمشق ونسيج الموسلين الذى اشتهرت به مدينة الموصل بالعراق ، كذلك أجواخ البندقية وميورقة وسائر المدن الإيطالية (٣٥) .

كما انتشرت أسواق النسيج والثياب وتجارتها فى المدن والبلدان المصرية ، فيذكر ابن بسام التنيسى عن تنيس : «وكان بها من الدكاكين التى يباع فيها البز وأنواع الثياب مائة وخمسون دكانا» (٣٦) ، كذلك وجد بالإسكندرية عددٌ من الوكالات والقياسر التى تخصصت فى بيع نسيج الكتان ، كوكالة الكتان (٣٧) وقيسارية الأعاجم وقيسارية البز (٣٨) ، كما اشتهرت بعض مدن الصعيد بوجود أسواق خاصة لبيع منتجاتها من النسيج والثياب ، فكانت مدينة قوص تحتوى على عدد كبير من الحريريين التى تخصصت فى تجارة المنسوجات الكتانية والقطنية والحريرية ، حتى أنها كانت متراصة بجوار بعضها البعض ، مما جعلها مركزاً لهذه التجارة بالمدينة (٣٩) .

ومن أسواق الفيوم سوق بلدة (بموية) الذى كان يقام يوم الخميس من كل أسبوع ، وكان يزخر بدكاكين البزازين وبائعى الثياب (٤٠) ، كذلك كان الأمر بالجيزة وأخميم والبهنسا مع اختلاف أيام كل سوق عن الآخر (٤١) . وكانت الأسواق غالباً ما تعطل فى أيام الجُمع وبعض الأعياد كعيد النيروز حيث كان يقل فيها سعى الناس للشراء فتخلو من الرواد (٤٢) .

---

(٣٥) ليون الإفريقى : وصف إفريقيا . ترجمة محمد عجمى ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامى ببيروت ١٩٨٣ جـ٢ ص ٢٠٥ .

(٣٦) أنيس الجليس فى أخبار تنيس . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٨٥٢ ورقة رقم ١٧٥ .

(٣٧) أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص ٣٥٩ .

(٣٨) المرجع نفسه . ص ٣٦١ .

(٣٩) ممدوح الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر . مكتبة مدبولى (د.ت) ص ١٨٦ .

(٤٠) سلام شافعى محمود : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول . ص ١٤٥ .

(٤١) ممدوح الريطى : المرجع نفسه . ص ١٨٧ .

(٤٢) المقريزى : الخطط . جـ٢ ص ٣٨٨ ، أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص ٣٤٥

لما كانت الأسواق مظهراً من مظاهر الحياة الاقتصادية ومرآة تنعكس من خلالها ثروات المجتمع ، حرصت الدولة على وضع الضوابط التى تمكن لها الإشراف والمراقبة لحركة البيع والشراء وتوفير الاستقرار للبائع والمشترى ، فكانت وظيفة المحتسب (٤٣)أو صاحب السوق من الوظائف التى ارتبطت بالأسواق ورقابة الدولة ، فكان على المحتسب مراقبة التجار والبائعين بواسطة مجموعة من العرفاء أو النواب يطلق عليهم (عرفاء الأسواق) كل عريف منهم كان خبيراً بالصنعة أو التجارة التى يشرف على مراقبتها ، فخضعت تجارة المنسوجات والملابس لرقابة المحتسب ونوابه ، فكان يشترط ألا يتحدث فى البز إلا من كان يعرف أحكام البيع والشراء وعقود المعاملات ، كما كان المحتسب يتفقد موازين التجار وأذرعتهم (٤٤)، ويمنعهم من مشاركة المنادى والدلال ، ويراعى حسن معاملاتهم مع المشترين وجالبى البضائع ، والالتزام بالصدق فى القول فى جميع الأحوال(٤٥) ، كذلك التأكد من عدم بيعهم الكتان الجيد بالردىء أو الكتان البحرى بالصعيدى (٤٦)، كما

---

(٤٣) المحتسب : عرفت الحسبة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وكلمة حسبة مشتقة من قولك : حسبك بمعنى اكفف ، فالمحتسب يكفى الناس مؤونة من يبخسهم حقوقهم ويبعد عنهم الظلم ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهى وظيفة دينية مدنية متصلة بالقضاء تستند إلى الكتاب والسنة . الماوردى : الأحكام السلطانية والولايات الدينية . تحقيق أحمد مبارك البغدادى ، جامعة الكويت ١٩٨٩ ص ٣١٥ ، عطية مصطفى مشرفة : المحتسب فى أيام الدولة الفاطمية . مجلة الأزهر ، المجلد العشرون عام ١٩٤٨ ص٤٢٧ .

(٤٤) كانت الأقمشة بأسواق القاهرة تقاس بذراع من الخشب بلغ طوله مقدار ذراع اليد وأربعة أصابع مطبوقة ، وزاد عليه ذراع القماش بالفسطاط بعض الشيء ، وربما زاد الذراع فى بعض نواحى البلدان المصرية الأخرى ، وكان الذراع الشرعى للقياس أربعة وعشرين إصبعاً ، ويرى بعض الباحثين أن طوله بلغ ٨ر٧٥سم . حسن خضيرى : علاقة الفاطميين فى مصر بدول المغرب . مكتبة مدبولى بالقاهرة ١٩٨٨ ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٤٥) ابن الإخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة . تحقيق روبن ليوى ، مطبعة دار الفنون بكمبردج ١٩٣٧ ص ١٣٤ .

(٤٦) كان أجود أنواع الكتان المصرى الجيزى ، وكان أفضله الناعم المورق ، الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة . تحقيق السيد الباز العرينى . القاهرة ١٩٤٦ ص ٧٠ .

كان يراقب بائعى الملابس ويأمرهم بعدم إظهار الوجة الحسن للثوب وإخفاء المعيب ، أو عرض الثوب فى المواضع المظلمة وأمثالها (٤٧) .

كان لاهتمام الدولة بالأسواق وتوافر الأمن بها ، أن ازدهر النشاط التجارى وأمن الجميع على تجارته ، فيذكر ناصر خسرو : «بلغ من أمن المصريين واطمئنانهم إلى حكومتهم إلى الحد أن البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لايغلقون أبواب دكاكينهم - فى أوقات الصلوات - بل يسدلون عليها الستائر ، ولم يكن أحد يجرؤ على مد يده إلى شيء منها» (٤٨) .

لاشك أن انتعاش تجارة النسيج والثياب وازدهار أسواقها فى مصر ، جعل العديد من التجار يقبلون على تجارتها ، خاصة مع ازدياد مظاهر الترف والإقبال على التزين والتجمل ، فظهر لنا العديد من أسماء تجار النسيج والملابس فى مصر منذ عصر الولاة(٤٩) وحتى نهاية العصر الفاطمى ، من خلال نصوص بعض البرديات العربية وكتب الوفيات وشواهد القبور ، فورد - كثيراً - اسم على بن أحمد البزاز فى عدد من برديات متحف اللوفر بباريس بتواريخ مختلفة أحدها عام ٢٥٠هـ والآخر عام ٢٥٦هـ(٥٠)، ومنها أيضاً اسم الفضل بن عثمان بن سعيد البزاز(٥١)، كما ورد اسم إبراهيم بن على بن الحسن البزاز ضمن عدد من البرديات العربية(٥٢)، أيضاً ورد اسم زكريا بن يونس البزاز فى بردية مؤرخة بسنة ٢٥٢هـ(٥٣) .

---

(٤٧) ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة . ص ١٤٣ .

(٤٨) سفرنامه : ص ١٢٤ .

(٤٩) كان عمرو بن العاص من الذين مارسوا تجارة النسيج فى مصر قبل الفتح وبعده ، فكان يتاجر فى نسيج الكتان والعطور والجلود . ابن الكندى : فضائل مصر المحروسة . ص ٣٢ ، جمال فوزى : معالم تاريخ مصر الإسلامية . دار الثقافة العربية ٢٠٠٠ ص ٩ .

(٥٠) سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الحرف والوظائف . جـ١ ص ٢٣٠ .

(٥١) ورد اسمه فى بردية محفوظة فى مكتبة جامعة جيسن بالمانيا . سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الحرف والوظائف . جـ١ ص ٢٣٠ .

(٥٢) بردية محفوظة فى مكتبة ڤيينا القومية بالنمسا . سعيد مغاورى : المرجع نفسه . جـ١ ص ٢٣٠ .

(٥٣) توجد هذه البردية بمتحف اللوفر بفرنسا . سعيد مغاورى : المرجع نفسه . جـ١ ص ٢٣١ .

ويوجد بدار الكتب المصرية بالقاهرة عدد كبير من البرديات العربية التى ورد ضمن نصوصها أسماء عربية عديدة احترفت تجارة البز (الملابس) منذ القدم ، من بينهم عبدالله ابن إسحاق البزاز ، حيث ورد اسمه كشاهد فى عقد زواج مؤرخ فى شوال سنة ٢٦٤هـ ، كما ورد اسم مروان البزاز ضمن نصوص بردية عربية أخرى محفوظة فى المجموعة نفسها والتى ترجع للقرنين ٢ ـ ٣هـ/ ٨ ـ ٩م[٥٤].

من ناحية أخرى فإن العديد من شواهد القبور التى عثر عليها فى حفائر مدينة الفسطاط احتوت نقوشها التذكارية على بعض أسماء البزازين وتجار النسيج ، منها شاهد رخامى مؤرخ فى شعبان لسنة ٢٦٧هـ باسم عيسى بن أحمد بن أبى مستنفر البزاز[٥٥]، كما يذكر ابن تغرى بردى فى وفيات عام ٢٤٥هـ الحسين بن على بن يزيد الإمام الحافظ أبا على الكرابيسى[٥٦]، وكان يبيع ثياب الكرابيس[٥٧] .

ومن تجار النسيج والثياب فى العصر الإخشيدى يذكر ابن تغرى بردى : «عفان بن سليمان البزاز ، وكان ممن أثروا من هذه التجارة حتى إنه عند موته أخذ الإخشيد من ماله نحو مائة ألف دينار »[٥٨]، وعلى الرغم من المبالغة التى يمثلها هذا المبلغ إلا أنه يعكس مدى ما حققه هذا التاجر من ثراء من خلال تجارته .

وكان لازدهار تجارة الملابس فى العصر الفاطمى أكبر الأثر فى ظهور عدد كبير من التجار لهذه التجارة فيذكر ابن تغرى بردى فى وفيات عام ٤٠١هـ : «أبوعبدالله القمى التاجر المصرى ، كان بزاز خزانة الحاكم بأمر الله»[٥٩] ، كما يذكر المسبحى ضمن وفيات

(٥٤)سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الحرف والوظائف . جـ١ ص ٢٣٢ .

(٥٥) يوجد هذا الشاهد بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (١٣٥١٦) . سعيد مغاورى : المرجع نفسه . جـ١ ص ٢٣٢ .

(٥٦) الكرابيس : الثوب الخشن الغليظ ، ويصنع من القطن الأبيض ، فارسى معرب . ابن سيده : المخصص . جـ١ ص ٧٣ ، هلال الصابى ، الهفوات النادرة ص ١٩٩ .

(٥٧) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . جـ٢ ص ٣٢١ .

(٥٨) المصدر نفسه . جـ٢ ص ٣٢١ .

(٥٩) المصدر نفسه . جـ٤ ص ٢٢٤ .

عام ٤١٤هـ : «منصور بن أبى العلا التنيسى ، وكان قد اتجه فى تجارة البز وفتح سمساراً يجلب له متاع ونسيج تنيس ودمياط»[٦٠]، وفى وفيات عام ٤١٥هـ يذكر «إبراهيم بن حسن بن الأحدب البزاز ، وكان قائداً لقواد الحسين بن جوهر»[٦١].

لم تقتصر تجارة النسيج والثياب على التجار المصريين فحسب بل وجدت أسماء لتجار آخرين وفدوا من بلدان إسلامية ، واستقرت تجارتهم فى مصر فى العصر الفاطمى ، فيذكر ابن تغرى بردى أيضًا : «ومات فى أيام الظاهر عام ٤١٧هـ مبارك الأنماطى البغدادى التاجر ، وكان له مال عظيم ، خرج من بغداد إلى مصر وتوفى بها ، وكان معه ثلاثمائة ألف دينار فقال الظاهر : هل له وريث ؟ فقيل : ماله سوى بنت ببغداد ، فترك الظاهر المال كله للبنت ولم يأخذ منه شيئاً»[٦٢]. كذلك أورد المسبحى من أسماء التجار الوافدين أبا حسن الأصبهانى البزاز ، وكانت تجارته بقيسارية الوزير[٦٣] ، ويذكر المقريزى رواية تضمنت اسم أحد التجار من حلب فيقول : «وقفت أم الأفضل يوماً على ابن بابان الحلبى وكان بزازاً بسوق القاهرة ، تشترى منه شيئاً وكان نزارياً وهى متخفية»[٦٤]، ويلاحظ أن تجارة النسيج والملابس فى العصر الفاطمى لم تقتصر على المسلمين وحدهم ، بل شملت عدداً كبيراً من أهل الذمة خاصة اليهود الذين انقسمو إلى قسمين : القسم الأول المستقرون فى الأسواق ، والقسم الثانى التجار المتجولون فى المدن والقرى المصرية[٦٥].

كان من أبرز التجار المستقرين فى العصر الفاطمى يوسف بن عوكل الفارسى الأصل ، هاجرت أسرته فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى من تونس إلى مصر فى أعقاب دخول الفاطميين مصر ، وتخصصت تجارة يوسف فى الكتان والجلود والحرير والأقمشة

(٦٠) أخبار مصر فى سنتين . ص ٢٢٦ .

(٦١) المصدر نفسه . ص ٢٣٠ .

(٦٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . جـ٤ ص ٢٥٢ .

(٦٣) أخبار مصر فى سنتين . ص ٢٣٣ .

(٦٤) اتعاظ الحنفا . جـ٣ ص ١٦ .

(٦٥) هويدا عبدالعظيم رمضان : اليهود فى مصر الإسلامية . ص ٣٤٠ .

المطرزة [٦٦]، توفى حوالى عام ٤٣٠هـ زمن الخليفة المستنصر بالله[٦٧] ، كذلك كان من أشهر تجار اليهود فى العصر الفاطمى نهراى بن نسيم ، ولد بمدينة القيروان حوالى ٤١٦هـ ثم سافر منها إلى الفسطاط عام ٤٣٧هـ واستقر بها وتزوج من أسرة محلية عريقة ، وكان نهراى من أشهر تجار الجملة فى المنسوجات ومواد الصباغة والدباغة ، كما ضمت تجارته الكتان الذى كان يصدره من مصر إلى تونس وصقلية ، والحرير من إسبانيا وصقلية [٦٨].

وتذكر هويدا عبدالعظيم رمضان إشارة وثائق الجنيزة إلى بعض التجار المتجولين داخل مصر ، الذين يتنقلون من بلدة صغيرة فى الريف أو داخل الأحياء لبيع الأنسجة والملابس ، وعرف هذا التاجر فى الوثائق باسم (الركاض) وهو اسم مبالغة من ركض أى يعدو ، ففى رسالة مؤرخة عام ٥٣٥هـ فى خلافة الحافظ لدين الله (٥٢٦-٥٤٤هـ/ ١١٣٠-١١٤٩م) كتب تاجر لزميله يقول : «لقد اشتريت ٤٠ رطلاً من الحرير من ركاض فى منية زفتى»[٦٩] . ويوضح هذا النص أن غزل الحرير كان يباع بالرطل ، وأن هؤلاء التجار المتجولين لم يقتصر نشاطهم على النسيج المصنع ، بل شمل الغزل كمادة خام ، بالإضافة إلى انتشار تجارتهم فى البلدان والأقاليم المصرية بعيداً عن المدن والعواصم ومنافسة تجار الأسواق.

ومن المهن التى ارتبطت بتجارة النسيج والثياب مهنة (الدَلالة) والتى اقتصرت دائمًا على النساء، ويشير د. قاسم عبده قاسم إلى اشتغال نساء اليهود بهذه المهنة وتفوقهن فيها[٧٠]، لكن على الرغم من ارتباط مهنة الدَلالة بنساء أهل الذمة ، إلا أن ذلك لم يمنع بعض المسلمات من الطبقات الدنيا من ممارسة هذه المهنة؛ لأن النساء من الطبقات العليا كن لايستطعن الخروج إلى الأسواق بصفة مستمرة إلى بائعى النسيج والثياب لشراء ما

(٦٦) هويدا عبدالعظيم رمضان : اليهود فى مصر الإسلامية . ص ٣٤٣ .

(٦٧) المرجع نفسه . ص ٣٤٣ .

(٦٨) المرجع نفسه . ص ٣٤٥ .

(٦٩) المرجع نفسه . ص ٣٤٨ .

(٧٠) أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى دراسة وثائقية . دار المعارف ١٩٧٧ ص ١٤٨ .

يلزمهن، لذلك عملت بعض النساء - الأرامل - فى هذه المهنة فى عصر الحاكم بأمر الله حين منع النساء من الخروج لمدة سبع سنوات (٧١).

كانت مهنة الدلالة من المهن المربحة ، والتى كانت تدر دخلاً كبيراً لمن يقمن بمزاولتها، ويتضح ذلك من خلال ما ورد عن إحدى الدلالات فى تلك الفترة - العصر الفاطمى - والتى كانت تعرف بـ(الوحشة) من أنها كانت امرأة ناجحة ميسورة ، شاركت فى مشروعات تجارية كثيرة (٧٢).

كان من نتيجة ازدهار تجار المنسوجات والملابس وإقبال الكثيرين على العمل بها ، أن اتسعت أسواقها وانتشرت بشكل كبير ، حتى إن ناصر خسرو يقدر عدد الأسواق بالفسطاط فى العصر الفاطمى بحوالى مائتى سوق ، وفى القاهرة بما لايقل عن عشرين ألف دكان(٧٣)، وعلى الرغم من المبالغة التى يحملها تقدير ناصر خسرو ، إلا أنها تعتبر مؤشراً - إلى حد ما - على رواج النشاط التجارى وما ارتبط به فى تجارة النسيج والثياب .

على الجانب الآخر تكشف لنا تجارة النسيج والثياب جانباً مهماً من جوانب الحياة الاقتصادية فيما ارتبط بالأسعار ، فمن خلال أسعار بعض المنسوجات وقطع الملابس نستطيع أن نتبين المستوى المادى لبعض عناصر المجتمع ، وتفاوت هذا المستوى من عنصر إلى آخر ومن عصر إلى عصر ، كما توضح لنا أسعار الملابس مدى الإقبال والاهتمام ببعض أنواع الثياب وأكثرها رواجاً ، بالإضافة إلى ما سبق تعكس الأسعار ما حققته بعض المراكز الصناعية والتجارية من شهرة وتخصص فى هذا المجال .

وتشير بعض المصادر إلى ارتفاع أثمان الخامات أو المواد الأولية - الخيوط - لصناعة الملابس، مما انعكس بالتالى على أسعار بعض الملابس ، فيذكر ناصر خسرو عن أسعار بعض الخيوط المصرية : «سمعت من بزاز ثقة أن وزن الدرهم الواحد من الخيط يشترى

---

(٧١) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص ١٠٣ .

(72) S.D.Goitein: A Mediterranean Society, Vol III, p 352 ,

نريمان عبدالكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣ . ص ٨٠

(٧٣) سفرنامه . ص ١٠٤ .

بثلاثة دنانير مغربية ، وهى تساوى ثلاثة دنانير ونصف نيسابورية ، وقد سألت فى نيسابور بكم يشترون أجود الخيط ، فقالوا إن الخيط الذى لانظير له يشترى الدرهم منه بخمسة دراهم» [٧٤] ونستنتج من هذا النص أن جودة الخيوط المصرية جعلتها تحتل مرتبة متقاربة بين أجود الخيوط فى البلدان المتخصصة فى النسيج والثياب ، وكان لتفوق كل من دمياط وتنيس ودبيق فى صناعة المنسوجات والثياب، أن زاد الإقبال على إنتاجها فارتفعت أسعار ثيابها ، فيذكر ياقوت الحموي : «أن ثمن الثوب الأبيض بدمياط ليس فيه ذهب ثلاثمائة دينار» [٧٥]، بل وصل فى بعض الأحيان إلى أكثر من ذلك ، ففى عام ٣٩٨هـ بيعت حلتان دمياطيتان بثلاثة آلاف دينار ، ويبدى ياقوت دهشـته من عظم هذا الثمن فيقول : «وهذا ما لم يسمع بمثله فى بلد» [٧٦] .

ونظراً لأهمية أغطية الرأس فى المجتمع ، كان إنفاق الشخص عليها يفوق إنفاقه على بقية الملابس الأخرى [٧٧] ، فيذكر المقريزى عن عمائم دبيق المذهبة فى أيام الخليفة العزيز بالله : «كانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب فتبلغ خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل» [٧٨] كذلك ارتفعت أسعار عمائم تنيس [٧٩] وقاربت أسعارها أسعار عمائم دبيق .

نستنتج مما سبق أن انتشار أنواع معينة من العمائم وشهرة بعض المراكز فى إنتاجها جعلت أسعارها مرتفعة ، خاصة مع انتشار بعض الخامات النسيجية المستخدمة فيها كالحرير وخيوط الذهب ، كذلك نلحظ من خلال نص المقريزى أن أسعار هذه العمائم كانت تتعلق بعمائم الخلفاء والوزراء والطبقات العليا فى المجتمع ، وهى الطبقات التى

---

(٧٤) سفرنامه . ص ١١٩ .

(٧٥) معجم البلدان . جـ ٢ ص ٥٣٨ .

(٧٦) المصدر نفسه . جـ ٢ ص ٥٣٨ .

(77) S.D.Goitein : A Mediterranean Society, vol IV, p158.

(٧٨) الخطط . جـ ١ ص ٣٦٥ .

(٧٩) محمد بن بسام التنيسى : أنيس الجليس فى أخبار تنيس . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٨٥٢ ورقة ١٧٥ .

كانت تستطيع الإنفاق ببذخ على مثل هذه الأنواع من العمائم ، إلا أن ارتفاع أسعار العمائم لم يمنع من وجود بعض الأنواع الأخرى رخيصة الثمن استخدمها عامة المجتمع ، فيذكر جروهمان من خلال أوراق البردى العربية وجود بعض المناديل (قماش العمائم) المنتجة بمدينة شطا ، بلغ سعرها عشرين درهماً [٨٠]، كما تراوحت أسعار عمائم البهنسا بين الدرهم والدرهمين[٨١] .

وإذا كان إقبال الرجال على العمائم فى المجتمع يمثل جانباً مهماً من جوانب الإنفاق على اللباس وارتفاع أسعارها ، فكذلك كانت أغطية الرؤوس للنساء ، فتنوعت خاماتها وتفاوتت أسعارها من طبقة لأخرى تبعاً للمكانة الاجتماعية ، خاصة فى العصر الفاطمى حيث تفننت المرأة فى ارتداء العديد من هذه الأغطية ، ومن أغطية الرأس التى ارتفعت أسعارها المعجر ، وهو عبارة عن غطاء يمتد من الرأس حتى يصل إلى القدم ، ولم يقتصر ارتداؤه علَى السيدات ، بل كانت ترتديه الفتيات الصغيرات أيضاً ، ووصلت أسعار بعض المعاجر الخاصة بزوجات الخلفاء إلى خمسين ديناراً ، أما بالنسبة لمعاجر الطبقات الدنيا من النساء فتراوحت أسعارها ما بين دينارين وثلاثة دنانير [٨٢]، كذلك عرفت العمامة النسائية وانتشرت فى المجتمع المصرى بأشكال متعددة ، بل كان بعضها يرصع بالجواهر والدر كعمائم الرجال(*)، فوجدت من هذه الأنواع بعض العمائم فى خزائن زوجات وبنات الخلفاء ، كخزانة السيدة رشيدة بنت المعز لدين الله (ت ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) والتى وصل سعر بعضها إلى خمسين ديناراً[٨٣]، ولم يقتصر استعمال العمائم النسائية على الطبقات العليا ، بل وجدت فى قوائم الجهاز الخاصة بالعرائس من الطبقات الدنيا بعض أنواع العمائم التى تراوحت أسعارها بين أربعة دنانير وعشرة[٨٤] .

---

(٨٠) أوراق البردى العربية . جـ٦ ص ١٠٧ .

(٨١) سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الوظائف والحرف . جـ١ ص ٢٨٣ .

(٨٢) نريمان عبدالكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص ١٥٢-١٥٣ .

(*) الملحق : شكل رقم (٣٢) .

(٨٣) نريمان عبد الكريم : المصدر نفسه ص ١٤٨ .

(٨٤) المرجع نفسه . ص ١٤٩-١٥٠ .

أما عن أكثر أغطية الرأس للنساء انتشاراً فكان الخمار والحجاب ، لذلك كانت أسعارهما منخفضة بالنسبة لأغطية الرأس الأخرى ، فتراوح سعر الخمار(*) ما بين الدينار ونصف الدينار ، كذلك كان الأمر بالنسبة للحجاب (٨٥) .

ومن الملابس التى انتشر استعمالها فى المجتمع المصرى البرود (جمع برد) وكان أغلاها ما صنع فى تنيس ودمياط ، فيذكر ابن مماتى : «وليس فى الدنيا طراز يبلغ الثوب منه مائة دينار وليس فيه ذهب غير بُرد تنيس ودمياط» (٨٦) .

وكان لانتشار القمصان واشتداد الإقبال عليها ، أن تفاوتت أسعارها تبعاً للخامات المختلفة المصنوعة منها ، فيذكر جروهمان من خلال أوراق البردى العربية أن سعر القميص المصنوع من القطن بلغ ستة عشر درهماً (٨٧) ، أما القمصان الداخلية فلم يزد سعرها على تسعة دراهم(٨٨) . ونستنتج من ذلك أن أسعار الملابس الداخلية كانت أقل من أسعار الملابس الخارجية الظاهرة .

وكانت أسعار قمصان النساء ترتفع بالمقارنة بقمصان الرجال ، خاصة لما عرف عن النساء من استخدام المنسوجات الرقيقة غالية الثمن كالحرير ، فكان سعر القميص النسائى من الحرير لايقل عن خمسة عشر ديناراً (٨٩) .

ومن الملابس التى ارتفعت أسعارها واشتهرت بإنتاجها وبيعها بعض المدن المصرية ، الملابس الصوفية كالجبة والعباءة ، وبخاصة ما صنع منها فى أخميم ، إذ بلغ سعر بعض الجبب والعباءات المصنوعة بها عشرين ديناراً (٩٠) .

(*) الملحق : شكل رقم (١٠) .

(٨٥) نريمان عبدالكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص ١٤٩-١٥٠ .

(٨٦) قوانين الدواوين . تحقيق عزيز سوريال عطية ، مكتبة مدبولى ١٩٩١ ص ٨١ .

(٨٧ أوراق البردى العربية . جـ٦ ص ٨١ .

(88) S.D.Goitein: AMediterranean Society. Vol TV, p159.

(٨٩) نريمان عبدالكريم : المرجع نفسه . ص ١٥٤ .

(٩٠) محمد عبدالستار عثمان : أخميم فى العصرين القبطى والإسلامى . ص ٤٠ .

أما عن أسعار بعض الملابس الداخلية والتى اشترك فى ارتدائها الرجال والنساء كالسراويل(*)، فكانت أسعارها لاتتجاوز الدينار والدينارين (٩١)، وكانت أسعار سراويل النساء فى بعض الأحيان تبلغ أكثر من ذلك ، ويرجع هذا إلى اهتمام بعض النساء بصنع تكك (٩٢)(**) هذه السراويل من الحرير الأرمنى وتطريزها ببعض الكتابات والزخارف ، فيذكر ابن تغرى بردى عن جهاز قطر الندى بنت خمارويه أنه : «اشتمل على ألف تكة بعشرة آلاف دينار من أثمان كل تكة عشرة دنانير ، وجدت فى السوق فى أيسر وقت وبأهون سعD» (٩٣) . ونستنتج من ذلك ـ أيضًا ـ انتشار تجارة التكك وارتفاع أسعار بعضها منذ العصر الطولونى ، أما فى العصر الفاطمى فتعددت أسعارها وقيمتها هذا السعر ، خاصة مع ازدياد حرص النساء على إظهار هذه التكك وإسدالها خارج ملابسهن ، بل وتبادلها كهدايا بين المحبين (٩٤) .

كذلك كان من الملابس الداخلية التى راجت بين الرجال والنساء ، الغلائل(***) (جمع غلالة) وهى ثياب رقيقة شفافة كانت تلامس الجسد مباشرة قبل الرداء ، وصنعت أغلبها من نسيج القصب والحرير لذلك ارتفعت أسعارها ، فيذكر المقريزى أنها تراوحت بين سبعة دنانير إلى عشرين ديناراً(٩٥) ، خاصة ما كان يصنع منها فى دبيق(٩٦) .

(*) الملحق : لوحة رقم (٣١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة سجل رقم (١٥٩٥) .

(٩١) نريمان عبدالكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص ١٥٤ .

(٩٢) التكك : جمع تكة وهى رباط السراويل . ابن سيده : المخصص . جـ١ ص ٨٤ ، طوبيا العنيسى : تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية . دار العرب للبستانى ١٩٦٥ ص ١٩ .

(**) الملحق : شكل رقم (٢٥) .

(٩٣) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . جـ٣ ص ٦٢ .

(٩٤) كان تبادل تكك السراويل وإهداؤها بين العشاق والمحبين ظاهرة تفشت فى المجتمع المصرى ، بعد أن ازدادت مظاهر الترف فى العصر الفاطمى ، وانتشرت كتابة بعض الأشعار على العديد من قطع الملابس بين النساء ، فكانت التكة هى الهدية الأولى التى تهديها عشيقة لعشيقها . الوشاء : الموشى أو الظرف والظرفاء . جـ٢ ص ٢٢٨ ، دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس . ص ٨٥ .

(***) الملحق : شكل رقم (٣٩) .

(٩٥) الخطط . جـ٢ ص ٢٥٦ .

(٩٦) نريمان عبدالكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص ١٥٨ .

وعن أسعار الخفاف والنعال وردت فى أوراق البردى العربية بعض النصوص التى أشارت إلى اختلاف وتفاوت أســعار البعض منها ، ففى بردية «نعــل تنيسى بربع دينار» و «زوجا نعال بدينارين»(٩٧) ، كما وردت فى إحدى البرديات «وأربعة أزواج خفاف ثمنها أربعة دنانير»(٩٨)، أما بعض الأحذية التى بدأت تنتشر فى العصر الفاطمى وخاصة التى زينت ببعض التوكات أو الحليات فوصلت أسعارها إلى ١١ ديناراً(٩٩).

ومن الجدير بالذكر أن بعض المدن المصرية اشتهرت منذ القدم بصناعة وبيع الخفاف والنعال كالإسكندرية وأخميم وتنيس(١٠٠) ، وكانت أغلب الجلود المستخدمة من جلد الغنم(١٠١) ، وعندما زاد الإقبال فى العصر الفاطمى على ارتداء النعال وظهور الأحذية ، صارت هناك أنواع أخرى من الجلود يتم جلبها من الحبشة والنوبة (١٠٢). ومن الطريف أن أسعار الخفاف والنعال انخفضت بشكل ملحوظ وأصاب الكساد صانعيها وبائعيها فى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله ، بعد أن أمر بمنع خروج النساء طيلة سبع سنوات ، وهو ما يؤكد الارتباط بين الاستقرار السياسى وانعكاسه على الحياة الاقتصادية .

قصارى القول أن اختلاف أسعار الثياب وتفاوتها كان يرجع إلى عدة عوامل : أهمها طبيعة المادة الخام التى كان يصنع منها الثوب أو الملبس ، كذلك وجود بعض الملابس التى كانت تصنع لبعض الطبقات ـ خصيصاً ـ كالخلفاء والأمراء ، وحرص هذه الطبقات على ارتداء الملابس التى كانت تصنع فى بعض المراكز التى تخصصت فى صنعها كدبيق وتنيس، مما أدى إلى ارتفاع أسعارها عن أسعار غيرها ، خاصة فى العصر الفاطمى الذى

---

(٩٧) توجد هذه البردية بمجموعة الارشيدوق راينر بڤيينا . جروهمان : أوراق البردى العربية . جـ٦ ص١٩٥ .

(٩٨) توجد هذه البردية فى مجموعة شورت رينارت بمكتبة جامعة هيدلبرج . جروهمان : أوراق البردى العربية . جـ٦ ص ١١٣ .

(99) S.D. Goitein : AMediterranean Society. Vol IV, p 162

(١٠٠) سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الحرف والوظائف . جـ١ ص ١٢٠ .

(101) Thomas patrick Hughes: Dictionary of Islam. p93.

(١٠٢) ل. آ. سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية . ص ١٢٤ .

زاد فيه الاهتمام باللباس ، كما كان لانتشار العديد من الأسواق وتخصص البعض منها فى تجارة أنواع محددة من الملابس أكبر الأثر فى استقرار بعض الأسعار ، ووجود ما نسميه الآن بالسعر الموحد، يضاف إلى كل ذلك كثرة ما كان يعرض من أنواع الثياب سواء المحلية أو المجلوبة من بلدان إسلامية أخرى ، مما جعل الأسعار تتناسب مع جميع الطبقات والفئات فى المجتمع، وانعكس ذلك بطبيعة الحال على انتعاش تجارتها وازدهارها فى مصر .

٢ ـ التجارة الخارجية :

شكلت التجارة الخارجية أحد الجوانب المهمة فى تجارة المنسوجات والملابس ، فعلى الرغم مما مثلته من مورد اقتصادى ضخم لمصر ، إلا أنها فى نفس الوقت حملت فى جوانبها مظهراً حضارياً ، تمثل فى انتشار الطابع والذوق المصرى فى مجال المنسوجات والثياب فى العديد من المدن والبلدان الإسلامية والأوربية على السواء .

كانت هناك بعض العوامل التى ساعدت على ازدهار التجارة الخارجية للمنسوجات والثياب، منها الموقع الجغرافى لمصر بين بلدان العالم الإسلامى والأوربى ، وسهولة الاتصال البرى والبحرى بينها وبين العديد من البلدان ، كذلك ما تمتعت به مصر من شهرة وتقدم فى إنتاج وصناعة العديد من أنواع المنسوجات والثياب ، وتعدد المراكز الصناعية لهذه الأنواع فى أقاليم مصر ؛ كل ذلك جعل من مصر مركزاً تجارياً مهماً ، فقامت بينها وبين العديد من البلدان العلاقات التجارية التى نظمت هذه التجارة ، خاصة فى العصر الفاطمى الذى امتاز بازدهار تجارة النسيج والثياب .

كان العراق أكثر البلدان الإسلامية التى مثلت مجالاً حيوياً وسوقاً رائجة للتجارة الخارجية للمنسوجات والثياب ، فيذكر ابن حوقل عن حجم التجارة المصرية مع العراق فى مجال المنسوجات : «كان ما يحمل من تنيس للعراق فى كل سنة ما قيمته عشرون ألف دينار إلى ثلاثين ألفاً حتى عام ٣٦٠هـ »[١٠٣]، ويوضح هذا النص قدم التجارة بين مصر

(١٠٣) صورة الأرض . ص ١٤٣ .

والعراق من ناحية ، كما يبرز أهمية مدينة تنيس ومنسوجاتها من ناحية أخرى ، وما شكلته من مصدر دخل كبير لمصر .

ولم يقتصر الأمر فى التجارة الخارجية بين مصر والعراق على منسوجات تنيس ، بل حمل تجار مصر للعراق الكثير من منسوجات الصعيد ، خاصة المنسوجات الصوفية التى اشتهرت بها أسيوط وأخميم (١٠٤)، كذلك لم تقتصر العلاقات التجارية بين مصر والعراق على ما كان يصدر من مصر للعراق ، بل قام التجار العراقيون - أيضاً - بجلب أنواع الحرير إلى مصر ، فكان الحرير الخسروانى والتسترى المنسوج بالذهب ، ونسيج العتابى الذى اختصت به بغداد ، والموصلى الذى اشتهرت الموصل بصناعته (١٠٥)، فكانت هذه الأقمشة والمنسوجات تجد إقبالاً شديداً فى مصر ، خاصة لدى الطبقة الحاكمة والمترفة ، لذلك أنشئت فى القاهرة فى العصر الفاطمى عام ٥١٦هـ وكالة عرفت بدار الوكالة الآمرية ، كانت تجمع تجار المنسوجات العراقيين وغيرهم ، ممن وفدوا إلى مصر لتجارة المنسوجات ، وإذا كانت المنسوجات العراقية قد لاقت إقبالاً فى مصر فكذلك لاقت الثياب والملابس المصنعة إقبالاً ، فكانت الثياب البغدادية من الأنواع التى راجت تجارتها وزاد الطلب عليها فى مصر ، خاصة فى مدينتى الفسطاط والأشمونيين (١٠٦).

ازدهرت تجارة المنسوجات مع بلاد المغرب ، فكان الكتان المصرى السلعة المعتاد شحنها دائماً إلى تونس وبكميات كبيرة ، بل حرص التجار التونسيون على الاستقرار فى الفسطاط والإسكندرية ، أو فى مراكز صناعة الكتان الشهيرة فى مدينتى بوصير وتنيس لحمل أجود الأنواع منه(١٠٧) ، كذلك كان نسيج البوقلمون متعدد الألوان من المنسوجات التى حرصت بلاد المغرب على جلبها من مصر ، فكانت السفن تعود من تنيس ودمياط إلى بلاد المغرب وهى محملة بكميات كبيرة من هذا النسيج (١٠٨).

---

(١٠٤) أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص ٣٨٤ .

(١٠٥) أحمد مختار العبادى ، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية . ص ١٧٨ .

(١٠٦) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص ٧٩ .

(١٠٧) حسن خضيرى : علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب . ص ١١٧ .

(١٠٨) حسن خضيرى : المرجع نفسه . ص ١١٦ ، أمينة الشوربجى : المرجع نفسه ، ص٣٨٦ .

على الرغم من تقدم صناعة المنسوجات والملابس فى مصر إلا أن بلاد المغرب ساهمت فى تصدير بعض المنسوجات والملابس لمصر ، فكانت بعض السفن تحمل من ليبيا وتونس الثياب والعمائم السوسية (١٠٩)، والمنسوجات والثياب الحريرية من قابس ، وجلود النمر والبقر والفراء والسمور خاصة فى العصر الفاطمى ، وزاد الطلب على هذه الأنواع فى مصر ، حتى أصبح لها سوق رائجة بالقاهرة عرف بسوق السوسيات (١١٠)، كذلك كان الجوخ الصفاقسى من الواردات المهمة التى أمدت بها بلاد المغرب مصر ، وكان يَرد من قفصة إلى مصر نوع خاص من النسيج يسمى الكساء الطراقى ، وهو أساس قطع الصوف الكبير التى كانت لاتنسج إلى فى هذه المنطقة (١١١).

أما عن برقة فكانت بينها وبين مصر علاقات تجارية مستمرة فى هذا المجال ، فكانت تمد مصر فى العصر الفاطمى ببعض الأصواف الخام والماشية التى تحتاجها الأسواق المصرية ، كما قامت مصر بتصدير منسوجاتها الكتانية والحريرية التى تنتجها دمياط وتنيس ، إلى جانب الشب والنطرون المستخدم فى صباغة النسيج والثياب (١١٢).

وكانت بلاد الشام من أكثر البلدان التى راجت بينها وبين مصر تجارة النسيج والثياب ، فكانت مصر تصدر إلى بلاد الشام أجود أنواع الكتان ، إذ كان يرد إلى تنيس فى كل عام خمسمائة مركب من موانى الشام لشراء المنسوجات المصرية والخفاف والنعال ، كما كانت بلاد الشام تصدر لمصر أجود أنواع الحرير المعروف بالدمقس (١١٣)نسبة الى مدينة دمشق .

---

(١٠٩) السوسية : نسبة إلى مدينة سوسة بتونس ، على ساحل البحر وهى مخصوصة بالثياب والعمائم الرقيقة. حسن خضيرى : المرجع نفسه . ص١٠٥-١٠٦ .

(١١٠) حسن خضيرى : المرجع نفسه . ص ١٠٧ .

(١١١) المرجع نفسه . ص ١٠٧ ، أحمد مختار العبادى ، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية . ص ١٦٦-١٧٧ ، سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر . ص ٦٨ .

(١١٢) أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص٣٨٨ .

(١١٣) هويدا عبدالعظيم رمضان : المجتمع فى مصر الإسلامية . ص ١٧١-٢٠٩ ، سعيد مغاورى : الألقاب وأسماء الحرف والوظائف . جـ١ ص ٣٨٠ .

من ناحية أخرى كانت بعض منسوجات الصعيد الصوفية تصدر بكميات كبيرة إلى فارس، حيث عرفت هناك باسم (المصري) ، كما انتشرت بهذا الإقليم أنواع الأقمشة المصرية من الدبيقى والشرب والقصب ، مما يدل على وجود صلات تجارية بين فارس ومصر فى مجال المنسوجات [١١٤]، وفى المقابل كانت مصر تحصل من بلاد فارس على الخز والمنسوجات الحريرية الرقيقة [١١٥].

أما بلاد الحبشة فكانت تصدر لمصر جلود البقر التى تشبه جلود النمر ، حيث كان يتم تصنيعها كنعال وخفاف وأحزمة ثم تطرح فى أسواق القاهرة ، خاصة فى سوق القناديل بالفسطاط [١١٦]، التى اشتهرت بالمصنوعات الجلدية ومكملات الملابس ، كما كانت مصر تصدر للحبشة المنسوجات الحريرية وبعض الثياب المصنعة والموشاة للملوك وزعماء القبائل الحبشية ، والتى امتازت بألوانها الزاهية .

عرفت المنسوجات المصرية طريقها إلى بلاد الحجاز ، فكانت مدينة أخميم تصدر أجود أنواع الصوف ونسيج الكتان لبلاد الحجاز ، خاصة فى موسم الحج ، كما تخصصت مدينة تنيس والقرى المحيطة بها فى إمداد الحجاز ومكة بالعديد من المنسوجات فى العصر الفاطمى ، كذلك اشتهرت منسوجات دبيق فى مدن الحجاز ، ولاقت رواجاً وزاد الطلب عليها [١١٧].

كانت بلاد اليمن من البلدان التى ازدهرت بينها وبين مصر تجارة المنسوجات والثياب منذ القدم [١١٨]، فكانت البرود اليمنية من الملابس التى تفوقت اليمن فى صنعها وتجارتها فى العالم الإسلامى ، فانتشرت فى مصر وزاد الطلب عليها فى العهود الأولى لمصر الإسلامية، كما اشتهرت الثياب السحولية[١١٩] البيضاء وانتشرت فى مصر وراجت

(١١٤) جمال الدين سرور : الحضارة الإسلامية فى الشرق : دار الفكر العربى ١٩٧٣ ص ١٣٨ .

(١١٥) أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص ٣٨٥ .

(١١٦) المرجع نفسه . ص ٣٩٢ .

(١١٧) عبدالمنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص ٢٧٩ ، أمينة الشوربجى : المرجع نفسه . ص ٢٣٢-٣٨٣ .

(118) Bernard G. weiss: Asurvey of Arab History. p114.

(١١٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٣ ص ١٩٥ .

تجارتها ، وكان الولاء الدينى والسياسى للفاطميين فى بلاد اليمن من العوامل التى أدت إلى ازدهار التجارة الخارجية بين مصر واليمن ، فأصبح البلدان سوقاً رائجة للعديد من المنتجات كانت المنسوجات والثياب من أهمها .

وإذا كانت العلاقات التجارية فى مجال المنسوجات والملابس مع العالم الإسلامى وبلدانه لاقت رواجاً وازدهاراً ، فكانت - أيضاً - مع العالم الأوروبى وبلدانه متقدمة ومزدهرة ، فقامت بين مصر وبلاد البحر المتوسط علاقات تجارية متبادلة فى هذا المجال ، خاصة صقلية التى لعبت دوراً حيوياً فى تجارة النسيج الإسلامى وأصبحت من أهم مراكزه فى البحر المتوسط ، فقامت بين مصر وصقلية علاقات تجارية قوية ، فكانت السفن الصقلية تحمل إلى مصر إنتاج الجزيرة من الأقمشة الحريرية والكتانية الرقيقة ، فيذكر ناصر خسرو : «ويجلبون منها كتانا رقيقاً وثياباً منقوشة ، يساوى الثوب منها فى مصر ، عشرة دنانيير مغربية» (١٢٠) .

ويوضح هذا النص مدى جودة النسيج والثياب الصقلية التى تفوقت على الأقمشة والمنسوجات التى تنتجها المصانع المصرية ، لذلك كانت مفضلة لدى الطبقة المترفة فى العصر الفاطمى ، حتى اقتنت أميرات البيت الفاطمى الكثير من تلك القطع المصنوعة فى صقلية، فالأميرة عبدة ابنة الخليفة المعز لدين الله تركت بعد موتها عام ٤٤٢هـ كما هو شائع فى بعض المصادر ثلاثين ألف شقة (١٢١) صقلية (١٢٢)، وهو وإن كان عدداً مبالغًا فيه ، إلا أنه يظهر شغف الفاطميين بمنسوجات صقلية ، كذلك انتشرت المنسوجات والثياب المصرية فى صقلية ، وتجلى ذلك فى العباءة أو المعطف الذى صنع خصيصاً للملك روچر الثانى (١٢٣) بكتابات كوفية ورسومات تعبر عن انتشار الذوق والفن الإسلامى فى هذه الجزيرة .

---

(١٢٠) سفرنامه : ص ١٠١ .

(١٢١) شُقة : بالضم هى الثياب المستطيلة والجمع شقاق ، وقيل هى نصف ثوب . أحمد مطلوب : معجم الملابس فى لسان العرب . ص ٧٧ .

(١٢٢) المقريزى : الخطط . جـ١ ، ص٤١٥ .

(123) Carle J. Dury: Art of Islam. p85, Encyclopedia of world Art, vol v p 364.

وكانت مدينة البندقية من المدن الإيطالية التى حرصت على استيراد المنسوجات الحريرية والكتانية الفاخرة التى تنتجها مصانع تنيس ودمياط ، فى مقابل إمداد الفاطميين بالحديد والسلاح وخشب السفن (١٢٤) .

أما مدينة جنوة فكان تجارها ينقلون على سفنهم إلى مصر وبلاد الشام الأقمشة الوبرية القطنية التى تنتجها مصانع بافيا وميلان ، ويحملون من مصر الأقمشة الحريرية الراقية التى تنتجها أيضاً مصانع تنيس ودمياط (١٢٥) .

وكانت مدينة أمالفى الواقعة على الساحل الغربى لإيطاليا من أهم المدن المنافسة للبندقية فى تجارة النسيج والثياب ، وتوثقت علاقاتها التجارية مع مصر الفاطمية ، فوجه تجارها تجارتهم فى نقل المنسوجات الحريرية التى تصنع فى دبيق ، وأصبح لتجارها فنادق بالإسكندرية للإشراف على هذه التجارة التى لاقت رواجاً لدى أباطرة روما (١٢٦) ، كما كان قرب جزيرة قبرص من مصر أحد العوامل التى أدت إلى ازدهار هذه التجارة بينها وبين مصر ، فكانت الرحلة البحرية بين مصر وقبرص لاتستغرق سوى يوم واحد ؛ لذا كانت السفن المصرية تخرج من تنيس ودمياط متجهة إلى قبرص محملة بالمنسوجات الكتانية والحريرية الفاخرة ، وتعود محملة بالشمع والعسل والفاكهة والديباج والحرير (١٢٧) .

أما فيما تعلق بالبيزنطيين ، فقد سعوا إلى تمكين علاقاتهم التجارية مع مصر بعد أن تحسنت العلاقات السياسية بين بيزنطة والقاهرة منذ سنة ٤٧١هـ ، فكانت بيزنطة فى حاجة إلى النسيج الذى يصنع فى تنيس (١٢٨) ، فى مقابل الغلال والفراء ، كما كان كثير من نسيج القصب والبوقلمون يستخدم فى الكنائس المسيحية البيزنطية (١٢٩) .

(124) George Allen: Aslam and the Arabs, p226.,
محمود الحويرى : مصر فى العصور الوسطى . ص ١٦٩ .
(١٢٥) أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر . ص ٣٦٩ .
(١٢٦) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام . جـ ٤ ص ٤٠٨ ، أحمد مختار العبادى ، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية . ص ١٧٤ .
(١٢٧) أمينة الشوربجى : المرجع نفسه . ص ٣٨٢ .
(١٢٨) أحمد مختار العبادى ، عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية . ص ١٧٦ .
(١٢٩) فاطمة عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية . الهيئة العامة للكتاب جـ ١ ص ٩٤ ،
Thelma. thomas: Textiles from Medieval Egypt. p33.

ومن الجدير بالذكر أن التجارة الخارجية للمنسوجات والثياب شملت - أيضاً - بعض الملابس المستعملة ، فكانت باليرمو بصقلية من أهم المدن التى أمدت مصر بها ، خاصة فى العصر الفاطمى ، بل ووجدت لها سوقاً رائجاً بالقاهرة (١٣٠)، بعد أن ارتفعت أسعار الملابس الجديدة ، خاصة فى وقت الشدة المستنصرية ، فأقبل الناس على شراء هذه النوعية من الثياب التى كانت فى متناول جميع الطبقات الاجتماعية .

وإذا كانت تجارة المنسوجات والملابس قد لعبت دوراً مهماً فى العلاقات الاقتصادية بين مصر والعالم الإسلامى والأوربى ، فعلى الجانب الآخر شكلت - أيضاً - أحد المعالم المهمة فى التجارة الرازانية (١٣١)وتجار الكارم (١٣٢)، فعلى الرغم من ارتباط التجارة الرازانية وتجارة الكارم بالتوابل والبهار ومنتجات الشرق الأقصى ، إلا أن المنسوجات والثياب احتلت - أيضاً - مكانة مهمة فى تجارتهم ، فكان التجار يحملون معهم من الغرب إلى مصر الديباج والخز والجلود والفراء والسمور والأصباغ وبعض الثياب والمنسوجات الحريرية من الهند وفارس(١٣٣)

(١٣٠) هويدا عبدالعظيم رمضان : اليهود فى مصر الإسلامية . ص ٢٦٤ ،
S.D.Goitein: AMediterranean Society, vol IV p184.

(١٣١) الرازانية : هو الاسم الذى أطلقه المؤرخ ابن خرداذبة على التجار اليهود الذين يقومون بالترحال والتجارة من غرب أوروبا إلى بلاد الشرق ويعبرون البحر الأحمر إلى الهند ، وهؤلاء كانوا يسمون - أيضاً - الرهدانية ، وهم من مقاطعة بروفانس بفرنسا ، وكانوا يعرفون عند المسلمين باسم مجرد هو : تجار البحر ، وكان نشاطهم فى الشرق قبل الإسلام واستمر حتى منتصف القرن الرابع الهجرى . ابن خرداذبة : المسالك والممالك . ص ١٥٣ - ١٥٤ ، عطية القوصى : اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية . ص ٧١ ، فاطمة عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية . ص ٢ ص ١٧٣ .

(١٣٢) الكارم : نسبة إلى فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى فى التوابل والسلع الأخرى خاصة فى العصر الفاطمى ، ويذهب البعض إلى أن التسمية ترجع إلى كانم ، وهم جماعة سودانية الأصل عاشت فى مصر ، وأصبحت التسمية تطلق على كل من يتاجر فى التوابل ، عبدالمنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر . ص ٢٥٣ ، نريمان عبدالكريم : معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية . ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(١٣٣) أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر (تفسير جديد) . ص ٣٠٩ ، سلام شافعى محمود : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول . ص ١٥١ .

وكانت براعة التجار الرازانيين وخبرتهم فى سلع الشرق والغرب ، وتحدثهم بالعديد من اللغات كالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلية [١٣٤]، عاملاً من عوامل ازدهار وتقدم تجارتهم ، وتحقيقهم لأرباح وثروات طائلة ، لذلك سعى بعض التجار المسلمين إلى مشاركة هؤلاء التجار فى بعض الأحيان ، أو العمل كوكلاء لهم فى مراكز التجارة فى مصر واليمن والهند والسند والصين وبلاد المغرب [١٣٥].

كان أهم ما ميز التجارة الخارجية فى مجال النسيج والملابس ارتباطها بأهل الذمة خاصة اليهود ، فبرز العديد من أسماء التجار اليهود فى هذه التجارة منذ القدم ، فكان اتصال اليهود بالدول القديمة ومجاورتهم لها كالكنعانيين الذين عرفوا منهم أساليب التجارة ، كذلك التشتت والتفرق الذى اضطرهم للترحال والتجوال أحد الدوافع التى جعلت التجارة من أهم أنشطتهم[١٣٦]، كما حث بعض أحبارهم من خلال تعاليمهم على العمل بالتجارة [١٣٧]، لذلك ظهر فى العصر الفاطمى بعض الرؤساء الدينيين الذين مارسوا التجارة بجانب مهامهم الدينية ، وكانت هناك بعض جماعات يهودية تجارية يرأسها أحد اليهود ويحمل لقب رئيس التجار[١٣٨].

كان من أشهر تجار اليهود فى العصر الفاطمى عائلة بنى سهل ، فكان أبونصر هارون ابن سهل التسترى وأخيه إبراهيم فى عهد الحاكم بأمر الله ، ممن ذاع صيتهم فى تجارة النسيج والثياب والأمتعة وعظمت ثروتهم [١٣٩].

---

(134) Salo W. Baron : Economic Hiestory of the Jews: p28.

(١٣٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك . ص ١٥٣ـ١٥٤ .

(١٣٦) حسن ظاظا ، السيد محمد عاشور : اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة . القاهرة ١٩٧٥ ص ١١٨ .

(١٣٧) ورد على لسان أحد أحبار اليهود : (إن مائة درهم تعمل بها فى التجارة تتيح لك أن تجد اللحم والخمر كل يوم ، أما مائة درهم تعمل بها فى الزراعة فلن تتيح لك إلا الملح وبعض الخضراوات) . حسن ظاظا ، السيد محمد عاشور : اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة . ص ٢ .

(138) Mann, J: The Jews in Egypt and palestine under the Fatimids, p 94.

(١٣٩) ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٦١ ، عطية القوصي : اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية . ص ٧٦ ، نريمان عبدالكريم : معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية . ص ١٣٨ .

وإلى جانب اليهود برزت أسماء بعض القبط الذين اشتغلوا بتجارة المنسوجات وبرز من بينهم إبراهيم بن بشر الذى كان يقيم فى مدينة الإسكندرية ، وحاز مكانة عظيمة لدى كبار رجال الدولة الفاطمية فى عهد الحاكم بأمر الله (١٤٠)، وإبراهيم بن زرعة السريانى ، الذى قدم إلى مصر بغرض التجارة فيها ، وكان واسع الثراء ذائع الصيت ، قامت بينه وبين الخليفة المعز لدين الله ورجال دولته علاقات تجارية فى مجال المنسوجات والثياب والتحف(١٤١)، كذلك برز من الأقباط التاجر طيب بن يوسف السريانى الذى كان يحمل فى تجارته الثياب الغالية والبرود الحريرية من صناعة الهند واليمن وغيرها من البلاد الشرقية ، وكان يبتاع للخليفة أجودها (١٤٢)، وكان الأنبا يؤنس بن أبى غالب بطريق اليعاقبة من الذين عملوا بتجارة الكارم حتى عام ٥٨٦هـ ، فكان يتردد على بلاد الهند واليمن ، واحتوت تجارته على المنسوجات والثياب من هذه البلاد ، وكون ثروة كبيرة من هذه التجارة (١٤٣).

وكان بعض المشتغلين بالتجارة الخارجية للمنسوجات والملابس يمتلكون بعض السفن والمراكب ، خاصة من كانوا يعملون بتجارة الكتان فى تنيس ودمياط ، وهو ما جعل تجارتهم تنمو وتزدهر ، محققين الثروات الكبيرة ، حتى قيل أن إحد التجار خَلف بعد موته تركة قدرها ألف ألف دينار (١٤٤).

وإذا كان أهل الذمة هم أكثر العناصر التى احترفت التجارة الخارجية للمنسوجات والملابس فى مصر ، إلا أن ذلك لم يمنع من اشتغال قلة من التجار العرب والمسلمين فى هذا المجال ، فكان القاضى عبدالرحمن بن إسحاق الجوهرى (٣١٣-٣١٤هـ) ممن عملوا بتجارة الصوف ، فكان يصدر كميات كبيرة منه إلى مكة كل عام (١٤٥).

(١٤٠) ابن المقفع : سير الآباء البطاركة . م٢ جـ٢ ص ١٦ .
(١٤١) ابن المقفع : المصدر نفسه . م٢ جـ٢ ص ٩١ .
(١٤٢) ابن العميد : تاريخ المسلمين . ص ٢٩٩ .
(١٤٣) نريمان عبدالكريم : معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية . ص ١٣٨ ، محمد محمود إدريس : تاريخ الحضارة الإسلامية . ص ٢٠٩ .
(١٤٤) ل . أ . سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية . ص ١٤٩ ، محمد محمود إدريس : المرجع نفسه . ص٢٠٩ .
(١٤٥) هويدا عبدالعظيم : المجتمع فى مصر الإسلامية . ص ٣١٤ .

وأغلب الظن أن عدم ظهور الكثير من أسماء التجار العرب والمسلمين يرجع إلى انحسار نشاطهم الخارجى لهذه التجارة مع بلدان عربية وإسلامية بعينها ، وفى أنواع محدودة أو بعض الخامات أو المواد الأولية ، كذلك سيطرة أهل الذمة - خاصة اليهود كما ذكرنا - على هذه التجارة منذ زمن طويل ، واكتسابهم لخبرات فى التعامل مع العديد من البلدان المختصة بالنسيج والملابس .

ونخلص من كل ما سبق إلى أن تجارة المنسوجات والملابس بمصر الإسلامية ، شكلت جانباً مهماً من جوانب الحياة الاقتصادية ، فلعبت دوراً حيوياً فى انتشار العديد من الأسواق الداخلية والخارجية ، وأدت إلى انتعاشها ، كما جعلت من مصر مركزاً من أهم المراكز التجارية لهذه التجارة ، كذلك أدت إلى استمرار وتطور المراكز الصناعية فى مصر بما تلاءم مع مستجدات السوق الداخلى والخارجى لهذه التجارة .

وعلى الجانب الآخر كانت الأرباح والمكاسب التى حققتها هذه التجارة دافعاً لاشتغال العديد من العناصر الاجتماعية فى مصر بهذه التجارة ، والخروج من دائرة المحلية إلى الأسواق الخارجية ، فاكتسبت المنسوجات والملابس المصرية شهرة ومكانة ساعدت على انتشارها فى أرجاء العالم الإسلامى والأوربى ، وهو مكسب حضارى أضيف إلى المكاسب المادية التى تحققت لمصر فى هذا المجال .

الباب الثالث

الملابس والحياة الاجتماعية





الملابس والدلالات الاجتماعية

تعد الملابس من أكثر الدراسات المرتبطة بالحياة الاجتماعية ؛ فهى تشير إلى العديد من الدلالات الاجتماعية الخاصة بعناصر المجتمع ، كما تعكس جوانب كثيرة من العلاقات السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية التى مارستها طبقات المجتمع ، بعد أن أصبحت الملابس تحمل فى طياتها لغة غير مكتوبة ولكنها مرئية ، استخدمتها طبقات المجتمع فى كل جوانب الحياة .

كان التصنيف الطبقى[١] والتمييز بين فئات وعناصر المجتمع ، من أكثر الدلالات الاجتماعية التى تعكسها الملابس ، إذ كان يمكن من خلالها الوقوف على المكانة والوظيفة والمستوى المادى للفرد أو الطبقة[٢]، كان استخدام الملابس كوسيلة من وسائل التصنيف الطبقى شائعًا منذ القدم ، إذ يذكر الجهشيارى : « كان من رسوم ملوك الفرس أن يلبس أهل كل طبقة ، ممن فى خدمتهم ، لبسة لا يلبسها أحد ممن فى غير تلك الطبقة ، فإذا وصل الرجل إلى المُلك عرف بلبسة صناعته والطبقة التى هو فيها »[٣]، كما يؤكد هذا المعنى ابن شاهين بقوله : « إذا لبس أحد من طائفة قماش أحد من طائفة غيرها خرج عن الهندام وصار منسوبًا إلى تلك الطائفة »[٤]، ويضيف كل من إيريك فوكييه ود. عبد المنعم سلطان

---

(١) الطبقة : المرتبة والمنزلة . الرازى : مختار الصحاح . ص٣٨٨ .

(٢) يذكر د. سعيد عاشور : أصبح على أى زائر يمر بالقاهرة أن يحكم على كل شخص يراه ويحدد فى سهولة طبقته الاجتماعية ، وحرفته أو عمله ، وديانته إن كان مسلمًا أو ذميًا وذلك بمجرد النظر إلى هيئته العامة وملبسه ، ومن هنا اتخذ الكتاب المعاصرون الزى أساسًا للتعبير عن مهنة الشخص وعمله فى المجتمع . المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك . دار النهضة العربية ، ١٩٩٢ ص٢٣٢ .

(٣) الوزراء والكتاب . ص٣ .

(٤) زبدة كشف الممالك . ص٨٨ .

بأن الملابس كانت ولا تزال ذات طابع طبقى فى كل زمان ومكان ، لما ارتبط بها من الوظيفة والمكانة الاجتماعية(٥) .

يعتبر تعدد وتنوع الملابس فى مجتمع ما دليلاً على تعدد عناصره وطبقاته وتنوعها ، فضلاً عما يشير إليه - أحيانًا - من رخاء اقتصادى وارتقاء حضارى لهذا المجتمع(٦)، وهو ما توافر إلى حد كبير فى المجتمع المصرى فى عصوره الإسلامية .

مما يجدر ذكره أن ارتباط الملابس بالتصنيف الطبقى لعناصر المجتمع وفئاته ، لا يجب أن يحملنا على الاعتقاد بأنه كان حدًا فاصلاً فى كل الأحوال بين طبقة وأخرى ، اللهم إلا فيما ارتبط بالزى الرسمى المحدد لوظائف بعينها ، أما دون ذلك فكثيرًا ما كانت تتشابه بعض أجزاء الملابس فيما بين طبقة وأخرى بفعل المحاكاة والتقليد ، خاصة فى الفترات التى سادت فيها مظاهر الترف والبذخ وعظمت ، واحتلت فيها الملابس جزءًا مهمًا من اهتمامات الفرد والمجتمع .

على الجانب الآخر مثلت بعض الأجزاء من الملابس أحد المعايير المهمة فى التمييز بين طبقة وأخرى ، بل داخل الطبقة الواحدة نفسها ، وذلك لإظهار التفاوت فى المكانة والمنزلة أو تحديدها ، فعلى سبيل المثال استخدمت طبقة العسكريين الأطواق المذهبة والأساور والعمائم للتمييز بين مراتب القادة والأمراء داخل الجيش ، كما عرفت طبقة الأساتذة المحنكين بطريقتهم المميزة فى ارتداء العمائم ، إذ كانوا يمررون طرف العمامة تحت أحناكهم ليصعد من الجهة المقابلة ويلتف من جديد حول الرأس(٧)، كذلك كانت المناطق (الأحزمة) المذهبة والمرصعة - أحيانًا - بالجواهر والأحجار الكريمة من السمات المميزة لمراتب بعض القادة داخل الجيش ، خاصة فى العصر الفاطمى .

---

(٥) دلالة الملابس على أخلاق الناس وأحوالهم . ترجمة أمين محمود الشريف ، مجلة ديوچين ، العدد ٦٠ ، مركز مطبوعات اليونسكو ١٩٨٣ ص١٨ ، الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٢٨٣ .

(6) Daniel Roche : The Calture of Clothing . P.4 , Clive Rogers : Early Islamic Textiles . P. 31.

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٣ ، ص٤٨١ ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم . جـ٢ ، ص١١-١٢ .

من جهة أخرى كانت أغطية الرأس - هي الأخرى - أكثر أجزاء الملابس التى استخدمت فى التصنيف الطبقى لعناصر المجتمع ، فيذكر الجاحظ : « كان للخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبقالين عمة ، وللأعراب عمة ، وللصوص عمة ، وللأبناء عمة ، وللنصارى عمة »[٨]، ويوضح هذا النص ما كانت تمثله العمامة من أهمية ومكانة بين طبقات المجتمع ؛ لكونها تحفظ أهم جزء فى الجسم وهو الرأس ، علاوة على أن أول ما يظهر من الإنسان هو الرأس ، ويؤكد جويتاين أن للعمامة دورًا كبيرًا فى تحديد مكانة وأهمية الفرد داخل المجتمع ، فكلما كبر حجم العمامة دل ذلك على ارتفاع مكانة صاحبها وأهميته[٩]، لذلك تعددت أشكالها وألوانها وأحجامها داخل المجتمع لارتباطها بالعديد من الطبقات ، بل أصبح يطلق على أحد عناصر المجتمع طبقة المعمّمين ، لما كانت العمائم تشكل عنصرًا مهمًا من عناصر هيئتهم ، وكان أغلبهم من رجال الدين والعلماء والقضاة والكتاب والأدباء .

بلغ من أهمية العمائم وما كانت تعكسه من دلالات اجتماعية أن أصبح للشخص الواحد أكثر من عمامة ؛ كى تتلاءم كل عمامة مع المناسبات والأوقات المختلفة التى كان عليه أن يرتديها فيها[١٠]، كما ترتب على ذلك زيادة إنفاق الشخص على العمائم بالمقارنة ببقية الملابس الأخرى ، كذلك أصبح لارتداء العمائم تقاليد وسلوكيات مرعية بين طبقات المجتمع ، فكان ينظر للرجل الذى يعرى رأسه أو تنزع عمامته بأنه ساقط المروءة وتارك الآداب[١١]، كما كان لا يجوز لبس العمائم أثناء الدخول على الخلفاء للتعزية إظهاراً للحزن ، فيذكر ابن ميسر : « مات الأمير عبد الله بن المعز لسبع بقين من جمادى الأولى ، وجلس المعز للتعزية ، ودخل الناس بغير عمائم وأظهروا الجزع »[١٢].

---

(٨) البيان والتبيين . جـ٣ ، ص٦٥ .

(9) A Mediterranean Society . vol IV, P. 159 .

(١٠) دوزى : المعجم المفصل لأسماء الملابس . ص١٤ ، رشيدة اللقانى : ألفاظ الحياة الاجتماعية فى كتابات الجاحظ . ص١٧٧ ، ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٧٨ .

(١١) بدرى محمد فهد : العامة ببغداد فى القرن الخامس الهجري . ص١٤٣ .

(١٢) المنتقى من أخبار مصر . ص١٦٦ .

وإذا كانت بعض أجزاء الملابس قد استخدمت كوسيلة من وسائل التصنيف الطبقى لعناصر المجتمع ، فأيضًا كانت ألوان الملابس - هى الأخرى - إحدى الوسائل للتمييز بين بعض الطبقات ، خاصة فيما كان يتعلق بالانتماء الدينى أو فى بعض المهن والوظائف التى استخدم أصحابها ألوانًا محددة تميز ملابسهم ، ففيما يتعلق بالانتماء الدينى كانت ألوان ملابس أهل الذمة من أكثر الدلالات المميزة لهم داخل التصنيف الطبقى لعناصر المجتمع ، خاصة فى الفترات التى كان عليهم فيها الالتزام بما وضع لهم من شروط وقواعد تتعلق بملابسهم ، وكانت أغطية الرأس والزنار من أكثر أجزاء الملابس التى ارتبطت باللون لديهم، فيذكر ابن المقفع : « وفى عهد الخليفة المستنصر بالله ، ألزم وزيره أمير الجيوش اليهود فى سنة ٤٥٧هـ بأن يشدوا الزنار فى أوساطهم ، وأن يكون لونه أسود ، وأن يصبغوا أطرافه باللون الأصفر ليتميزوا عن القبط »(١٣)، كذلك اختلفت ألوان أغطية الرأس فيما بين أهل الذمة أنفسهم ، إذ كانت عمائم النصارى زرقاء وعمائم اليهود صفراء(١٤)، كما تميزت ألوان الأُزر الخاصة بنسائهم ، فكانت النصرانيات تلبسن أزرًا ذات ألوان زرقاء ، واليهوديات ذات ألوان صفراء ، والسامريات ذات ألوان حمراء(١٥).

ومن الملاحظ أن تحديد هذه الألوان كان يستمد دائمًا من الشروط الأولى التى فرضت على ملابسهم لتمييزهم عن المسلمين ، كما أن هذه الشروط لم تكن تطبق إلا فى أوقات الأزمات .

على الجانب الآخر لم يقتصر استخدام اللون ودلالاته على أهل الذمة فقط ، إذ امتد ليشمل عددًا آخر من عناصر المجتمع وطبقاته ، خاصة فيما كان يرتبط بالمكانة أو بعض الوظائف ، فكانت عمائم الفقهاء والعلماء سوداء ، أما الفلاحون والخدم والمكاريون فكانت حمراء(١٦)، كما امتازت عمائم طبقة الأشراف دائمًا باللون الأخضر(١٧)، وامتدت

(١٣) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية . جـ٢ ، ص٢١٨ .
(١٤) ابن سعيد : المُغرب فى حلى المغرب . ص٢٨ .
(١٥) القلقشندى : صبح الأعشى . جـ١٣ ، ص٣٤٣ ، أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية . ص١٨٣ ، محاسن الوقاد : اليهود فى مصر المملوكية . ص٣٤٩ .
(١٦) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص١١٧ ، أحمد عبد الباقى : معالم الحضارة العربية فى القرن الثالث الهجرى . ص٧٣ .
(١٧) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر . جـ٤ ، ص٢٥٩ ، دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس . ص١٧ ، Thomas Patrick Hughes : Dictionary of Islam, P. 93 .

دلالات الألوان بشكل كبير فى ملابس النساء ، فكانت أغلب ألوان ملابسهن زاهية براقة على عكس ملابس الرجال[١٨] ، لتتلاءم مع ميلهن لكل ما هو لافت وجاذب للانتباه ، لذلك استخدمت جميع درجات الألوان ومشتقاتها فى ملابسهن ، وكان اللونان الأخضر والأصفر من أكثر الألوان المحببة لديهن[١٩] ، بجانب اللون الأبيض الذى شاع استعماله فى ملابسهن فى العصر الفاطمى .

من جهة أخرى استخدمت بعض الألوان للدلالة على بعض المهن والأعمال التى مارستها بعض طبقات المجتمع ، وأصبحت عرفًا سائدًا فيما يرتدونه من ملابس ، فكانت سراويل السقائين دائمًا ما تتميز بلونها الأزرق ، لتتناسب عملهم الذى حتم عليهم الخوض فى المياه لملء قربهم[٢٠] ، علاوة على أن اللون الأزرق كان أنسب الألوان لهم لعدم شفافيته عند البلل بالماء ، وقدرته على تحمل الأوساخ[٢١] ، كذلك شاع استخدام اللون الأحمر فى ملابس البغايا ومحترفى الدعارة ، لما ارتبط به من الفسق والمجون ، فيذكر المقريزى : «كان يجلس فى سوق الشماعين بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين ، لهن سيما يعرفن بها وزى يتميزن به وهو لبس الملاءات الطرح ، وفى أرجلهن سراويل من أديم أحمر ، وكن يحترفن الدعارة ويقفن مع الرجال المشالقين»[٢٢] .

ويعكس هذا النص ما كان يمثله اللون من دلالة ورمزية لدى بعض المهن فى المجتمع المصرى ، حتى وإن كانت هذه المهن تخالف الشرع والدين ، إضافة إلى ارتباط هذه المهن ببعض الأماكن المحددة والدالة عليها كسوق الشماعين ، على أن دلالة اللون لم تقف عند ارتباطها بالمهن ، بل امتدت - أيضًا - للتعبير عن الحالة النفسية للفرد ، ومرة أخرى نلحظ تكرار دلالة اللون الأحمر الذى ارتبط أيضًا ببعض الشخصيات المضطربة غير السوية ، فيذكر المسبحى : « أخبرنى أبو الحسن المنجم الطبرانى أنه طلع معه أبو الحسن على بن عبد

(١٨) الوشاء : الموشى أو الظرف والظروفاء . جـ٢ ، ص١٦١ .

(١٩) ابن قتيبة : عيون الأخبار . جـ٢ ، ص٣٣ .

(٢٠) عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٣٠٤ .

(٢١) ابن بسام : نهاية الرتبة . ص٢٥ ، المقريزى : الخطط . جـ١ ، ص٤٦٤ ، شلبى إبراهيم الجعيدى : طبقة العامة فى مصر فى العصر الأيوبى . الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٣ ، ص١٢٣ .

(٢٢) الخطط . جـ٣ ، ص١٥٦ .

الرحمن بن أحمد بن يونس ، إلى جبل المقطم وقد وقف للزهرة ، فنزع ثوبه وعمامته ولبس ثوبًا نساويًا أحمر ومقنعة حمراء تقنع بها وأخرج عودًا فضرب به والبخور بين يديه فكان عجبًا من العجب »(٢٣)، ويوضح لنا هذا النص ارتباط اللون الأحمر ببعض الشخصيات غير السوية ، كما يفسر ابتعاد بعض الطبقات عن استخدامه فيما بعد ، حتى أصبح مكروهًا بين رجال الدين .

كما كان اللون الأسود من الألوان التى عبرت عن حالات الحزن والجنائز فى المجتمع المصرى ، بل عرفه العرب منذ زمن بعيد فى التعبير عن الحداد ، يذكر المقريزى : « لما توفى عبد العزيز بن مروان ـ والى مصر ـ فمر بجنازته على باب ـ جَناب ـ وقد خرج عيال جناب ولبسن السواد ووقفن على الباب صائحات ثم اتبعنه إلى المقبرة »(٢٤)، كذلك يذكر ابن تغرى بردى حين وفاة خمارويه : « وخرج الغلمان وقد حلوا أقبيتهم وفيهم من سَود ثيابه وشقها ، فكانت فى البلد ضجة وصرخة حتى دفن »(٢٥)، ومن الجدير بالذكر أن لون الحداد كان يختلف فى بلاد المشرق عنه فى بلاد المغرب ، فبينما كان الأسود هو الأكثر استخدامًا فى المشرق فى العصر العباسى ، والأخضر فى عصر الدولة الفاطمية(٢٦)، كان اللون الأبيض هو المستخدم فى المغرب خاصة الأندلس(٢٧).

من الدلالات الاجتماعية ـ الأخرى ـ التى عكستها الملابس فى المجتمع المصرى ، المستوى الاقتصادى لبعض الطبقات ، خاصة أن هيئة الإنسان كانت تعطى الانطباع الأول عن حالته المادية ، فكثيرًا ما كانت تنبئ عن يسره أو عسره ؛ لذلك حرصت بعض الطبقات العليا على أن تكون ملابسهم وخاماتها جزءًا من مظاهر الإعلان عن مستواهم المادى المرتفع ، فكانوا يصنعون ملابسهم من بعض الأقمشة والخامات غالية الثمن والجودة ،

(٢٣) نصوص ضائعة من أخبار مصر . ص٢٦ .

(٢٤) الخطط . جـ١ ، ص٣٣٧ .

(٢٥) النجوم الزاهرة . جـ٣ ، ص٦٤ .

(٢٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٥٧ ، محمود عرفة محمود : الدولة الفاطمية فى مصر . دار الثقافة العربية ٢٠٠٣ ، ص٤٠٧ .

(٢٧) آدم متز : الحضارة الإسلامية . جـ٢ ، ص٢٢٨ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام . جـ٣ ، ص٤٤٥ .

وكانوا يكثرون من استخدام أجود أنواع الحرير ونسيج القصب والشرب ، على عكس الطبقات الدنيا أو طبقة العامة ، التى كانت تستخدم أقمشة وخامات أرخص ثمنًا وأقل جودة[٢٨]، لذلك ارتبطت بعض الخامات والملابس ببعض الطبقات دون الأخرى - بفعل تفاوت المستوى المادى - فكانت الطبقات الدنيا على سبيل المثال لا تستطيع ارتداء الملابس المصنوعة من الفرو الأبيض لارتفاع ثمنه واستيراده من الخارج[٢٩]، كما ارتبطت أغطية الرأس لدى نساء الطبقات العليا باستخدام الجواهر والأحجار الكريمة ، كذلك كانت تصنع أيضًا - أغلب - ملابسهن من المنسوجات الحريرية ، خاصة السراويل وتككها والغلائل الشفافة[٣٠]، على عكس ملابس نساء الطبقات الدنيا التى قل استخدامهن للمنسوجات الحريرية أو الجواهر فى أغطية رؤوسهن[٣١]، وينطبق هذا أيضًا على ملابس الرجال من الطبقة نفسها .

كان لارتباط الملابس بالمستوى المادى لبعض الطبقات أن أصبحت تشكل لديهم عنصرًا من عناصر الثروة ، خاصة طبقة الحكام والوزراء ونساء القصر ، إذ كانت الملابس من الأشياء التى حرصت هذه الطبقات على أن تورثها لأبنائها وأحفادها[٣٢]، بل كانت الملابس فى بعض الأحيان تعد من الثروات التى يتم مصادرتها من قبل الحكام والخلفاء ، خاصة حين تحدث جفوة بين الحكام والخلفاء وبين الوزراء أو أصحاب المناصب الكبرى[٣٣]، كما استخدمت الملابس فى بعض الأحيان عوضًا عن الأموال فى تسديد بعض الديون ، أو كأجرة لتأدية بعض الخدمات ، فيذكر المقريزى : « كان الغاسل أو الغاسلة تأخذ ملابس المتوفين رجالاً ونساء وما تحتهم من الفرش »، ويوضح لنا هذا النص

(28) Clive Rogers : Early Islamic Textiles, P. 31 .

(29) Stanley Lane - Poole : Art of the Saracens in Egypt, P. 248 .

(٣٠) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٤٧ .

(٣١) نريمان عبد الكريم : المرجع نفسه . ص١٢٩ ، ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص٤٦ .

(32) Daniel Roche : The Culture of Clothing , P. 6 .

(٣٣) بعد أن عُزل ابن المفضل ، الذى كان ناظرًا على قصر ابن طولون ، أمر ابن طولون ببيع ملابسه ، فبلغ ثمنها عشرين ألف دينار . سيدة إسماعيل كاشف : أحمد بن طولون . ص٢٠٢ .

(٣٤) اتعاظ الحنفا . جـ١ ، ص٢٨٨ .

تحول الملابس إلى بديل مادى للنقود، خاصة إذا كانت عالية القيمة جيدة النسيج أو مطعمة ببعض الجواهر(٣٥).

كان الخليفة المستنصر بالله أول من استخدم الملابس والمنسوجات للخروج من الأزمة المالية التى تعرضت لها مصر أثناء الشدة العظمى، إذ لجأ إلى بيع أنفس ما لديه من المنسوجات والملابس للإعانة على قيام أمر دولته ودفع رواتب الجند(٣٦)، ومن الجدير بالذكر أن جملة ما باعه المستنصر من المنسوجات والملابس والتحف النادرة كان يخص الأميرة رشيدة ابنة المعز لدين الله بعد أن ورث المستنصر جزءاً منه وضمه إلى خزائنه(٣٧).

كما انعكس ارتباط الملابس بالمستوى المادى لبعض الطبقات على عدد القطع التى كانت ترتديها هذه الطبقات، فعلى سبيل المثال كانت المرأة الأولى فى القصر الفاطمى، والتى كانت تعرف بالجهة العالية، ترتدى حُلة(٣٨) مذهبة وصل عدد قطعها إلى خمس عشرة قطعة، فكان غطاء الرأس يتكون من أربع قطع تلبس طبقًا لترتيب محدد، بحيث تغطى الرأس ويتدلى طرف إحداها حتى يصل إلى الأرض من جهة الظهر، أما باقى الملابس فكانت تتكون من رداءين من الحرير، وقميص مذهب بأكمام قصيرة وسروال وملاءة واسعة لتغطية كل تلك الثياب(٣٩)، كذلك كانت ملابس بعض الوزراء يتعدى عددها إحدى عشرة قطعة، خاصة البدل التى كانت ترتدى فى المناسبات والمواكب(٤٠).

(35) S. D. Goitein : A Mediterranean Society, vol IV, P. 185 ,

ل . أ. سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية . ص١٢٠ .

(٣٦) القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٣ ، ص٥٤٨ .

(٣٧) زكى حسن : كنوز الفاطميين . ص٤٧ .

(٣٨) الحلة : كل ثوب جديد تلبسه غليظ أو رقيق، وقد تكون من ثوبين أو ثلاثة، أو من جنس واحد، وسميت حلة لأن كل واحد يحل على الآخر . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٣٦ .

(٣٩) عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٣٠٠ ، نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٤٧ .

(٤٠) ابن المأمون : نصوص من أخبار مصر . ص٥٢ ، محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء . ص٦١ .

من ناحية أخرى تعددت أغراض الملابس واستخداماتها ، فلم تقف عند ستر الجسد أو حمايته ، أو الزينة وإظهار المكانة الاجتماعية والاقتصادية ، بل امتدت لتشمل التخفى والتشهير والعقوبة ، فيذكر ابن الداية : « وجدت فى أخبار مصر المسندة أن عمرو بن العاص عند تغلبه على مصر كان يتنكر ويخرج وحده ، متشبها بالرجل من عامته ليرى ما عليه القبط من النية للمسلمين »[٤١]، كما يذكر أيضًا : « هرب من المتوكل رجل كنى عن اسمه بخطير المنزلة لميل كان من المنتصر إليه ، وتبرأ من حاشيته ولبس جبة صوف ، فانتهى به المسير إلى مصر »[٤٢]، كذلك استخدم الحسن بن الصباح رئيس طائفة الإسماعيلية بالعراق بعض ملابس التجار للتخفى عند مقابلة الخليفة المستنصر بالله ، حين أمره بإقامة الدعوة له بخراسان وبلاد العجم[٤٣]، وكان اللثام من أكثر أجزاء الملابس التى استخدمت فى التنكر أو التستر من الخصوم[٤٤]، كما استخدمت - أيضًا - بعض الملابس كوسيلة من وسائل التشهير بالأسرى والخارجين على الدولة ، ففى عام ٢٩٢هـ أمر محمد بن سليمان الكاتب القائد العباسى ، أن تحمل الأسارى من المصريين من الذين كان دميانة أسرهم فى قدومه من دمياط على الجمال ، فحملوا عليها وعليهم القلانس الطوال وشهرهم وطيف بهم فى عسكره من أوله إلى آخره[٤٥]، وفى عام ٣٥٨هـ عاد القائد الفاطمى جعفر بن فلاح إلى دمشق ونازلها فقاتله أهلها ، فطاولهم حتى ظفر بهم ، وهرب الشريف أبو القاسم إلى بغداد ، فقال ابن فلاح : من أتى به فله مائة ألف درهم ، فلقيه ابن غلبان العدوى فقبض عليه وجاء به إلى ابن فلاح ، فشهره على جمل وعلى رأسه قلنسوة من لبود، وفى لحيته ريش مغروز ، ومن ورائه رجل من المغاربة يوقع به[٤٦]، كما كان أبو ركوة - أحد الخارجين فى العصر الفاطمى - من أكثر الشخصيات التى تناولت المصادر قصة

(٤١) المكافأة . ص١٠٣ .

(٤٢) المصدر نفسه . ص٤٢ .

(٤٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ٩ ، ص٤٤٨ ، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر . جـ٤ ، ص٦٦ .

(٤٤) ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٧٨ .

(٤٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٣ ، ص١٣٨ .

(٤٦) ابن تغرى بردى : المصدر نفسه . جـ٤ ، ص٣٣ .

خروجه والتشهير به ، ففى عام ٣٩٧هـ فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أمر بأن يطاف بأبى ركوة على جمل وأن يغطى رأسه بطرطور ضخم عمل من الخرق المصبوغة ، وخلفه قرد يصفعه(٤٧) ، حتى وصل إلى الموضع الذى قتل فيه .

ومن الجدير بالذكر أن مهمة التشهير بالخصوم أو الخارجين فى العصر الفاطمى كانت توكل دائمًا إلى شخص عرف بالإبزارى ، كانت أجرته على ذلك العمل مائة دينار وعشر قطع قماش تصرف له من الديوان(٤٨) ، كذلك استخدم البرنس ضمن ملابس التشهير خاصة مع القرامطة ، فيذكر المقريزى : « وطيف بأسارى من القرامطة على الإبل بالبرانس وعدتهم ألف وثلاثمائة ، مقدمهم مفلح المنجمى ببرنس كبير على جمل بثوب مُشهر مكتوب على ظهره اسمه وما عمل ، وخلفه جماعة من وجوه القرامطة »(٤٩) .

ومن الملاحظ أن أغطية الرأس كالطرطور والقلانس والبرانس كانت من أكثر أجزاء الملابس استخدامًا فى التشهير ، وهو ما يؤكد مرة أخرى أهمية أغطية الرأس ومكانتها وما تمثله من دلالة اجتماعية ، كذلك استخدام اللون الأحمر(٥٠) للدلالة على السخرية والاستهزاء بالشخص المُشهر به ، وهو ما يؤكد أيضًا على رمزيته فى بعض الدلالات الاجتماعية للملابس .

استخدمت أيضًا بعض أنواع الملابس فى تنفيذ بعض العقوبات أو التأديب للعصاة والمذنبين ، فيذكر المقريزى : « وفى عام ٣٩٨هـ أمر الخليفة الحاكم بأمر الله قائد قواده السابق حسين بن جوهر والقاضى عبد العزيز بن النعمان بأن يلزما داريهما ، ومنعا من الركوب وسائر أولادهما ، فلبسوا الصوف وامتنع الداخل إليهم ، وجلسوا على الحصر »(٥١) ، كما كان كل من الزانى والشارب للخمر إذا ما أقيم عليه الحد خلعت عنه ثيابه

(٤٧) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ، ص٦٥ .

(٤٨) ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة . ص٤٧ ، ابن تغرى بردى : المصدر نفسه . جـ٤ ، ص٢١٦ .

(٤٩) اتعاظ الحنفا . جـ٢ ، ص٢٠٩ .

(٥٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ٩ ، ص٦٤٤ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية . ص٥٨ .

(٥١) اتعاظ الحنفا . جـ٢ ، ص٧٣ .

وضرب فى إزار ، أما القاذف فكان يضرب وعليه ثيابه ما لم تكن فروًا فتنزع عنه(٥٢)، كذلك كان تمزيق الثياب ـ أحيانا ـ يعد جزءًا من العقوبة لجأ إليه البعض ، فالخليفة المستنصر بالله فى زمن الشدة العظمى ، أمر بتمزيق ثياب بعض التجار من محترفى تخزين الغلال وتعذيبهم ليكونوا عبرة يتم الاتعاظ بها(٥٣).

كان من الدلالات الاجتماعية التى ارتبطت بالملابس ، حرص بعض طبقات المجتمع خاصة العامة ، على الظهور فى بعض المناسبات والأعياد بأفضل ما لديهم من ثياب ، حتى إن بعضهم كانوا يلجأون إلى تأجير بعض الثياب فى تلك المناسبات من الصباغين ، فيذكر ابن الإخوة : « أن الصباغين فى أيام المواسم والأعياد كانوا يؤجرون ما عندهم من ثياب أحضرها أصحابها لصبغها ، لمن يلبسها ويتزين بها فى هذه المناسبات»(٥٤)، كما كان الشيعة فى احتفالهم بليلة عيد الغدير يحيون ليلتها بالصلاة ويصلون فى صبيحتها ركعتين قبل الزوال ، وكان شعارهم فى هذا اليوم لبس كل جديد من الثياب(٥٥).

على الجانب الآخر أضفى البعض على ملابس الخلفاء ورجال الدين قدسية وبركة ، فكان بعض الوزراء يوصون بتكفينهم فى ملابس الخلفاء المستعملة حتى ينالوا بركة الأئمة الخلفاء(٥٦)، كما يذكر ابن الحاج عن اعتقادات طبقة العامة تجاه رجال الدين والصالحين : «وراحوا يحتمون بهم وبمخلفاتهم وقبابهم وأدواتهم الشخصية »(٥٧)، كذلك نهج بعض أهل الذمة نهج المسلمين ، فيذكر أبو صالح الأرمنى : « وفى بعض الموالد تؤخذ أكفان القديسين للتبرك بها ويجددونها ثم تعاد إلى التوابيت مرة أخرى »(٥٨).

---

(٥٢) عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين . ص١٦٥ .
(٥٣) ل . أ. سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية . ص١٧٥ .
(٥٤) معالم القربة فى أحكام الحسبة . ص١٤٢ .
(٥٥) المسبحى : أخبار مصر فى سنتين . ص٢٠٥ ، النويرى : نهاية الأرب . جـ١ ، ص١٨٥ .
(٥٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٣ ، ص٦٧ .
(٥٧) المدخل . جـ١ ، ص٣١١-٣١٢ .
(٥٨) تاريخ الكنائس . جـ١ ، ص٤٦-٥١ .

ونخلص مما سبق إلى أن الملابس كانت تعكس العديد من الدلالات الاجتماعية التى ارتبطت بعناصر المجتمع المصرى ، فعكست بوضوح طبيعة المهنة والوظيفة التى يمارسها الفرد داخل المجتمع لما ارتبط بها من ثياب ، كذلك عكست الدلالات الاجتماعية للملابس تعدد الأغراض التى استخدمت فيها الملابس داخل المجتمع ، إذ لم يقف استخدامها عند الأغراض الأساسية لها كالستر أو الزينة ، بل تعددت ذلك إلى أنها أصبحت وسيلة من وسائل التمييز والتصنيف الطبقى لعناصر المجتمع وفئاته ، كذلك كانت عنصرًا من عناصر التصنيف الدينى لبعض عناصر المجتمع ، خاصة أهل الذمة بعد أن اندمج العديد منهم داخل المجتمع الإسلامى .

كما أبرزت الدلالات الاجتماعية للملابس أهمية اللون وتوظيفه فى بعض الثياب للدلالة على أصحاب المهن والوظائف ، فصارت نوعًا من العرف الذى ساد بين بعض الطبقات التى كانت تمارس أعمالاً تتطلب بعض الألوان فى ثيابهم .

ونظرًا لارتباط الإنسان بالملبس وارتباط الملبس به فى العديد من مراحل حياته ونشاطاته ، أصبح الملبس جزءًا لا يتجزأ من السلوكيات والمواقف الاجتماعية التى مارسها الإنسان داخل المجتمع ، بل جاءت بعض الملابس مصاحبة ومفسرة للعديد من المواقف والأحداث الاجتماعية .

من ناحية أخرى كانت الملابس وسيلة اجتماعية استخدمتها السلطة السياسية فى عقاب بعض الخارجين عليها ، أو تأديب بعض العصاة والمذنبين ، وهو ما يؤكد التطور الوظيفى للملبس فى المجتمع المصرى وتعدد مدلولاته ، الأمر الذى يدعونا بحق إلى النظر مرة أخرى إلى الملابس ومكانتها فى المجتمع فى إطار آخر غير تقليدى عند تناولنا للحياة الاجتماعية لمجتمع ما .

الفصل الثاني

ملابس رجال الدين

تبوأ رجال الدين منزلة رفيعة بين طبقات المجتمع المصرى ، سواء من المسلمين أو أهل الذمة ، كما حظيت أغلب فئاتهم برعاية واحترام وتقدير من جانب الحكام والعامة ، لما كان لهم من قوة روحية ودينية مؤثرة بين جميع الطبقات ، ولا شك أن الميل الفطرى للمصريين بصفة عامة إلى التدين - منذ القدم - وتقديس كل ما يرتبط بالدين من رموز ، كان من العوامل المهمة فى ارتفاع مكانتهم وتميزهم كفئة بين طبقات المجتمع المصرى على اختلاف عقائدهم .

وتعد ملابس رجال الدين انعكاسًا لمكانتهم ومنازلهم بوصفهم القائمين على إقامة الشريعة - فى كل الأديان - وما أسند إليهم من وظائف ومناصب دينية كانت تستلزم أن تكون ملابسهم مميزة لهم عن غيرهم من أصحاب المناصب والوظائف الدنيوية ، لذا كانت ملابسهم ضمن الخلع التى تمنحها الدولة لهم فى العديد من المناسبات أو عند تولى البعض منهم للوظائف الرسمية فى الدولة .

أولاً : رجال الدين الإسلامى :

تعددت عناصر رجال الدين الإسلامى وفئاته فى المجتمع المصرى ، فكان منهم القضاة ودعاة الدعاة والفقهاء وخطباء المساجد وأئمتها ، بالإضافة إلى بعض العناصر

---

(١) الأشراف : يطلق لقب السادة الأشراف على كل من ينتمى إلى آل البيت ، فكان كل من العلويين والعباسيين يخاطب بالشريف ، وقد انقسم الأشراف فى العصر الفاطمى إلى قسمين : الأشراف الإسماعيليون وهم الذين ينتسبون إلى الفرع الفاطمى ، والأشراف الطالبيون وهم الذين ينتسبون إلى أبى طالب عم الرسول ، وكانت لهم نقابة خاصة بهم تعرف بنقابة الطالبيين . البلاذرى : أنساب الأشراف جـ١ ص٢٠ ، المقريزى : الخطط . جـ١ ص ٣٨٦ .

والرموز الدينية التى انتشرت فى المجتمع كالأشراف[1] والزهاد والمتصوفة ، ومن الجدير بالذكر أن أغلب ملابس هذه العناصر كانت متشابهة إلى حد كبير ، فلم يختلف بعضها إلا باختلاف المراكز الوظيفية والاجتماعية لهم .

وتعد أغطية الرؤوس من أكثر أجزاء الملابس التى ميزتهم بين باقى طبقات المجتمع وبين بعضهم البعض أيضًا ، لذلك عرفوا بأرباب العمائم أو المعممين[2]، إذ كانت عمائمهم تمتاز دائمًا عن عمائم باقى الطبقات بكبر حجمها طولاً وعرضًا[3]، خاصة أصحاب المناصب الرسمية منهم كالقضاة[4]، من ناحية أخرى تميزت عمائم رجال الدين على اختلاف عناصرهم بانتهائها من الخلف بالذؤابة المرخاة أو العذبة[5](*)، وهى طرف العمامة التى حرصوا على إبرازها من الخلف امتثالاً لأوامر السنة المطهرة[6].

على الجانب الآخر اختص رجال الدين بارتداء نوع آخر من أغطية الرأس - غير العمائم - ميزت البعض منهم كالطيلسان[7](**)، إذ كان من أكثر الأغطية التى ميزت القضاة عن غيرهم ، فيذكر المقريزى : « كان الفقهاء لا يرتدون الطيالس إلا إذا ارتقوا إلى طائفة القضاة»[8]، لذلك كانوا يلقبون فى عصر الدولة الفاطمية بأرباب الطيالس[9]، كما

---

(٢) أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد . ص٣٦٧ ، ماير : الملابس المملوكية . ص٨٩ .

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص١٥٠ .

(٤) سبق أن تناولنا أغلب ملابس القضاة فى الفصل الخاص بملابس رجال الدولة فى الباب الأول ، لذلك سيقتصر حديثنا فى هذا الفصل على الفئات الأخرى من رجال الدين .

(٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص١٥٠ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية . ص١٢٢ .

(*) الملحق : شكل رقم (١) .

(٦) عن ابن حريث عن أبيه قال : (رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه). أبو داود : صحيح سنن المصطفى . جـ٤ ص٥٤ .

(٧) سبق تعريفه ووصفه فى هامش رقم ٢١ فى الفصل الرابع من الباب الأول ص٩٨ .

(**) الملحق : شكل رقم (١٣) .

(٨) الخطط : جـ١ ، ص ٤٤١ .

(٩) المقريزى : المصدر نفسه . جـ١ ص٤٤١ ، عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٣٠٠ .

يذكر ابن حجر الهيتمى عن الفقهاء وارتدائهم للطيالس : « وكانوا إذا أجازوا واحدا للتدريس والإفتاء كتبوا مع ذلك : وقد أذنت له فى لبس الطيلسان»(١٠).

ويوضح النصان السابقان أن ارتداء الطيلسان كان أولاً امتيازًا للقضاة ثم أصبح للفقهاء والعلماء بعد ذلك(١١)، كذلك كانت الطرحة من أغطية الرأس التى ارتداها رجال الدين فوق العمائم ، فيذكر القلقشندى : (ويتميز قضاة القضاء الشافعى والحنفى بلبس طرحة تستر عمامته وتنسدل على ظهره)(١٢)، وعلى الرغم من تأكيد القلقشندى على ارتباط الطرحة بقضاة الشافعية ، إلا أن ذلك لم يمنع من ارتداء بعض الفئات الأخرى من رجال الدين لها، وبخاصة السادة الأشراف، إذ كانت طرحهم تتميز دائمًا بلونها الأخضر وزخارفها المطرزة بخيوط الذهب(١٣).

كانت القلانس من أغطية رؤوس رجال الدين ، فكانوا يرتدونها تحت العمائم أو منفردة، وامتازت قلانس البعض منهم - أيضًا - بالطول(*) ، إذ عرف نوع منها كان يسمى بالدَّنية لطولها المفرط وتشابهها مع الدن ، وهى من القلانس التى انتشرت - لبعض الوقت - بين القضاة(١٤)، كذلك استخدم بعض الزهاد والدراويش والمتصوفة القلانس الطويلة التى كان يطلق عليها الدَّورق(**) ، حتى قيل بعد ذلك لكل زاهد ومتنسك دورقي(١٥). من ناحية أخرى كانت الطواقى ضمن أغطية الرأس التى انتشرت بين رجال الدين ، خاصة المؤذنين والمقرئين وبعض الصوفية ، وكان بعضها - أيضًا - يمتاز بالطول أو الارتفاع ، حيث

---

(١٠) در الغمامة فى در الطيلسان والعذبة والعمامة . ص٣٢ .

(١١) الجاحظ : البيان والتبيين . جـ٢ ص٣٤٢ ، الصابى : رسوم دار الخلافة . ص٩١ .

(١٢) صبح الأعشى . جـ٤ ص٤٢ .

(١٣) ماير : الملابس المملوكية . ص٩٧ .

(*) الملحق : شكل رقم (٥) .

(١٤) آدم متز : الحضارة الإسلامية . جـ٢ ص٢٢٦ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٨٣ .

(**) الملحق : شكل رقم (٤٥) .

(١٥) ابن الجوزى : تلبيس إبليس . ص١٨٤ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص١٨٩ .

كانت طواقى الدراويش[16] تصنع على هيئة قالب السكر وتغطى كلها بالريشات الصغيرة من مختلف الألوان[17].

كما اتخذ رجال الدين الشيلان[18] ضمن أغطية الرأس ، إذ كان البعض يضعها فوق العمائم طارحًا ما تبقى منها على الأكتاف ، خاصة فى أيام الشتاء لجلب الدفء ، إذ كان أغلبها يصنع من الصوف أو الوبر الكشميري[19]، وتعتبر الشيلان من الأجزاء المهمة التى شاعت فى ملابس المشايخ ورجال الدين من زمن طويل وحتى الآن[20].

أما عن ألوان أغطية الرأس لدى رجال الدين ، فكانت غالبا ما تعبر عن مذهب الدولة وشعارها ، فعندما كانت مصر تحت السيادة العباسية ، كانت الأغطية سوداء شعار العباسيين ، أما فى ظل السيادة الفاطمية فأصبحت بيضاء وخضراء توكيدا لنسبهم لآل البيت حيث كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبس بردين أخضرين[21]، ويذكر المقريزى بشأن ذلك : تشدد جوهر فى هذا الأمر ، فحين دخل عبد الله بن طاهر الحسينى على جوهر فى مجلسه وبرفقته القضاة والعلماء والشهود وكان يرتدى طيلسانًا كحليًا ، استاء جوهر من لبسه لهذا اللون ومد يده فشق الطيلسان ، فغضب ابن طاهر وتكلم محتجًا ، فأمر جوهر غلمانه بتمزيق الطيلسان وهو يضحك ، ثم أمر بإحضار عمامة خضراء ورداء

---

(١٦) يبدو أن بعض المشعوذين والدجالين ممن كان يتمسح بالدين ، كانوا يفضلون هذه الأغطية على رؤوسهم ، لشد الانتباه إليهم .

(١٧) رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص٣٠٤ .

(١٨) الشيلان : جمع شال وهى كلمة فارسية معربة كانت تعنى الحزام الصوفى ، انتقلت إلى العربية وصارت تعنى الرداء الموضوع على الكتفين . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس ، ص٢٥٤ .

(١٩) دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس ، ٢٠٤ .

(٢٠) يرى محمد جمال عبد الغفور أن الشيلان كانت تدل على القيادة الدينية والروحية عند المصريين ، إذ كان كبار الكهنة فى العصر الفرعونى يؤدون المراسيم الدينية وعلى أكتافهم ما يشبه الشيلان ، وأن ارتداء المشايخ والعلماء المسلمين لها ، ما هو إلا امتداد لتقليد قديم ، لا سيما أن الخلع التى كانت تمنح لهم كانت تتضمن الشيلان . دراسة للأزياء الشعبية . ص٦٣ .

(٢١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٤ ص٧٤ .

أخضر وقام وألبسه وعممه بيده (٢٢)، مما يؤكد حرص الفاطميين على إعلان شعار دولتهم ومحو كل ما يرتبط بالعباسيين منذ بداية دولتهم .

من ناحية أخرى لم تقتصر ألوان أغطية الرأس فى عصر الفاطميين على اللونين الأبيض والأخضر ، إذ كان اللون الذهبى من الألوان التى انتشرت فى أغلب ملابسهم وملابس بعض الطبقات خاصة رجال الدين ، بل كان اللون الذهبى يعد تشريفًا تمنحه الدولة للبعض منهم عندما تخلع عليهم بعض الملابس ، خاصة القضاة(٢٣)، فالخليفة الحاكم بأمر الله قلد مالك بن سعيد بن مالك الفارقى عمامة وطيلسانًا مذهبين عند توليته القضاء(٢٤) .

أما عن ملابس البدن الخارجية لرجال الدين ، فنلاحظ أنها كانت متشابهة فى مكوناتها إلى حد كبير ، ولم تكن الاختلافات فيها فى الشكل بقدر ما كانت فى الخامات المصنوعة منها ، والتى كانت تعبر دائمًا عن مكانة مرتديها ومنزلته .

وبصفة عامة انحصرت أغلب ملابس رجال الدين فى كل من الجبة والقباء والفرجية والقفطان والبردة والعباءة والمدْرَعة .

تعتبر الجبة(*) من أكثر أجزاء الملابس المميزة لرجال الدين على اختلاف عناصرهم وفئاتهم ، فكان على الخطباء فى المساجد ارتداؤها أثناء الصلاة بالناس ، بل لم يكن يسمح لهم بتركها فى مثل هذه المناسبات(٢٥)، وكما كانت الجبة من الملابس المميزة لرجال الدين، كانت كذلك من الملابس المميزة للعلماء ومعلمى الكتاتيب والمؤذنين ، حتى قيل إن أحد العلماء الفقراء فى بغداد اضطر إلى أن يمكث فى بيته لأنه لا يملك جبة(٢٦) ، كذلك كان

(٢٢) اتعاظ الحنفا . جـ١ ص١٣٢ .
(٢٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص١٥٠ .
(٢٤) ابن حجر : رفع الإصر . ص٢١٣ .
(*) الملحق : لوحة رقم (٥١) من مخطوط مقامات الحريرى .
(٢٥) الجاحظ : البيان والتبيين . جـ٣ ص٩٢ .
(٢٦) مليحة رحمة الله : الملابس فى العراق خلال العصور العباسية . ص١٩٤ .

القباء من الملابس الشائعة بين رجال الدين ، بل عرفت بعض الأنواع المُميزة منه لديهم ، فكان هناك نوع عرف بالفرجية ، وهو قباء امتاز باتساعه وطول أكمامه ، كما كان له - دائمًا - فتحة من الخلف ميزته عن سائر الأقبية الأخرى[٢٧] ، واشتهرت الفرجية بأنها كانت من الملابس المُميزة للعلماء والفقهاء بمصر ، كما اشتهر بعضها بصنعه من النسيج العتابى الشهير[٢٨] .

من ناحية أخرى تميزت بعض أقبية رجال الدين بأنها كانت مشقوقة الأكمام لتسمح بظهور القفطان من تحتها ، خاصة أقبية القضاة والفقهاء[٢٩] ، كذلك كان يغلب على ألوان أقبيتهم اللون الأسود خاصة فى العصر العباسى ، فيذكر المقدسى : « كان القباء الأسود رسمًا جاريًا على كل من يدخل المقصورة فى يوم الجمعة للصلاة ، وحتى سنة أربعمائة لم يبق إلا الخطباء والمؤذنون يلبسون الأقبية السوداء »[٣٠] ، أما فى العصر الفاطمى فاختلفت ألوان أقبيتهم لتوافق شعار الفاطميين ومذهبهم ، فأصبحت بيضاء كسائر الثياب ، فيذكر المقريزى : « لما كان يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان نزل جوهر فى عسكر إلى الجامع العتيق لصلاة الجمعة وخطب بهم هبة الله بن أحمد - خليفة عبد السميع بن عمر العباسى - ببياض »[٣١] ، كما يذكر ابن تغرى بردى فى حوادث عام ٤٠١هـ « خطب بالموصل خطيب للحاكم بأمر الله ، فظهر وعليه قباء دبيقى أبيض »[٣٢] ، ونستنتج من النصوص السابقة حرص الفاطميين على اعلان مذهبهم وشعارهم الجديد من خلال رجال الدين ، لإدراكهم بدى تأثيرهم وتأثر الناس بهم .

(٢٧) الثعالبى : لطائف اللطف . ص٤٠ ، أحمد عبد الباقى : معالم الحضارة العربية . ص٨٦ ،
Thomas Patrick Hughes : Dictionary of Aislam , P. 93 .

(٢٨) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٢٦٥ .

(٢٩) التوحيدى : الإمتاع والمؤانسة . تحقيق / أحمد أمين ، أحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والنشر بالقاهرة ١٩٥٣ ، جـ١ ، ص١٧٩ .

(٣٠) أحسن التقاسيم . ص١٢٩ .

(٣١) اتعاظ الحنفا . جـ١ ص١١٤ .

(٣٢) النجوم الزاهرة . جـ٦ ص١٠٧ .

على الجانب الآخر انتشرت فى ملابس رجال الدين بعض أجزاء الملابس المميزة لهم كالقُفْطان(٣٣)(*)، إذ كان يرتدى دائمًا تحت القباء أو الجبة ، وهو عبارة عن ثوب يشبه الجبة إلى حد كبير ، غير أنه كان مفتوح الأمام ومزرر بأزرار حول الصدر ، كما كانت أكمامه قصيرة تمتد حتى الكوع ، وكان يُضم طرفاه ـ دائمًا ـ بحزام من الحرير أو القطن عند الوسط ، أما عن طوله فكان يصل إلى منتصف الساقين ولا يقصر فى كل الأحوال عن الركبة(٣٤).

ويعتبر القفطان من الملابس التى شاعت وانتشرت فى مصر منذ عصر الدولة الطولونية ، ثم أصبح أكثر استخدامًا وارتباطًا برجال الدين فى عصر الدولة الفاطمية وما بعدها(٣٥).

كما ارتدى رجال الدين تأسيًا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، البردة(**) والعباءة(٣٦)(***) وهى من الأردية الخارجية التى كانوا يلتحفون بها فوق سائر الثياب السابقة.

ومن الجدير بالذكر أن بعض رجال الدين من الفقراء والبسطاء ، كانوا يستعيضون عن بعض الملابس غالية الثمن والجودة بما يشابهها من الملابس الأخرى ، إذ انتشر لدى بعض المقرئين ومحفظى القرآن والشيوخ والزهاد ، نوع من الجباب عرف بالمدْرَعة(٣٧) ، فيذكر ابن الجوزى عن أحد الزهاد أو الصالحين : « الحسن بن الخليل بن مرة ، ذاك رجل صدق

---

(٣٣) القُفْطان : بضم القاف وسكون الفاء ، كلمة فارسية تركية مُعربة ، وهى فى الفارسية : خفتان ، وفى التركية : قفتان ، ومعناها فى الفارسية : ثوب من القطن يلبس فوق الدرع ، وفى التركية : جبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٣٩٩ .

(*) الملحق : شكل رقم (٤٦) .

(٣٤) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٥٣ ، عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٢٩٣ .

(٣٥) دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس ص١٣٤ .

(**) الملحق : شكل رقم (٢١) .

(٣٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ١ ص٤٤١ .

(***) الملحق : شكل رقم (٢٢) .

(٣٧) المدْرَعة : بكسر فسكون ففتح ، لباس من الصوف الغليظ لم يكن يرتديه إلا العبيد أو فقراء الناس . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس .

"قد شغلته العبادة ، كان يحمل دقيقًا فى جراب للناس بأجرة يتقوت بها فى كل جمعة ، وكان عليه مدْرَعة قيمتها أقل من درهم ، وأجمع أهل مصر أنه مستجاب الدعوة "[٣٨]، ويؤكد ارتباط المدْرَعة بالزهاد والمتصوفة ما أورده - أيضًا - الجاحظ عن الحسن بن على فى ثنائه على بعضهم حيث يقول : " إن قومًا جعلوا تواضعهم فى ثيابهم وكبرهم فى صدورهم ، حتى لصاحب المدْرَعة بمدرعته أشد فرحًا من صاحب المطرف بمطرفه "[٣٩] .

وتعتبر ملابس الزهاد والمتصوفة من أكثر الملابس تميزًا بين رجال الدين ، إذ كانت دائمًا تمثل لديهم إعلانًا لزهدهم وابتعادهم عن حب الدنيا ، كما كانت انعكاسًا لبعض آرائهم الدينية ومذاهبهم العقائدية ، فيذكر السهروردى فى شأن ذلك : " فمن خشن ثوبه ينبغى أن يكون مأكوله من جنسه ، وإذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف "[٤٠]، لذلك جاءت أغلب ملابسهم بسيطة الهيئة خشنة الملمس ، كما تميزت بكثرة الرقع حتى صارت كثيفة وخارجة عن الحد[٤١]، ونظرًا لارتباط هذه الرقع والخرق بملابسهم ، أصبحت المرقعة[٤٢] والخرقة[٤٣] اسمًا مميزًا للباسهم ، بل وضعوا لها الطقوس والرسوم لمن يريد الدخول فى طريقتهم أو اتباع مذهبهم ، فقرروا أن هذه المرقعة أو الخرقة لا تلبس إلا من يد شيخ[٤٤]، اعترافًا منه للتلميذ أو المريد أنه أصبح من أبناء الطريقة أو واحدًا منها ، لذلك صارت المرقعة وترقيع الثوب صفة لازمت أثوابهم ، حتى غالى

(٣٨) صفة الصفوة . جـ٢ ص٤٦٤ .

(٣٩) البيان والتبيين . جـ٣ ص٩٠ .

(٤٠) عوارف المعارف . تحقيق عبد الحليم محمود ، محمد بن الشريف ، القاهرة ١٩٧١ ص٣١٩ .

(٤١) ابن الجوزى : تلبيس إبليس . ص٢١١ .

(٤٢) المرقعة : من رقع الثوب والأديم بالرقاع ، وترقيع الثوب : أن ترقعه فى مواضع ، وكل ما سددت من خلة فقد رقعته ، والمرقعة لباس الصوفية ، لما بها من الرقع . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٩٨ .

(٤٣) الخرقة : بالكسر وسكون الراء المهملة ، قطعة من اللباس المخيط ، والمزقة منه ، وخرقت الثوب إذا شققته ، وتشير الكلمة إلى ثوب غليظ يلبسه المتصوفه زهدًا فى الحياة . التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون . جـ٢ ص٢٢٤ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٤٧ .

(٤٤) ابن الجوزى : المصدر نفسه . ص٢ .

البعض فى خرق الثوب الجديد تعمدًا ، ثم يقوم بعد ذلك بوضع الرقع به إظهارًا للزهد[٤٥] .

على الرغم من ارتباط المرقعة والخرقة بالصوفية ، إلا أن ذلك لم يمنع البعض منهم من ارتداء بعض الأجزاء الأخرى من الملابس التى كانت منتشرة فى المجتمع أو بين رجال الدين ، إذ ارتدى بعضهم الجباب والعباءات التى تميزت دائمًا بصنعها من نسيج الصوف ، كما تميزت جبابهم بجانب ذلك بطول أكمامها عن غيرها من الجباب ، واحتوائها - أيضًا - على العديد من الرقع[٤٦] ، كذلك ارتدى البعض منهم القمصان القصيرة إذ اعتبروا طولها من الشهرة التى لا تتماشى مع الدين الإسلامى ولحث الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك[٤٧] .

ومن الملابس التى استخدمها المتصوفة أواخر العصر الفاطمى وأوائل عصر الأيوبيين التَنُّورة[٤٨](*) ، وهى من الأجزاء التى تشبه إلى حد كبير الإزار ، إذ كانت تستر الجزء الأسفل من الجسد من أعلى السرة إلى الأرض ، وكانت التنورة - غالبًا - ترتدى فوق ملابسهم عند رقصهم فى حلقات الذكر أو فى احتفالاتهم ، إذ يذكر المقريزى : « أضاف العزيز بالله مصطبة للصوفية ومنظرة له لمشاهدتهم وهم ينشدون ويذكرون بحركاتهم المشهورة»[٤٩] .

على الجانب الآخر كان اللون الأزرق من أكثر الألوان التى لازمت ملابسهم ، ويفسر آدم متز ذلك بأن اللون الأزرق كان دائمًا ما يعبر عن الحداد ، فضلاً عن كونه من الألوان المناسبة لرجال فقراء جوالين[٥٠] ، ونعتقد أن الرأى الأخير هو الأرجح لما ارتبط بهم من

(٤٥) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ، ص٢٢٤ .
(٤٦) المصدر نفسه . ص١٨٥ .
(٤٧) المصدر نفسه . ص١٨٧ - ٢٢٦ .
(٤٨) التنورة : بفتح التاء وتشديد وضم النون ، كلمة فارسية معربة تعنى : درع من الجلد يلف حول الوسط . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٩٦ .
(*) الملحق : شكل رقم (٤٥) .
(٤٩) الخطط . جـ٢ ص٤٥٣ .
(٥٠) الحضارة الإسلامية . جـ٢ ص٢٤ - ٢٥ .

كثرة الحركة ، بالإضافة إلى تحمله للأوساخ ، ويؤكد هذا الرأى ما أورده السهروردى إذ يقول : «كان أحدهم يبقى زمانه لا يطوى له ثوب ، ولا يملك غير ثوبه الذى عليه»[٥١].

ومن الجدير بالذكر أن قضية اللون كانت من الأمور المهمة لدى بعض رجال الدين ، إذ حرص بعضهم على تمييز أنفسهم بألوان خاصة صارت رمزًا لهم ، فكما كان اللون الأزرق من أخص ألوان الصوفية ، كان اللون الأخضر من الألوان الخاصة بالسادة الأشراف لتأكيد انتمائهم للرسول صلى الله عليه وسلم وذريته ، إذ عرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم كثرة ارتداؤه للون الأخضر الذى كان يعبر عن ثياب أهل الجنة[٥٢]، كما كان من الألوان التى فضلها ـ أيضًا ـ الخلفاء الفاطميون للسبب نفسه .

أما فيما اختص بملابس القدم ، فكان الخف[*] أكثر الأنواع التى انتشرت بين رجال الدين ، إذ عرف عن الليث بن سعد[٥٣] فقيه مصر ، أنه كان يلبس الخف ويحج به[٥٤]، كما لبسه كل من القضاة والمحتسبين وخطباء المساجد ، كما يؤكد أيضًا الأصفهانى شيوع الخف لدى رجال الدين بقوله : « لبس القضاة والفقهاء القلنسوة والمبطنة والطيلسان والخف »[٥٥].

مما سبق يتضح أن ملابس رجال الدين الإسلامى كانت تحتل أهمية ومكانة كبيرتين بين ملابس طبقات المجتمع المصرى ، إذ تمتع أغلبهم باحترام من جميع فئات المجتمع وتقديرهما ، كما اهتم بهم الحكام والخلفاء فكانت ملابسهم ضمن ما تمنحه الدولة لهم فى صورة الخلع والهبات ، خاصة فى العصر الفاطمى الذى ارتفع فيه شأن رجال الدين ، بعد أن أصبحوا عنصرًا مهمًا من عناصر الدعاية المذهبية للدولة .

(٥١) عوارف المعارف . ص٣٢٠ .

(٥٢) المسعودى : مروج الذهب . جـ٤ ص٢٥٩ ، دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس . ص١٧ .

(*) الملحق : شكل رقم (٢٨) .

(٥٣) هو أبو الحارث الليث بن سعد الفهمى ، ولد سنة ثلاث وتسعين أو أربع وتسعين ، وتوفى يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان من سنة خمس وسبعين ومائة ، استقل بالفتوى ، واشتهر بالكرم . ابن الجوزى : صفة الصفوة . جـ٢ ص٤٥٦ ، الذهبى : العبر فى خبر من غبر . جـ١ ص٢٦٦ .

(٥٤) الفسوى : المعرفة والتاريخ . جـ٢ ص٢٥٨ .

(٥٥) الأغانى . جـ٥ ص٣٩٠ .

من ناحية أخرى كان لاشتراك أغلبهم فى منزلة اجتماعية واحدة أكبر الأثر فى تشابه أغلب ملابسهم ، إذ لم تتميز إلا ملابس البعض منهم كالقضاة ودعاة الدعاة بحكم مكانتهم الوظيفية بين رجال الدولة ، كذلك ظلت أغطية الرأس تمثل لديهم عنصر تميز بين غيرهم من الطبقات الأخرى ، لما ارتبط بها من مكانة دينية استمدت من السنة المطهرة .

وكما تطورت ملابس طبقات المجتمع المصرى ، تطورت كذلك بعض ملابس رجال الدين إما فى هيئتها أو فى بعض الخامات التى صنعت منها ، فمنذ بداية العصر الفاطمى بدأ ينتشر فى ملابسهم القفطان والفرجية ، كذلك كان للتطور الحضارى الذى أحدثته الدولة الفاطمية فى مجال المنسوجات أكبر الأثر فى شيوع بعض الأقمشة والخامات فى ملابسهم، فبعد أن كانت أغلب ملابسهم لا تخرج عن الكتان والصوف ، بدأ البعض منهم فى العصر الفاطمى يُقبلون على الديباج ونسيج دبيق ، خاصة بعد تمتع البعض منهم بمكانة مادية مرتفعة مكنتهم من استخدام هذه الأنسجة الغالية ، أو بفضل ما كان يمنح لهم من خلع كانت تصنع خصيصًا من هذه الأنسجة .

على الجانب الآخر ظلت ملابسهم - لدى أغلبهم - تمثل الالتزام الواضح لما جاءت به الشريعة الإسلامية من أحكام وآداب تتعلق بالملابس ، فلم تحتو ملابسهم على الكثير من الزخارف أو التصاوير التى انتشرت فى ملابس غيرهم من الطبقات ، باستثناء استخدام التطريز بالحروف والكتابات ، والتى كانت تصنع فى دور الطراز الخاصة بالدولة ، كذلك كانت ألوان ملابسهم - كما ذكرنا - تتماشى دائمًا مع شعار الدولة صاحبة السيادة على مصر ومذهبها ، تأكيدًا للشرعية الدينية لهذه الدولة .

ثانيًا : رجال الدين اليهودى :

احتل رجال الدين لدى اليهود مكانة ومنزلة مهمة ، لما ارتبط بهم من إقامة الشعائر والطقوس الخاصة بشريعتهم ، كما مثلوا لدى جموع اليهود القادة الروحيين ، لإشرافهم على تفسير الكثير من نصوص التوراة والتلمود ، وقيامهم بالتعليم الدينى لأبناء اليهود ومراقبة الأوامر والنواهى الخاصة بقوانين الطعام والشراب وكتابة عقود الزواج[٥٧] .

(٥٧) عبد الوهاب المسيرى : اليهود واليهودية والصهيونية . جـ٥ ص٢٢٢ .

وينقسم التنظيم الدينى لدى اليهود إلى ثلاث طوائف هى : الربانيون(٥٨) والقراؤون(٥٩) والسامرة(٦٠)، كان على رئاستهم رأس الجالوت(٦١) قبل العصر الفاطمى ، ثم تغير اللفظ إلى الناجيد(٦٢) بعد انفصال يهود مصر عن التبعية الدينية والتنظيمية ليهود العراق .

أصبح الناجيد منذ العصر الفاطمى هو المسؤول الدينى الأول عن طوائف اليهود الثلاث فى مصر ، وكان يختار دائمًا ـ من كبار أحبار(٦٣) طائفة الربانيين ، وكان يليه فى الأهمية الأحبار أنفسهم ، والذين أسند إليهم الإشراف الدينى لكل طائفة من طوائف اليهود المنقسمة، ثم يلى الأحبار الحزانون(٦٤) وهم المنشدون والمقرئون للنصوص المقدسة، كما كانوا يقومون بالوعظ والخطابة فى أيام السبت(٦٥)، ثم يليهم الشليحصبور(٦٦) وهو

---

(٥٨) الربانيون : اشتق اسم الطائفة من كلمة : رابى وربانى المأخوذة من العبرية (ربانيم) ومعناها الإمام أو الحبر أو الفقيه . قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى . ص٣٣ .

(٥٩) القراؤون : اشتق اسم الطائفة من كلمة : قرأ والمقرا ، وهى التسمية التى كانت تطلق على التوراة المقروءة . قاسم عبده قاسم : المرجع نفسه . ص٣٥ .

(٦٠) السامرة : نسبة إلى السامرى الذى أخبر الله تعالى عنه فى سورة طه ، وقد نشأت هذه الطائفة أولاً بفلسطين وسكنوا مدينة السامرة القديمة ـ نابلس حاليًا . قاسم عبده قاسم : المرجع نفسه . ص٣٧ .

(٦١) رأس الجالوت : رئيس الطائفة اليهودية فى العالم الإسلامى ، وكلمة جالوت مصطلح عبرى من جالية ، أى الذين جلوا عن أوطانهم ببيت المقدس ، وكان مقره فى بغداد . هويدا عبد العظيم : اليهود فى مصر الإسلامية . ص٨٩ـ٩١ .

(٦٢) الناجيد : كلمة عبرية بمعنى الزعيم والأمير . هويدا عبد العظيم : المرجع نفسه . ص٩٩ .

(٦٣) أحبار : جمع حَبْر من الكلمة العبرية : (حباريم) أى العالم والفقيه فى أمور الدين . عبد الوهاب المسيرى : اليهود واليهودية والصهيونية . جـ٥ ص٢٢٤ .

(٦٤) الحزانون : جمع حزان وهو لفظ عبرى مشتق من (حُزه) بمعنى القراءة المجودة . قاسم عبده قاسم . اليهود فى مصر . ص٤٤ .

(٦٥) القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٥ ص٤٧٤ .

(٦٦) قاسم عبده قاسم : المرجع نفسه . ص٤٥ .

الإمام الذى يصلى باليهود فى المعابد ، ثم يأتى شماس المعبد المسؤول عن نظافته وتوفير الإضاءة الكافية[٦٧] به للمصلين وبعض الدارسين .

كانت ملابس رجال الدين اليهودى ترتبط فى المقام الأول بالطقوس والشعائر الدينية لديهم ، فكانت شريعتهم تحتم عليهم ارتداء أغطية الرأس عند الصلاة كدليل على الخضوع والاستكانة[٦٨] ، فكان التاج[*] من أهم أغطية الرأس لدى الأحبار والكهنة[٦٩] ، كما كانوا يرتدون نوعًا من القلانس عرفت باسم يرملكا[٧٠] ، أما أشهر أغطية الرأس التى كانت تلازمهم ، خاصة فى طقوسهم الدينية المتعلقة بالصلاة ، فكان الطاليت[٧١] وهو عبارة عن شال مستطيل الشكل تحلى أطرافه ببعض الأهداب أو الشراشيب الملونة[٧٢] ، وكان يصنع من الصوف أو الكتان أو الحرير ، وعادة ما كان الطاليت المصنوع من الحرير غنيًا بالتطريز ، إلا أن بعض الأحبار والكهنة كانوا يعارضون استعمال الحرير فى الطاليت كنوع من التقشف ، حيث فضلوا الطاليت المصنوع من صوف الحمل الخشن[٧٣] .

أما عن طريقة ارتداء الطاليت فكان يطرح أولاً على الرأس ثم ينسدل طرفاه على باقى الجسم بدءًا من الكتف الأيسر[٧٤] ، تعبيرًا عن أنهم ملتفون به فى أمان الله ، واحترامًا لتلاوة فقرات التوراة المقدسة بعكس العامة من اليهود الذين كانوا يرتدونه على أكتافهم فقط[٧٥] ، كما ارتبطت بالطاليت بعض المعتقدات الخاصة بالشريعة ، إذ كان لا يجوز

(٦٧) هويدا عبد العظيم : اليهود فى مصر الإسلامية . ص١٢٧ .

(68) Encyclopaedia Judaica . Vol. 8 , P. 3 .

(*) الملحق : شكل رقم (٤٣) .

(69) Encyclopaedia Judaica . Vol. 8 , P. 2 .

(٧٠) عبد الوهاب المسيرى : اليهود واليهودية والصهيونية . جـ٥ ، ص٢٢٦-٢٣٨ ، زكى شنودة : المجتمع اليهودى . ص٤٩٠ .

(٧١) الطاليت : اسم عبرى مؤنث ، يجمع (طاليتوت) ويعنى الشال . رشاد عبد الله الشامى : الرموز الدينية فى اليهودية . سلسلة الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، العدد ١١ عام ٢٠٠٠ ص٥٩ .

(٧٢) عبد الوهاب المسيرى : المرجع نفسه . جـ٥ ص٢٣٦ .

(٧٣) رشاد عبد الله الشامى : المرجع نفسه . ص٥٩ .

(٧٤) المرجع نفسه . ص٦١ ، عبد الوهاب المسيرى : المرجع نفسه . جـ٥ ص٢٣٧ .

(٧٥) رشا عبد الله الشامى : المرجع نفسه . ص٦١ .

ارتداؤه على الجسد مباشرة ، بل كان يلبس فوق الملابس الداخلية[٧٦] ، كذلك كانت الشريعة لا تجيز ارتداءه إذا ما فقد أو تلف أحد أهدابه ، إذ كان يصبح فى هذه الحالة غير صالح شرعيًا حتى تستبدل هذه الأهداب التالفة بغيرها[٧٧] ، كما كان للطاليت فى طهارته بعض الأحكام أهمها ألا تلمسه النساء ، لذلك كان يخصص له موضع معلوم داخل المنزل[٧٨] .

من ناحية أخرى كان يرتبط بارتداء الطاليت بعض العصائب والتمائم التى عرفت بالتيفلين[٧٩] ، وكانت عبارة عن صندوقين صغيرين من الجلد الأسود يحتويان على بعض الفقرات من التوراة ، وشهادة التوحيد عند اليهود[٨٠] ، وكان كلا الصندوقين يثبتان بسيور من الجلد لارتدائهما أثناء الصلاة ، فكان الصندوق الأول يوضع على اليد اليسرى ويلف حول الذراع ثم على الساعد سبع لفات ثم على راحة اليد ، أما الصندوق الثانى فكان يوضع بين العينين على الجبهة ملفوفًا كعصابة حول الرأس ، ثم يعود ويتم لف السير الأول ثلاث لفات على إصبع اليد اليسرى أيضًا[٨١] .

وتعتبر هذه التمائم من أقدس الأشياء الطقسية وأكثرها أهمية لدى اليهود ، إذ كانت تعبر عن إرادة الشخص وخضوعه لطاعة شرائع الرب[٨٢] ، كما كانت هذه التمائم ملازمة فى ارتدائها لارتداء الطاليت أثناء الصلوات اليومية ، ماعدا يوم السبت والأعياد الرئيسية

---

(٧٦) رشاد عبد الله الشامى : الرموز الدينية فى اليهودية . ص٦٤ .

(٧٧) المرجع نفسه . ص٦٤ .

(٧٨) المرجع نفسه . ص٦٣ .

(٧٩) التيفلين : صيغة جمع لكلمة مفردها (تفيلاه) بمعنى يربط ، وقد ذكر البعض أن الكلمة مشتقة من كلمة عبرية بمعنى يفصل أو يميز . عبد الوهاب المسيرى : المرجع نفسه . جـ٥ ص٢٣٨ .

(٨٠) رشاد عبد الله الشامى : الرموز الدينية فى اليهودية . ص٩٣ .

(٨١) عبد الوهاب المسيرى : اليهود واليهودية والصهيونية . جـ٥ ص٢٣٨ .

(٨٢) القمص روفائيل البرموسى : الحياة اليهودية بحسب التلمود . دير السيدة العذراء ـ برموس ـ ٢٠٠٣ ص١٢٢ .

ويوم الغفران ، إذ اعتبر اليهود هذه الأيام في حد ذاتها وحسب اعتقادهم ، يكون الرب فيها مع اليهود[٨٣] .

وكما كان للطاليت بعض الأحكام الخاصة بارتدائه ، كان للتيفلين كذلك بعض الأحكام ، فكان إذا حدث ووقع التيفلين على الأرض ، كان ينبغي على الشخص أن يصوم يومًا كاملاً[٨٤]، ومن الجدير بالذكر أن بعض رجال الدين المغالين في تدينهم ، كانوا يرتدون الطاليت والتيفلين قبل الذهاب إلى المعبد ، ويسيرون بها في الطريق[٨٥] .

أما عن الملابس الخارجية التي ارتداها رجال الدين اليهود ، فتشير أغلب الدراسات الخاصة باليهود إلى تأثرهم بملابس الشعوب المحيطة بهم أو الذين عاشوا في وسطهم[٨٦]، فكان الحاخامات يرتدون الجبة والمدرعة والقفطان والقمصان ، مع الالتزام بوضع الزنار أو المنطقة حول أوساطهم[٨٧]، على أن هذه الثياب وإن تشابهت مع الثياب السائدة في المجتمع المصري آنذاك ، إلا أنها كانت تميزها أيضًا بعض السمات الخاصة باليهود ، إذ كانوا يحرصون دائمًا على ارتداء القمصان التي تزينها الأهداب أو الشراشيب[٨٨] لتذكرهم دائمًا بوصايا الرب والعمل بها[٨٩] .

كما كانت الجبة لدى رؤساء الكهنة تمتاز بوجود فتحة في وسطها دون أن تشق ، كما كانت بدون أكمام جانبية ، إذ كانت ترتدى من الرقبة إلى الركبتين[٩٠]، وكان يعلق في أطرافها - أيضًا - بعض الخيوط المجدولة بالألوان الذهبية كالرومانات والمسماة

---

(٨٣) رشاد عبد الله الشامي : الرموز الدينية في اليهودية . ص٩٣ .

(٨٤) عبد الوهاب المسيري : اليهود واليهودية والصهيونية . جـ٥ ص٢٣٨ .

(٨٥) المرجع نفسه . جـ٥ ص٢٣٧ .

(٨٦) رشاد عبد الله الشامي : المرجع نفسه . ص٥٩ ، زكي شنودة : المجتمع اليهودي . ص٤٨٨ .

(٨٧) عبد الوهاب المسيري : اليهود واليهودية والصهيونية . جـ٥ ص٢٢٢ ، مرقوريوس الأنبا بيشوي : الكهنوت في العهد القديم . القاهرة ١٩٩٧ ص٤٤ .

(٨٨) رشاد عبد الله الشامي : الرموز الدينية في اليهودية . ص٦٤ .

(٨٩) مرقوريوس الأنبا بيشوي : المرجع نفسه . ص٣١ .

(٩٠) المرجع نفسه . ص٣٣ .

بالصيصيت(٩١)(*)، كما تميز الرداء الخارجى لرئيس الكهنة والمسمى بالأفود(٩٢) بأنه كان ينقسم إلى قطعتين أمامية وخلفية موصولتين عند الكتفين بخيوط من الذهب ، وكان على كل من الكتفين يوضع حجرا الجزع(٩٣)(**) المنقوش عليهما أسماء أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر مرتبين حسب مواليدهم ، كل ستة على حجر ، وكان هذا الأفود يصنع من الكتان الممزوج بالخيوط الذهبية ذى الألوان الأرجوانية والقرمزية (٩٤).

وكانت توضع فوق الرداء الخارجى الصدرة أو صدرة القضاء ، وهى من أثمن الملابس لدى رجال الدين واقيمها ، إذ كانت ترصع بأربعة صفوف من الأحجار الكريمة ، وتنقش عليها أسماء أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر(٩٥)(***) وكانت الصدرة تصنع من نسيج الرداء الخارجى نفسه ، إلا أنها كانت ضعف سمك الرداء ، لكى تتحمل السلاسل المجدولة التى تربط بحلقتين على صدر الرداء ، كما كانت هذه الصدرة لا تنزع أبدًا عن الرداء لتؤكد الترابط بين أسماء المختارين ورئيس الكهنة(٩٦).

أما عن أكثر الألوان ارتباطًا برجال الدين اليهودى ، فكان الأزرق ثم الأبيض خاصة فى الأعياد ، فيذكر عبد الوهاب المسيرى : كان الكاهن الأعظم يرتدى رداءً أبيض علامة الفرح، وليس رداءه الذهبى المعتاد(٩٧).

---

(٩١) الصيصيت : كلمة عبرية بمعنى الأهداب أو الجدائل ، وهى عبارة عن لُحمة من الخيوط تتكون من أربعة خيوط متداخلة من خلال ثقب الثوب تتدلى من جانبيه ، نصف من الداخل ونصف من الخارج لتكون بذلك ثمانية خيوط . رشاد عبد الله الشامى : المرجع نفسه . ص٦٩ ، مرقوريوس الأنبابيشوى : المرجع نفسه . ص٣٣ ، زكى شنودة : المجتمع اليهودى . ص٤٨٨ .

(*) الملحق : شكل رقم (٤٣) .

(٩٢) الأفود : كلمة عبرية معناها يلبس أو يرتدى . مرقوريوس الأنبا بيشوى : المرجع نفسه . ص٣٤ .

(٩٣) حجرا الجزع : نوع من الحجارة الثمينة التى تشع بضياء مثل لهيب النار . مرقوريوس الأنبا بيشوى : المرجع نفسه . ص٣٥ .

(**) الملحق : شكل رقم (٤٣) .

(٩٤) مرقوريوس الأنبا بيشوى : الكهنوت فى العهد القديم . ص٣٧ .

(٩٥) مرقوريوس الأنبا بيشوى : المرجع نفسه . ص٣٩ .

(***) الملحق : شكل رقم (٤٣) .

(٩٦) مرقوريوس الأنبا بيشوى : المرجع نفسه . ص٤٠ .

(٩٧) اليهود واليهودية والصهيونية . جـ٥ ص٢٦٥ .

أما عن ملابس القدم فكان أشهرها وأكثرها انتشارًا النعال ، لما ارتبط بها من نصوص فى التوراة تعلقت بسيدنا موسى ، وكانت ألوان النعال متعددة ، لذلك استخدم رجال الدين أغلبها عدا اللون الأسود ، لاعتباره علامة من علامات الحداد ، كما كان رجال الدين يحرصون على خلع نعالهم أثناء الصلاة باستثناء السامريين(٩٨) .

مما سبق نستنتج مدى الارتباط العقائدى لدى اليهود ، وانعكاسه الواضح لدى رجالهم الدينيين فى ملابسهم ، بل الحرص على تأكيد ذلك باعتبارهم صفوة المجتمع الدينى وقادته الروحيين .

ومن الجدير بالذكر أن أغلب الدراسات الخاصة باليهود وطوائفهم المذهبية ، لا تركز إلا على كبار رجال دينهم ، دون الإشارة إلى بقية الوظائف الدينية الأخرى أو رجالها ، الأمر الذى اضطرنا إلى عدم ذكر ملابسهم بشكل مفصل لندرة المعلومات عنهم .

ثالثًا : رجال الدين المسيحى :

ارتبطت ملابس رجال الدين المسيحى - هى الأخرى - بالوظائف الدينية لديهم والطقوس الكنسية الخاصة بهم ، ومن الجدير بالذكر أن أغلب ملابسهم كانت انعكاسًا وترجمة لما جاءت به نصوص التوراة والإنجيل ، كما كان بعضها يختلف باختلاف الوظيفة والمنزلة الدينية لبعضهم .

يعد البطرك أو البطريرك أعلى المناصب الدينية منزلة ومكانة بين رجالهم ، فهو رئيس الكنيسة والشعب وصاحب المذهب والقائم بأمور الدين ، لذلك كان يشترك فى اختياره وتعيينه عدد كبير من رجال الدين كالأساقفة والكهنة والرهبان والشعب أيضًا ، وكان يشترط فى اختياره أن يكون بتولاً غير متزوج ، وأن يكون من بين الرهبان ، كما كان ينبغى ألا يتجاوز الخمسين عامًا ليستطيع القيام بمهامه العديدة(٩٩) ، وكان يلى البطريرك كبار الأساقفة وهم المسؤولون عن أمور كنائسهم التابعة لهم ، ثم القسس والكهنة والشمامسة والرهبان .

---

(٩٨) عبد الوهاب المسيرى : اليهود واليهودية والصهيونية . جـ٥ ص٢٢٧ ، هويدا عبد العظيم : اليهود فى مصر الإسلامية . ص٢٥٨ .

(٩٩) ابن المقفع : سير الآباء البطاركة . جـ٢ ص٨٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٥ ص٤٧٣ .

كانت أغطية الرؤوس عند رجال الدين النصارى متعددة بتعدد الوظائف والمناصب الدينية ، فكان التاج من أخص أغطية البطريرك ، إذ كان يصنع من الحرير المقصب المخيش ويحلى بالذهب والأحجار الكريمة ، كما كانت تنقش عليه صورة المسيح مصلوبًا ومن فوقه صليب صغير(١٠٠) ويعتبر التاج من الملابس الرسمية للبطريرك ، فلم يكن ضمن الملابس الكهنوتية الخاصة بالعبادة ، لذلك كان يرتدى فى الحفلات الرسمية والأعياد ، كما كان يتم خلعه أثناء قراءة الإنجيل وأثناء خدمة القداس(١٠١)، كذلك كان البطريرك يرتدى عمامة خاصة من كتان أبيض يزين مقدمها صفيحة من الذهب مكتوب عليها «قدس للرب»(١٠٢) .

أما رئيس الأساقفة والأساقفة فكان بعضهم يرتدى أيضًا التاج ولكن فى غير وجود البطريرك ، كما كانوا لا يرتدونه فى كنيسة أخرى خلاف كنيستهم ، لأنهم لم يتوجوا إلا فى كنيستهم الموكلين بالإشراف عليها وخدمتها(١٠٣) .

كما كان البلين(١٠٤) ضمن أغطية الرأس المنتشرة لدى أغلب رجالهم ، إذ كان يرتديه البطريرك ورئيس الأساقفة والأساقفة والقسس ، فجاء فى الإشارة إلى القوانين التى وضعها البطريرك بنيامين لدير أبى مقار : « ألا يصعد قس إلى هيكل هذا الدير إلا بعد أن يرتدى بلينه ، ولا يتقرب فيه قس ولا شماس إلا بعد ارتدائه بلين»(١٠٥)، ونستنتج من النص السابق أن البلين كان ضمن الملابس الكهنوتية التى أمر بارتدائها أثناء الصلوات ، كما كان من أكثر الأغطية انتشاراً بين رجالهم ، وكما كان البلين من أغطية الرأس المنتشرة ،

---

(١٠٠) مينا جاد جرجى : الطقوس بين العبادة الشكلية والجوهر . مكتبة المحبة بالقاهرة ٢٠٠٣ ص٧٣ .

(١٠١) منقريوس عوض الله : منارة الأقداس فى شرح طقوس الكنيسة القبطية والقداس . القاهرة ١٩٧٢ ص٣٧ .

(١٠٢) المرجع نفسه . ص٢٤ .

(١٠٣) مينا جاد جرجس : الطقوس بين العبادة الشكلية والجوهر . ص٧٤ .

(١٠٤) البلين : قطعة من ملابس الكهنوت يغطى به الأسقف رأسه ويأخذ كل طرف ويلفه تحت الإبط ، ثم يوضع على الكتف المخالف ثم ينزل الطرفان ويوضعان تحت المنطقة ، وبذلك يكون البلين بهيئة صليب على الصدر وعلى الظهر . منقريوس عوض الله : منارة الأقداس . ص٣٥ .

(١٠٥) ابن المقفع : سير الآباء البطاركة . جـ١ ص١١٨ .

كانت الشملة[١٠٦] كذلك ، إذ كان يرتديها الأسقف والقسيس والراهب ، وهى لا تختلف عن البلين فى شىء سوى أنها كانت ترتدى فوق العمامة ويتدلى طرفاها على الأكتاف ، كما كانت تطرز أحيانا بخيوط من الذهب[١٠٧]، كذلك كان البرنس[١٠٨] ضمن ملابس رجال الدين التى تغطى رؤوسهم وأكتافهم أيضًا ، كما كان يعتبر ضمن الملابس الكهنوتية الرسمية فى الكنيسة ، إذ كان قديمًا لباس الرسل والآباء ، ثم شاع استعماله بعد ذلك لدى الرهبان خاصة فى الأعياد والقداسات الاحتفالية، والصلوات اليومية[١٠٩] .

أما بخصوص الملابس الخارجية فكان أهمها التونية[١١٠](*)، وهى الرداء أو القميص الرسولى الذى اشترك فى أرتدائه جميع رجال الدين على اختلاف مراتبهم[١١١]، وكان طويلاً بحيث يغطى الجسم كله ، مع وجود فتحة على الكتف الأيسر تقفل بعروة وزرار[١١٢]، وكثيرًا كانت تزخرف التونية بأشكال مختلفة من الصلبان وصورة السيدة العذراء والقديس مارجرجس أو الملائكة بأجنحتها[١١٣]، كما كانت تمتاز التونية الخاصة

(١٠٦) الشملة : عبارة عن قطعة عريضة من القماش يتدلى طرف منها على الظهر والطرف الآخر يتلفح به من الأمام ، وعليها صليبان يقع أحدهما فوق الرأس والآخر على الظهر . منقريوس عوض الله : منارة الأقداس. ص٣٦ .

(١٠٧) منقريوس عوض الله : المرجع نفسه . ص٣٦ .

(١٠٨) البرنس : رداء مدور واسع مفتوح من الأمام وبلا أكمام ، والجزء العلوى منه على هيئة قصلة مزينة بخيوط الذهب . مينا جرجس : الطقوس بين العبادة الشكلية والجوهر . ص٧٣ .

(١٠٩) منقريوس عوض الله : منارة الأقداس . ص٣٤ .

(١١٠) التونية : كلمة معربة أصلها فى اليونانية Khiton ومعناها الرداء ، وأصبحت فى الإنجليزية Tu-nic بمعنى القميص ، وهى عبارة عن رداء طويل كالجلباب يصل إلى الأقدام ، يصنع من الكتان أو الحرير . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٩٨ ، فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية . جـ١ ص٤٣٢ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٦٨) محفوظة بمتحف الفن القبطى رقم سجل (٢٢٦٢).

(١١١) حشمت مسيحة : مدخل إلى الآثار القبطية . القاهرة ١٩٩٤ ص١٦٠ ، ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص١٢ .

(١١٢) منقريوس عوض الله : منارة الأقداس . ص٢٦ .

(١١٣) المرجع نفسه . ص٢٧ .

بالبطريرك والأساقفة بوجود بعض الجلاجل المعلقة بأطرافها[١١٤] مع تطريزها بخيوط من الفضة أو الذهب والحرير[١١٥]، أما عن الألوان السائدة للتونية فكان اللون الأبيض الذى كان يرمز لديهم للوداعة وطهارة النفس[١١٦]، وكان يلى التونية البطرشيل[١١٧][*] وهو عبارة عن شريط من الحرير يقسمه إلى نصفين فتحة الرأس عند الرقبة لإدخال الرأس ، ويتدلى إلى منتصف التونية من الأمام على الصدر ومن الخلف على الظهر وكان البطرشيل دائمًا ما يحتوى على زخارف بخيوط من الفضة أو الحرير الملون تضم صور الاثنى عشر رسولاً فى [١١٨] صفين عمودين[١١٩]، كما كان يوجد نوع منه متصل بكمين كتب على الأيمن منها « يمين الرب رفعتنى يمين الرب قوتنى »، وعلى الأيسر « يداك صنعتانى وجبلتانى فافهمنى »[١٢٠][**].

وكانت ألوان البطرشيل الأحمر والقرمزى والأزرق ، أما خامات الأقمشة المصنوع منها فكان الحرير والقطيفة[١٢١]. كما كان الكُمان من الملابس الكهنوتية الرسمية سواء للبطريرك أو الأسقف أو القسيس ، وكانت فى الغالب لا تلبس إلا فى المناسبات الكبرى فوق أكمام التونية[١٢٢]، وكان الكمان يصنعان من القطيفة القرمزية ويطرزان برسوم

---

(١١٤) منقريوس عوض الله : منارة الأقداس . ص٢٧ .

(١١٥) حشمت مسيحة : مدخل إلى الآثار القبطية . ص١٦٠ .

(١١٦) منقريوس عوض الله : المرجع نفسه . ص٢٤ ، مينا جرجس : الطقوس بين العبادة الشكلية والجوهر . ص٧٠ .

(١١٧) البطرشيل : كلمة يونانية أصلها Epitrachelion وهى مركبة من Epi أى فوق ، و Trachelion أى عنق ، والمعنى الكلى : فوق العنق . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٦٨ ، فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية . جـ١ ص٥٢٦ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٦٩) محفوظة بمتحف الفن القبطى رقم سجل (٢٢٤٦) .

(١١٨) حشمت مسيحة : المرجع نفسه . ص١٦١ .

(١١٩) المرجع نفسه . ص١٦١ ، مينا جرجس : المرجع نفسه . ص٧١ .

(١٢٠) منقريوس عوض الله : منارة الأقداس . ص٢٨ .

(**) الملحق : لوحة رقم (٧٠) محفوظة بمتحف الفن القبطى رقم السجل (٢١٨١) .

(١٢١) حشمت مسيحة : المرجع نفسه . ص١٦١ ، منقريوس عوض الله : المرجع نفسه . ص٢٧ .

(١٢٢) مينا جرجس : الطقوس بين العبادة الشكلية والجوهر . ص٧٢ ، فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية . جـ١ ص٤٣٣ .

للسيدة العذراء مع بعض الصلبان[١٢٣] ، ويرتبط الكمان لديهم ببعض الرموز الكنسية ، إذ كانا يمثلان العزيمة القوية التى يجب أن يتحلى بها الكاهن أثناء قيامه بالقداس[١٢٤] .

كما ارتبط بالطقوس لديهم ارتداء الحزام أو المنطقة فوق الملابس ، وهى عبارة عن حزام عريض من الكتان أو الحرير كان يرتديه الكهنة فوق القميص[١٢٥]، وكان يشير أيضًا إلى اليقظة والاستعداد للعمل بعزم[١٢٦] .

على الجانب الآخر ارتدى بعض رجالهم الجبة بأنواعها وأشكالها إذ كان هناك نوع منها عرف بالأفود تميز بالقصر[١٢٧]، كما عرفت الفرجية المصنوعة من الجوخ لديهم ، وكانت باللون الأسود[١٢٨] ، ويشير المقريزى إلى وجود بعض الملابس التى ميزت البطاركة فى العصر الفاطمى أوجدها البطريرك الأنبا كيرلس (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) فيذكر : « عمل بدلة للبطاركة من ديباج أزرق وبلارية من ديباج أحمر بتصاوير ذهب »[١٢٩]، وعلى الرغم من إغفال المقريزى لتفسير أو شرح كلمة بلارية ، إلا إننا نرجح أنها كانت - أيضًا - نوعًا من الجباب الخاصة بهم ، لتشابهها مع اسم الفرجية .

من ناحية أخرى تميزت ملابس الرهبان منهم ، فجاءت أغلبها بسيطة ومتواضعة لتناسب حياتهم الانعزالية ، فكانت عبارة عن ثوب قصير من الكتان بأكمام قصيرة لا تصل إلا إلى أسفل المرفقين[١٣٠]، أما الرداء الخارجى فكان يسمى الإسكيم[١٣١]، وهو عبارة عن رداء قصير - أيضًا - من الكتان تمر فوقه خيوط صوفية مجدولة تنزل من أعلى العنق وتتدلى على جانبى الرقبة ، وتصل إلى الكتفين لتحيط بأسفل الإبطين بحيث يعقد طرفاها

(١٢٣) منقريوس عوض الله : منارة الأقداس . ص٣٠ .
(١٢٤) المرجع نفسه . ص٢٩ ، مينا جرجس : المرجع نفسه . ص٧٢ .
(١٢٥) مرقريوس الأنبا بيشوى : الكهنوت فى العهد القديم . ص٣٢ .
(١٢٦) منقريوس عوض الله : المرجع نفسه . ص٣٢ .
(١٢٧) المرجع نفسه . ص٢٣ .
(١٢٨) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٣٥١ .
(١٢٩) الخطط . جـ٤ ص٤٠٠ .
(١٣٠) فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية . جـ١ ص٤٣٣ .
(١٣١) الإسكيم : كلمة يونانية تعنى ثوب الراهب . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٣٤ .

وتترك الأيادى طليقة[١٣٢]، وكان يتصل بالإسكيم قلنسوة أو غطاء للرأس من الوبر رسمت عليها بعض الصلبان[١٣٣]، ويذكر منقريوس عوض الله : أن الإسكيم كان أحيانا ما يكون من الجلد وبه بعض الصلبان المضفرة[١٣٤]. كما كان الرهبان يتحلون فوق ملابسهم السابقة بحزام أو منطقة من الجلد[١٣٥].

وتعتبر المسوح[١٣٦] من أشهر الملابس التى ارتبطت بالرهبان وميزتهم ، وهو رداء صغير وقصير بلا أكمام لا يصل إلى الركبتين ينسج من الشعر أو الوبر ، اعتادوا ارتداءه تقشفًا وقهرًا للجسد[١٣٧].

أما عن ملابس القدم فاشتهر لديهم نوع من النعال الخفيفة عرفت باسم التليج[١٣٨]، كانت تصنع من الصوف ليسهل خلعها أثناء الصلوات[١٣٩].

نخلص مما سبق إلى أن ملابس رجال الدين المسيحى كانت مرتبطة هى الأخرى بالطقوس والمعتقدات الدينية لديهم ، كما كان بعضها مرتبطًا بالترتيب الوظيفى داخل الكنيسة والمهام الموكولة لكل منهم .

من ناحية أخرى حرص جميعهم على زخرفة ثيابهم بالرموز النصرانية لتأكيد انتمائهم وولائهم الدينى وتميزهم كقادة روحيين بين رعاياهم ، وهى سمة لازمت أهل الذمة جميعًا باختلاف عقائدهم ومذاهبهم وطوائفهم .

---

(١٣٢) فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية . جـ١ ص٤٣٤ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٣٤ .
(١٣٣) رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص٣٤ .
(١٣٤) منارة الأقداس . ص٤٣ .
(١٣٥) فاطمة مصطفى عامر : المرجع نفسه . جـ١ ص٤٣٤ .
(١٣٦) المسوح : جمع مسح بكسر الميم وسكون النون ، ثوب من الشعر الغليظ . رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص٤٧٠ .
(١٣٧) أبو الفضل الميدانى : السامى فى الأسامى . ص١٤٢ ، أحمد عبد الباقى : معالم الحضارة العربية . ص٨٨ .
(١٣٨) التليج : كلمة تركية معربة بمعنى النعل الخفيف . رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص٩٤ .
(١٣٩) منقريوس عوض الله : منارة الأقداس . ص٤١ .

الفصل الثالث

ملابس النساء

تعددت ملابس النساء وتنوعت فى المجتمع المصرى طيلة العصور الإسلامية ، ويرجع ذلك إلى تعدد وتنوع العناصر والفئات المكونة لهن داخل المجتمع ، فضلاً عن اهتمامهن الزائد بملابسهن عن الرجال ، والتفنن فى التزين وإظهار جمالهن بصورة كبيرة .

وسيقتصر حديثنا فى هذا الفصل على ملابس من ينتمين منهن إلى الحرائر والطبقة العليا بصفة خاصة ، أما من ينتمين إلى العامة والجوارى والعبيد فسنتناولهم فى الفصل الخاص بملابس العامة ، كذلك سنتحدث عن الذميات منهن فى الفصل الخاص بملابس أهل الذمة .

لا شك أن دخول الإسلام إلى مصر وانتشاره ، وما حمله من أحكام تتعلق بالنساء ، كان له أكبر الأثر فى تطور ملابسهن بما يتماشى مع تعاليمه وقيمه المحافظة - دائمًا - على مكانة المرأة وحشمتها ووقارها .

وتعتبر أغطية الرأس والوجه من أكثر أجزاء الملابس التى احتلت لديهن مكانة وأهمية بالمقارنة بغيرها من أجزاء الملابس الأخرى ، ولما حث عليه الإسلام من تغطية الرأس والوجه ، لذلك عرفت عدة أنواع مختلفة من هذه الأغطية ، وتفننت النساء فى زخرفتها وتزيينها لتكون عنصرًا مكملاً من عناصر التميز وإبراز الجمال خاصة فى العصر الفاطمى ، الذى بلغت فيه ملابس النساء قمة الأناقة .

تعد العصائب[1](*) من أكثر أغطية الرأس التى انتشرت بين جميع النساء على اختلاف منازلهن ، وإن اختلفت فى مادتها وطريقة صنعها ، وهى عبارة عن شريط من

---

(١) العصائب : جمع عصابة ، وهى كل ما يلف به الرأس ويدار عليه قليلاً ، فإن زاد فعمامة . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٣٢٦ .

(*) الملحق : شكل رقم (١١) .

قماش الحرير أو الشاش الموصلى على شكل مثلث يلف حول الرأس ويكون طرفه للوراء منتهيًا بعقدة وحيدة من الخرز أو اللؤلؤ[٢]. وكانت أغلب عصائب النساء من الطبقة العليا تتميز بأنها مطرزة بخيوط الذهب ، ومكللة بالجواهر والأحجار الكريمة ، تمشيًا مع مكانتهن الاجتماعية ومستواهن المادى ، ولتميزهن عن الطبقات الأخرى من النساء ، ويذكر البعض أن أول من ابتكرت هذه العصائب هى السيدة عُلية بنت المهدى عمة الخليفة المأمون؛ إذ كانت من أجمل النساء وأظرفهن وكان فى جبينها سعة تشين وجهها ، فاتخذت هذه العصائب المكللة بالجواهر والأحجار لتستر جبينها بها ، لذلك سميت هذه العصائب بشد الجبين[٣] .

كان لانتشار العصائب وولع أغلب النساء بارتدائها أن ارتفعت أسعارها ، فكان سعر المتوسط منها الخالى من التطريز والزخرفة ما بين أربعة إلى خمسة دنانير ، فى حين بلغت بعض عصائب نساء الطبقة العليا من زوجات الخلفاء والوزراء الخمسين دينارًا[٤] .

كما انتشرت فى أغطية الرأس لدى بعض النساء ما كان يسمى بالتاج[٥][*]، وهو عبارة عن طاقية عالية كانت تكلل - أيضًا - بالدر وترصع بالجواهر ، وكان أشهرها لديهن ما عرف بالأخروق ، والذى تميز بصغر حجمه وصنعه من الذهب ، وهذا النوع من التيجان كانت نساء الطبقة الحاكمة من زوجات الخلفاء والوزراء يحرصن على ارتدائه ، كما كانت هناك بعض العرائس من ذوى الثراء يضعنه فوق رؤوسهن فى يوم الزفاف[٦] .

(٢) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٤٨ ، غيثان بن على : بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية . ص٢٠٦ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٢ . ص١٩١ ، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٣٥ ، . Muhammed Manazir : Social life under the Abbasids, P. 67

(٤) اختلفت أوزان الدينار وقيمته من عصر إلى عصر ، على أن الثابت أن الوزن الشرعى للدينار كان ٤٫٢٥ جم ، وبحساب سعر الجرام من الذهب فى هذه الأيام والذى بلغ ٧٠ جنيها يصبح ثمن هذه العصائب ٤٫٢٥×٧٠ = ٢٩٧٫٥٠×٥٠ = ١٤٨٧٥ ألف جنيه . ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية . دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧ ص٣٥٤ ، نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٠ .

(٥) التاج : كلمة معربة ، وهى فى الفارسية القديمة : (تگ) واتخذ منه فى العربية جمع تكسير : أتواج وتيجان والفعل : توج وتتوج . رجب عبد الجواد : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٨٧ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٣٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة سجل رقم (١٣٤٧٨).

(٦) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥١ .

وكما ارتدى الرجال العمائم استخدمت النساء - أيضًا - عمائم خاصة بهن بأشكال وخامات متنوعة تتفق مع منازلهن ومستوياتهن المادية ، على أن أهم ما كان يميز عمائم النساء أنها كانت أقل حجمًا من عمائم الرجال ، كما كانت النساء يحرصن على أن يتدلى من خلف عمائمهن جزء طويل يصل إلى الظهر كشكل جمالى ، كذلك حرصت النساء من الطبقة العليا والثريات منهن أن ترصع هذه العمائم بالجواهر والدر والأحجار الكريمة ، خاصة فى العصر الفاطمى(*)، إذ وجد فى خزائن السيدة رشيدة بنت المعز لدين الله عند وفاتها أعداد كبيرة من هذه العمائم ، كما وردت أشكال لبعض هذه العمائم على الأطباق الخزفية الخاصة بالعصر الفاطمى(٧)، من ناحية أخرى احتوت بعض قوائم الجهاز الخاصة بعرائس الفسطاط على عدد من هذه العمائم ، كانت بلا شك تختص ببعض الثريات منهن(٨) .

ارتبط بارتداء النساء للعمائم جزء آخر كان يسمى بالعرضة ، وهى أشبه بشال أو قطعة من النسيج كانت تلف حول العمامة ، تميزت - دائمًا - بنعومة نسيجها ورقته ، إذ كانت تصنع من النسيج الدبيقى الشهير ، وكان سعرها يصل فى بعض الأحيان إلى خمسة دنانير(٩) .

استخدمت بعض النساء أيضًا ما عرف بالوقاية وهى رباط أشبه ما يكون بالطاقية كان يربط بها الشعر ، وكانت تصنع من القطن الخالص ليجفف بها عرق الرأس(١٠) .

كان البرنس(**) ضمن أغطية الرأس المنتشرة بين نساء الطبقة العليا ، وكانت برانسهن ترصع - أيضًا - بالجواهر وتحلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة ، وتنسب هذه البرانس - أيضًا - إلى السيدة عُلية بنت المهدى ، إذ كانت أكثر النساء تفننًا فى زخرفة أغطية الرأس وابتكار الجديد منها(١١) .

(*) الملحق : شكل رقم (٣٢) .
(٧) محمود إبراهيم حسين : المرأة فى إنتاج المصور المسلم . ص٢٨ .
(٨) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٤٩ - ١٥٠ .
(٩) المرجع نفسه . ص١٤٩ .
(١٠) ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٨١ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٥٣٣ .
(*) الملحق : شكل رقم (١٢) .
(١١) الأصفهانى : الأغانى . جـ١٠ ص١٦٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٢ ص١٩١ ، ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٨١ ، على حسنى الخربوطلى : العرب والحضارة . ص٢٥٢ .

كانت الطرحة(*) من أغطية الرأس الشائعة لدى النساء ، فكانت بعض النساء يضعن الطرحة فوق العمامة لتلتف حول الرقبة وترسل على الكتفين ، كما امتازت بعض الطرح بطولها المفرط إذ كانت تصل فى بعض الأحيان إلى القدمين(١٢)، وتصنع الطرحة من الشاش الموصلى الأبيض أو الحرير الأسود(١٣)، كما كانت بعض النساء يتفنن فى زخرفة هذه الطرح بأشرطة مذهبة أو ببعض الحبات من اللؤلؤ خاصة فى العصر الفاطمي(١٤).

أما الخمار(**) فكان من الأغطية التى انتشرت فى ملابس النساء مع دخول الإسلام ، إذ حث الإسلام المرأة على ارتدائه فى بعض آيات القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ** ﴾(١٥)، ومن الجدير بالذكر أن الخمار كان مقصورًا - أولاً - على الحرائر من النساء حتى أواخر العصر الأموى ، ثم مع بداية العصر العباسى ، بدأت بعض الجوارى والإماء فى ارتدائه تشبهًا بالحرائر(١٦)، والخمار عبارة عن قطعة كبيرة من القماش من الكتان أو الحرير تغطى بها المرأة رأسها وعنقها وصدرها(١٧)، كما كان الحجاب - أيضًا - من أغطية الرأس والوجه معًا ، والحجاب فى اللغة هو كل ما حال بين شيئين وجمعه حُجُب(١٨)، وفرض الحجاب أولاً على زوجات الرسول ﷺ ،

(*) الملحق : شكل رقم (٤٩) .

(12) Thomas Patrick Hughes : Dictionary of Islam, P. 95 .

(١٣) شاع استخدام اللون الأسود فى طرح النساء خاصة فى حالات الوفاة والحزن ، أو لدى بعض كبار السن ، وهى ظاهرة ما زالت باقية حتى الآن .

(١٤) ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص٤٦ .

(**) الملحق : شكل رقم (١٠) .

(١٥) سورة النور : الآية ٣١ .

(١٦) غيثان بن على : بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية . ص٢٠٦ .

(١٧) ابن منظور : لسان العرب . جـ٦ ص٤٤٤ ، إبراهيم السامرائى : من معجم اللباس . ص١٥ ، محمد عبد الحكيم القاضى : اللباس والزينة من السنة المطهرة . ص٥٩ .

(١٨) الزبيدى : تاج العروس . جـ٢ ص٢٤١ .

ثم توسع فيه بعد ذلك فشمل جميع المسلمات ، كما عرف عند العرب بعدة أسماء منها اللثام والقناع والبرقع ، وهى بعض الأنواع التى اشتقت منه[١٩] .

تذكر نريمان عبد الكريم : أن المرأة الفاطمية استعملت الحجاب بشكل كبير خاصة نساء القصر ، فكانت ست الملك أخت الخليفة الحاكم بأمر الله تضع الحجاب عند الخروج من القصر[٢٠] ، وعلى الرغم من استخدام الحجاب لدى النساء من الطبقات العليا ، إلا أنه لم يكن شائعًا بين بعض المصريات خاصة فى العصر الفاطمى ، يؤكد ذلك ما أصدره الخليفة الحاكم بأمر الله عام ٣٩٥هـ بألا تكشف امرأة وجهها فى طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج[٢١] ، وهو ما يبين تخلى البعض منهن عن التحجب والخروج إلى الطريق سافرات ، أما عن أسعار الحجاب فكانت منخفضة بالمقارنة بغيرها من أغطية الرأس والوجه إذ لم تتعد الدينار أو نصف الدينار[٢٢] .

عرفت بعض النساء أنواعًا أخرى من الأغطية كالحجاب عرفت بالقناع والمقنعة[*] ، وهى عبارة عن قطعة من القماش الرقيق من الشاش الموصلى ، كان يوضع جزء منها فوق الرأس وتحت الإزار ، ويتدلى الجزء الآخر من الأمام حتى الوسط ، وكان القناع يغطى الوجه بتمامه ، لذلك روعى أن تكون خامته رقيقة وشفافة حتى لا يحول بين رؤيتهن لمواقع أقدامهن[٢٣] .

القناع من الأغطية التى كانت منتشرة عند العرب قديمًا ، وكان يعد من لوازم المرأة الجميلة ، إذ ورد فى ديوان يزيد بن مفرغ الحميرى بيت من الشعر تهكم فيه على من كانت ترتديه من العجائز قائلاً :

---

(١٩) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٢٦ .
(٢٠) النويرى : نهاية الأرب . جـ٢٦ ص٥٣ . المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٧ .
(٢١) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص٥٣ .
(٢٢) نريمان عبد الكريم : المرجع نفسه . ص١٥٧ .
(*) الملحق : شكل رقم (٣٦) .
(٢٣) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٤٠٨ .

هلا عجوزًا إذ تمد بثديها
وتصيح أن لا تنزعن قناعى[٢٤]

كذلك يذكر صلاح العبيدى : أن القناع كان يقابل اللثام عندَ الرجال ، إذ أن التشابه بينهما واضح فكلاهما يغطى الوجه تمامًا[٢٥]، لذلك كثر استخدام القناع لدى النساء فى مناسبات الزواج والأعراس لإخفاء الوجه عن عيون الناظرين .

من أغطية الرأس الأخرى المعْجَر ، وهو عبارة عن غطاء يمتد من الرأس حتى يصل إلى القـــدم[٢٦]، ولم يقتصر ارتَداؤه على السيدات فقط بل كانت ترتديه بعض الفتيات الصغيرات ، إذ كن يلففنه على استدارة الرأس ثم يتجلببن فوقه بجلابيبهن ، وقيل إن المعجر من ثياب اليمن[٢٧] .

عرفت بعض الأنواع من المعاجر فى العصر الفاطمى ، كان يطلق عليها معجَر مذهب موشح مجاوم مطرف[٢٨]، أى معجَر مطرز بالذهب والرسومات وله طرفَ ، وكان هذا النوع من المعاجر يختص بزوجاتَ الخليفة وبعض نساء الطبقة العليا[٢٩]، وكانت أسعار المعاجر تختلف باختلاف الخامات المصنوعة منها ومنزلة ومكانة من ترتديه ، إذ وصلت أسعار بعض المعاجر الخاصة بزوجات الخليفة إلى خمسين دينارًا ، بينما كانت معاجر الطبقة المتوسطة تتراوح بين دينارين وثلاثة دنانير[٣٠] .

كان النقاب من الأغطية المنتشرة بين المسلمات ، وهو نوع من البراقع كان يوضع على الوجه دون المعجر ، وهو إما أن يكون شفافًا أو مخرمًا لتبدو منه العينان[٣١]، وكانت بعض النساء تلبسنه عند حضور مجالس الوعظ والطرب والأعراس[٣٢] .

---

(٢٤) الخليل بن أحمد : العين . جـ٥ ص١٠٤ .
(٢٥) الملابس العربية الإسلامية . ص١٧٢ .
(٢٦) الأزهرى : تهذيب اللغة . جـ١ ص٣٦٠ ، الوشاء : الموشى أو الظرف والظرفاء . جـ٢ ص١٦٣ .
(٢٧) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٣٢١ .
(٢٨) المقريزى : الخطط . جـ١ ص٤١ .
(٢٩) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٣ .
(٣٠) المرجع نفسه . ص١٥٣ .
(٣١) رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص٥٠١ .
(٣٢) الزبيدى : تاج العروس . جـ٤ ص٢٩٩ .

من الجدير بالذكر أن النقاب من أغطية الوجه التى كانت منتشرة - أيضًا - لدى نساء العرب قبل الإسلام ، وكان البعض يسميه بالوصوصة لوجود فتحتين للعينين به قبل أن يصبح نسيجه من الأقمشة الشفافة[٣٣] .

يتضح مما سبق أن أغطية الرأس والوجه ، كانت تشكل أهمية كبيرة فى ملابس النساء، وأن تعدد وتنوع البعض منها جاء مصاحبًا لانتشار الإسلام ، الذى حرص على صيانة المرأة من أعين الناظرين ، كما جاء البعض الآخر من خلال التراث العربى السائد فى ملابسهن والذى انتشر فى ملابس النساء فى أغلب الأقطار المجاورة .

أما عن الأجزاء الأخرى من ملابس النساء فتمثلت فى ملابس البدن بشقيه الداخلى والخارجى ، وهى أيضًا كانت متنوعة وعديدة ، لما عرف عنهن من الميل إلى التجمل والظهور بمظهر متميز .

أما عن ملابس البدن الداخلية ، فعلى الرغم من قلة ما ورد بشأنها فى المصادر والمراجع اللغوية والتاريخية ، لحساسيتها وصعوبة وصفها ، إلا أن هناك بعض أجزاء من هذه الملابس وردت من خلال بعض الموضوعات الفنية المنفذة على بعض الأطباق الخزفية أو من خلال المخطوطات المصورة التى ترجع للعصر الفاطمى وما بعده[٣٤]، إذ كان أغلبها يتناول موضوعات الرقص والشراب وأوقات الخلوة ، مما أتاح لنا الوقوف على ما كان سائدًا منها لدى النساء .

كان الصدار[*] من أكثر أجزاء الملابس الداخلية انتشارًا بين أغلب النساء على اختلاف منازلهن ، يصَفه ابن منظور بأنه : قميص صغير رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر والمنكبين، وتكون أكمامه قصيره[٣٥]، ونظرًا لمباشرة الصدّار للجسد حرصت أغلب النساء على صنعه دائمًا من الأقمشة اللينة الرقيقة وبخاصة الحَرير[٣٦]، كذلك كان أهم ما ميز

(٣٣) ابن دريد : جمهرة اللغة . جـ١ ص٣٢٤ .

(٣٤) محمود إبراهيم حسين : المرأة فى إنتاج المصور المسلم . ص٣٣ .

(*) الملحق : لوحة رقم ٣٩ محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (٥٨٦٧) .

(٣٥) لسان العرب . جـ٧ ص٣٠٠ .

(٣٦) ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص٢٥ ،
Thomas Patrick Hughes : Dictionary of Islam, P. 94 .

الملابس الداخلية للنساء وجود العديد من أنواع القمصان التى كانت ـ غالبا ـ تلبس داخل المنزل أو فى أوقات الخلوة والتبذل ، وهى قمصان امتازت دائمًا بأكمامها القصيرة وبعضها كان بدون أكمام ، كالقرقل[٣٧] والمجول[٣٨] والخَيعل[٣٩] والغلالة[٤٠](*) والدرع[٤١] والمُجسد[٤٢] ، ومن الملاحظ أن أكثر هذه القمصان كانت معروفة وشائعة عند نساء العرب قديمًا ، ثم انتقلت إلى مصر بأسمائها المعروفة كباقى الملابس التى استمدت من التراث العربى ، يؤكد ذلك ما ورد بشأنها ووصفها فى الكثير من المعاجم اللغوية .

أما عن الأجزاء الداخلية التى غطت الجزء الأسفل لجسد المرأة ، فانحصرت عند أغلبهن فى النقبة والمئزر والسروال ، وجميع هذه الأجزاء لم تختلف لدى النساء سواء كن من الحرائر أو الطبقات العليا ، إلا فى الخامات المصنوعة منها ، ويعتبر السروال أكثر هذه الأجزاء انتشارًا خاصة بين المسلمات ، لما حث عليه الإسلام من ضرورة ارتداء النساء له ، إذ ورد فى الحديث عن على بن أبى طالب أنه قال : « كنت قاعدًا عند النبى ﷺ فى البقيع فى يوم دجن ومطر فمرت امرأة على حمار ومعها مكارى ، فهوت يد الحمار فى وهدة الأرض فسقط فسقطت المرأة ، فأعرض النبى ﷺ بوجهه ، فقلت : يا رسول الله إنها متسرولة فقال : اللهم اغفر للمتسرولات من أمتى ، يا أيها الناس اتخذوا السرويلات

(٣٧) القرقل : قميص صغير وقصير لا كمين له ، وصفه الميدانى بأنه قميص الليل . السامى فى الأسامى، ص١٣٤ .

(٣٨) المجول : قميص كان يخاط من أحد شقيه ويجعل له جيب ، كانت تجول فيه المرأة داخل المنزل . ابن منظور : لسان العرب . جـ٢ ص٤٢٤ .

(٣٩) الخَيعل : قميص لا كمين له ، كان دائمًا ما تلبسنه العرائس . ابن دريد : جمهرة اللغة . جـ٢ ص٢٣٤ .

(٤٠) الغلالة : رداء داخلى كالقميص يلامس الجسد مباشرة ، كان يصنع دائمًا من الأنسجة البيضاء الرقيقة الشفافة من القصب ونسيج الشرب . الوشاء : الموشى أو الظرف والظرفاء . جـ٢ ص١٦٠ ، نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٨ .

(*) الملحق : شكل رقم (٣٩) .

(٤١) الدرع : درع المرأة قميصها وجمعه أدرع ، وهو عبارة عن جبة رقيقة مشقوقة المقدم اختصت بها النساء المتزوجات . الأزهرى : تهذيب اللغة . جـ٢ ص٢٠٠ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٧٠ .

فإنها من أستر ثيابكم وحصنوا بها نساءكم إذا خرجن »[٤٣]، لذلك كان حرص النساء المسلمات كبيرًا على ارتداء السراويل وصنعها من خامات عديدة ، فصنع بعضها من الجلد الرقيق المزين بأشغال التخريم ، كما اختلفت سراويل بعض النساء خاصة من الطبقات الدنيا والعامة كما سنذكر فى الفصل الخاص بملابس العامة .

كان من نتيجة إقبال جميع النساء - فيما بعد - على ارتداء السراويل أن أصبح لها سوق تختص بها عرف بسوق الأنوار بالفسطاط[٤٤] .

أما عن السمة العامة لأشكال السراويل فى العصر الفاطمى ، فكانت أحيانا ما تكون ضيقة وتصل إلى الأقدام[*] ، وأحيانًا أخرى تكون مفرطة فى الاتساع ، الأمر الذى أدى إلى تدخل الدولة فى تحديد أشكالها فمنعت ارتداء الواسع منها[٤٥][**] ، إذ يبدو أن البعض كن يلبسنها ظاهرة دون ما يسترها من الملابس الخارجية ، فضلاً عن كونه لافتة لأنظار الرجال .

من ناحية أخرى اهتمت أغلب النساء بتكك هذه السراويل وصنعها من الحرير خاصة نساء الطبقات العليا ، فكانت تباع هذه التكك منفردة دون السروال نفسه ، ويذكر البعض عن جهاز قطر الندى ابنة خمارويه أنه ضم ألف تكة بجوهر كان ثمن الواحدة منها عشرة دنانير ، وجدت فى أيسر وقت وبأهون سعى[٤٦] .

---

(٤٢) المُجسد : الثوب الذى يلى الجسد ، أى جسد المرأة فتعرق فيه ، وقيل هو قميص امتازت أكمامه بضيقها وقصرها ، إذ كانت تغطى ثلاثة أرباع الذراع ، ويعتبر المجسد ضمن اللباس اليومى المنزلى الذى كان يتيح حرية الحركة للمرأة دون أن يطلع عليها أحد . رجب عبد الجواد : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١١٢ ، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٢٣ ، ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص٢٥ .

(٤٣) أبو داود : صحيح سنن المصطفى . جـ٢ ، ص١٦٦ ، أبو الحسن الكنانى : تنزيه الشريعة . جـ٢ ص٢٧٢ ، ممدوح محمود : الزينة والجمال فى ميزان الإسلام . ص١٠٠ .

(٤٤) دائرة المعارف الإسلامية . جـ١١ ص٣٧٨ ، أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية . ص١٧٤ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٣١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة سجل رقم (١٥٩٥) .

(٤٥) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٤ ،
S. D. Goitein A Mediterranean Society , vol IV P. 162 .

(**) الملحق : شكل رقم (٤٤) .

(٤٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٣ ص٦٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة . جـ٢ ص٢٤٣ ، هويدا عبد العظيم : المجتمع فى مصر الإسلامية . ص٢٠٠ .

أما عن أهم الملابس الخارجية فكان الإزار أكثر أجزائها انتشاراً ، وهو من الأغطية الكبيرة الواسعة التى كان أغلب النساء يلتففن بها عند الخروج ،بل تفنن البعض منهن فى خياطتها ووضع بعض خيوط الإبريسم والذهب فى جوانبها(٤٧) خاصة الثريات منهن ، ويذكر عن وكيل أحمد بن طولون أنه سأله يومًا : « إنى لتأتينى المرأة وعليها الإزار وفى يدها خاتم الذهب فتطلب منى ، أفأعطيها ؟ فقال له : من مد يده إليك فأعطه »(٤٨) .

ويوضح النص السابق شيوع الإزار بين جميع فئات النساء ، وأنه لم يكن قصرًا على نساء الطبقات الدنيا أو الفقيرة ، بدليل ارتداء بعض النساء ممن يتحلين بالذهب له ، ودهشة وكيل أحمد بن طولون من ذلك .

كذلك كانت الحَبرة(*) من أكثر الملابس الخارجية التى استعملت لدى النساء واستخدمنها كغطاء خارجى فوق ملابسهن ، ومن الجدير بالذكر أن الحَبرة كانت من برود اليمن المنتشرة فى مصر قبل الإسلام ، وهى عبارة عن ملاءة سوداء كانت تلبس عند الخروج من المنزل ، وسميت الحَبرة بهذا الاسم من التحبير أى التزيين والتخطيط ، إذ كانت تملؤها بعض الخطوط الملونة(٤٩) ، وكانت الحَبرة من الأغطية التى ارتبطت ـ كثيراً ـ بالنساء المتزوجات أكثر من العذارى(٥٠) ، كما كانت بعض نساء الطبقة العليا يقمن بصنعها من نسيج الحرير والقصب ليتميزن عن غيرهن من نساء الطبقات الوسطى والدنيا(٥١) .

كما كان القباء ضمن الملابس التى ارتدتها بعض النساء ، خاصة من الطبقات العليا وزوجات الخلفاء الوزراء والأمراء ، فيذكر السيوطى أن امرأة كافور الإخشيدى ذكرت للخليفة المعز لدين الله أنها أودعت لدى أحد اليهود الصواغ قباءً من لؤلؤ منسوج بالذهب

(٤٧) دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس . ص٣١ .
(٤٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان . جـ١ ص١٥٥ .
(*) الملحق : شكل رقم (٣٨) .
(٤٩) الخليل بن أحمد : العين . جـ٣ ص٢١٨ .
(50) Thomas Patrick Hughes : Dictionary of Islam, P. 95 .
(٥١) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٥٢ ، أحمد تيمور : معجم تيمور الكبير . جـ٣ ص٧٥ .

وأنه جحد ذلك عندما طلبته منه ، فأمر المعز أن تحفر دار هذا اليهودى ويستخرج منها ما فيها فوجد القباء بعينه(٥٢) ، وذكر ابن تغرى بردى - أيضًا - القصة نفسها غير أنه ذكر القباء باسم البَـغَلْطاق(٥٣) ، ويبدو أن البَغَلْطاق كان يطلق على هذه النوعية من الأقبية النسائية التى امتازت دائمًا بضيق أكمامها وامتلائها بالجواهر ، وهى بالطبع كانت قصرًا على فئة محدودة من النساء دون غيرهن(٥٤) .

أما عن الثوب(٥٥) فيمكن القول بأنه كان من أكثر الملابس الخارجية شيوعًا إذ اشتركت جميع النساء على اختلاف مكانتهن فى ارتدائه ، وهو عبارة عن رداء واسع مسترسل يرتدى فوق الملابس الداخلية ، وكان الثوب عادة إما طويلاً أو قصيرًا بحيث يبدو من أسفله السروال(٥٦)(*) .

وكان الثوب فى العصر الفاطمى يمتاز - غالبًا - بطوله المفرط الذى وصل فى بعض الأحيان إلى الأقدام(**) ، وكان له ذيل طويل من الخلف ، كما اتصفت أثواب أغلب النساء فى العصر الفاطمى وخاصة الحرائر ونساء الطبقة العليا باتساعها وتعدد طياتها حتى تكون مريحة لهن فى الحركة ، بعكس بعض ثياب الجوارى والراقصات التى امتازت إما بقصرها أو بحبكتها على الجسد لإبراز مفاتنهن(٥٧) .

---

(٥٢) حسن المحاضرة . جـ١ ص٥٢٠ .
(٥٣) البَغَلْطاق : كلمة فارسية مُعربة ، مركبة من : بَغَل بمعنى إبط أو صدر ، وطاق بمعنى ثياب ، والمعنى الكلى : ثوب بدون أكمام أو بأكمام قصيرة ، يغطى الصدر فقط ، وكان يصنع من الحرير اللامع . النجوم الزاهرة . جـ٤ ص٧٨ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٧٢ .
(٥٤) عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين . ص٢٦٨ .
(٥٥) الثوب : هو كل ما ستر ووقى ، والجمع أثواب وثياب . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٠٢ .
(٥٦) ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص٤٦ .
(*) الملحق : لوحة رقم (٣٢) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١/ ٣٣٢٣) .
(**) الملحق : لوحة رقم (٣٠) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١٦٢٩) .
(٥٧) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٤ .

وكانت أغلب أثواب النساء فى العصر الفاطمى يتم زخرفتها أو تطريزها برسومات نباتية تزين الذيل والأكمام وفتحة العنق(*) ، كذلك كان يغلب على ألوانها اللونان الوردى والبنفسجى اللذان شاعا بكثرة فى هذا العصر عن غيره(٥٨) .

أما عن أسعار الثوب فكان البعض منه منخفضًا لا يتعدى الدينارين وهو - بالطبع - البسيط الخالى من الزخارف والتطريز ، وكان يختص بنساء الطبقات الوسطى ، أما المزخرف كثير التطريز فكان يتراوح بين ثلاثة وأربعة دنانير أو أكثر من ذلك(٥٩) ، خاصة إذا كان مصنوعًا من نسيج الحرير أو الشرب ، الذى استخدمته نساء الطبقة العليا بكثرة .

كانت أثواب الزفاف تختلف عن أثواب الخروج العادية اختلافًا كبيرًا ، إذ كانت دائمًا ما تصنع من الأنسجة الفاخرة عالية الثمن ، كالحرير والقصب ونسيج الشرب ، كذلك كانت تمتاز بأنها تطعم باللؤلؤ والأحجار الكريمة خاصة عند الأكمام والصدر ، وغالبا ما كان الماس هو أكثر الأحجار المستخدمة فى تطعيم أثواب الزفاف ليتلاءم مع تاج الرأس(٦٠) .

أما عن ملابس زوجات الخلفاء والوزراء والأمراء فعرفت بالحلل جمع حُلة ، وهى مجموعة من الثياب دائمًا ما كانت مذهبة وعدد قطعها كبير ، إذ وصلت حلل زوجات الخلفاء فى العصر الفاطمى فى بعض الأحيان إلى خمس عشرة قطعة ، منها الأردية القصيرة المصنوعة من الحرير ، والقمصان المطرزة والسراويل(٦١) ، علاوة على الثوب الخارجى ذى الأكمام الواسعة وأغطية الرأس والوجه(٦٢) .

(*) الملحق : لوحة رقم (٣٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١٠٥٥١) .

(٥٨) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٥ .

(٥٩) نريمان عبد الكريم : المرجع نفسه . ص١٥٥ .

(60) S. D. Goitein : A Mediterranean Society , vol IV, P. 161 .

(٦١) كانت قمصان نساء القصر تسمى بالدراعة ، وصنعت دائمًا من الحرير .

(٦٢) ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص٤٥ ، عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٣٠٠ .

كانت ملابس نساء القصر بصفة عامة تقل مكوناتها أو تزيد تبعًا لمكانة كل امرأة فى البلاط خاصة فى العصر الفاطمى ، إذ كانت ملابس المستخدمات والوصيفات تتراوح بين حلة مذهبة وحلة حريرية(٦٣)، على عكس ملابس زوجة الخليفة المسماة بالجهة العالية(٦٤) التى تعددت حللها واختلفت مكوناتها كما أشرنا .

كانت بعض الأحزمة من المتممات الخارجية لملابس النساء ، فكان الوشاح (٦٥) من ضمن الأحزمة التى استخدمتها زوجات الخلفاء والوزراء والأمراء فوق ثيابهن ، وكان الوشاح يطعم دائمًا بالجواهر والأحجار الكريمة ، وبلغ من ولع نساء الطبقات العليا بالأوشحة أن استخدمت بعضهن وشاحين متقاطعين زيادة فى الأناقة والتزين ، أما نساء الطبقات الوسطى فلم يرد لدينا ما يشير إلى استخدامهن لهذه الأوشحة ، فهى كما سبق كانت أكثر ارتباطًا بنساء القصر وزوجات الخلفاء والوزراء والأمراء .

أما عن ملابس القدم فكانت منحصرة فى النعال والخفاف ، وقد امتاز بعضها بصنعه من النسيج الفاخر المرصع -أحيانًا- بالجواهر ، خاصة نساء الطبقات العليا وزوجات الخلفاء، إذ كانت تصنع لهن خفاف خاصة فى دبيق(٦٦)، على عكس خفاف الفئات الأخرى من النساء التى كانت تصنع من الجلود وتباع فى أسواق الفسطاط والقاهرة(٦٧).

---

(٦٣) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٤٧ .

(٦٤) المرجع نفسه . ص١٤٧ .

(٦٥) الوشاح : من حلى النساء فوق ملابسهن ، وهو عبارة عن قطعة قماش عريضة من الحرير ، كانت تنظم باللؤلؤ والجوهر ، تعطف إحداها على الأخرى فوق الصدر . الخليل بن أحمد : العين . جـ٣ ص٢٦٣ .

(٦٦) جبرائيل سليمان جبور : أوراق من رياض الأدب والتاريخ . ص١٧٣ .

(٦٧) المقريزى : الخطط . جـ٢ ص١٠٥ .

كما استخدمت النساء القبقاب الخشبى(*) ، وكانت بعض النساء ترصعه بالصدف أو العاج والأبنوس ، كذلك استخدمت نساء القصور القبقاب فى القتل ، إذ استخدمته نساء الخليفة الظافر فى قتل نصر بن عباس الذى كان سببًا فى قتل الخليفة(٦٨) .

مما سبق يتضح أن ملابس النساء من الحرائر والطبقة العليا كانت دائمًا ما تختلف عن ملابس باقى النساء من الفئات الأخرى تبعًا لمكانتهن ومنزلتهن فى المجتمع ، كما امتازت خاماتها بأنها دائمًا ما كانت من الخامات غالية الثمن ، إذ كانت أغلبها من الحرير ونسيج القصب والشرب ، يضاف إلى ذلك كثرة استخدام الزخارف والتطريز فى ملابسهن ووضع الأحجار الكريمة فى أجزاء كثيرة من ثيابهن لإظهار التميز والاختلاف .

على الجانب الآخر شكلت أغطية الرأس والوجه لديهن أهمية كبيرة ، لذلك تفنن فى إدخال بعض التعديلات والتطوير على الكثير منها خاصة فى العصر الفاطمى ، كما امتازت أغلب ملابسهن باتخاذ ألوان لم تكن شائعة من قبل فى ملابس النساء ، كالأخضر الفاتح والوردى والبنفسجى والقرنفلى ، وهى الألوان التى انتشرت بكثرة فى العصر الفاطمى ، بفضل التقدم الكبير فى صناعة الأصباغ والألوان فى ذلك الوقت .

من جهة أخرى انعكست مكانة بعض النساء على نوعية ما يرتدينه من ملابس ، كما ارتفعت أسعارها بالمقارنة بملابس الفئات الأخرى من النساء ، وهو ما أوجد نوعًا من التميز لملابس هؤلاء عن غيرهن ، وهو ما يؤكد مرة أخرى ارتباط التصنيف الطبقى داخل المجتمع بما يرتديه أفراده من ملابس .

(*) الملحق : شكل رقم (٥٠) .

(٦٨) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٥ ص٣١٠-٣١١ .



ملابس العامة

تعد طبقة العامة[١] من الطبقات المهمة والمؤثرة فى أغلب المجتمعات عامة والمجتمع المصرى خاصة ، إذ كانت تشكل قطاعًا عريضًا من البناء الاجتماعى لطبقات المجتمع ، لما اشتملت عليه من عناصر عدة وفئات مختلفة .

وتعتبر العامة من أكثر الطبقات التى اختلفت وتنوعت ملابسها ، لاختلاف عناصرها وتعددها وتفاوت المستوى المادى بين بعضها ، ومن الجدير بالذكر أن أغلب ملابس العامة كانت ترتبط بالدرجة الأولى بالمهن والحرف التى مارسوها داخل المجتمع ، بل كانت - فى أغلب الأحيان - جزءًا ملازمًا لهذه المهن والحرف لتتناسب وطبيعة أعمالهم الشاقة والمتنوعة .

وعلى الرغم من أهمية طبقة العامة بين طبقات المجتمع المصرى ، إلا أن أغلب المصادر والمراجع التاريخية - رغم كثرتها - غفل الحديث عن ملابسهم ، والتى شكلت جزءًا مهمًا من حياتهم الاجتماعية ، بل تكاد تكون شحيحة فى الحديث عنهم أصلاً ، اللهم إلا بعض الدراسات الحديثة التى تناولتهم فى فترات تاريخية لاحقة لفترة دراستنا هذه[٢] .

---

(١) العامة : العامة خلاف الخاصة ، ويقصد بهم السواد الأعظم من الناس الذين لم يتمتعوا بأى سلطة ، سواء كانوا من العاملين من ذوى الدخل المنخفض أو من العاطلين وقطاع الطرق والرقيق والفلاحين ، ويرى بعض الباحثين أن العامة هم أصحاب الأعمال الحرة على اختلاف أنواعها الذين لا ينخرطون فى سلك أرباب الوظائف فى الدولة ، وليس لهم دخل اقتصادى ثابت يحصلون عليه من نتاج عملهم، وترجع تسمية العامة بهذا الاسم إلى كثرتهم وعدم إحاطة البصر بهم ، كما أطلق البعض عليهم السوقة ، لأن الملوك يسوقونهم إلى إرادتهم ، وأخيرًا العامة هم الذين يؤلفون فى العادة الجزء الأكبر من الهرم الاجتماعى .

الشيزرى : نهاية الرتبة . ص١١٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى . جـ٣ ص٣٥٧-٣٥٨ ، عبد المنعم سلطان : المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى . ص٧١ ، شلبى إبراهيم الجعيدى : طبقة العامة فى مصر فى العصر الأيوبى . الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٣ ص١٧-١٨-٢١ ، بدرى محمد فهد : العامة ببغداد فى القرن الخامس الهجرى . بغداد ١٩٦٧ ص٥-١٢ .

(٢) هناك دراستان عن العامة فى مصر على جانب كبير من الأهمية ، إحداهما للدكتورة حياة ناصر الحجى بعنوان (أحوال العامة فى حكم المماليك . الكويت ١٩٨٤) والأخرى للباحث شلبى إبراهيم الجعيدى بعنوان (طبقة العامة فى مصر فى العصر الأيوبى . الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٣) .

أما فيما يختص بالمعاجم اللغوية التى ورد بها ذكر لبعض الملابس ، فنجد قدرًا لا بأس به من أسماء بعض الملابس التى ارتدوها ، وإن كان أغلبها قد جاء دائمًا دون ذكر تفاصيل كاملة عنها أو تحديد للمكان والزمان المرتبط بها ، من ناحية أخرى هناك بعض المصادر التاريخية واللغوية التى أشارت إلى بعض ملابسهم ولكن فى فترات لاحقة بعيدة عن فترة دراستنا ، كالعصرين الأيوبى والمملوكى ، وهو ماجعلنا نتوخى الحذر عند الحديث عنها أو تناولها التزامًا بالسياق الزمنى لفترة الدراسة .

وعلى الرغم من الصعوبات التى فرضتها طبيعة البحث أو الحديث عن ملابسهم إلا أن ثمة حقيقة مهمة لا يجب إغفالها ، وهى أن تشابه المستوى المادى لأغلب عناصر وفئات هذه الطبقة ، وما ارتبط بملابسهم من مهن أو حرف جعل أكثرها متشابهة أو شبه موحدة فى أغلب المراحل التاريخية فى مصر الإسلامية ، كما كان اشتراكهم فى منزلة ومكانة اجتماعية واحدة عاملاً من عوامل اتفاقهم فى زى مشترك ، إذ لم تختلف ملابسهم - كثيرًا - إلا مع القلة منهم ممن طرأت عليهم بعض التحولات الاقتصادية والاجتماعية ؛ الأمر الذى أدى إلى اختلاف بعض مكونات ملابسهم بفعل تحسن أوضاعهم .

شكلت أغطية الرأس جزءًا مميزًا فى ملابس العامة ميزتهم عن غيرهم من سائر طبقات المجتمع ، إذ كانت - كما مر بنا - تكشف عن منزلة صاحبها ومكانته فى المجتمع ؛ لذلك اتخذ الخلفاء العمائم على القلانس ليتميزوا عن العامة بزى خاص بهم ، فيذكر الجاحظ : « فإن كانت القلانس مكشوفة زادوا فى طولها وحدة رؤوسها حتى تكون فوق قلانس جميع الأمة »[٣]، لذلك كانت أغلب أغطية الرأس لطبقة العامة تتميز بصغر حجمها كعمائم الحاكة[٤]، كما جرت العادة أن تصنع عمائم العامة من النسيج الرخيص لتناسب المستوى المادى لدخولهم[٥]، فكانت بعض عمائم الفلاحين تصنع من الفوط الملونة ، وهى

(٣) البيان والتبيين . جـ٣ ص١١٧ .

(٤) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص١١٦ .

(٥) ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٧٧-٧٨ .

قطعة من القماش الغليظ تكون من الصوف الرخيص[٦]، كما استخدم بعضهم - أيضًا - الشيلان (جمع شال) للتعمم به وكان يصنع أيضًا من الصوف .

وكان يغلب على معظم أغطية الرأس لديهم الألوان الأحمر والأبيض والأصفر ، إذ منعوا من لبس العمائم السود خاصة فى العصر الفاطمي[٧] . إلى جانب استخدام العمامة للعمائم انتشرت أيضًا فى أغطية رؤوسهم القلانس والطواقى[*] ، بل كانت أكثر أغطية الرأس الشائعة بينهم على اختلاف عناصرهم وفئاتهم[٨] ، وكان أشهرها ما عرف بالشاشية[٩] وهى عبارة عن طاقية توضع على الرأس ويلف حولها قطعة من قماش الشاش الأبيض ، فتكون لديهم بمثابة العمامة[١٠]، كما عرفت لديهم التخفيفة وهى أيضًا عمامة صغيرة كالطاقية كانت تستخدم ضمن اللباس العادى اليومى ودون استعمال شىء آخر معها ، وشاع استعمالها بين أغلب عناصر العامة[١١] .

على الجانب الآخر ارتدت بعض فئات العامة كالحمالين والمكارية وبعض الفقراء وذوى الدخول البسيطة نوعًا من أغطية الرأس عرف باللبدة ، وهى عبارة عن طاقية صغيرة الحجم كانت تصنع من اللباد[١٢] الأبيض والأسود والبنى ، وإن غلب على ألوانها اللون

---

(٦) بدرى محمد فهد : العامة ببغداد . ص١٤٤ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٥٥) محفوظة بمركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس سجل رقم (١/ ٧٣٩) .

(٧) هلال الصابئ : رسوم دار الخلافة . تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العانى ببغداد ١٩٦٤ ص٩١-٩٢، مليحة رحمه الله : الملابس فى العراق خلال العصور العباسية . المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٣ القاهرة ١٩٦٧ ص١٨٨ ، سليمة عبد الرسول : ملابس العمل لذوى المهن والحرف . ص٢٤٢ .

(٨) الطواقى : جمع طاقية ، وهى كلمة عامية مولدة اشتقت من التقية ، أى وقاية للرأس من الحر والقر ، كما تعنى كذلك كل ما استدار . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٣١٣ .

(٩) الشاشية : نسبة إلى نوعية القماش المصنوع منها ، وكان يجلب من مدينة الشاش فى بلاد ما وراء النهر . ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٧٧ .

(١٠) رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص٢٥٣ .

(١١) دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس . ص١٣٢ .

(١٢) اللباد : كل شعر أو صوف متلبد ، أى تداخلت أجزاؤه والتصقت .

رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٤٤٩ ، يحيى الجبورى : الملابس العربية فى الشعر الجاهلى . ص٢٨٦ .

البنى ، وكانت اللبدة تلبس بمفردها دون إدارة شيء من القماش حولها كالتخفيفة ، كذلك ارتدت بعض عناصر العامة من الدراويش والمشعوذين والفقراء الطرطور(*)، وهو نوع من أغطية الرأس الطويلة والمدببة من أعلى ، وكان بعضها يصنع على هيئة قالب السكر ويُغطى ببعض الريش الصغير من ألوان مختلفة(١٣).

ونظرًا لما شكلته أغطية الرأس من مكانة وأهمية لدى جميع طبقات المجتمع حتى العامة ، لجأ بعض صانعيها - نتيجة الإقبال عليها - إلى غش الناس بأن يضعوها فى مادة النشا أو الصمغ لتأخذ شكلاً جذابًا ومتماسكًا(١٤).

أما عن أهم ملابس البدن الخارجية التى انتشرت فى ملابس العامة فكان القميص ، وكانت قمصان العامة تتميز عن قمصان باقى الطبقات باتساعها وطول أكمامها وكبر فتحة العنق والصدر(١٥)، فعرف منها ما كان يسمى بالعرْى(١٦)، وهى من القمصان التى شاعت فى ملابس الفقراء منهم ، وكانت تتسم بالطول والاتساع المفرط ، كما كانت مفتوحة من العنق إلى الحزام ولها كمان كبيران ، كما عرفت بعض أنواع من القمصان التى انتشرت فى أواخر العصر الفاطمى وارتداها الفلاحون وكانت تسمى القنباز ، امتازت هى الأخرى بالطول والاتساع ، فتصفها مليحة رحمة الله بأنها : لباس طويل قد يصل إلى الأرض ومفتوح عند الرقبة ، ارتداه رجال الريف فى مصر(١٧)، وكان يغلب على ألوان هذه القمصان وغيرها اللون الأزرق ، الذى شاع فى أكثر ملابس العامة ليتناسب دائمًا وطبيعة أعمالهم الشاقة .

(*) الملحق : شكل رقم (٤٥) .

(١٣) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٣٠٤ .

(١٤) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص١٢٢ ، بدرى محمد فهد : العامة ببغداد . ص١٤٤ .

(١٥) عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٣٠٣ ، أحمد عبد الباقى : معالم الحضارة العربية . ص٨٣ .

(١٦) العرْى : سمى بهذا الاسم لأنه ثياب الفقير والعريان . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٣٢٤ .

(١٧) الملابس فى العراق خلال العصور العباسية . المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٣ القاهرة ١٩٦٧ ص١٩٥ .

على الجانب الآخر كانت أغلب قمصان العامة تصنع من الخامات الرخيصة التى تناسب مستواهم المادى البسيط ، فكان الكتان - الخشن - أو الصوف من أكثر المنسوجات المستخدمة فى ملابسهم[١٨]، إذ قلما استخدم العامة الحرير أو الأنسجة الرقيقة فى ملابسهم إلا فيما ندر أو فى بعض المناسبات الخاصة .

إلى جانب استخدام العامة للقمصان ، كانت الأزر (جمع إزار) من أهم أجزاء ملابسهم ، بل ارتبطت ببعض المهن والحرف التى مارسوها ، فانتشرت فى ملابس الملاحين[*] والصيادين والخدم وعمال الحمامات والسقائين[١٩]، وكان منهم من يرتدى إزارين لستر الجزء السفلى والعلوى من الجسد[٢٠]، كذلك استخدم العامة الفوط (جمع فوطة) فى ملابسهم كمآزر يأتزرون بها خاصة عند دخول الحمامات ، وكانوا يجعلونها مسبلة بعد عقدها من أعلى ، أو يلوونها على أفخاذهم ثم يخرجونها من بينها ويشدونها عند أوساطهم[٢١]، وكان الحمالون والمكاريون والخدم يستخدمون هذه الفوط فى أعمالهم لما كانت تتيحه لهم من حرية الحركة[٢٢]. كذلك اعتبرت الفوط من أكثر أجزاء الملابس انتشاراً بين العامة ، لما كانت تتصف به من البساطة ورخص الثمن[٢٣].

من ناحية أخرى ارتدى بعض العبيد والشحاذين بعض الثياب البسيطة الخشنة التى غلب على نسيجها الصوف الغليظ ، كالمِدرع[٢٤] والدَربالة[٢٥] وهى من الثياب التى

---

(١٨) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٣٢٤ ،
Clive Rogers : Early Islamic Textiles , P. 31 .

(*) الملحق : لوحة رقم (٤٧) من مخطوط مقامات الحريري .

(١٩) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص١٨٥ .

(٢٠) غيثان بن على بن جريس : بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية . ص٢٠٨ .

(٢١) صلاح العبيدى : المرجع نفسه . ص٢٠٨ .

(٢٢) القفطى : أخبار الحكماء . ص١٦٧ ، إبراهيم السامرائى : من معجم اللباس . ص٢١ ، شلبى إبراهيم الجعيدى : طبقة العامة فى مصر فى العصر الأيوبى . ص١٢٤ .

(٢٣) التنوخى : نشوار المحاضرة . جـ٨ ص١٥٣ ، مليحة رحمة الله : الملابس فى العراق خلال العصور العباسية . ص١٩٢ .

(٢٤) المدرع : المدرع والمدرعة يدلان على لباس من الصوف الغليظ ، أشبه بالقميص الذى لم يكن يرتديه إلا العبيد أو فقراء الناس . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٧١ .

(٢٥) الدَربالة : لم يرد لها تعريف فى أغلب المعاجم اللغوية سوى أنها ثياب خشنة يلبسها الشحاذون . رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص١٧٠ .

اتسمت ببساطة هيئتها وتفصيلها ، كذلك استخدم العامة بعض الملابس السائدة بين جميع الطبقات الأخرى ، كالدراعة والجبة والقباء والبُرد والعباءة ، مع اختلاف أشكالها وأسمائها والخامات التى صنعت منها ، فكانت دراعة العامة تصنع ـ غالبًا ـ من الشعر أو الصوف ، كما تميزت جبابهم بقصرها وكثرة ما بها من الرقع(٢٦)، على عكس جباب الطبقة العليا والأغنياء التى امتازت بعرضها وطول ذيلها وجودة أقمشتها .

على الجانب الآخر عرفت بعض الملابس الخاصة ببعض المهن التى مارسوها ، فكانت السُبجة ضمن الملابس التى ارتداها الطيانون ، وهى عبارة عن ثوب كالمدرعة أو قميص له جيب ولا كمين له(٢٧)، وكانت السُبجة تصنع من صوف فيه سواد وَبياض(٢٨)، كما عرفت الخافة(٢٩) فى ملابس العسالين والسقائين ، وهى عبارة عن جبة من أدم كان العسالون يلبسونها أثناء جمع العسل من خلايا النحل ، ويذكر رجب عبد الجواد أنها سميت بهذا الاسم لأنها كانت تخفى جسد النحال فلا يتعرض لقرص النحل(٣٠)، كما كانوا يرتدون ثوبًا عرف بالخَيْطة(٣١)، وهى نوع من الدراريع (جمع دراعة) كذلك ارتدى العجانون ثوبًا سمى بالملعَبة ، وهو قميص بدون أكمام ليمنع نزول العرق من إبطيه إلى العجين ، كما كان يربطَ على جبينه عصابة بيضاء للغرض نفسه(٣٢)، وكان الملاحون والصيادون يرتدون ـ أيضًا ـ دراعة من الصوف تسمى الجُوذياء(٣٣).

(٢٦) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام . جـ٤ ص٦٤٠ ، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٤١ .

(٢٧) الخليل بن أحمد : العين . جـ٦ ص٥٩ ، ابن سيده : المخصص . جـ١ ص٧٩ ، أحمد مطلوب : معجم الملابس فى لسان العرب . ص٢٠ .

(٢٨) ابن منظور : لسان العرب . جـ٦ ص١٤٢ ، إبراهيم السامرائى : من معجم اللباس . ص٩ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٢٢٤ .

(٢٩) الخافة : تصغيرها خويفة ، واشتقاقها من الخوف وهى جبة يلبسها العسال والسقاء . الخليل بن أحمد : " العين . جـ٤ ص٣١٢ .

(٣٠) المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٥٤ .

(٣١) رجب عبد الجواد : المرجع نفسه . ص١٦٥ .

(٣٢) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة . ص٢٢ ، عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٣٠٤ ، حسين مصطفى رمضان : طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى مصر الإسلامية . ص٢٠٥ .

(٣٣) الجُوذياء : كلمة آرامية معربة ، وأصلها فى الآرامية جودى بمعنى الكساء . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٢٠ .

أما عن السقائين وعمال البناء فقد ميزتهم دائمًا السراويل الضيقة - لستر عورتهم - بل كانت أكثر أجزاء الملابس التى ارتدوها أثناء تأدية أعمالهم ، فيذكر البلوى حادثة طريفة لأحمد بن طولون مع أحد الجواسيس المتنكرين فى زى عمال البناء : « قال له موسى بن طونيق وكان خصيصًا به : أيها الأمير ، كيف علمت أن هذا الرقاص[٣٤] جاسوس ؟ قال : لمحته على الإسقالة وعلى كتفه قصرية الطين ورأيت تكة أرمنى فأنكرت ذلك وقلت : رقاص لا تكون تكته إلا خيطًا أو كتانًا فقبضت عليه وكان ما شاهدت منه »[٣٥]، ويوضح لنا هذا النص ما كان يميز سراويل عمال البناء من تكك تصنع من خامات بسيطة محددة لا تخرج عن الكتان أو الخيط ، وهو ما جعل أحمد بن طولون ينتبه إلى تنكر هذا الجاسوس فى هيئة مغايرة للهيئة المعتادة للبنائين ، كما يؤكد هذا النص - مرة أخرى - ارتباط بعض المهن والحرف بزى مميز لها .

أما عن ملابس الفلاحين فكانت متعددة فكان منها الصَدَيري[٣٦](*)، وهو ثوب قصير يغطى نصف الجسم من أعلى مفتوح الأمام ، يزرر بأزرار متعددة ولا طوق له ولا كمين ، وكان يتخذ من نسيج الكتان أو القطن الأبيض ، وكان الصَديرى من الأجزاء التى ترتدى تحت الجلباب بصفة دائمة ، وما زال منتشرًا فى ملابس أهل الريف حتى الآن ، كما ارتدى الفلاحون بعض الجبب التى كانت تسمى بالجُمازة ، وهى عبارة عن جبة مشقوقة قصيرة تصنع من الصوف يرتدونها فى أوقات العمل[٣٧] .

أما عن العباءة فعرفت فى ملابس الفلاحين بأسماء متعددة فكان منها ما عرف بالبُشت[٣٨]، وهى عبارة عن عباءة لا أكمام لها كانت تصنع من غليظ الصوف ، وكانت

---

(٣٤) الرقاص : عامل البناء ، من ترقص أى ارتفع وانخفض ، وفلان يرقص فى كلامه أى يسرع . الزمخشرى : أساس البلاغة . كتاب الشعب ١٩٦١ ص٣٦١ .
(٣٥) سيرة أحمد بن طولون . ص١٢٥ .
(٣٦) الصَديرى : تحريف للكلمة الفصيحة الصُدير تصغير صدار . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٢٨٣ .
(*) الملحق : شكل رقم (٤٧) .
(٣٧) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٥١ .
(٣٨) البُشت : كلمة فارسية معربة ، أصلها پشت ، ومعناها العباءة الواسعة . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٦٥ ، شلبى إبراهيم الجعيدى : طبقة العامة فى مصر فى العصر الأيوبى . ص١٢٣ .

ترتدى - أيضًا - أثناء العمل إذ كانت قصيرة ودون الركبة فلا تعوقهم[٣٩]، كذلك عرف نوع آخر من العباءات كان يسمى الدَفية ، وهى عبارة عن عباءة فضفاضة كانت تصنع من شعر الماعز أو الصوف الرقيق ، وتميزت بلونها الأزرق والأسود الداكن[٤٠].

كان الجلباب من أكثر أنواع الثياب انتشارًا فى ملابس الفلاحين لما يتيحه لهم من حرية الحركة[٤١]، كذلك كانت جلابيبهم تمتاز - دائمًا - بأكمامها الواسعة حيث كانوا يحملون فيها بعضًا من حاصلاتهم[٤٢]، أما عن البردة[*] فيذكر دوزى أنها كانت من الملابس المعروفة والشائعة لدى فلاحى مصر منذ زمن طويل ، فكانوا يرتدونها فوق قمصانهم الواسعة ، وكانت هى الأخرى واسعة وفضفاضة ، إذ بلغ طولها عشرة أذرع وعرضها ذراعان[٤٣]، كذلك كانت الشيلان (جمع شال) ضمن قطع الملابس التى ارتداها الفلاحون ، وهى نوع من نسيج رفيع من القطن أو الصوف ، كانوا يطرحونه على أكتافهم أو يتعممون به فى بعض الأحيان[٤٤].

من الملابس التى انتشرت لدى العامة البَت[٤٥]، وهو نوع من الطيالس وأشبه بالشال كان يرتدى صيفًا وشتاءً ، ويعتبر البَت من أقدم الملابس العربية التى عرفت فى المجتمع المصرى وانتشرت فى ملابس فقراء العامة ، كما وردت بشأنه بعض الأشعار العربية القديمة المنسوبة للشاعر رؤبة بن العجاج إذ يقول :

(٣٩) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٦٥ .

(٤٠) سعد الخادم : تاريخ الأزياء الشعبية فى مصر . ص٣٤ ، محمد جمال عبد الغفور : دراسة للأزياء الشعبية . ص٣٥ .

(٤١) محمد محمود إدريس : تاريخ الحضارة الإسلامية . ص٢٨٦ .

(٤٢) التنوخى : نشوار المحاضرة . جـ٨ ص٧٠ ، شلبى إبراهيم الجعيدى : طبقة العامة فى مصر فى العصر الأيوبى . ص١٢٤ .

(*) الملحق : شكل رقم (٢١) .

(٤٣) المعجم المفصل بأسماء الملابس . ص٥٤ .

(٤٤) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٢٥٤ .

(٤٥) البَت : نسيج من الصوف المنسول ، والكلمة فارسية معربة ، أصلها فى الفارسية پت ، وهو كساء غليظ مهلهل مربع ذو لون أخضر يصنع من وبر وصوف . طوبيا العنيسى : تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية . ص٨٠ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص٤٦ .

من كان ذا بت فهذا بَتى   مقيــظ مصــيف مُشــتى
تخذته من نعجّات ست   سود سمان من بنات الدشت(٤٦)

وتوضح الأبيات السابقة أن نسيج البَت كان يتخذ من وبر النعاج ، وهو ما جعله ينتشر ـ بالطبع ـ فى ملابس الفلاحين لوفرة الأغنام والماعز لديهم ، ويذكر ابن منظور عن البَت أنه الطيلسان من خز ونحوه ، والبَتى هو الذى يصنعه أو يبيعه(٤٧) .

أما فيما يتعلق بألوان ملابس الفلاحين ، فنلحظ أن اللون الأزرق(٤٨) كان من الألوان الشائعة فى ملابسهم ليتلاءم مع طبيعة عملهم الزراعى الشاق مع الماء والطين ، كما يلاحظ أن أغلب ملابسهم كانت من الأنسجة الخشنة لتعطيهم الدفء أثناء عملهم فى العراء .

وإذا انتقلنا للملابس الداخلية لطبقة العامة فسنجد أن التُبان(*) كان أكثر الأجزاء الداخلية انتشاراً فى ملابسهم ، وهو عبارة عن سروال صغير مقدار شبرين يستر العورة ، وكان التبان من الأجزاء المميزة لملابس بعض عناصر العامة ، إذ ارتداه الملاحون والحمالون وعمال الحمامات(٤٩) ، وكان معظم هذه السراويل الداخلية بسيط الشكل خاليًا من الزخارف المعتادة فى بعض السراويل الطويلة الخارجية ، لعدم ظهورها بشكل واضح واختفائها تحت الملابس ، كذلك كانت المادة التى تصنع منها رخيصة لتناسب مستواهم المادى المنخفض ، فكان أغلبها يصنع من الصوف أو القنب(٥٠) ، كما وجدت بعض السراويل الطويلة ، التى انتشرت بين فئات العامة ، وكانت تتميز بوجود تكة(**) تربطها ويتدلى جزء منها من الأمام(٥١) ، وكانت أغلب السراويل الطويلة أيضًا تصنع من النسيج

(٤٦) الدشت : بمعنى المتفرقة . ابن دريد : جمهرة اللغة . جـ١ ص٢٢ .
(٤٧) لسان العرب . جـ١ ص٢٠٥ .
(٤٨) ابن الجوزى : تلبيس إبليس . ص١٨٦ .
(*) الملحق : شكل رقم (٣٧) .
(٤٩) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام . جـ٤ ص٦٤٠ .
(٥٠) صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص١٩٣ .
(*) الملحق : شكل رقم (٢٥) .
(٥١) يعلق صلاح العبيدى على سبب وجود هذه التكك فى السراويل ، وهو أن السراويل كانت غير مفتوحة المقدم ، فعوضوا عنها باستعمال هذه التكك . المرجع نفسه . ص١٩٣ .

الرخيص كالكتان ، كذلك غلب على ألوانها اللون الأزرق ، خاصة لدى السقائين والفلاحين وعمال البناء[٥٢] .

وكما انتشرت الجيوب فى قمصان العامة انتشرت كذلك فى سراويلهم ، إذ كانت تستخدم- أيضًا - فى حفظ الأشياء الخاصة بهنهم[٥٣] . وعلى الرغم من أن السراويل كانت من الملابس الداخلية لما كان يرتدى فوقها من ثياب تخفيها ، إلا أن العامة غالبا ما كانت ترتدى هذه السراويل - أيضًا - ظاهرة ، فكان الرداء العلوى يمثله قميص قصير ويليه من أسفل السروال ظاهرًا ، بل كان السروال عند بعض عناصر العامة كالظرفاء والندماء ظاهرًا دائمًا ، إذ كان لا ينبغى للظريف أن يمشى أو يظهر بلا سراويل[٥٤] . وكما قَلّت الزخارف فى التبان قَلّت كذلك فى السراويل ، وكل ما أضيف إليها هو بعض الشراشيب أو الفتحات الجانبية فى أسفلها ، كذلك كانت السمة العامة لسراويل طبقة العامة أنها فضفاضة خاصة لدى أصحاب المهن والحرف الشاقة لتسمح لهم بحرية الحركة[٥٥] .

أما عن ملابس القدم فكان الخف والنعل الأكثر شيوعًا لديهم ، إذ يذكر ابن قتيبة : «كان لبس الفقراء النعل العربية والخف»[٥٦] ، ويعلق رجب عبد الجواد على تطور أسماء ملابس القدم عند العامة ، خاصة ما عرف منها بالمركوب قائلاً : « المركوب اسم مفعول من الفعل رُكب ، وهى كلمة أصبحت مستعملة على ألسنة العامة فى مصر ، وكانت تعنى نوعًا من النعال المكشوفة الخالية من الرباط ، وتتخذ من الجلد الأحمر والأصفر ، وهى مدببة وأنوفها شامخة إلى أعلى »[٥٧] ، كذلك يذكر آدم متز عن ألوان خفاف العامة أنها كانت حمراء خاصة لدى فئات المتظرفين والمتخنثين منهم[٥٨] ، وهى إشارة واضحة إلى دلالة اللون الأحمر مرة أخرى وارتباطه بالمجون ، ويبدو أن اللون الأسود فى نعال وخفاف

(٥٢) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر . جـ١ ص١٦٤ .
(٥٣) نورى حمودى : دراسة فى الملابس العربية . ص١٩ .
(٥٤) الوشاء : الموشى أو الظرف والظرفاء . جـ٢ ص١٤٨ .
(٥٥) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٢٣٥ .
(٥٦) عيون الأخبار . جـ٣ ص٣٩٩ .
(٥٧) المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٩٩ .
(٥٨) الحضارة الإسلامية . جـ٢ ص٢٣٠ .

العامة كان مكروهًا ، إذ يذكر الجاحظ فى هذا الشأن : « والعامة تزعم أن لبس النعال السود يورث الغم والنسيان »(٥٩)، ويوضح هذا النص أثر بعض الأفكار والمعتقدات لدى العامة وانعكاسها على تفضيل بعض الألوان لديهم .

إلى جانب انتشار النعل والخف فى ملابس القدم لدى العامة ، استخدم البعض منهم الصندل(٦٠)، وهو حذاء يشبه الخف كان به بعض المسامير ،وعلى وجهه بعض الأحزمة أو السيور ، وقد تصرف بعض الناس فيه فقالوا تَصندل إذا لبس الصندلة(٦١)، كذلك استخدم البعض منهم القبقاب(٦٢) خاصة فى الحمامات حتى لا ينزلق المستحم(٦٣)، وكان القبقاب على هيئة قطعة من الخشب بأعلاه جزء من الجلد على هيئة سير يسمى الشراك ، وقد شاع نوع من هذه القباقيب عرف بالزحاف تميز برخصه وخفته(٦٤)(*) .

وإذا ما انتقلنا إلى ملابس النساء من العامة ، فسنجدها عديدة ومتنوعة لتعدد عناصرهن وتنوعها داخل المجتمع ، إذ شكلت بعض عناصرهن قطاعًا عريضًا فى الحياة الاجتماعية فى مصر ، كالجوارى والإماء والقيان والفلاحات والممتهنات لبعض الحرف والأعمال الخاصة ، وكما احتلت أغطية الرأس لدى جميع طبقات المجتمع مكانة كبيرة ، احتلت كذلك لديهن مكانة مهمة .

وتعد العصائب من أشهر أغطية الرأس لديهن وأكثرها انتشارًا ، فكان استعمال العصائب من قبل الجوارى والقيان واسع الانتشار خاصة فى العصر الفاطمى ، كما كان

---

(٥٩) الحيوان . جـ٥ ص٣٨٠ .

(٦٠) الصندل : كلمة فارسية معربة أصلها سندل بالسين ، وتعنى قبقابًا أو حذاءً من جلد . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٢٨٩ .

(٦١) رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص٢٩٠ .

(٦٢) القبقاب : النعل المتخذ من خشبة بلغة أهل اليمن . أحمد مطلوب : معجم الملابس فى لسان العرب . ص٩٥ .

(٦٣) سعاد محمد حسن : الحمامات فى مصر الإسلامية . دكتوراه غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨٣ ص٣٩ .

(٦٤) رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص٣٧٣ .

(*) الملحق : شكل رقم (٥٠) .

ينتشر فى عصائبهن كتابة بعض الأشعار والكلمات المسجوعة ، التى كان أغلبها حول الحب والحبيب وموضوعات الغزل(٦٥)، كذلك حرص البعض منهن على زخرفة عصائبهن بوضع حبات من الخرز أو اللؤلؤ فى أطرافها المنسدلة تشبهًا بنساء الطبقات العليا(٦٦)(*) .

كما استعملت بعض الفلاحات نوعًا من العصائب عرف بالرفراف والتربيعة ، أما الرفراف فكانت عبارة عن خرقة سوداء تعصبها المرأة على رأسها(٦٧)، والتربيعة مأخوذة من التربيع لأنها تكون مربعة الشكل ثم تطوى على شكل مثلث وتعصب بها الرأس ، وعادة ما كانت التربيعة تتخذ من ألوان مختلفة(٦٨).

تميزت عصائب بعض نساء العامة بألوان خاصة تميزهن ، فكانت عصائب الندابات (جمع ندابة) فى المآتم زرقاء اللون ، وهى من الألوان التى شاعت للحداد ، كذلك كانت عصائب غاسلات الموتى باللون نفسه(٦٩)، كما حرصت بعض النساء على وضع الأحجبة والتعاويذ تحت هذه العصائب دفعًا للشر أو للتبرك(٧٠).

---

(٦٥) كتبت بعض الجوارى على إحدى عصائبها بعض أبيات من الغزل تقول :

رقتى فوق رقة الإبشار .·. عقد سحر لأعين النظار

من رآنى رأى لهيبًا وماء .·. وعجيب لقاء ماء ونار

وكتبت أخرى :

من يكن صبا وفيًا .·. فزمامى فى يديه

خذ مليكى بعَنانى .·. لا أنازعك عليه

الوشاء : الموشى أو الظرف والظرفاء . جـ٢ ص٢٢٤ ، عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى . ص٣٠١ .

(٦٦) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٤٨ ، غيثان بن على بن جريس : بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية . ص٢٠٦ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٣٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (١٤٩٨٧).

(٦٧) أحمد تيمور : معجم تيمور الكبير . جـ٣ ص٣٣٢ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص١٩٧ .

(٦٨) رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص١٨٩ .

(٦٩) شلبى إبراهيم الجعيدى : طبقة العامة فى مصر فى العصر الأيوبى . ص١٢٨ .

(٧٠) ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٨١ .

على الرغم من ارتباط الخمار(*) بالحرائر من النساء إلا أن بعض الإماء أخذن يلبسنه مع بداية العصر العباسى ، فكثرت أنواعه وألوانه لديهن ، فعرف نوع منه يسمى النصيف والجمع نصف(٧١) ، ونظرًا لانتشار الخمار وشيوعه بعد انتشار الإسلام ، أصبحت أسعاره منخفضة بالنسبة لأغطية الرأس الأخرى ، إذ تراوحت أسعاره ما بين الدينار ونصف الدينار تبعًا للخامات المستخدمة فى صنعه(٧٢) .

كذلك كان البخنق ضمن أغطية الرأس الصغيرة الحجم ، والتى اشتد إقبال أغلب نساء العامة عليها ، حتى وجد لها سوق خاص فى أواخر العصر الفاطمى كان يعرف بسوق البخناقيين بالقاهرة ، أما عن البخنق فيذكر ابن منظور أنه : « خرقة تلبسها المرأة وتغطى رأسها ما قبل منه وما دبر غير وسط رأسها »(٧٣) ، ونظرًا لإقبال النساء عليه أصبح سعره لا يتعدى نصف الدينار(٧٤) .

كما كان المعجر ضمن أغطية الرأس التى ارتدتها نساء العامة تشبهًا بنساء الطبقات العليا ، وإن كان يَصنع من خامات أقل جودة وأرخص ثمنًا وخاليًا من التطريز(٧٥) .

أما عن أكثر ملابس البدن الداخلية انتشارًا بين نساء العامة ، فكان الصدار(٧٦)(**) ، وعلى الرغم من أن الصدار كان دائمًا ما يصنع من الأقمشة اللينة الرقيقة ، لمُباشرته لصَدر المرأة ، إلا أن بعض نسَاء العامة ونظرًا لانخفاض المستوى المادى لديهن ، كن يصنعنه من الكتان كما حرصت البعض منهن فى مناسبات الحداد على ارتداء صِدار من الصوف

(*) الملحق : شكل رقم (١٠) .

(٧١) النصيف : ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها كلها ، سُمى نصيفًا لأنه نصف بين الناس وبينها فحجز أبصارهم عنها . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٤٩٤ ، إبراهيم السامرائى : من معجم اللباس . ص١٥ .

(٧٢) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٢ .

(٧٣) لسان العرب . جـ١ ص٢٢٣ .

(٧٤) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٠ .

(٧٥) المرجع نفسه . ص١٥٢ .

(٧٦) قمنا بتعريفه فى الفصل السابق .

(**) الملحق : لوحة رقم (٣٩) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (٥٨٦٧) .

إظهارًا للحزن[٧٧]. كما كان هناك ـ أيضًا ـ لباس شبيه بالصدار عرف بالأصُدة ، وهو عبارة عن قميص بدون أكمام كان يلبس تحت الثوب مباشرة ، اختصت به الجوارى الصغيرات قبل سن البلوغ[٧٨]، ومن الجدير بالذكر أن القمصان الداخلية كانت أكثر أجزاء الملابس شيوعًا وانتشارًا لدى الجوارى والقيان والراقصات خاصة فى العصر الفاطمى ، الذى احتلت فيه هذه الفئات أهمية لدى الخلفاء والوزراء وامتلأت بهن القصور والمجالس ، وكانت أغلب قمصانهن تمتاز بقصرها وشفافية نسيجها وخلوها من الأكمام ، خاصة ما كانت ترتدى فى أوقات التبذل والمنادمة ، كما عرف منها العديد من الأسماء كالمجول والعلقة والمجسد والغلالة[٧٩].

ومن الملاحظ أن أكثر أسماء هذه القمصان كانت معروفة ومنتشرة لدى العرب قديمًا ، ثم انتقلت إلى مصر وشاع إستعمالها مع باقى ما شاع من اللباس الذى انتقل من التراث العربى ، يؤكد ذلك ما ورد بشأنها وصفاتها فى المعاجم اللغوية .

ويعتبر العصر الفاطمى وما اتسم به من الترف والبذخ ، من أكثر العصور التى كانت تنتشر فيه بين الجوارى والراقصات هذه القمصان ، بل تفنن البعض منهن فى ارتداء العديد منها لإبراز مفاتنهن ، خاصة فى مجالس اللهو والشراب ، إذ وجدت بعض الأشكال من هذه القمصان من خلال بعض الأطباق الخزفية التى تصور موضوعاتها الحياة الاجتماعية والفنية فى العصر الفاطمى[٨٠].

---

(٧٧) إبراهيم السامرائى : من معجم اللباس . ص١٦ ، أحمد مطلوب : معجم الملابس فى لسان العرب . ص٧٩ .

(٧٨) كانت الجوارى صغيرات السن يرتدين الأصُدة ، فإذا أدركن وبلغن ارتدين الدرع ، وهو القميص الخاص بالنساء البالغات ، وفى ذلك يقول ابن الأعرابى لكثير عزة :

وقد درعوها وهى ذات مؤصد
مجوب ، ولما تلبس الدرع ريدها

رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٣٥ .

(٧٩) سبق تعريف هذه الأسماء فى الفصل السابق .

(٨٠) محمود إبراهيم حسين : المرأة فى إنتاج المصور المسلم . ص٣٣ ، سعدون الساموك : الأزياء العربية عبر التاريخ . ص١٤٧ .

أما بخصوص بعض الملابس الداخلية التى غطت الأجزاء السفلى من الجسد ، فلم تختلف فى أسمائها أو مكوناتها لدى نساء العامة عن غيرهم من الطبقات ، اللهم إلا فى نوعية الخامات المصنوعة منها ، إذ انحصرت هذه الأجزاء فى النقبة(٨١) والمئزر(٨٢) والسروال.

يعتبر السروال(*) من أكثر أجزاء الملابس الداخلية التى انتشرت بين نساء العامة ، بل تفنن البعض منهن فى زخرفتها وارتداء الأشكال العديدة منها ، وتعد الجوارى من أكثر فئات العامة استخدامًا للسراويل والتفنن فى زخرفتها والكتابة على تككها ، إذ انتشرت لديهن فى العصر الفاطمى ظاهرة الكتابة لبعض الأبيات الشعرية وعبارات الغرام المثيرة(٨٣)، كما اتخذت بعض نساء العامة من محترفات الدعارة من السراويل وسيلة للإعلان عن مهنتهن ، إذ كن يحرصن على ارتداء سراويل خاصة تصنع من الجلد ، امتازت - دومًا - بلونها الأحمر ، وكن يقفن بها فى سوق الشماعين بالقاهرة فى العصر الفاطمى(٨٤).

أما عن الملابس الخارجية ، فيعتبر الإزار من أكثر الأجزاء شيوعًا فى ملابس نساء العامة ، فكان أغلبهن يلتففن به عند الخروج ، إذ كان أشبه بالملاءة العريضة لديهن ، كما

(٨١) النقبة : عبارة عن خرقة متوسطة الحجم تخاط وتجعل لها حجزة وتشد كما تشد حجزة السراويل ، ويصف دوزى النقبة بأنها تبان المرأة ، وهى مزودة بمجرى لإمرار خيطين فيها لإحكامها على الجسد، والنقبة لا تغطى الأفخاذ بل تستر العورة فقط . المعجم المفصل بأسماء الملابس . ص٣٤٤، رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٥٠٢ ، أحمد تيمور : معجم تيمور الكبير . جـ٣ ص٥٢ .

(٨٢) المئزر : شبيه بالنقبة إلا أنه كان يمتد أحيانًا ليصل إلى الركبتين . نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٤ .

(*) الملحق : شكل رقم (٤٤) .

(٨٣) كتبت إحداهن على تكة سروالها :

اقطع التكة حتى   تذهب التكة أصلاً
ثم قل للردف أهلاً   بك يا ردف وسهلاً

الوشاء : الموشى أو الظرف والظرفاء . جـ٢ ص٢٢٨ .

(٨٤) المقريزى : الخطط . جـ٣ ص١٥٦ ، محمود إبراهيم حسين : الفنون الإسلامية فى العصر الفاطمى. ص٢٥٨ .

كان المصريون عندما يتقدمون - فى العصر الفاطمى - بشكوى أو مظلمة إلى الخليفة يصورون امرأة من العامة بالجريد والورق ويلبسونها إزاراً[٨٥]، وهو ما يؤكد شيوع وانتشار الإزار فى ملابس نساء العامة ، كذلك انتشرت لديهن بعض الأغطية الخارجية كالملحفة[٨٦] والريطة[٨٧] والحبرة[٨٨]. والتى كانت منتشرة قديمًا لدى العرب وظلت منتشرة فى مصر لفترة طويلة .

من الملابس الشائعة بين نساء العامة الجلباب[٨٩]، إذ استخدمته فئات وعناصر عديدة منهن ، خاصة فى القرى والريف فكانت ثيابهن الخارجية مقصورة - غالبًا - على الجلباب الأزرق الواسع الأكمام - دومًا - ليتيح لهن حرية الحركة فى أعمال الحقل[٩٠]، كما ارتدته بعض النساء فى المدن داخل المنزل .

أما الثوب فيعتبر من أكثر الملابس الخارجية انتشاراً بين النساء ، وإن اختلفت أثواب بعض فئات النساء من العامة ، فأثواب الراقصات والمغنيات كانت دائمًا تمتاز بأنها ضيقة ومحبوكة على أجسادهن ، كما كانت توجد بها عدة فتحات فى جوانبها لتتيح لهن حرية الحركة وكشف الأرجل عند الرقص ، كذلك كانت فتحة العنق لديهن كبيرة الاستدارة بالمقارنة بأثواب نساء الطبقات العليا ، أما عن الأكمام فكانت دائمًا واسعة وفضفاضة لتأدية - أيضًا - بعض الحركات الراقصة بسهولة[٩١].

---

(٨٥) النويرى : نهاية الأرب . جـ٢٦ ص٥٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٤ ص١٨١ .

(٨٦) الملحفة : نوع من الملاءة تكون طويلة وبيضاء تلبسها المرأة إذا أرادت الخروج . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٤٥٢ .

(٨٧) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، كلها نسج واحد . رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص٢٠٢ .

(٨٨) سبق تعريفها فى الفصل السابق .

(٨٩) الجلباب : ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تغطى به المرأة رأسها وصدرها وظهرها حين الخروج من المنزل . دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس . ص١٠٢ ، إبراهيم السامرائى : من معجم اللباس . ص٧ ، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٢٩٨ .

(٩٠) سعد الخادم : تاريخ الأزياء الشعبية فى مصر . ص٣٥ .

(٩١) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٤ ، ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٩٠ ، محمود إبراهيم حسين : المرأة فى إنتاج المصور المسلم . ص٣٢١ .

كانت الأحزمة - أيضًا - من مكملات الملابس الخارجية لدى نساء العامة ، وكان أشهرها ما يعرف بالنطاق والبريم ، أما النطاق فكان عبارة عن شريط من القماش الرفيع تشده المرأة على وسطها وترسل الجزء الأعلى منه على الأسفل إلى الركبة ، وينجّر الجزء الأسفل منه إلى الأرض(٩٢)(*)، وكان النطاق يصنع لديهن غالبًا من الكتان أو القطن(٩٣)، أما البريم فكان عبارة عن حبل مفتول من لونين تشده - أيضًا - المرأة على وسطها فوق الإزار(٩٤)(**).

أما عن ملابس القدم فتميزت نساء العامة وبعض الجوارى بارتداء نوع من الخفاف عرف بالزرابيل(٩٥)، كما شاع وانتشر لديهن نوع آخر من الخفاف عرف بالسرموزة(٩٦)، امتاز باتساعه وخفته ، كذلك اشتهرت بعض أحذية الراقصات بأنها تصنع من النسيج بدلاً من الجلود ، لتكون أكثر خفة فى أقدامهن أثناء الرقص .

ومن ملابس القدم التى أقبل عليها نساء العامة خاصة داخل المنازل القبقاب(٩٧) لرخصه وكثرة تحمله ، ومن الغريب أن نساء العامة كن يستخدمن ملابس القدم من نعال وخفاف للتعبير عن حزنهن على الأموات ، فكن يقعدن فى المناحات ويضربن صدورهن بالنعال ، كما كان البعض منهن يستخدمن القباقيب للضرب والقتل أحيانًا(٩٨).

---

(٩٢) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٤٩٥ .

(*) الملحق : لوحة رقم (٣٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى سجل رقم (٩١/ ٥٤٠١) .

(٩٣) محمود إبراهيم حسين : المرجع نفسه . ص٣٤ .

(٩٤) معروف الرصافى : الآلة والأداة . ص٣٣ ، دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس . ص٦٤ .

(**) الملحق : شكل رقم (٤١) .

(٩٥) الزرابيل : جمع زربول ، وهو خف غليظ أحمر ذو حواش واسعة ، طرفه معقوف إلى أعلى . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٢٠٦ .

(٩٦) السرموزة : كلمة فارسية مركبة من سر بمعنى فوق ، وموزة بمعنى الخف ، والمعنى الكلى نوع من الأحذية يلبس فوق الخف ، وقد حرفتها العامة بعد ذلك لتصبح الصرمة بالصاد ، وصارت تعنى النعال القديمة البالية . رجب عبد الجواد إبراهيم : المرجع نفسه . ص٢٣٣ ، صلاح العبيدى : الملابس العربية الإسلامية . ص٣٣ .

(٩٧) سبق تعريفه فى الفصل السابق .

(٩٨) الجاحظ : البيان والتبيين . جـ٣ ص٦٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٥ ص٣١١ .

ونخلص مما سبق إلى أن ملابس العامة رجالاً ونساءً تميزت - دائمًا - بالبساطة وقلة مكوناتها، وهو ما أدى - بالطبع - إلى إغفال الكثير من المصادر والمراجع الحديث عنها بشكل مفصل ، بالمقارنة بملابس الطبقات الأخرى فى المجتمع ، كذلك نلحظ أن أغلب ملابسهم كانت تصنع دائمًا من خامات رخيصة الثمن قليلة الجودة لتتناسب مع المستوى المادى لهم ، كما ابتعد معظمهم عن استخدام الزخارف والتطريز فى ملابسهم لارتباط أغلبها ببعض المهن والأعمال ، اللهم إلا ما امتازت به بعض ملابس الجوارى والراقصات من استخدام هذه الزخارف والتطريز لما ارتبط بهن من الجلوس فى القصور ومجالس اللهو والشراب .

على الجانب الآخر كان هناك ارتباط كبير بين ملابس العامة وما مارسوه من مهن وأعمال كانت تتطلب - دائمًا - البساطة وقلة مكوناتها ، لتتيح لهم الخفة فى الحركة لتأدية أعمالهم الشاقة ، خاصة بعض المهن كعمال البناء والسقائين والعجانين ، يضاف إلى ذلك أن أغلب ألوان ملابسهم كانت - أيضًا - مناسبة دائمًا لطبيعة أعمالهم ، إذ كان أغلبها ذا ألوان داكنة تتحمل الأوساخ كالأزرق والأسود .

من ناحية أخرى نلحظ أن بعض العامة لم يُحرم من ارتداء بعض الملابس التى استخدمتها بعض الطبقات الأخرى الأكثر ثراءً ، خاصة فى بعض المناسبات الخاصة بهم ، فى محاولة من بعضهم للتقليد والمحاكاة ، وإن كانت معظم هذه الأجزاء من الملابس تصنع من خامات بديلة ورخيصة ، لذلك كانت هناك - دائمًا - بعض الفروق الظاهرة فى ملابسهم بينهم وبين ملابس الطبقات الأخرى ، وهو ما يؤكد مرة أخرى ارتباط الملابس بالتصنيف الطبقى لعناصر المجتمع .

الفصل الخامس

ملابس أهل الذمة

لا شك أن ملابس أهل الذمة كانت تعكس طبيعة الوضع الدينى والاجتماعى لهم بين طبقات المجتمع الإسلامى ، خاصة بعد انتشار الإسلام وسيادة الحكم العربى فى العديد من البلدان ، وإذا كانت أغلب المصادر والمراجع التاريخية تغفل الحديث عن ملابسهم فى مصر قبل دخول الإسلام بشكل مفصل ، فلا شك أنه يمكننا من خلال النصوص أو الشروط الأولى التى وضعت لهم من قبل الدولة ، الوقوف على بعض المكونات الأساسية لملابسهم قبل الإسلام وبعده ، إذ إن أغلب هذه النصوص أو الشروط كانت تحدد الهيئة العامة لملابسهم ، مع وجود بعض التعديلات التى كانت تميزهم عن غيرهم من المسلمين ، فإذا تأملنا أغلب هذه الشروط سنجدها لم تمنع زيًا محددًا -إلا نادرًا- بقدر ما كانت تشترط فيه بعض التعديلات المميزة ، كما أن هذه الشروط على الرغم مما يبدو- أحيانًا - من صرامتها إلا أنها لم تكن مرعية أو ملزمة لهم فى كل الأوقات ، فلم يعمد - بعض - الحكام والخلفاء إلى تطبيقها إلا فى بعض الفترات التى كانت تستدعى ذلك ، رغبة فى تحقيق الانضباط الاجتماعى لهذه العناصر داخل المجتمع الإسلامى ، خاصة أن أعدادًا كبيرة منهم ظلت محتفظة بديانتها لفترة كبيرة ولم يفرض عليها اعتناق الإسلام وهو ما يحسب للإسلام لا عليه(١) .

---

(١) يذهب بعض المؤرخين إلى أنه لم يكن ثمة ضرورة فى عصر الفتوحات وما بعدها ، لإلزام أهل الذمة بلبس نوع من الثياب ، يخالف ثياب المسلمين ، لأنه مما لا شك فيه أنه كان لكل فريق منهم ثيابه الخاصة ، التى كانوا يرتدونها من تلقاء أنفسهم قبل الإسلام ، كما كان المسلمون فى بداية عصر الفتوحات يتميزون بملابسهم العربية عن ملابس أهالى البلاد المفتوحة ، وعلى الرغم من وجاهة ومنطقية هذه الآراء التى نتفق مع بعضها ، إلا أن ثمة حقيقة يجب أن نؤكدها ، وهى أن بعض اليهود والمسيحيين كانوا قد عاشوا فى البيئة العربية مع العرب قبل الإسلام وارتدوا بعض الملابس العربية نفسها ، كما أن سيادة العنصر العربى الإسلامى والتحول الدينى الذى صاحبه للمجتمعات المفتوحة ، كان يستلزم - بالضرورة - إخضاع هذه العناصر التى ظلت على ديانتها للسلطة السياسية =

وعلى الرغم من أهمية الشروط الأولى التى وضعتها لهم السلطة السياسة بشأن ملابسهم، إلا أنه كانت هناك بعض السمات الخاصة بملابسهم ، والتى - بلا شك - مثلت انعكاسًا واضحًا لعقائدهم وتعاليمهم الدينية ، إذ كان بعضها مرتبطًا ببعض الطقوس والعبادات والأعياد الخاصة بهم .

كانت أغطية الرأس أهم الأجزاء المميزة لملابس أهل الذمة وبخاصة اليهود منهم ، إذ كانت تعاليمهم الدينية تلزمهم بتغطية رؤوسهم كأسلوب للخضوع والطاعة لله[٢] ، كما كان أطفالهم يلزمون بتغطية رؤوسهم تأكيدًا لطاعة الوالدين والتقوى ، ومنعهم من أن يصبحوا - فى اعتقادهم - لصوصًا فى المستقبل[٣] ، لذلك كان إنفاق اليهود على أغطية الرأس يفوق الإنفاق على باقى أجزاء الملابس الأخرى ، فكان من الممكن أن تتكلف العمامة مبلغًا يتراوح بين ثلاثة وخمسة دنانير ، فى حين كان الرداء الخارجى لا يتعدى دينارًا أو دينارين فقط[٤] .

كما تميزت عمائم اليهود - دائمًا - بلونها الأصفر والأسود ، بل ألزم بعض الخلفاء كالحاكم بأمر الله اليهود فى بعض أوامره بأن تكون عمائمهم سوداء - شعار العباسيين - لاعتبارهم من وجهة نظره فى منزلة العصاة[٥] ، كذلك عرفت لدى اليهود بعض الأنواع

= الجديدة ، خاصة بعد أن امتزجت هذه العناصر مع المسلمين داخل المجتمع الواحد ، فضلاً عن ذلك كان تهرب البعض من أهل الذمة من دفع الجزية التى قبلوها على أنفسهم ، ومحاولتهم التشبه بالمسلمين هربًا من أدائها ، دافعًا للسلطة السياسية إلى وضع هذه الشروط ليسهل عليها التمييز بينهم وبين المسلمين . ترتون : أهل الذمة فى الإسلام . ص١٢٢-١٢٣ ، قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى . ص١٥٥ ، فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية . جـ١ ص٤٢٧ .

(2) Encyclopaedia Judaica, vol 8, P. 2 .

(3) Encyclopaedia Judaica,vol 8, P. 5 .

(4) Encyclopaedia Judaica, vol 8, P. 6 .

(٥) ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة . ص٥٢ ، سلام شافعى : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول . ص١٧٩ .

الخاصة من القلانس كانت تسمى البُراطيل(٦) تميزت بطولها المفرط ، حتى قال فيها بعض الشعراء :

تحت أميال طوال كبراطيل اليهود(٧)

وكان هذا النوع من القلانس منتشرًا وشائعًا لديهم خاصة فى أواخر العصر الفاطمى ، كذلك كانت الشاشية ضمن أغطية الرأس المستخدمة لديهم خاصة فى أوقات الصلاة ، وهى قطعة طويلة من القماش الجيد كانت تستخدم كعمامة أو شال ، وتطرز -لديهم- أطرافها بحروف من اسم الشخص الذى يرتديها ، مع وجود بعض العبارات المقتبسة من التوراة مثل : فليباركك الرب(٨) ، أو آيات مشابهة لذلك .

تعتبر الطيالس(٩)(*) أكثر أغطية الرأس الشائعة لدى أهل الذمة يهودًا أو نصارى ، لذلك جاءت أغلب الشروط الخاصة بملابس أهل الذمة محددة لهيئة هذه الطيالس وألوانها ، إذ أوصى الخليفة العباسى المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ) جميع عماله فى الأمصار الإسلامية بوضع شروط لأهل الذمة فى طيالسهم منها : « رأى أمير المؤمنين ، وبالله توفيقه وإرشاده ، أن يجعل أهل الذمة جميعًا بحضرته فى نواحى أعماله ، أقربها وأبعدها ، وأخصهم وأحسبهم ، على تغيير طيالسهم التى يلبسها من لبسها من تجارهم وكتابهم وكبيرهم وصغيرهم ، ملونة كألوان الثياب العسلية لا يتجاوز ذلك متجاوز منهم إلى غيره ، ومن قصر عن هذه الطبقة من أتباعهم ، وأرذالهم ، ومن سعد به حاله من لبس الطيالسة ، أخذ بتركيب خرقتين ، صبغهما ذلك الصبغ ، تكون استدارة كل واحدة منهما

---

(٦) البُراطيل : جمع بُرطُل ، وهى كلمة آرامية معربة ، مركبة من : بر ومعناها : ابن ، ومن : طُل ومعناها : الظل ، والمعنى الكلى : ابن الظل ، وهى تعنى القلنسوة الكبيرة . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٥٦ .

(٧) الكندى : الولاة والقضاة . ص٤٢٤ ، ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص٢٣ .

(٨) هويدا عبد العظيم رمضان : اليهود فى مصر الإسلامية . ص٢٥٣ .

(٩) كان لإرتباط الطيالس بأهل الذمة ، أن عاب أنس بن مالك فى الصدر الأول للإسلام ، على من لبس الطيلسان من المسلمين وتشبههم بأهل الكتاب . ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة . جـ٢ ص١٧٧ .

(*) الملحق : شكل رقم (٩) .

شبراً تامًا فى مثله ، على موضع أمام ثوبه الذى يلبسه تلقاء صدره ، ومن وراء ظهره»[١٠]، ولم يقتصر التشدد بشأن هذه الطيالس على الخلفاء العباسيين ، إذ تكرر هذا التشدد فى العصر الفاطمى ، خاصة فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الذى أصدر مرسومًا عام ٤٠٣هـ أمر فيه النصارى واليهود أن يرتدوا طيالس سوداء وعمائم شديدة السواد[١١]، ونظرًا لعدم الالتزام بالأوامر السابقة تجددت هذه التعليمات مرة أخرى ، إذ أنشأ الوزير رضوان بن ولخشى سجلاً عام ٥٣٢هـ منع فيه أهل الذمة من ارتداء الطيالس بالكلية ، كذلك فعل الوزير العادل بن السلار عام ٥٤٤هـ بناء على مشورة بعض الفقهاء[١٢].

ونستنتج من خلال تكرار الأوامر بشأن الطيالس بصفة خاصة ، أنها كانت من أكثر وأهم أغطية الرأس لديهم ، وأنها شاعت فى المجتمع بشكل صعب معه التمييز بين من يرتديها من أهل الذمة أو المسلمين ، لذلك حرصت السلطة السياسية على إيجاد تمييز ظاهر لطيالسهم عن طيالس المسلمين .

أما عن العمائم فكانت ضمن أغطية الرأس التى ارتداها ـ أيضًا ـ اليهود والنصارى ، وإن كان هناك اختلاف فى ألوان عمائمهم ، فكانت عمائم اليهود صفراء ، بينما كانت عمائم النصارى زرقاء .

كما اشترك كل من اليهود والنصارى فى ارتداء البرانس ضمن أغطية الرأس ، وكان يطلق على برانس اليهود ـ أيضًا ـ بُراطيل[١٣]، ويرى آدم متز أن برانس النصارى فى القرن الثانى الهجرى كانت تتميز بالطول كبرانس اليهود[١٤].

كانت معظم أغطية الرأس لدى أهل الذمة تتميز بعدم وجود ذوائب لها من الخلف لتخالف عمائم المسلمين ، بل تشدد البعض فى إلزام أهل الذمة بذلك ، فالملك الصالح

(١٠) ابن زَبر القاضى : شروط النصارى . مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم (٢٩٢ تاريخ) ورقة رقم ١٤ - ١٥ .
(١١) ابن سعيد الأنطاكى : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . ص٢٠٢ .
(١٢) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، جـ١ ص٤٤ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٣ ص١٦٥ .
(١٣) أبو هلال العسكرى : التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء . جـ١ ص٢٠٥ .
(١٤) الحضارة الإسلامية . جـ١ ص٨٠ .

طلائع بن رزيك وزير الخليفة الفائز بنصر الله (٥٤٩ ـ ٥٥٥هـ) أمر بألا يكون لعمائم أهل الذمة ذوائب على الإطلاق[١٥]، كذلك تشدد أسد الدين شيركوه أثناء وزارته للخليفة العاضد في ذلك[١٦]، حتى إن ابن مماتى الملقب بالخطير متولى ديوان الجيش ـ وكان نصرانيًا ـ كتب إليه أبياتا من الشعر يستعطفه فيها قائلاً :

يا أسد الدين ومن عدله   يحفظ فينا سـنة المصطفى

كفي غيارًا شد أوساطنا   فما الذي يوجب كشف القفا[١٧]

وإذا كانت أغطية الرأس من الأجزاء المميزة في ملابس أهل الذمة ، فكذلك كانت بعض ملابس البدن الخارجية ، فعلى الرغم من ارتداء القميص لدى جميع طبقات المجتمع ، إلا أن قمصان القبط كانت تتميز ـ في العهود الإسلامية الأولى ـ بخياطتها وألوانها ، فكان القميص يزين بشريطين ملونين ينسدلان من أعلى الكتفين في الأمام والخلف[*] ، كما كان اللون الرمادى الفاتح والأخضر من الألوان المفضلة في قمصانهم[١٨]، كذلك تميزت أغلب قمصانهم بكثرة زخارفها النباتية والحيوانية وبعض الرموز الدينية وصور بعض القديسين ، حتى قيل إنهم أصبحوا يحملون الإنجيل على ملابسهم بدلاً من أن يحفظوه في صدورهم[١٩][**].

تميزت -أيضًا- المآزر التى ارتداها النصارى بالكبر والاتساع ، خاصة فى العصر الفاطمى ، إذ ألزم الحاكم بأمر الله النصارى أن تكون الصلبان من حديد بطول ذراع وأن يلبسوا المآزر الفسيحة ، فأقاموا على ذلك مدة ثم أعادهم إلى ما كانوا عليه[٢٠].

(١٥) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية . جـ٢ ص٤٦ .
(١٦) المصدر نفسه . جـ٢ ص٦٣ .
(١٧) ياقوت الحموى : معجم الأدباء . جـ٦ ص١٦٠ .
(*) الملحق : لوحة رقم (٦٧) محفوظة بمتحف الفن القبطى سجل رقم (٨٤٧٠) .
(١٨) ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٦٦ .
(١٩) حسن الباشا : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها . ص٣٨٨ ، محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية . ص٦٨ .
(**) الملحق : لوحة رقم (٧١) محفوظة بمتحف الفن القبطى سجل رقم (٨٤٧٢) .
(٢٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٢ ص٩٤ ، ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور . جـ١ ص٥٢- ٥٣ .

ونلحظ من خلال أغلب النصوص السابقة أن الأوامر أو التعليمات الصادرة لأهل الذمة ، كانت تنصب بالدرجة الأولى على شكل بعض الملابس دون أن تمنعها تمامًا ، اللهم إلا فى الطيالس وذوائب العمائم ، فيما عدا ذلك كانت أغلب أنواع الثياب يشترك فى ارتدائها - معظم - طبقات المجتمع فى أغلب فترات الحكم الإسلامى لمصر مسلمين ويهودًا ونصارى .

من الجدير بالذكر أن أهم ما كان يميز أهل الذمة فى ملابسهم طوال تاريخ مصر الإسلامية ، هى الأحزمة أو ما كان يربط على أوساطهم ، فكان الزُنَّار[٢١](*) أشهرها وأكثرها استخدامًا ، بل جاءت أغلب النصوص والشروط المفروضة فى ملابسهم ، مؤكدة وجود هذا الجزء فوق ملابسهم الخارجية ، وأن يكون مخالفًا فى لونه لباقى الثياب ، ففى عام ٤٠٢هـ أمر الحاكم بأمر الله أن تؤخذ الذمة من النصارى واليهود بتغيير الزنانير الملونة التى يلبسونها والاقتصار على لبس الزنانير السود فقط دون غيرها من الألوان[٢٢]، وتكرر هذا الأمر مرة أخرى من قبل الوزير بدر الجمالى - وزير الخليفة المستنصر بالله - عندما أمر اليهود فى سنة ٤٥٧هـ بأن يشدوا الزنار فى أوساطهم وأن يكون لونه أسود ، وأن يصبغوا أطرافه باللون الأصفر ليتميزوا عن القبط[٢٣]، على الجانب الآخر عرف نوع من الزنار كان يسمى الكُسْتيج[٢٤]، وهو أيضًا خيط غليظ كان على الذمى أن يشده فوق ثيابه دون الزنار ، ويذكر ابن قيم الجوزية أن عمر بن الخطاب ألزم أهل الكتاب بأن يربطوا هذه الكستيجات فى أوساطهم ليعرف زيهم من زى أهل الإسلام[٢٥].

---

(٢١) الزُنَّار : بضم الزاى وتشديد النون ، وهو خيط بقدر الأصبع من الإبريسم يشد على الوسط فوق الملابس . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٢١٥ .

(*) الملحق : شكل رقم (٤٣) .

(٢٢) ابن سعيد الأنطاكى : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . ص٢٠٠ .

(٢٣) ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطاركة . جـ٣ ص٢١٨ .

(٢٤) الكُسْتيج : بضم الكاف وسكون السين ، كلمة فارسية مُعربة وأصلها فى الفارسية : كُستى بمعنى حزام المصارع وزنار المجوسى . أدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة . ص١٣٥ ، رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٤٢٤ .

(٢٥) أحكام أهل الذمة . جـ٢ ص١٨٢ .

كما يشير ابن سعيد الأنطاكى إلى نوع آخر من الأحزمة التى ارتداها الأقباط وميزت البعض منهم وعرفت بالمنطقة[٢٦] حيث يقول : « والملاحظ أن المنطق كان أهم ما ميز القبط خاصة ، ويبدو أنه كان اللباس الرسمى لهم ، فكان - بكام القبطى - حاكم كورة بورة فى عهد الخليفة المأمون ، فى يوم الجمعة وقت الصلاة يلبس السواد - شعار العباسيين - ويتقلد السيف ويشد وسطه بالمنطق ويركب برذونًا »[٢٧] .

ونستطيع أن نستنتج من خلال هذا النص أن المنطَقة كانت نوعًا من الأحزمة الخاصة بالعسكريين والحكام وولاة الأقاليم ، إذ اقترنت فى النص السابق بتقلد السيف ، وبالتالى لم تكن لباسًا شائعًا لجميع عناصر القبط بقدر ما كانت ترتبط بمن تولى المناصب منهم .

أما عن السراويل التى ارتداها أهل الذمة ، فيمكن أيضًا من خلال بعض الشروط الأولى لهم ، أن نستنتج أهم ما ميزها ، إذ ورد من خلال بعض النصوص : « ولا يلبسن سراويل ذات خدمة »[٢٨] ، والمقصود بسراويل ذات خدمة عدم وجود حلقات توضع فى حاشية هذه السراويل ، إذ كانت هذه الحلقات أو الفتحات من مميزات السراويل عند المسلمين ، عدا ذلك لم نجد اختلافًا فى سراويلهم عن السراويل السائدة بين طبقات المجتمع .

وفيما يتعلق بملابس القدم نجد أن اهتمام اليهود بها كان يفوق النصارى ، إذ اعتاد اليهود على شراء كمية كبيرة منها من بلاد أخرى لاستعمالهم الشخصي[٢٩] ، ويذكر زكى شنودة : « كان اليهود يكثرون من استخدام النعال »[٣٠] ، ويبدو أن إكثار اليهود من ارتداء

---

(٢٦) المنطَقة : بكسر الميم ، كل ما شد به الإنسان وسطه ، وتشير كلمة المنطقة عند دوزى إلى الحزام من الذهب أو الفضة . رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٤٩٥ ، دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس . ص٣٤٠ .

(٢٧) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . ص٥٩ .

(٢٨) ابن زَبر القاضى : شروط النصارى . مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٢٩٢ تاريخ ، ورقة رقم ١١ ، ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز . ص١٦٠ .

(٢٩) هويدا عبد العظيم رمضان : اليهود فى مصر الإسلامية . ص٢٥٨ .

(٣٠) المجتمع اليهودى . مكتبة الخانجى بالقاهرة (د. ت) ص٥٠٦ .

النعال كان أحد الأسباب التى دعت إلى إلزامهم فى بعض الشروط الأولى بتحديد أشكالها لتكون مخالفة لنعال المسلمين ، إذ ورد بها : « ألا يرتدوا النعال العربية »(٣١) .

كما ارتبطت الملابس لدى أهل الذمة وبخاصة اليهود ببعض المعتقدات والطقوس الدينية لديهم ، فكان من عادات اليهود الاهتمام بملابس يوم السبت على اعتبار أنه يوم الرب ورمز القدسية(٣٢) ، كما حرصوا على ارتداء بعض الملابس البيضاء فى الأعياد الخاصة ، كعيد رأس السنة وعيد الغفران ، إذ كان اللون الأبيض فى هذه الأعياد من الألوان الدالة على السعادة والفرح لديهم ، فكان يحرم عليهم ارتداء الملابس السوداء فيها(٣٣) ، كما كان من عاداتهم ارتداء الملابس الفاخرة ـ أيضاً ـ عند الموت ، لاعتقادهم أن المرء سوف يقابل نظرة الرب الفاحصة له بعد الدفن(٣٤) ، لذلك أوصى بعض اليهود وهو على فراش الموت بأن تكون ملابسه أو أكفانه عبارة عن عباءتين وثلاثة أرواب ، وعمامة من كتان جيد ، وملابس داخلية جديدة وحزام وسط جديد(٣٥) ، أما عن أيام الحداد والحزن فكانوا يلتزمون بعدم ارتداء ملابس ملونة أو مزركشة لمدة شهر ، بل كان البعض منهم يرتدى المسوح المصنوعة من النسيج الخشن(٣٦) .

أما عن ملابس النساء من أهل الذمة ، فلم تختلف كثيراً عن ملابس غيرهن من المسلمات إلا فى بعض التفاصيل الجزئية التى تميزهن لتميزهن ، إذ ارتدت أغلبهن الكثير من أجزاء الملابس السائدة بين أغلب النساء ، كما كانت طريقة تفصيل ملابسهن وحياكتها واحدة بالنسبة للنساء آنذاك(٣٧) .

احتلت أغطية الرأس مكانة كبيرة لدى الذميات كما كانت عند المسلمات ، بل زاد الاهتمام بها لدى نساء اليهود خاصة خارج المنزل أو أثناء الخروج(٣٨) ، وكان من أكثر

(٣١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز . ص١٦٠ .

(٣٢) هويدا عبد العظيم : اليهود فى مصر الإسلامية . ص٢٦٣ .

(٣٣) المرجع نفسه ص٢٦٢ ، محاسن الوقاد : اليهود فى مصر المملوكية . ص٣٦٩ .

(٣٤) المرجع نفسه . ص٢٥٩ .

(٣٥) المرجع نفسه . ص٢٩٤ .

(٣٦) زكى شنودة : المجتمع اليهودي . ص٥١٧ ،

(٣٧) قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى . ص١٥٦ .

(38) Encyclopaedia Judaica . vol 8. P. 6 .

أغطية الرأس لديهن ما عرف بالميجار ، وهو غطاء يشبه الخمار كان يلف على الجسم كله من الرأس والرقبة ، وكثر استخدامه لديهن فى الترحال والسفر ، إذ كان يحميهن من الغبار والأتربة(٣٩)، كذلك ارتدت بعضهن القلانس تحت العمائم ، فعرف لديهن نوع من القلانس سمى بالمارقة ، امتازت بصغرها وضيقها لامتصاص العرق(٤٠)، كما شاعت بين نساء اليهود أغلب أغطية الرأس التى ارتدتها أغلب النساء آنذاك كالبخنق والعصابة والمعجر(٤١)، بل ارتدت بعضهن الحجاب كغيرهن من المسلمات بغرض تغطية الوجه والرأس ، إذ تذكر إحدى الباحثات فى وثائق الجنيزة ، كثرة أعداد الحجاب بقوائم ملابس العروس(٤٢)، وهو ما يؤكد تأثر نساء أهل الذمة بما كان سائدًا لدى أغلب عناصر المجتمع الإسلامى وطبقاته ، كما يشير إلى أن طبيعة المرأة فى كل المجتمعات الشرقية كانت تميل إلى صيانة نفسها وارتداء ما يُبعد أنظار المتطلعين إليها .

لم تختلف أغطية الرأس لدى نساء النصارى عن أغطية الرأس لدى نساء اليهود ، كما لم يوجد ما يميزها عنهن فى أيّ من أجزائها ، إذ ارتدين - أيضًا - أغلب أغطية الرأس التى كانت سائدة بين جميع النساء ، كالقلانس والعمائم والمعَاجر والعصائب والحجب والبراقع(٤٣).

أما فيما يختص بالملابس الخارجية ، فكانت تختلف بعض الشىء عن ملابس المسلمات، خاصة فى بعض الألوان التى حددتها الشروط الأولى لملابس أهل الذمة ، فارتدت اليهوديات إزارًا أصفر اللون والسامريات منهن إزارًا أحمر اللون ، أما النصرانيات

(٣٩) هويدا عبد العظيم : اليهود فى مصر الإسلامية . ص٢٥٧ .

(٤٠) المرجع نفسه . ص٢٥٤ .

(٤١) سبق تعريف هذه الأغطية فى الفصل الخاص بملابس النساء .

(٤٢) يديدا حلفون ستيلمان : عقود الزواج بالجنيزة كمصدر لزى المرأة فى العصور الوسطى . مقال بكتاب دراسات فى جنيزة القاهرة ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية يصدرها مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة ، العدد ٢١ لسنة ٢٠٠١ ص١٥٥ .

(٤٣) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٥٧ .

فكانت أزرهن زرقاء(٤٤)، كما ارتبط بارتداء الإزار وضع الزُنار من فوقه ظاهرًا بالألوان السابقة نفسها(٤٥).

ومن الجدير بالذكر أن هذه الشروط الخاصة بألوان الأزر والزنانير لم تكن تطبق عليهن إلا فى أوقات الأزمات أو فى عهود بعض الخلفاء الفاطميين ، عدا ذلك لم تكن أغلب نساء أهل الذمة يلتزمن بها(٤٦)، شأنهن فى ذلك شأن الرجال .

وعلى الرغم من ارتداء معظم نساء أهل الذمة للكثير من أجزاء الملابس المنتشرة بين جميع نساء المجتمع المصرى ، إلا أن هناك بعض الأجزاء التى ارتبطت ببعضهن ، خاصة نساء اليهود إذ وجدت بعض أسماء لقطع الملابس ضمن قوائم جهاز العرائس الواردة بوثائق الجنيزة أوردها جويتاين(٤٧) ولم توجد لها أى تفاصيل فى أغلب المعاجم العربية أو المصادر التاريخية التى اهتمت بالملابس ، وفى أحدث دراسة نشرت عن وثائق الجنيزة وعلاقتها بزى نساء اليهود ، تذكر الباحثة يديدا حلفون وصفًا لبعض هذه القطع ، فتذكر وجود إحدى القطع التى كانت تسمى الجوبة وتصفها بأنها رداء خارجى يشبه المعطف المفتوح من الأمام ، ذو أكمام إما قصيرة أوْ طويلة حتى المرفق أو الكف(٤٨)، كما وردت الغلالة أو الجيلالة ضمن القمصان الداخلية التى اعتادت عرائسهن ارتدائها عند الزوج ، وكان أفخرها وأغلاها الحريرية المصنوعة من نسيج دبيق(٤٩)، كما وردت قطعة أخرى كانت تسمى القجيجة تصفها ـ الباحثة ـ بأنها إحدى أنواع العباءات ، والتى وجدت بقائمة

---

(٤٤) ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة . جـ١ ص١٨٤ ، قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى . ص١٥٦ .

(٤٥) الطرطوشى : سراج الملوك . جـ٢ ص٤٧ ، ترتون : أهل الذمة فى الإسلام . ص١٢٦ .

(٤٦) نريمان عبد الكريم : المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى . ص١٦٠ ، أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية . ص١٨٣ .

(47) Amediterranean Socity . vol IV, P. 161 .

(٤٨) عقود الزواج بالجنيزة كمصدر لزى المرأة فى العصور الوسطى . ص١٦٣ .

(٤٩) يديدا حلفون : المرجع نفسه . ص١٥٨ ، هويدا عبد العظيم : اليهود فى مصر الإسلامية . ص٢٥٦ .

ملابس العروس ملازمة - دائمًا - للحزام والعمامة والطاقية(٥٠)، الأمر الذى جعل البعض من الباحثين بعد ذلك يعتقد خطأ أنها نوع من أغطية الرأس وليست لباسًا للبدن(٥١) .

كما كانت الجوكانية من أشهر الملابس الخاصة لدى نساء اليهود ، والتى وردت - كذلك - بوثائق الجنيزة على أنها نوع من الأردية التى حرصت نساؤهم على ارتدائها داخل المنزل ، أثناء قيامهن بالأعمال المنزلية ، وكانت الجوكانية تمتاز بقصرها مع وجود بعض الشراشيب ذات الأشكال الزخرفية على جوانبها(٥٢)، وتذكر يديدا حلفون أن الجوكانية وردت فى قوائم العروس بألوان متعددة ، فكان منها الأبيض والأزرق والأخضر(٥٣)، مما يؤكد حرص اليهوديات على ارتدائها والإقبال عليها ضمن ملابسهن الخاصة .

مما سبق يتضح أنه على الرغم من اتفاق أغلب نساء أهل الذمة على ارتداء الملابس الشائعة والمنتشرة بينهن ، إلا أن البعض منهن - اليهوديات - كن يحرصن دائمًا على الاحتفاظ بصفة الخصوصية التى تميزهن عن غيرهن من النساء ، لترسيخ بعض العادات والتقاليد المستمدة من شريعتهم ، وهى سمة ارتبطت باليهود ولازمتهم على مر التاريخ .

على الجانب الآخر لم ترد أى أجزاء خاصة للملابس لدى النصرانيات تجعل لهن خصوصية منفردة بين نساء المجتمع ، مما يؤكد أنهن كن أكثر اندماجًا وتآلفًا بين نساء المجتمع ككل ، إذ انتشرت لديهن أغلب العادات والتقاليد التى كانت سائدة بين المسلمات ، فكانت العرائس منهن يحرصن على ارتداء ثوب الزفاف باللون الأبيض ، كما ارتدت بعضهن الملابس السوداء فى الحداد(٥٤) كغيرهن من المسلمات .

---

(٥٠) يديدا حلفون : عقود الزواج بالجنيزة كمصدر لزى المرأة فى العصور الوسطى . ص١٦٠ .

(٥١) محاسن الوقاد : اليهود فى مصر المملوكية . ص٣٥٨ .

(٥٢) اعتاد أغلب اليهود وضع هذه الشراشيب فى أغلب ملابسهم ، لارتباطها لديهم ببعض المعتقدات الدينية ، إذ كان يفترض لديهم أنها تذكرهم دائمًا بتعاليم الرب لهم . القمص روفائيل ألبر موسى : الحياة اليهودية بحسب التلمود . دير السيدة العذراء برموس ٢٠٠٣ ص١١٦ ، يديدا حلفون : عقود الزواج بالجنيزة كمصدر لزى المرأة فى العصور الوسطى . ص١٥٨ .

(٥٣) المصدر نفسه . ص١٥٩ .

(٥٤) ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى . ص١٣ ، ثريا نصر : تاريخ الأزياء . ص٦٧ .

أما فيما تعلق بملابس القدم فكانت تنتشر بين نساء أهل الذمة الخفاف والنعال(٥٥)، إلا أن بعض الشروط الأولى كانت تفرض عليهن أن يكون أحد أخفافهن أسود والآخر أبيض لتخالف أخفاف المسلمات(٥٦)، كما تميزت بعض نعالهن بأنها كانت تخالف النعال العربية(٥٧)، فعرف لديهن نوع منها كان يسمى بالسَرْمُوزة(٥٨)، وهى من النعال القصيرة الشبيهة ـ الآن ـ بالصندل(٥٩).

ومن الجدير بالذكر ـ أيضًا ـ أن الشروط التى فرضت عليهن فى ملابس القدم سرعان ما كانت تنتهى بانتهاء السبب الذى من أجله فرضت، فكانت نساء أهل الذمة يرتدين جميع ملابس القدم المنتشرة بين النساء كافة، بأشكالها وأنواعها وخاماتها المختلفة.

كذلك يتضح أنه على الرغم مما اتسمت به ملابس أهل الذمة من خصوصية واضحة المعالم بين عناصر المجتمع، حتمت عليهم ضرورة التميز فى ملابسهم عن ملابس المسلمين، إلا أن ثمة حقيقة لا يجب إغفالها، وهى أنه رغم هذا التميز وتلك القيود التى كانت تفرض عليهم، ارتدى أهل الذمة أغلب أجزاء الملابس السائدة فى المجتمع، خاصة فى فترات التسامح ـ الطويلة ـ التى نعموا بها من جانب أغلب الحكام والخلفاء، علاوة على وجود التآلف والاندماج الاجتماعى بينهم وبين جميع عناصر المجتمع آنذاك، بل إن بعضًا منهم ممن كان يحوز مكانة كبيرة فى المجتمع أو يشغل بعض المناصب الرسمية، كان يحرص على ارتداء أفخر الثياب والملابس(٦٠). على الجانب الآخر كانت هناك بعض

(٥٥) ترتون : أهل الذمة فى الإسلام . ص١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٥٦) ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة . جـ١ ص١٨٤ .

(٥٧) ترتون : المرجع نفسه ص١٢٨ .

(٥٨) سبق تعريفها فى فصل سابق .

(٥٩) رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربى لأسماء الملابس . ص٢٣٣ .

(٦٠) كان نجاح بن قنا النصرانى المعروف بالراهب ـ وزير الخليفة الآمر بأحكام الله ـ تصنع له بتنيس ودمياط ملابس خاصة من الصوف الأبيض المنسوج بالذهب، فكان يلبسها ويلبس من فوقها غفارة من الديباج . ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة . ص٨٩، المقريزى : اتعاظ الحنفا . جـ٣ ص١٢٧ .

السمات المشتركة فى الكثير من ملابس أهل الذمة يهودًا ونصارى ، فكانت الأحزمة والزنانير فى أوساطهم من أكثر الأجزاء الى كانت تميزهم ككيان دينى داخل المجتمع الإسلامى ، خاصة فى بعض فترات التشدد من جانب السلطة السياسية ، كذلك حافظت بعض عناصر أهل الذمة وبخاصة اليهود منهم على تأكيد الخصوصية الدينية بارتداء بعض أجزاء الملابس المرتبطة بتعاليمهم وشرائعهم كأغطية الرأس ، والتى شكلت ملمحًا مهمًا فى تميز ملابسهم عن غيرهم من النصارى(٦١) ، يضاف إلى ذلك حرص بعض اليهوديات على الاحتفاظ ببعض أجزاء الملابس التى تعكس بعض العادات والتقاليد المرتبطة بهن خاصة وبشريعة اليهود بصفة عامة .

---

(61) Encyclopaedia Judaica, vol. 8 P. 2 .



الخاتمة

وبعد . . حاولت الدراسة إبراز العديد من الجوانب المتصلة بتطور الملابس فى المجتمع المصرى من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الفاطمى ، من خلال استعراض علاقة الملابس بالحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ففى الحياة السياسية أوضحت الدراسة أهمية الملابس فى الدعاية السياسية للسلطة الحاكمة ، كما أوضحت استخدام السلطة السياسية للملبس فى تحقيق التبعية والإخضاع لبعض عناصر المجتمع للحكم الإسلامى ، خاصة أهل الذمة ، كما بينت الدراسة أهمية الخلع التى كانت تمنحها الدولة لرجالها وموظفيها ، ومدى ارتباطها بتولى المناصب والوظائف ، على الجانب الآخر أبرزت الدراسة مدى تأثر السلطة السياسية فى مصر بما كان سائدًا فى عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد ، من نظم ورسوم للحكم ، انعكس بعضها على نظم ورسوم الحكم فى مصر ، خاصة فى عهد الدولتين الطولونية والإخشيدية ، كما أظهرت الدراسة مدى التطور الحضارى الذى أحدثته الدولة الفاطمية فى مصر من نظم ورسوم حضارية ارتبطت بالحياة السياسية ، خاصة فيما تعلق بالمواكب والاحتفالات والدعاية المذهبية للحكم ، والتى كانت الملابس فيها عنصرًا مؤثرًا .

كما استعرضت الدراسة أهم ملابس الخلفاء والوزراء وما حازوه من ثروات شكلت المنسوجات والملابس جزءًا مهمًا فيها ، كذلك ما استخدمه رجال الدولة من ملابس رسمية فى مباشرتهم لوظائفهم .

أما فى مجال الحياة الاقتصادية فأبرزت الدراسة أهم الخامات والمنسوجات السائدة فى العالم الإسلامى وفى مصر على وجه الخصوص ، كما استعرضت أهم المراكز الصناعية فى مصر ، والتى تخصصت فى تصنيع المنسوجات والثياب ، وشهرة كل منها وما حازته من مكانة وتفوق على مثيلاتها من المراكز فى العالم الإسلامى ، الأمر الذى أدى إلى شدة

الطلب على منتجاتها ، كما تناولت الدراسة أهم الصناعات والحرف المتعلقة بالملابس من نسج وخياطة وصباغة وزخرفة ، فأبرزت أهم العناصر الاجتماعية المشتغلة بهذه الحرف والصناعات وأحوالهم المهنية والاقتصادية ، كما أظهرت الدراسة تفوق الأقباط فى أغلب هذه الحرف والصناعات ، لما لهم من خبرات سابقة فى هذا المجال ، كما تتبعت الدراسة المراحل الفنية لصناعة النسيج والملابس خاصة فى مجال الزخرفة والنقش والتصوير ، فأظهرت الدراسة مدى تأثر المنسوجات والملابس بالزخارف القبطية فى فترة كبيرة من تاريخ مصر ، ثم تحولها بعد ذلك إلى استخدام الكتابة العربية والعناصر الإسلامية فى الزخرفة مع بداية العصر الفاطمى .

على الجانب الآخر استعرضت الدراسة أهم الأسواق الخاصة ببيع وتجارة المنسوجات والملابس ، فأوضحت مدى التخصص الذى كان سائدًا فى هذه الأسواق ، إذ وجدت بعض الأسواق الخاصة بتجارة أنواع محددة من المنسوجات والملابس ، أو جزء بعينه من الثياب كتكك السراويل ، وهو ما يوضح المكانة المهمة التى احتلتها الملابس فى المجتمع ، كما حاولت الدراسة إظهار مدى التفاوت فى أسعار بعض الملابس أو أجزائها وارتباطها بالخامات المصنوعة منها ، أو الطبقات الاجتماعية المستخدمة لها ، كما أبرزت الدراسة أهم العلاقات التجارية القائمة بين مصر وبلدان العالم الإسلامى والأوربى فى تجارة المنسوجات والثياب ، ومدى ما أسهمت به مصر فى هذا المجال ، ومدى انعكاس ذلك على الازدهار الاقتصادى ، خاصة فى عصر الدولة الفاطمية التى أولت للنسيج والملابس أهمية كبرى .

من ناحية أخرى تعرضت الدراسة لأهم الشخصيات التجارية فى مجال التجارة الخارجية، فأوضحت تفوق أهل الذمة من يهود ونصارى فى هذا المجال ، وما حققوه من ثروات بفضل خبرتهم السابقة .

أما عن الحياة الاجتماعية فقد أوضحت الدراسة أهم الدلالات الاجتماعية التى تعكسها الملابس، كما أبرزت تعدد وظائف الملبس فى المجتمع المصرى وتنوع استخداماته، كما استعرضت أهم العناصر والطبقات الاجتماعية فى مصر من خلال ما كانت ترتديه من

ملابس فأظهرت مكانة رجال الدين فى المجتمع المصرى على اختلاف عقائدهم ، وارتباط ملابسهم بالطقوس والشعائر الدينية الخاصة بكل ديانة ، كما بينت أهمية أغطية الرؤوس ومكانتها لديهم ، أما عن ملابس النساء فقد أوضحت الدراسة مدى التطور الذى أحدثه دخول الإسلام فى أغلبها خاصة أغطية الرؤوس ، وتعددها وتنوع أشكالها ، كما أبرزت الدراسة مدى الاختلاف بين ملابس الحرائر والجوارى وانتشار ظاهرة الكتابة على بعض أجزاء الملابس ، كتكك السراويل والعصائب .

أما عن ملابس العامة فقد أظهرت الدراسة مدى ارتباطها بالمستوى الاقتصادى لهذه الطبقة ، كما بينت الدراسة انعكاس حرفهم ومهنهم على ما ارتدوه من ثياب ، كذلك ارتباط بعض الخامات والألوان المميزة لهم بهذه الحرف والأعمال .

أما عن أهل الذمة فقد حاولت الدراسة تتبع أهم ملابسهم ومدى تأثرهم بالشروط الأولى التى وضعتها السلطة السياسية لهم ، كما أظهرت الدراسة أن هذه الشروط لم تمنع أهل الذمة من استخدام أغلب الملابس المنتشرة فى المجتمع المصرى ، بل كان من المتعذر على البعض التفرقة بين المسلم والذمى فى ملبسه فى بعض الفترات ، كذلك استعرضت الدراسة بعض الأجزاء الخاصة فى ملابسهم والمرتبطة ببعض التقاليد والعادات المستمدة من شريعتهم خاصة ملابس اليهود ، التى امتازت ببعض الخصوصية والتفرد .

مما سبق يتضح أن هناك عديداً من العوامل والجوانب المؤثرة فى تطور الملابس فى المجتمع المصرى حاولت الدراسة إبرازها وإظهار أهميتها .

وتقترح الدراسة إقامة متحف خاص للنسيج والملابس ، يضم أهم قطع النسيج والثياب الخاصة بمصر عبر مراحلها التاريخية ، للتعرف على مدى التطور والازدهار الخاص بهذا الجانب الحضارى من جوانب التاريخ فى مصر .

قائمة المصادر والمراجع(*)(**)

أولاً : مصادر مخطوطة :

- **ابن بسام : محمد بن أحمد بن بسام (ت قبل ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)**
١ - أنيس الجليس فى أخبار تنيس ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم ١٨٥٢ .
- **ابن زَبر : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زبر القاضى (ت بعد ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)**
٢ - شروط النصارى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم ٢٢١٩ حديث .
- **ابن طولون : شمس الدين محمد بن طولون الحنفى (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)**
٣ - ضوء السراج فيما قيل فى النساج ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، ميكروفيلم رقم ٥٨٨ .
- **الهيتمى : أحمد بن حجر الهيتمى (د. ت)**
٤ - در الغمامة فى در الطيلسان والعذبة والعمامة ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم رقم ٥٧٩٠٢ .

ثانيًا : المصادر المطبوعة :

- **القرآن الكريم .**
- **الأبشيهى : شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م)**
١ - المستطرف فى كل فن مستظرف ، تحقيق مصطفى محمد الذهبى ، دار الحديث، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
- **ابن الأثير : عز الدين بن الحسن على (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)**
٢ - الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- **ابن الأخوة : محمد بن أحمد القرشى (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م)**
٣ - معالم القربة فى أخبار أحكام الحسبة ، عنى بنقله وتصحيحه : روبن ليوى ، مطبعة دار الفنون بكمبردج ، ١٩٣٧م .

(*) يلاحظ عدم الاعتبار فى المصادر بـ (ابن ، ال) .
(**) يلاحظ عند استخدام أكثر من مصدر أو مرجع لمؤلف واحد أن يتم الترتيب على حروف الهجاء بعنوان المصدر أو المرجع .

- **الإدريسى : أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن إدريس (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)**

٤ - نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ليدن ، ١٩٦٨م .

- **الأدفوى : كمال الدين أبو الفضل جعفر (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)**

٥ - الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ، القاهرة ، ١٩١٤م .

- **الأزهرى : أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)**

٦ - تهذيب اللغة ، تحقيق عبد الحليم النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٨م .

- **الأصطخرى : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)**

٧ - مسالك الممالك ، ليدن ، ١٩٣٧م .

- **الأصفهانى : أبو الفرج على بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)**

٨ - كتاب الأغانى ، إشراف وتحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار الشعب ، ١٩٦٩م .

- **ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس الحنفى (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)**

٩ - نزهة الأمم فى العجائب والحكم ، تحقيق محمد زينهم عزب ، مكتبة مدبولى ، القاهرة، ١٩٩٥م .

- **البخارى : الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)**

١٠ - صحيح البخارى ، مراجعة الشيخ محمد على القطب ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ، ١٩٩٧م .

- **ابن بطوطة : عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)**

١١ - تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق على المنتصر الكتانى، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

- **البغدادى : عبد اللطيف (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م)**

١٢ - الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، تحقيق عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

- **البكرى : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسى (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)**

١٣ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٥م .

- **البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٨٢م)**

١٤ ـ أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف ، ١٩٨٧م .

١٥ - فتوح البلدان ، مراجعة وتحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩١م .

- **البلوى : أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى (ت منتصف ق٤هـ/ العاشر الميلادى)**

١٦ - سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق محمد كرد على ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د. ت .

- **البيرونى : أبو الريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)**

١٧ - الآثار الباقية فى القرون الخالية ، ليبزك ، ١٩٢٧م .

- **البيهقى : إبراهيم بن محمد (ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)**

١٨ - المحاسن والمساوئ ، طبعة لايبزك (د. ت) .

- **ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)**

١٩ - مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٩٧م .

٢٠ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

- **التنوخى : القاضى أبو على المحسن بن على (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)**

٢١ - نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجى ، بيروت ، ١٩٧٣م.

- **التهانورى : محمد على الفاروقى (ت القرن ١٢هـ/ الثامن عشر الميلادى)**

٢٢ - كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق لطفى عبد البديع ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٣م .

- **التوحيدى : أبو حيان (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) :**

٢٣ - الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٥٣م.

- **ابن تيمية : أبو العباس أحمد بن تيمية (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م)**

٢٤ – لباس المرأة والرجل فى الصلاة وحدود العورة ، اعتنت بتحقيقه دار الحرمين بالقاهرة ١٩٩٩م.

- **الثعالبى : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)**

٢٥ – أدب الملوك ، تحقيق جليل العطية ، بيروت ، ١٩٩٠م.

٢٦ – ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، تحقيق إبراهيم صالح ، دمشق ، ١٩٩٤م.

٢٧ – فقه اللغة وسر العربية ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٢٧م .

٢٨ – قصص الأنبياء المسمى « عرائس المجالس » طبع عيسى البابى الحلبى ، د. ت.

٢٩ – لطائف اللطف ، تحقيق عمر الأسعد ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٠م .

- **الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)**

٣٠ – البخلاء ، تحقيق طه الحاجرى ، دار المعارف ، ١٩٩٧م .

٣١ – البيان والتبيين ، تحقيق حسن السندوبى ، القاهرة ، ١٩٢٧م .

٣٢ – التاج فى أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكى باشا ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٩١٤م .

٣٣ – التبصر بالتجارة ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

- **ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)**

٣٤ – رحلة ابن جبير ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٨م .

- **الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م)**

٣٥ – الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى ، القاهرة ، ١٩٣٨م.

- **الجواليقى : أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)**

٣٦ – المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦١هـ.

- **ابن الجوزى : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)**
٣٧ - أخبار الظراف والمتماجنين ، تحقيق محمد أنيس مهرات ، دار الحكمة ، دمشق ، ١٩٨٧م .
٣٨ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م .
٣٩ - صفة الصفوة ، دار الصفا بالقاهرة ، ١٩٩١م .
٤٠ - تلبيس إبليس ، صححه وعلق على حواشيه محمد منير الدمشقى ، مطبعة النهضة بمصر ١٩٢٨م.
- **ابن الحاج أبو عبد الله محمد العبدرى(ت٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)**
٤١ - المدخل ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ١٩٢٩م .
- **ابن حبيش : أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)**
٤٢ - كتاب الغزوات ، تحقيق أحمد غنيم ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٨٦م .
- **ابن حجر العسقلانى : أحمد بن على بن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)**
٤٣ ـ رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق حامد عبد المجيد ، د. ت .
٤٤ - نزهة الألباب فى الألقاب ، تحقيق محمد زينهم عزب ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١م .
- **ابن حجة الحموى : تقى الدين أبو بكر (ت٨٣٧هـ/١٤٣٢م)**
٤٥ - ثمرات الأوراق ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، ١٩٧٤م .
- **الحريرى : أحمد بن على بن المغربى (ت ق٩هـ- الخامس عشر الميلادى)**
٤٦ - منتخب الزمان فى تاريخ الخلفاء والعلماء والأعيان ، تحقيق عبده خليفة ، دار عشتار ، بيروت ، ١٩٩٥م .
- **الحميرى : محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)**
٤٧ - الروض المعطار فى خبر الأقطار ، حققه إحسان عباس ، لبنان ، ١٩٨٤م .
- **ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)**
٤٨ - المسند ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر بمصر ، ١٩٤٨م .

- **الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)**

٤٩ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، دار الميسرة ، بيروت ١٩٧٩م .

- **ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل النصيبى (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)**

٥٠ - صورة الأرض ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

- **الخالديان : أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد (ت٣٨٠ - ٣٩٠هـ/ ٩٩٠ - ٩٩٩م)**

٥١ - التحف والهدايا ، تحقيق سامى الدهان ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٦م .

- **ابن خلدون : عبد الرحمن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)**

٥٢ - العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، ١٩٧١م .

٥٣ - المقدمة ، بيروت ، ١٩٧٨م .

- **ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (٦٨١هـ/١٢٨٢م)**

٥٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محيى الدين ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م .

- **الخليل بن أحمد : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت١٧٥هـ.٧٩٢م)**

٥٥ - معجم العين ، تحقيق مهدى المخزومى- إبراهيم السامرائى ، العراق ، ١٩٨٠م .

- **ابن خياط : خليفة بن خياط العصفرى (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)**

٥٦ - تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٦٨م .

- **أبو داود : سليمان بن الأشعث الأزدى (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)**

٥٧ - صحيح سنن المصطفى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، د. ت .

- **ابن الداية : أحمد بن يوسف الكاتب (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)**

٥٨ - المكافأة وحسن العقبى ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٤٠م .

- **ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدى (ت٣٢١هـ/٩٣٣م)**

٥٩ - جمهرة اللغة ، بيروت ، د. ت .

- **ابن دقماق : إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)**

٦٠ - الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، بيروت ، د. ت .

٦١ - الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، جامعة أم القرى ، د. ت .

- **ابن أبي الدم : القاضي شهاب الدين إبراهيم (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م)**

٦٢ - التاريخ المظفري ، تحقيق حامد زيان غانم ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

- **الذهبي : الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)**

٦٣ - العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٦٠

- **ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)**

٦٤ - الأعلاق النفيسة ، ليدن ، ١٩٨٣م .

- **الرصافي : معروف (د. ت)**

٦٥ - الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات ، تحقيق عبد الحميد الرشودي ، العراق ، ١٩٨٠م .

- **الزبيدي : السيد محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)**

٦٦ - تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ، ١٩٨٦م.

- **ابن الزبير : القاضي الرشيدي بن الزبير (ت ق٥هـ/الحادي عشر الميلادي)**

٦٧ - الذخائر والتحف ، تحقيق محمد حميد الله ، ١٩٥٩م .

- **الزجاجي : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)**

٦٨ - أمالي الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، المؤسسة العربية الحديثة ١٩٦٨م .

- **الزمخشري : جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)**

٦٩ ـ الجبال والأمكنة والمياه ، تحقيق أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة ، ١٩٩٩م .

٧٠ - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تحقيق عبد المجيد دياب ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٩٢م .

- **ابن الزيات : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين (ت٨١٤هـ/١٤١١م)**

٧١ - الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ، بغداد ، ١٩٦٨م.

- **السبكى : قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م)**

٧٢ - معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد على النجار وآخرين ، مكتبة الخانجى ، القاهرة، ١٩٩٣م.

- **ابن سعد : محمد بن سعيد الواقدى (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)**

٧٣ - الطبقات الكبرى ، ليدن ، ١٣٣٨هـ.

- **ابن سعيد : على بن موسى المغربى (ت٦٧٣هـ/١٢٧٤م)**

٧٤ - النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، « القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المُغرب فى حلى المغرب » تحقيق حسين نصار ، دار الكتب ، ١٩٧٠م.

- **السهروردى : شهاب الدين أبو حفص عمر (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)**

٧٥ - عوارف المعارف ، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، القاهرة، مطبعة السعادة ، ١٩٧١م .

- **ابن سيده : أبو الحسن على بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)**

٧٦ - المخصص ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة ، بيروت، د. ت .

- **السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)**

٧٧ - تاريخ الخلفاء ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٠م .

٧٨ - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

٧٩ - الوسائل إلى معرفة الأوائل ، تحقيق عبد القادر أحمد ، الكويت ، ١٩٩٠م.

- **ابن شاهين : غرس الدين خليل الظاهرى (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م)**

٨٠ - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، صححه بولس راويس ، دار العرب للبستانى ، ١٩٨٩م.

- **الشريشى : أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى (ت٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)**

٨١ - شرح مقامات الحريرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٨م .

- **الشيبانى : محمد بن الحسن الشيبانى (ت١٨٩هـ/٨٠٦م)**

٨٢ - شرح كتاب السير الكبير ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة مصر ، ١٩٥٧م .

- **الشيزرى : عبد الرحمن بن محمد بن نصر (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م)**

٨٣ - نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العرينى ، القاهرة ، ١٩٤٦م .

- **الصابى : أبو الحسين هلال بن المحسن الصابى (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)**

٨٤ - رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العانى ببغداد ١٩٦٤م .

- **أبو صالح الأرمنى : الشيخ أبو صالح الأرمنى (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)**

٨٥ - تاريخ الكنائس والأديرة ، تحقيق الراهب صموئيل السريانى ، القاهرة ، دار تكنوبرنت (د. ت) .

- **ابن الصيرفى : أمين الدين أبو القاسم على بن منجب (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)**

٨٦ - الإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٠م .

- **الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)**

٨٧ - تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

- **الطرطوشى : أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)**

٨٨ - سراج الملوك ، تحقيق محمد فتحى أبو بكر ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٤م .

- **ابن الطوير : أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن (ت٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)**

٨٩ - نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، بيروت ، ١٩٩٢م .

- **ابن ظافر : جمال الدين على (ت٦١٢هـ/١٢١٥م)**

٩٠ – أخبار الدول المنقطعة ، مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٧٢م.

- **ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)**

٩١ – فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق محمد صبيح ، القاهرة ، ١٩٧٤م.

- **ابن عبد الحكم : أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى (ت٢١٤هـ/٨٢٩م)**

٩٢ – سيرة عمر بن عبد العزيز ، تحقيق أحمد عبيد ، دار الفضيلة ، ١٩٩٤م.

- **ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسى (٤٢٩هـ/١٠٣٧م)**

٩٣ – العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين – إبراهيم الإبيارى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٩م .

- **ابن عبد الظاهر : محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصرى (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)**

٩٤ – الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٦م.

- **ابن العبرى : غريغوريوس الملطى (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)**

٩٥ – تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨م..

- **ابن العميد : المكين جرجس بن العميد بن أبى المكارم بن أبى الطيب (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م)**

٩٦ – تاريخ المسلمين ، ليدن ، ١٩٢٥م.

- **الغزالى : أبو حامد محمد بن محمد الغزالى (ت٥٠٥هـ/١١١١م)**

٩٧ – إحياء علوم الدين ، دار الهادى ، بيروت ، ١٩٩٢م.

- **أبو الفداء : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)**

٩٨ – المختصر فى أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٦٨م.

- **الفسوى : أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوى (ت٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)**

٩٩ - المعرفة والتاريخ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩م .

- **ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت٢٧٦هـ / ٨٨٩م)**

١٠٠ - الإمامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزينى ، مؤسسة الحلبى ، ١٩٦٧م .

١٠١ - عيون الأخبار ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٣٠م .

- **ابن قدامة : موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)**

١٠٢ - المغنى ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

- **القرافى : شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافى (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م)**

١٠٣ - الذخيرة ، تحقيق محمد حجى ، بيروت ، ١٩٩٤م .

- **القرمانى : أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى (١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)**

١٠٤ - أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، مكتبة المتنبى ، القاهرة ، د. ت .

- **القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)**

١٠٥ - آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، ١٩٨٤م .

- **القفطى : جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى الأشرف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)**

١٠٦ - أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مكتبة المتنبى ، القاهرة ، د. ت .

- **القلقشندى : أبو العباس أحمد بن على (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)**

١٠٧ - صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

- **ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر الدمشقى (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)**

١٠٨ - أحكام أهل الذمة ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار ابن خلدون ، د. ت .

- **كاتب مراكشى : « من كتاب القرن السادس الهجرى »**

١٠٩ - كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، العراق ، بغداد ، ١٩٨٥م .

- **ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)**
١١٠ - البداية والنهاية ، مكتبة النصر ، الرياض ، ١٩٦٦م.
- **الكنانى : أبو الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى (ت٩٦٣هـ/١٥٥٥م)**
١١١ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - عبد الله محمد الصديق ، مكتبة القاهرة ، ١٩٦٤م.
- **الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى (ت٣٥٠هـ/٩٦١م)**
١١٢ - تاريخ ولاة مصر ، بيروت ، ١٩٨٧م.
١١٣ - فضائل مصر المحروسة ، تحقيق على محمد عمر ، مكتبة الخانجى ، القاهرة، ١٩٩٧م.
- **الكندى : يعقوب بن إسحاق (ت نصف القرن ٤هـ / وأواخر القرن العاشر الميلادى)**
١١٤ - رسالة فى قلع الآثار من الثياب وغيرها ، تحقيق محمد عيسى صالحية ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٨٦م.
- **اللبابيدى : أحمد بن مصطفى الدمشقى اللبابيدى (ت١٣١٨هـ/١٩١٨م)**
١١٥ - معجم أسماء الأشياء ، تحقيق أحمد عبد التواب عوض ، القاهرة ، ١٩٩٧م.
- **ليون الإفريقى : الحسن بن محمد الوزان (د. ت)**
١١٦ - وصف إفريقيا ، ترجمة محمد عجمى - محمد الأخضر ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- **ابن المأمون : الأمير جمال الدين أبو على موسى بن المأمون البطائحى (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م)**
١١٧ - نصوص من أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٣م.
- **الماوردى : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)**
١١٨ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق أحمد مبارك البغدادى ، الكويت، ١٩٨٩م.

- **المسبحى : الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م)**

١١٩ ـ أخبار مصر فى سنتين (٤١٤ - ٤١٥هـ) ، تحقيق وليم ج . ميلورد ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٠م .

١٢٠ - نصوص ضائعة من أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨١م .

- **المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)**

١٢١ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، ١٩٨٨م .

- **ابن مسكويه : أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)**

١٢٢ - تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق ابن الخطيب ، مكتبة الثقافة الدينية ، د. ت .

- **مسلم : الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (ت٢٦١هـ / ٨٧٤م)**

١٢٣ - صحيح مسلم ، تحقيق عبد المعطى أمين قلعجي ، دار الغد العربى ، ١٩٨٧م .

- **المقدسى : شمس الدين أبو عبد الله محمد البشارى (ت٣٩٠هـ/٩٩٩م)**

١٢٤ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ليدن ، ١٩٠٦م .

- **المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)**

١٢٥ - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

١٢٦ -إغاثة الأمة بكشف الغمة ، قام على نشره محمد مصطفى زيادة - جمال الدين الشيال ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

١٢٧ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٣٤م .

١٢٨ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الآداب ، ١٩٩٦م .

١٢٩ - إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع ، تصحيح محمود محمد شاكر ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤١م.

١٣٠ - تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزى للعلامة المقريزى ، تحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة ، ١٩٩٨م.

- **ابن المقفع : ساويرس بن المقفع (ت أواخر القرن ٤هـ/ أواخر العاشر الميلادى)**

١٣١ - تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

- **ابن مماتى : الوزير الأيوبى الأسعد بن مماتى (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)**

١٣٢ - قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩١م.

- **ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن كرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)**

١٣٣ - لسان العرب ، وضع فهارسه على شيرى ، دار إحياء التراث العربى ، ١٩٨٨م.

- **ابن منقذ : مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى (د. ت)**

١٣٤ - كتاب الاعتبار ، حرره فيليب حتى ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ، ١٩٣٠م.

- **ابن الميدانى : أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابورى (ت٥٣١هـ/١١٣٦م)**

١٣٥ - السامى فى الأسامى ، نشره ورتب إخراجه محمد موسى هنداوى ، القاهرة ١٩٦٧م.

١٣٦ - مجمع الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧م.

- **ابن ميسر : تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جلب (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م)**

١٣٧ - المنتقى من أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨١م.

- **ناصر خسرو : ناصر خسرو العلوى (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)**

١٣٨ - سفر نامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م.

- **النووى : أبو زكريا محيى الدين بن شرف النووى (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)**

١٣٩ - تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية ، د. ت .

- **النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)**

١٤٠ - نهاية الأرب فى فنون الأدب ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٧م.

- **الهندى : على المتقى علاء الدين الهندى (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م)**

١٤١ - كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٩٥٩م.

- **أبو هلال الصابئ : غرس النعمة أبو الحسن محمد (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م)**

١٤٢ - الهفوات النادرة ، تحقيق صالح الأشتر ، دمشق ، ١٩٦٧م.

- **ابو الهلال العسكرى : (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)**

١٤٣ ـ الأوائل ، تحقيق محمد السيد الوكيل ، طنطا ، ١٩٨٧م.

١٤٤ - التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ١٩٦٩م.

- **ابن الوردى : زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)**

١٤٥ - تاريخ ابن الوردى ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٩م.

- **الوشاء : أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م)**

١٤٦ - الموشى أو الظرف والظرفاء ، تحقيق كمال مصطفى ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

- **وكيع بن خلف : محمد بن خلف بن حيان (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)**

١٤٧ - أخبار القضاة ، صححه وعلق عليه عبد العزيز مصطفى المراغى ، القاهرة ، ١٩٤٧م.

- **ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)**

١٤٨ - معجم الأدباء ، القاهرة ، ١٩٣٠م.

١٤٩ – معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى ، بيروت ، ١٩٩٠م .

- **يحيى بن سعيد الأنطاكى (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)**

١٥٠ – التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، ١٩٠٩م .

- **اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)**

١٥١ – تاريخ اليعقوبى ، بيروت ، ١٩٦٠م .

١٥٢ – كتاب البلدان ، ليدن ، ١٨٩٣م .

ثالثًا : المراجع العربية :

- **الألفى : أبو صالح**

١ – الفن الإسلامى ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩م .

- **الأنبا بيشوى : مرقوريوس**

٢ – الكهنوت فى العهد القديم ، القاهرة ٢٠٠٠م .

- **إبراهيم : شحاتة عيسى**

٣ – القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٩م .

- **إبراهيم : عبد الحميد**

٤ – قاموس الألوان عند العرب ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٩م .

- **أحمد : حسن حضيرى**

٥ – علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

- **إدريس : محمد محمود**

٦ – تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصر الفاطمى ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٦م .

- **أرسلان : شكيب**

٧ – تاريخ غزوات العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د. ت) .

- **الباشا : حسن**

٨ – الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠م .

٩ - التصوير الإسلامى فى العصور الوسطى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩م.
١٠ - فن التصوير فى مصر الإسلامية ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م.
١١ - القاهرة تاريخها ، فنونها وآثارها ، القاهرة ، ١٩٧٠م.
١٢ - موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٩م.

- بدر : **مصطفى طه**

١٣ - مصر الإسلامية من الفتح الإسلامى حتى زوال الدولة الإخشيدية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩م.

- **بلال : ثناء عبد الرحمن**

١٤ - الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣م.

- **بينول** : أ

١٥ - اللباس والزينة فى العالم العربى ، تعريب / نبيل سليمان ، بيروت ، ١٩٩٢م.

- **تاجر** : **چاك**

١٦ - أقباطٌ ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢م، القاهرة ، ١٩٥١م.

- **تيمور** : **أحمد**

١٧ - معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية ، تحقيق / حسين نصار ، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

- **جبور** : **جبرائيل سليمان**

١٨ - أوراق من رياض الأدب والتاريخ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨١م.

- **الجبورى** : **يحيى**

١٩ - الملابس العربية فى الشعر الجاهلى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٩م.

- **جرجس** : **مينا جاد**

٢٠ - الطقوس بين العبادة الشكلية والجوهر ، مكتبة المحبة ٢٠٠٣م .

- **جروهمان : أدولف**

٢١ - أوراق البردى العربية ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ، دار الكتب المصرية، ١٩٤٩م .

- **جمال الدين : عبد الله محمد**

٢٢ - الدولة الفاطمية ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩١م.

- **جواد : مصطفى**

٢٣ - سيدات البلاط العباسى ، القاهرة ، ١٩٥٠م.

- **جومار :**

٢٤ - وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ، نقله وعلق عليه / أيمن فؤاد سيد ، القاهرة، ١٩٨٨م.

- **الجهينى : محمد**

٢٥ - أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية ، دار نهضة الشرق، القاهرة ، ٢٠٠٠م.

- **حجاب : محمد منير**

٢٦ - الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديمًا وحديثًا ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

- **حسن : زكى محمد**

٢٧ - الفن الإسلامى فى مصر ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٥م.

٢٨ - فنون الإسلام ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٩٨١م.

٢٩ - كنوز الفاطميين ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٩٨١م.

- **حسن : حسن إبراهيم**

٣٠ - تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م.

٣١ - الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٣٢م.

٣٢ - المعز لدين الله ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣م.
٣٣ - النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٩م.

- **حسين : تحية كامل**

٣٤ - تاريخ الأزياء وتطورها ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦م.

- **حسين : محمود إبراهيم**

٣٥ - الفنون الإسلامية فى العصر الفاطمى ، دار غريب للطباعة والنشر ، ١٩٩٩م.
٣٦ - المرأة فى إنتاج المصور المسلم ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٣م.

- **الحويرى : محمود**

٣٧ - مصر فى العصور الوسطى ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ١٩٩٦م.

- **الخادم : سعد**

٣٨ - الأزياء الشعبية ، دار المعارف ، ١٩٧٨م.
٣٩ - الصناعات الشعبية فى مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٧م.
٤٠ - معالم من فنوننا الشعبية ، دار المعارف ، ١٩٦١م.

- **الخربوطلى : على حسنى**

٤١ - العرب والحضارة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م.
٤٢ - العزيز بالله الفاطمى ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

- **أبو الخير : صبرى**

٤٣ - تاريخ مصر فى العصر البيزنطى ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

- **داود : فريال**

٤٤ - المنسوجات العراقية الإسلامية ، العراق ، ١٩٧٦م.

- **داود : مايسة محمود**

٤٥ – الكتابات العربية على الآثار الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩١م.

- **الدسوقى : فاروق أحمد**

٤٦ – أوضاع اليهود فى الدولة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

- **الدقن : السيد محمد**

٤٧ – كسوة الكعبة المعظمة عبر العصور ، مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ، ١٩٨٦م.

- **دوزى : رينهارت**

٤٨ – المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة / أكرم فاضل ، العراق، ١٩٧١م.

- **ديماند : م . س**

٤٩ – الفنون الإسلامية ، ترجمة / أحمد محمد عيسى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢م.

- **دينيت : دانييل**

٥٠ – الجزية والإسلام ، ترجمة / فوزى فهيم جاد الله ، بيروت ، ١٩٦٠م.

- **رزق : عاصم محمد**

٥١ – مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٩م.

- **رشدى : صبيحة رشيد**

٥٢ – الملابس العربية وتطورها فى العهود الإسلامية ، بغداد ، ١٩٨١م.

- **رفاعى : أحمد فريد**

٥٣ – عصر المأمون ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٨م.

- **الريس : محمد ضياء الدين**

٥٤ – الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧م .

- **الريطى : ممدوح عبد الرحمن**

٥٥ – دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، (د. ت).

- زكى : عبد الرحمن
٥٦ - السلاح فى الإسلام ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥١م.
- زيدان : جرجى
٥٧ - تاريخ التمدن الإسلامى ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٢٢م.
- سالم : السيد عبد العزيز
٥٨ - تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١م.
٥٩ - تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمى ، الإسكندرية ، ١٩٩٧م.
- السامرائى :
٦٠ - الدخيل فى الفارسية والعربية والتركية ، بيروت ، ١٩٩٧م.
- ستانلى : لين بول
٦١ - سيرة القاهرة ، ترجمة / حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٣م.
- أبو سديرة : السيد طه
٦٢ - الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١م.
- سرور : محمد جمال الدين
٦٣ - تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٣م.
- أبو سعد : أحمد
٦٤ - قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية ، بيروت ، ١٩٨٧م.
- سلطان : عبد المنعم
٦٥ - الأسواق فى العصر الفاطمى ، الإسكندرية ، ١٩٩٧م.
٦٦ - الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى ، دار الثقافة العلمية ، ١٩٩٩م.

- **سلام : حورية عبده**

٦٧ - الحضارة الإسلامية فى مصر زمن الفاطميين ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م.

- **سلام : محمد زغلول**

٦٨ - الأدب فى العصر الفاطمى ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م.

- **سيد : أيمن فؤاد**

٦٩ - الدولة الفاطمية فى مصر (تفسير جديد) الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٢م.

- **سيمينوفا : ل. أ**

٧٠- تاريخ مصر الفاطمية ، ترجمة / حسن بيومى ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠١م.

٧١ - صلاح الدين والمماليك فى مصر ، ترجمة / حسن بيومى ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٨٨م.

- **شنودة : زكى**

٧٢ - المجتمع اليهودى . مكتبة الخانجى ، القاهرة ، د. ت .

- **الشيال : جمال الدين**

٧٣ - مجمل تاريخ دمياط سياسيًا واقتصاديًا ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٠م.

- **شير : أدى**

٧٤ - الألفاظ الفارسية المعربة ، دار العرب للبستانى ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

- **الشوربجى : أمينة**

٧٥ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٤م.

- **طلاس : مصطفى**

٧٦ - معجم الأسماء العربية ، دمشق ، ١٩٨٥م.

- **عاشور : السيد محمد**

٧٧ - صناعة وتجارة الأقمشة فى مصر ، دار الاتحاد العربى للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٢م.

٧٨ – اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

– **عامر : فاطمة مصطفى**

٧٩ – تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

– **عبد الله : صفى على محمد**

٨٠ – مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .

– **عبد الباقى : أحمد**

٨١ – معالم الحضارة العربية فى القرن الثالث الهجرى ، بيروت ، ١٩٩١م .

– **عبد الحليم : سامى أحمد**

٨٢ – المنسوجات الأثرية القبطية والإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

– **عبد الرازق : أحمد**

٨٣ – المرأة فى مصر المملوكية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٩م .

– **عبد الرحمن : ممدوح محمود**

٨٤ – الزينة والجمال فى ميزان الإسلام ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

– **عبد العظيم : هويدا**

٨٥ – المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٤م .

٨٦ – اليهود فى مصر الإسلامية من الفتح الإسلامى حتى العصر الأيوبى ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠١م .

– **عبد الغفور : محمد جمال**

٨٧ – دراسة للأزياء الشعبية ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

– **عبد الكريم : نريمان**

٨٨ – المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٣م .

٨٩ – معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٦م .

- **العبيدى : صلاح حسين**

٩٠ - الملابس العربية الإسلامية فى العصر العباسى ، بغداد ، ١٩٨٠م.

- **عثمان : محمد عبد الستار**

٩١ - أخميم فى العصرين القبطى والإسلامى ، الإسكندرية ، ١٩٨٢م.

- **عطا الله : خضر أحمد**

٩٢ - الحياة الفكرية فى مصر فى العصر الفاطمى ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٩م.

- **عطا : زبيدة محمد**

٩٣ - الحياة الاقتصادية فى مصر البيزنطية ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

- **ابن على : غيثان**

٩٤ - بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، الإسكندرية ، ١٩٩٣م.

- **علام : نعمت إسماعيل**

٩٥ - فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية ، دار المعارف ، ١٩٨٩م.

- **عنان : محمد عبد الله**

٩٦ - الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

- **العنتيل : فوزى**

٩٧ - بين الفولكلور والثقافة الشعبية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٨م.

- **العنيسى : طوبيا**

٩٨ - تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ، دار العرب للبستانى ، ١٩٦٥م.

- **عوض الله : منقريوس**

٩٩ - منارة الأقداس فى شرح طقوس الكنيسة القبطية والقداس ، القاهرة ١٩٧٢م.

- **عون : عبد الرؤوف**

١٠٠ - الفن الحربى فى صدر الإسلام ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١م.

- **عيسى : أحمد محمد**

١٠١ - معجم مصطلحات الفن الإسلامى ، استانبول ، ١٩٨٨م.

- **الغرباوى : حمدة محمد**

١٠٢ - التطريز فى النسيج والزخرفة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦١م.

- **فهد : بدوى محمد**

١٠٣ - العامة ببغداد فى القرن الخامس الهجرى ، بغداد ، ١٩٦٧م.

- **قاسم : قاسم عبده**

١٠٤ - أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، دار المعارف ، ١٩٧٧م.

- **القاضى : محمد عبد الحكيم**

١٠٥ - اللباس والزينة من السنة المطهرة ، دار الحديث ، ١٩٨٩م.

- **القوصى : عطية**

١٠٦ - اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٨م.

- **كاشف : سيدة إسماعيل**

١٠٧ - أحمد بن طولون ، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر ، ١٩٦٥م.

١٠٨ - مصر الإسلامية وأهل الذمة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٣م.

١٠٩ - مصر فى عصر الإخشيديين ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

١١٠ - مصر فى عصر الولاة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٨م.

- **الكحلاوى : محمد محمد**

١١١ - آثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٤م.

- **كحيلة : عبادة عبد الرحمن**

١١٢ - قراءة جديدة لعهد عمر ، عين للدراسات والبحوث ، ١٩٩٦م.

- **كووك : آرثر**

١١٣ - الصناعات والصناع ، ترجمة / عوض جندى ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٧م.

- **اللقانى : رشيدة عبد الحميد**

١١٤ - ألفاظ الحياة الاجتماعية فى كتابات الجاحظ ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩١م.

- **ماجد : عبد المنعم**

١١٥ - تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦م.

١١٦ - ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٤م.

١١٧ - نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥م.

- **محمود : سلام شافعى**

١١٨- أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٥م.

- **ماهر : سعاد**

١١٩ - البحرية فى مصر الإسلامية ، دار المجمع العلمى ، جدة ، ١٩٧٩م.

١٢٠ - الفنون الإسلامية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٦م.

١٢١ - النسيج الإسلامى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، ١٩٧٧م.

- **ماير : ل . أ**

١٢٢ - الملابس المملوكية ، ترجمة / صالح الشيتى ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٥٢م.

- **متز : آدم**

١٢٣ - الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة / محمد عبد الهادى أبو ريدة ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، د. ت .

- **محمد : جمال فوزى**

١٢٤ - معالم تاريخ مصر الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، ٢٠٠٠م.

- **محمود : حسن أحمد**

١٢٥ - الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

١٢٦ - حضارة مصر الإسلامية فى العصر الطولونى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

١٢٧ - العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

- **محمود : محمود عرفة**

١٢٨ - الدولة الفاطمية فى مصر « الأحوال السياسية والنظم الحضارية » ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ٢٠٠٣م .

- **مرزوق : محمد عبد العزيز**

١٢٩ - الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر قبل الفاطميين ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٤م .

- **مسيحة : حشمت**

١٣٠ - مدخل إلى الآثار القبطية ، القاهرة ١٩٩٤م .

- **المسيرى : عبد الوهاب محمد**

١٣١ - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، دار الشروق ١٩٩٩م .

- **مشرفة : عطية مصطفى**

١٣٢ - نظم الحكم بمصر فى العصر الفاطمى ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٨م .

- **مصطفى : فاروق أحمد**

١٣٣ - الموالد ، دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨١م .

- **مطلوب : أحمد**

١٣٤ - معجم الملابس فى لسان العرب ، بيروت ، ١٩٩٥م .

- **مغاورى : سعيد محمد**

١٣٥ - الألقاب وأسماء الحرف والوظائف فى ضوء البرديات العربية ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٠م.

- **المناوى : محمد حمدى**

١٣٦ - الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، دار المعارف بمصر ، د. ت .

- **الموسوى : محمد صالح**

١٣٧ - الملابس والزينة فى الإسلام ، بيروت ، ١٩٩٩م.

- **موسى : روفائيل البر**

١٣٨ - الحياة اليهودية بحسب التلمود ، دار نوبار للطباعة ٢٠٠٣م .

- **نصر : ثريا سيد**

١٣٩ - أزياء النساء فى العصر العثمانى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م.

١٤٠ - تاريخ أزياء الشعوب ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٩٨م.

١٤١ - تاريخ الأزياء ، جامعة حلوان ، ١٩٩٤م.

- **نويصر : حسنى محمد**

١٤٢ - الآثار الإسلامية ، مكتبة زهراء الشرق ، ١٩٩٨م.

- **الوقاد : محاسن محمد**

١٤٣ - الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٩م.

١٤٤ - اليهود فى مصر المملوكية فى ضوء وثائق الجنيزة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٩م.

رابعًا : الدوريات العربية :

- **الجميل : محمد بن فارس**

١ - اللباس فى عصر الرسول ، حوليات كلية الآداب ، الحولية الرابعة عشرة ، الكويت، ١٩٩٤م.

- **حسن : زكى محمد**

٢ - زخارف المنسوجات القبطية ، فصل من مجلة كلية الآداب ، م١٢ ، جـ١ مايو ، ١٩٥٠م.

- **حموى : نورى**

٣ - دراسة فى الملابس العربية فى العصر الجاهلى ، مجلة التراث الشعبى ، ع١١ ، السنة الثالثة ، العراق ، ١٩٧٢م .

- **حميد : عبد العزيز**

٤ - المنسوجات ، موسوعة حضارة العراق جـ٩ ، بغداد ، ١٩٨٥م.

- **الدورى : عبد العزيز**

٥ - نشوء الأصناف والحرف فى الإسلام ، مجلة كلية الآداب ببغداد ، العدد الأول ١٩٥٩ .

- **رحمة الله : مليحة**

٦ - الملابس فى العراق خلال العصور العباسية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٣ ، القاهرة ١٩٦٧م .

- **السامرائى : إبراهيم**

٧ - من معجم اللباس ، مجلة التراث الشعبى ، ع١١ ، السنة العاشرة ، بغداد ، ١٩٧٩م.

- **الساموك : سعدون محمود**

٨ - الأزياء العربية عبز التاريخ ، مجلة المؤرخ العربى ، ع٢٥ ، بغداد ، ١٩٨٤م.

- **ستيلمان : يديدا حلفون**

٩ - عقـود الزواج بالجنيزة كمصـدر لـزى المرأة فى العصـور الوسـطى ، مقال بـ دراسات فى جنيزة القاهرة ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، العدد ٢١ عام ٢٠٠١م .

- **الشامى : رشاد عبد الله**

١٠ - الرموز الدينية فى اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، العدد ١١ عام ٢٠٠٠م .

- **عبد الرسول : سليمة**

١١ - ملابس العمل لذوى المهن والحرف ، مجلة سومر ، ع٣٧ ، جـ١ - ٢ ، العراق ، ١٩٨١م.

- **العلى : صالح أحمد**

١٢ - الألبسة العربية فى القرن الأول الهجرى ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، م١٣ ، العراق، ١٩٦٦م.

- **عواد : ميخائيل**

١٣ - مصطلحات حضارية فى التراث العربى ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، م٣٧ ، جـ١ ، العراق ، ١٩٨٦م.

- **فوكييه : إيريك**

١٤ - دلالة الملابس على أخلاق الناس وأحوالهم ، ترجمة أمين محمود الشريف ، مجلة ديوچين ، العدد ٦٠ ، مركز مطبوعات اليونسكو ١٩٨٣م.

- **غربال : محمد شفيق**

١٥ - الملابس ، الموسوعة العربية الميسرة ، بيروت ، ١٩٨٧م.

- **قرقوتى : حنان**

١٦ - ملامح من صناعة النسيج عند المسلمين ، مجلة الدارة ، ع ٤ ، السنة ٢٥ ، الرياض ، ٢٠٠٠م.

- ماهر : سعاد

١٧ - أثر الفنون التشكيلية الوطنية القديمة على فن القاهرة فى العصر الفاطمى ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، مارس ، أبريل ١٩٦٩م، جـ٢ ، دار الكتب ، ١٩٧١م.

- مجمع اللغة العربية

١٨ - معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

- مرزوق : محمد عبد العزيز

١٩ - طراز الإسكندرية ، مؤتمر الآثار فى البلاد العربية المنعقد فى دمشق ، ١٩٤٧م، جامعة الدول العربية ، ١٩٤٧م.

- المريخى : سيف شاهين

٢٠ - مراكز إنتاج المنسوجات والملابس الإسلامية فى معجم البلدان لياقوت الحموي، مجلة المؤرخ المصرى ، ع٢٣ ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

- مشرفة : عطية مصطفى

٢١ - المحتسب فى أيام الدولة الفاطمية ، مجلة الأزهر ، م٢٠ ، القاهرة ، ١٩٤٨م.

- المصرى : جابر سلامة

٢٢ - مدينة تنيس فى التاريخ المصرى ، مجلة كلية الآداب ، م٣٥ ، الإسكندرية ، ١٩٨٧م.

النبراوى : رأفت محمد

٢٣ - دراسة لقطعتين نادرتين من المنسوجات الإسلامية من مصر واليمن ، مجلة الدارة ، العدد الثانى ، السنة الثالثة عشرة ١٩٨٧م.

خامساً : الرسائل الجامعية :

- **حسنين : سعاد محمد حسن**

١ - الحمامات فى مصر الإسلامية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٣م .

- **رمضان : حسين مصطفى حسين**

٢ - طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى مصر الإسلامية، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٧م .

- **محمود : مصطفى كامل حنفى**

٣ - الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدن الشام الساحلية من قيام الدولة الأموية حتى نهاية العصر العباسى الأول ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة المنيا، ١٩٩٣م .

سادساً : قائمة المراجع الأجنبية :

References in foreign Languages

- ***Alisa Baginski :***
  1 - Textiles from Egypt 4th 13th Centuries C. E. (L. A. Mayer Memorial Institute for Islamic Art, 1980).
- ***Annemarie Stauffer :***
  2 - The Metropolitan Museum of Art. (New York, 1996).
- ***Barbara Watterson :***
  3 - The Egyptions . (Cambridge, 1997).
- ***Bernard G. Weiss :***
  4 - A survey of Arab History . (The American U. N. V, 1990) .
  5 - Cambridge History of Islam. volume 2. (Cambridge at the University Press, 1970) .
- ***Carle J. Dury :***
  6 - Art of Islam : (New york ,1970) .
- ***Clive Rogers :***
  7 - Early Islamic Textiles . (Brighton, 1983) .
- ***Daniel Rocke :***
  8 - The Culture of Clothing Dress and fashion in the ancient regime . (Cambridge U. N. V, 1994) .

*9 - **Encyclopaedia Judaica*** (vole 7 - 8), 3rd edition, Jerusalem, Keter Publishing house , 1982 .

*10 - **Encyclopaedia of World Art***. (Vole V) (London ,1958) .

*11 - **Encyclopaedia Britannica*** . (Vole 8) (London ,1950) .

- ***Gamal Mehrez :***
  12 - Exhibition Islamic Art in Egypt (969 - 1517AD). (Cairo, 1969) .
- ***George Allen :***
  13 - Islam and The Arabs . (London ,1958) .
- ***Hazel Conway :***
  14 - Design History A students' handbook . (London, 1997) .

- Jacob Mann :
15 - The Jews in Egypt and in Palestine Under the Fatimid Caliphs . (Oxford, U. N. V. 1969) .
- Sir. Lawerence Gowing :
16 - A History of Art . (London, 1983) .
- M. A Marzouk :
17 - Social Life Under the Abbasids (London, 1979) .
- Mark R. Cohen :
18 - Jewish Self Government in Medival Egypt . (New Jersey , 1980) .
- M. S. Dimand :
19 - A handbook of Muhammadan Art (New York, 1958) .
- Nachum Gross :
20 - Economic History of the Jews . (New York, 1976) .
- Romlundau :
21 - Islam and the Arabs. (London, 1958) .
- Salo W. Baron :
22 - Economic History of the Jews . (New York, 1976) .
- S. D. Goitein :
23 - A Mediterranean Society . vole IV, (London, 1983) .
- Seta B. Dadoyan :
24 - The Fatimid Armenians . (New York, 1997) .
- Stanley Lane - Poole :
25 - Art of the Saracens in Egypt . (London, 1886) .
26 - History of Egypt in the Middle Ages. (London, 1924) .
- Thelma K. Thomas :
27 - Textiles from Medival Egypt, A. D. 300 - 1300 . (The U. N. V. Michigon, 1990) .
- Thomas Patrick Hughes :
28 - Dictionary of Islam . (New Jersey, 1965) .
- Thomas W. Arnold :
29 - Painting in Islam . (New York ,1965) .
- Wiet, G :
30 - Steles Funeraires , tome, 1 - 8 . (Cairo, 1941) .

سابعاً : الدوريات والمقالات الأجنبية :

Periodicals. Essays in Foreign Languages

- M. A. Marzouk :

1 - The Tiraz Institutions in Medieval Egypt . (Studies in Islamic art and Architecture American U. N. V, 1965).

- M. Rasen - Ayalon :

2 - Themes of Sasanion origin in Islamic art . (Jerusalem Studies in Arabic and Islam, 1984).

- Nancy Lindisfarne - Tapper :

3 - Languages of Dress in the Middle East . (The Center of Near and Middle Eastern Studies . SOAS, 1997) .

- P. M. Holt :

4 - Islamic Society and Civilization . (The Cambridge History of Islam, volume 2 , 1970).



الملاحـــق

ملحق رقم (١) لأشهر المنسوجات والأقمشة

الكتان ومشتقاته	الصوف ومشتقاته	الحرير ومشتقاته
١ ـ الشرب (كتان ناعم) ٢ ـ القباطي[1] ٣ ـ القصب (كتان ملون)	الجوخ . العهن (صوف مصبوغ) القـــرام (صـــوف غليظ منقوش) . المرعز (صوف عسلي غير مصبوغ) .	الإبريسم (الحـــرير بعـــد الغزل) . الإبوقلمـــون (مـــزيج من الحرير والكتان) . الإستبرق (غليظ الديباج) . الخـــز (مـــزيج من الحـــرير والصوف) . الدقس أو الدمقس (الحرير الأبيض) . الديباج (حرير لامع ملون) . الرفرف (الرقيق من الديباج الأخضر) . الســقــلاطون (مــزيج من الحرير وخيوط الذهب) . السندس (رقيق الديباج) .

(١) القباطي : نسيج من الكتان ناعم وشفاف ، اشتهر الأقباط بصنعه فنسب إليهم . سعاد ماهر : النسيج الإسلامي . ص٣٤ .

ملحق رقم (٢) لأشهر مراكز إنتاج النسيج فى مصر

الوجه البحرى	الوجه القبلى
١ ـ تنيس[١]	١ ـ أخميم[٥]
٢ ـ دمياط	٢ ـ أسيوط
٣ ـ دبيق[٢]	٣ ـ البهنسا[٦]
٤ ـ شطا[٣]	٤ ـ طحا[٧]
٥ ـ تونة[٤]	٥ ـ الفيوم
٦ ـ الإسكندرية	٦ ـ القيس[٨]

(١) تنيس : مدينة قديمة بالقرب من دمياط ، كانت قائمة فى العصور الوسطى فى الجهة الشمالية الشرقية من بحيرة المنزلة . ياقوت الحموى : معجم البلدان. جـ٢ ص٦٠ .

(٢) دبيق : إحدى القرى التابعة لدمياط بين تنيس والفرما . البغدادى : مراصد الإطلاع . جـ٢ ص٥١٣ .

(٣) شطا : قرية بين دمياط وتنيس على بحيرة تنيس . ياقوت الحموى : معجم البلدان . جـ٣ ص٣٤٢ .

(٤) تونة : جزيرة قرب تنيس ودمياط ، كانت فى الجنوب الشرقى من تنيس . ياقوت الحموى : معجم البلدان . جـ٢ ص٦٢ ـ ٦٣ .

(٥) أخميم : بلدة بصعيد مصر على الجانب الشرقى للنيل شمالى أسيوط . ياقوت الحموى : معجم البلدان . جـ١ ، ص١٥٠ .

(٦) البهنسا : تقع على بحر يوسف أحد فروع النيل بصعيد مصر ، بين منية ابن خصيب وبنى سويف إلى جهة الغرب . المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ص٢٠٢ .

(٧) طحا : شمال الصعيد فى غربى النيل . ابن حوقل : صورة الأرض . ص١٤٩ .

(٨) القَيس : قرية بصعيد مصر تقع غربى النيل بمركز بنى مزار بمحافظة المنيا . ياقوت الحموى : معجم البلدان . جـ٤ ص٤٢٢ .

ملحق رقم (٣) لأهم أغطية الرأس

الرجال	النساء
١ - البراطيل	١ - الأخروق
٢ - البرنس	٢ - البخنق
٣ - البلين	٣ - البرقع
٤ - البيضة	٤ - البرنس
٥ - التاج	٥ - التاج
٦ - التخفيفة	٦ - التربيعة
٧ - التيفلين	٧ - الحجاب
٨ - الخوذة	٨ - الخمار
٩ - الدنية	٩ - الشاشية
١٠ - الدَورق	١٠ - الطاقية
١١ - الشاشية	١١ - الطرحة
١٢ - الشال	١٢ - العرضة
١٣ - الشملة	١٣ - العَصابة
١٤ - الطاقية	١٤ - العصبة
١٥ - الطاليت	١٥ - العمامة
١٦ - الطرحة	١٦ - القلنسوة
١٧ - الطرطور	١٧ - القناع
١٨ - الطويلة	١٨ - الكلوتة
١٩ - الطيلسان	١٩ - المعجر
٢٠ - العمامة	٢٠ - الميجار
٢١ - القلنسوة	٢١ - النقاب
٢٢ - الكلوتة	٢٢ - الوقاية
٢٣ - اللبدة	
٢٤ - اللثام	

ملحق رقم (٤) لأهم ملابس البدن الخارجية

الرجال	النســاء
١ - الإزار	١ - البرنس
٢ - الإسكيم	٢ - البريم
٣ - الإفود	٣ - البغلطاق
٤ - البت	٤ - الثوب
٥ - البردة	٥ - الجلباب
٦ - البرنس	٦ - الجوبة
٧ - البشت	٧ - الچوكانية (نوع من القمصان)
٨ - البطرشيل	٨ - الحبرة
٩ - البلارية	٩ - الحُلة
١٠ - التنورة	١٠ - الدراعة
١١ - التونية	١١ - الرداء
١٢ - الجبة	١٢ - الريطة
١٣ - الجلباب	١٣ - الزنار
١٤ - الجمازة	١٤ - العباءة
١٥ - الجوذياء	١٥ - القباء
١٦ - الجوشن	١٦ - القجيجة (نوع من العباءات)
١٧ - الخافة	١٧ - القفطان
١٨ - الخرقة	١٨ - الملاءة
١٩ - الخيطة	١٩ - الملحفة
٢٠ - الدراعة	٢٠ - المنطقة
٢١ - الدربالة	٢١ - النطاق
٢٢ - الدفية	٢٢ - الوشاح

تابع ملحق رقم (٤) لأهم ملابس البدن الخارجية

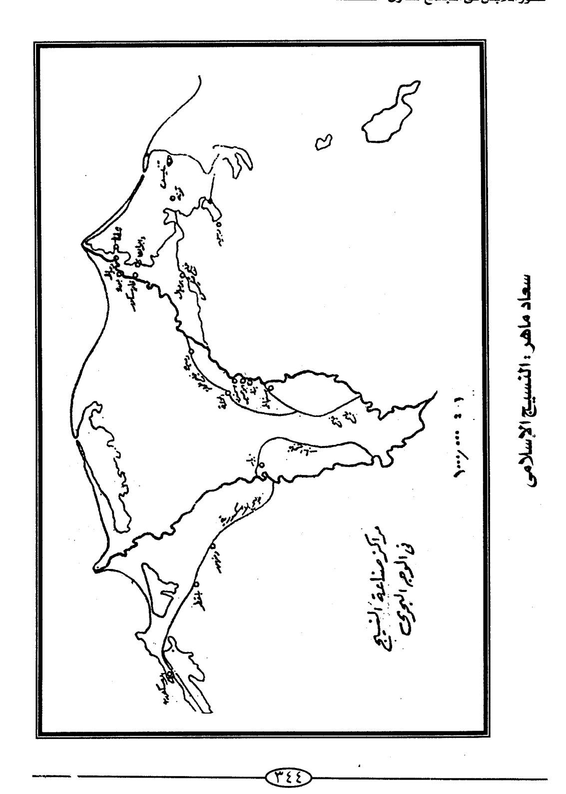
الرجال	النساء
٢٣ - الرداء	
٢٤ - الزرد	
٢٥ - السبجة	
٢٦ - الشملة	
٢٧ - الصدرة	
٢٨ - الصديري	
٢٩ - العباءة	
٣٠ - العري	
٣١ - الفرجية	
٣٢ - القفطان	
٣٣ - القنباز	
٣٤ - الكُمان	
٣٥ - المبطنة	
٣٦ - المدرع	
٣٧ - المرقعة	
٣٨ - المسح	
٣٩ - المطرف	
٤٠ - الملعبة	
٤١ - المغفر	
٤٢ - الممطر	
٤٣ - المنطقة	

ملحق رقم (٥) لأهم ملابس البدن الداخلية

الرجال	النســـاء
١ - الإزار	١ - الإزار
٢ - التبان	٢ - الأصدة
٣ - التكة	٣ - التبان
٤ - السروال	٤ - الخيعل
٥ - الغلالة	٥ - الدرع
٦ - الفوطة	٦ - السروال
٧ - القميص	٧ - الصدار
	٨ - العَلَقة
	٩ - الغلالة
	١٠ - القرقل
	١١ - المئزر
	١٢ - المجسد
	١٣ - المجول
	١٤ - النقبة

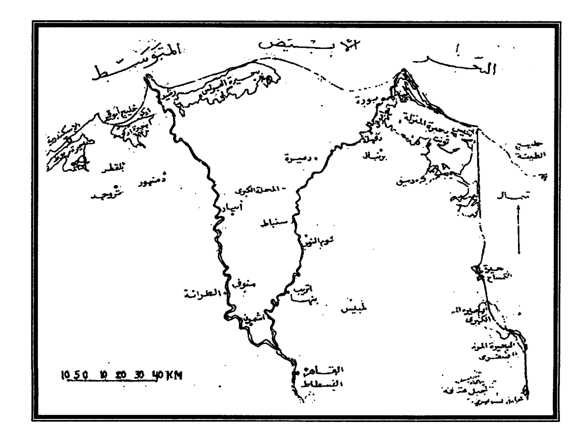
ملحق رقم (٦) لأهم ملابس القدم

الرجال	النساء
١ - الألشين	١ - الجرموق (خف صغير)
٢ - التليج	٢ - الجورب
٣ - الجورب	٣ - الخف
٤ - الحذاء	٤ - الزرابيل
٥ - الخف	٥ - السرموزة
٦ - الصندل	٦ - القبقاب
٧ - القبقاب	٧ - الموزج (خف غليظ)
٨ - اللفافة	
٩ - المركوب	
١٠ - النعل	

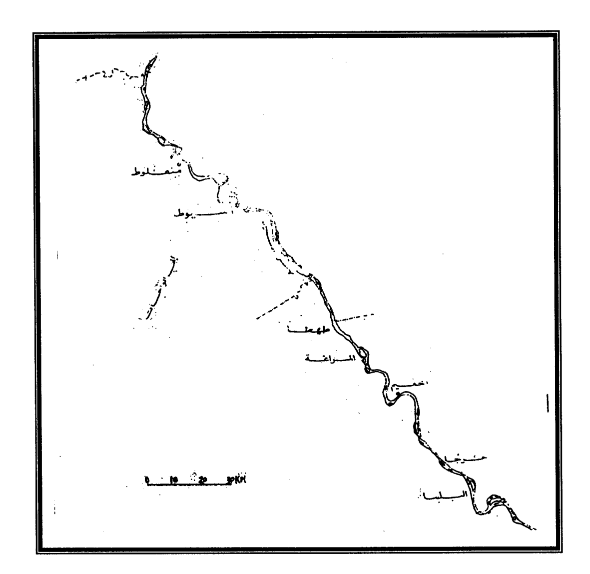


سعاد ماهر: النسيج الإسلامى

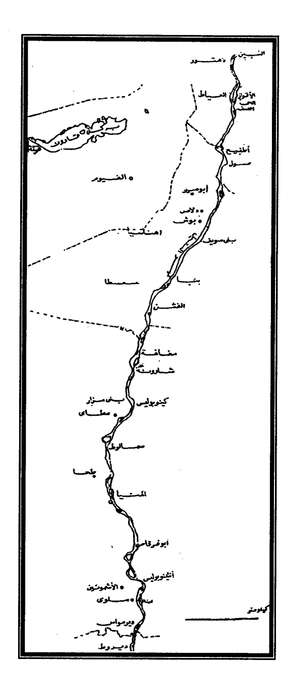
مركز إنتاج النسيج بالوجه البحرى



مراكز الصناعة بالصعيد الأوسط



مراكز الصناعة بالصعيد الأدنى



كتالوج اللوحات والأشكال

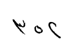
أولاً : اللوحات

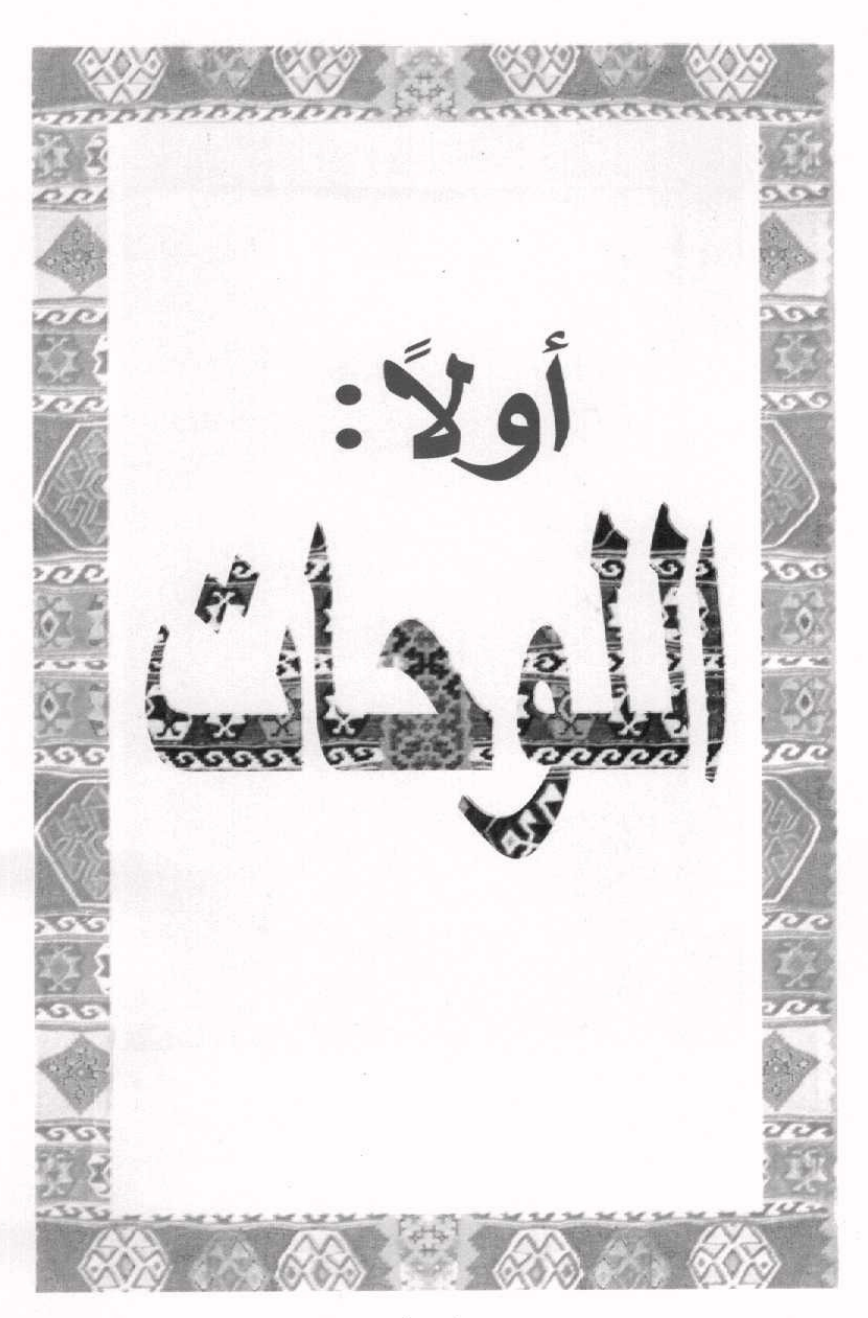
ثانيًا : الأشكال

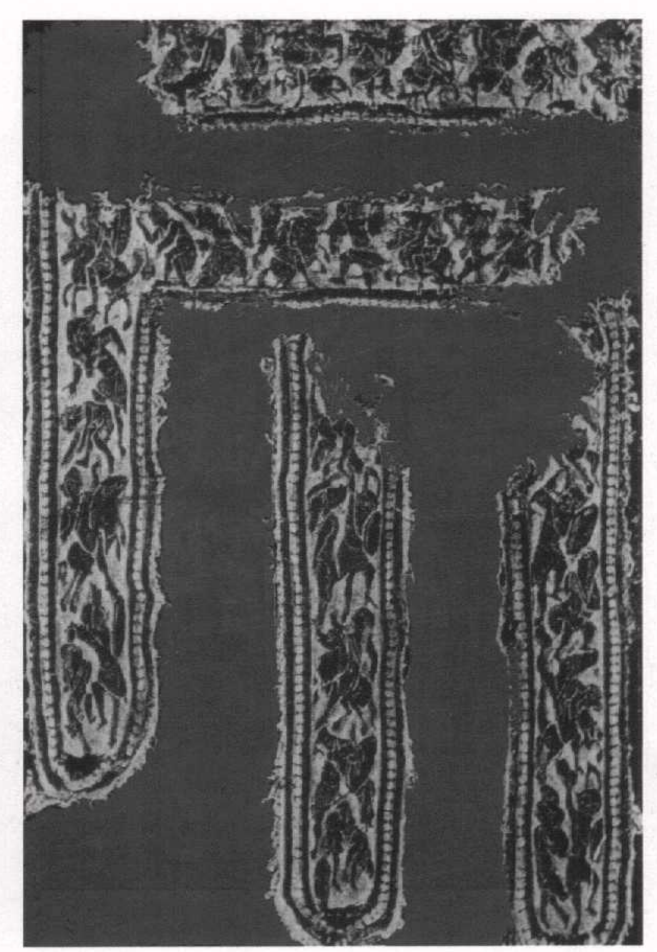
ثالثًا . الدراسة الوصفية للوحات والأشكال



أولاً : اللوحـــات



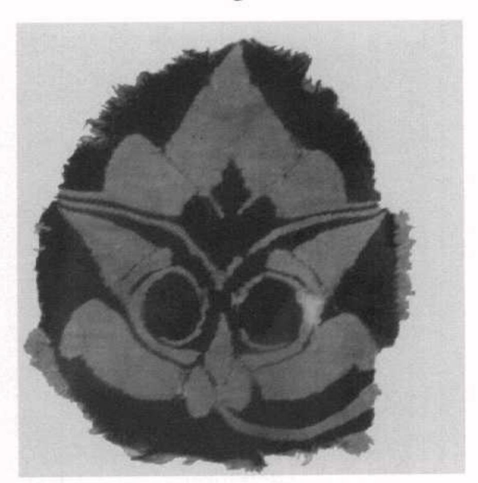

أولاً:
اللوحات



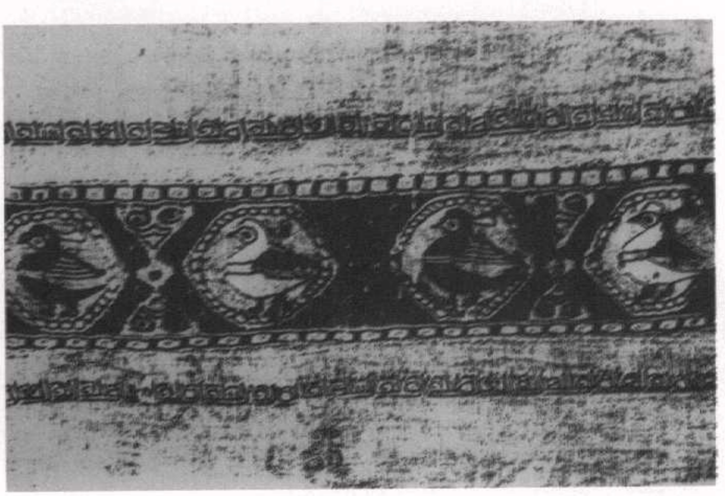
لوحة رقم (١) محفوظة بمتحف فكتوريا وآلبرت ، ترجع للقرنين الثالث والرابع الميلاديين تمثل مجموعة من الأشرطة الزخرفية نقلاً عن سعد الخادم من كتاب (الملابس الشعبية فى مصر الإسلامية) .



لوحة رقم (٢) محفوظة بمتحف الفن القبطى بالقاهرة ، ترجع للقرن الثالث وأوائل الرابع الميلادى برقم سجل ٧٩٤٨ تمثل جزءاً من ستارة كبيرة منسوجة بخيوط الصوف والكتان بطريقة القباطى .



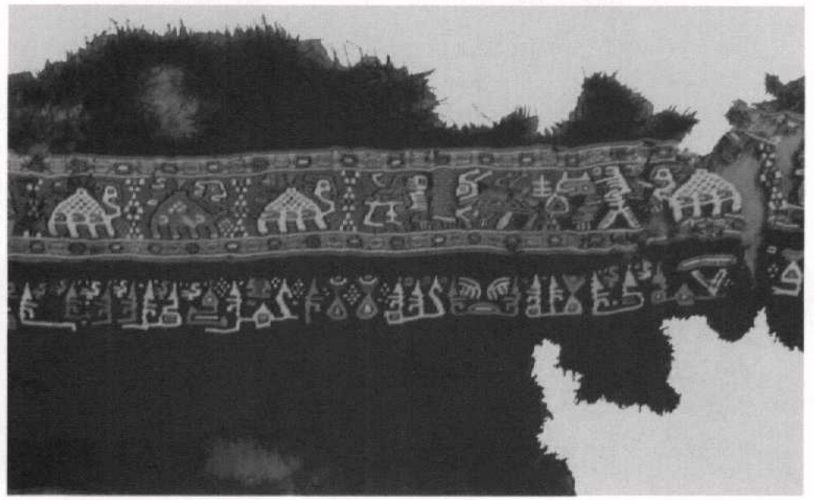
لوحة رقم (٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع إلى العصر الطولونى برقم سجل ١٥٦٦١ . تمثل قطعة من نسيج الصوف والكتان السميك منسوجة بطريقة القباطى .



لوحة رقم (٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٤ هـ / ١٠م برقم سجل ٥٢٦١ . تمثل قطعة من نسيج القباطى بها زخارف لبعض الطيور .



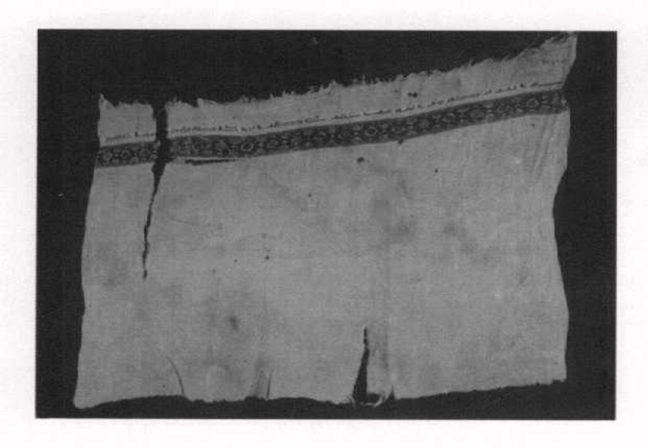
لوحة رقم (٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، غير محددة التاريخ برقم سجل ١٣٦٩١ . تمثل قطعة من نسيج الصوف أرضيتها بيضاء ، وبداخلها رسم لطائر .

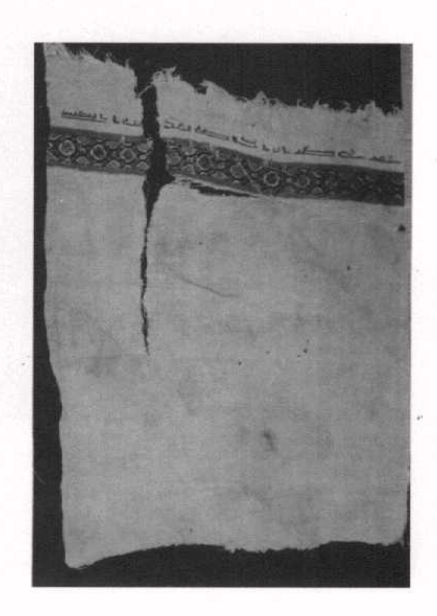


لوحة رقم (٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وترجع للقرن ٣ هـ/٩م برقم سجل ٩٠٦١ . تمثل قطعة من نسيج الصوف والكتان تنسب إلى مدينة الفيوم.

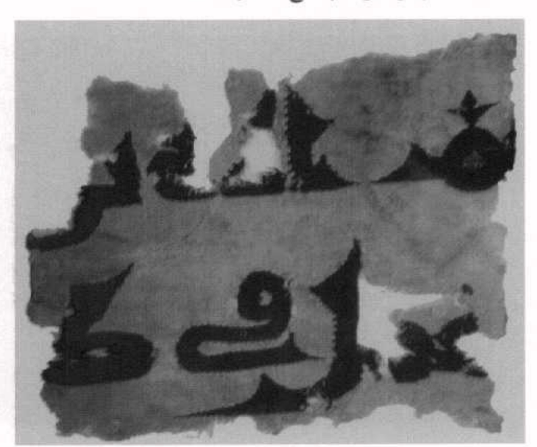


لوحة رقم (٧) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٣١٤٣ . تمثل قطعة من نسيج الصوف الأزرق ، عليها كتابة كوفية تقرأ (بهنسى).

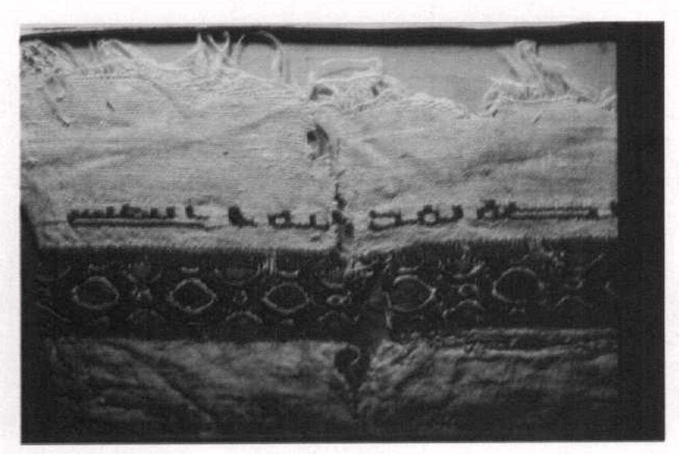




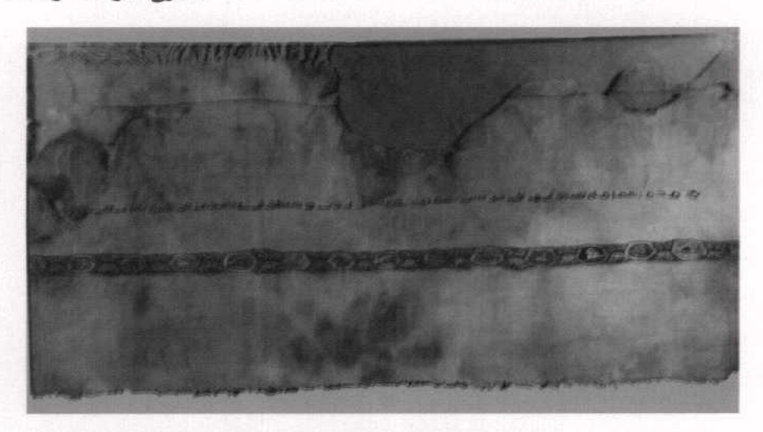
لوحة رقم (٨) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وترجع للقرن ٣ هـ / ٩ م برقم سجل ١٣٤٢٥ . تمثل قطعة من نسيج الكتان تنسب لدار طراز الخاصة بمدينة البهنسى .

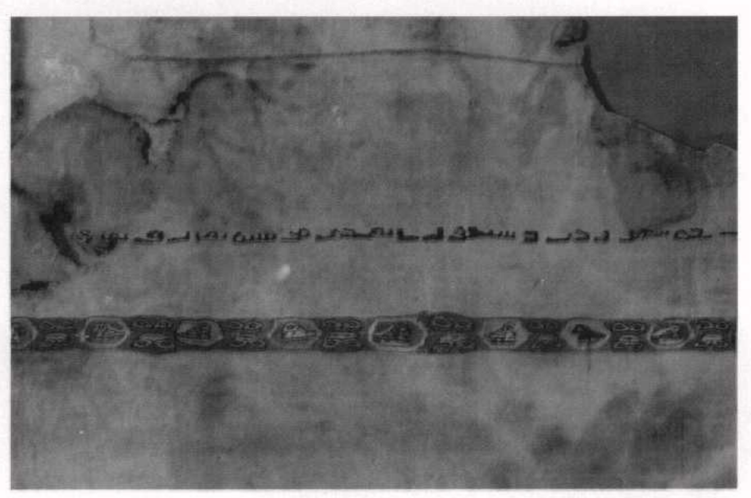


لوحة رقم (٩) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٣-٤هـ/٩-١٠م برقم سجل ١٢١٣٣/٥ . تمثل قطعة من نسيج الصوف والكتان السميك تنسب إلى مدينة البهنسى .

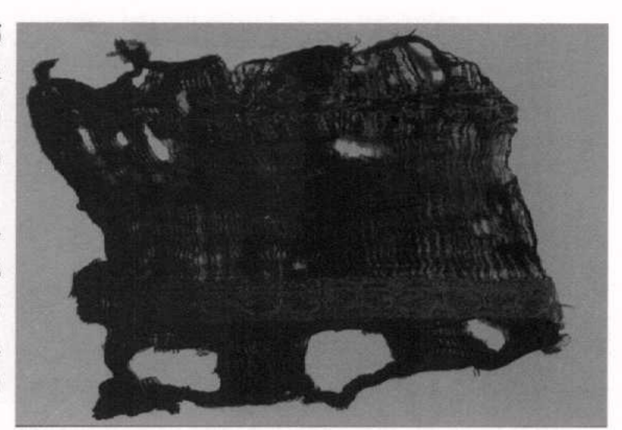


لوحة رقم (١٠) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٣هـ/٩م برقم سجل ١٣٤٢٥ . وهى نفس الصورة رقم (٨) ولكنها أكثر وضوحاً حيث يبدو الشريط الزخرفى بألوانه الزاهية ويقرأ بوضوح (بمدينة البهنسى) .

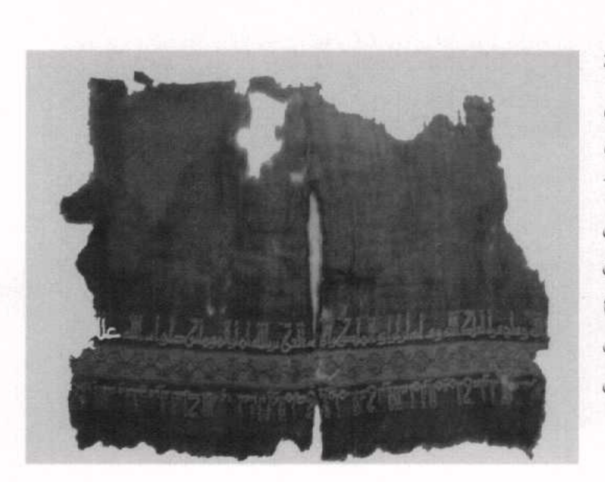




لوحة رقم (١١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع إلى القرن الأول أو الثانى الهجرى ، برقم سجل ١٠٨٤٦ . تمثل قطعة من نسيج عمامة باسم « سمويل بن موسى » .



لوحة رقم (١٢) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وترجع إلى القرن ٤هـ/١٠م ، برقم سجل ٧٢٧٥ . تمثل قطعة من نسيج الشاش الأزرق اللون عليها سطران من الكتابة الكوفية .



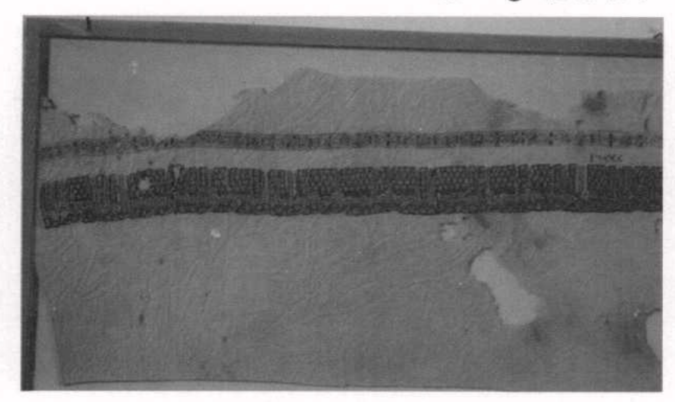
لوحة رقم (١٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وترجع إلى القرن ٤ -٦ هـ / ١٠ - ١٢م ، ، رقم سجل ٩٤٤٥ . تمثل قطعة من النسيج المزخرف برسوم نباتية وحيوانية ونص كتابى أعلى وأسفل الشريط الزخرفى .



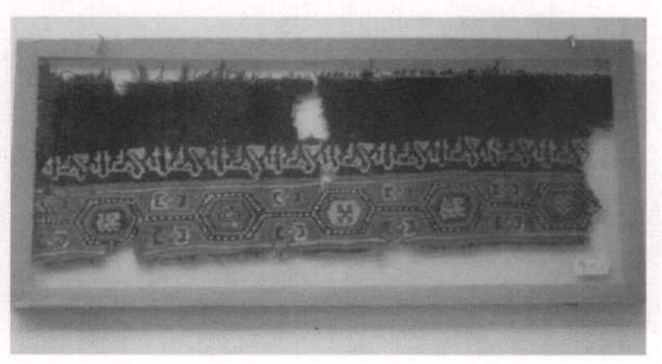
لوحة رقم (١٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وترجع للقرن ٥هـ/ ١١م برقم سجل ١٤٥٣٠ . تمثل قطعة من النسيج الأبيض القاتم منسوج عليها سطر كتابة كوفي بالحرير الأزرق باسم (الحاكم بأمر الله) .



لوحة رقم (١٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ وبرقم سجل ١٤٨٧٧ . تمثل قطعة رفيعة من نسيج الصوف الأسود عليها شريطان من الكتابة أعلى وأسفل وبينهما شريط زخرفى .



لوحة رقم (١٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م وبرقم سجل ١٦٣٣٢ . تمثل قطعة نسيج من العصر الفاطمى المبكر ترجع لعهد كل من المعز والعزيز والحاكم .



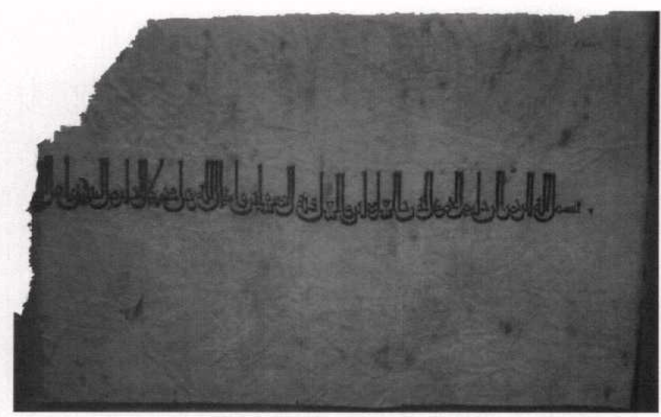
لوحة رقم (١٧) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ وبرقم سجل ٩٠٢٨ . تمثل قطعة من نسيج أسود عليها شريط زخرفى بلون أحمر وأبيض وأصفر .



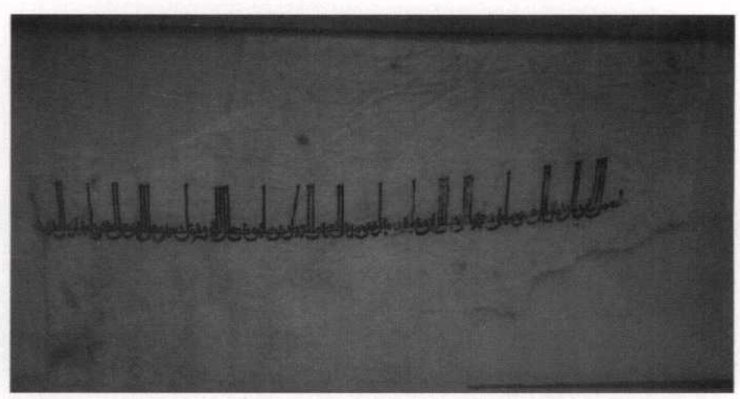
لوحة رقم (١٨) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وترجع للقرن ٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م وبرقم سجل ١٥٥٣٨ . تمثل قطعة من نسيج الصوف الأرمنى ، عليها رسم أرنبين يجريان خلف بعضهما .



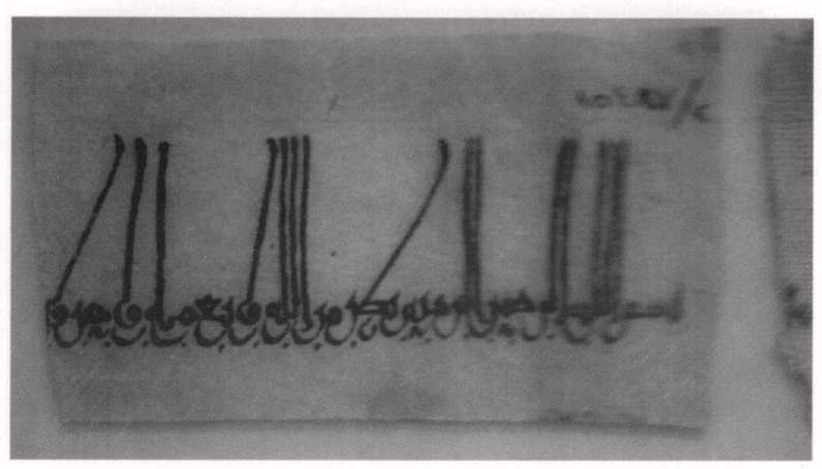
لوحة رقم (١٩) تمثل عباءة التتويج التى صنعت للملك روچر الثانى ملك صقلية عام ٢٥٨ هـ نقلاً عن أطلس الفنون الزخرفية لزكى حسن .



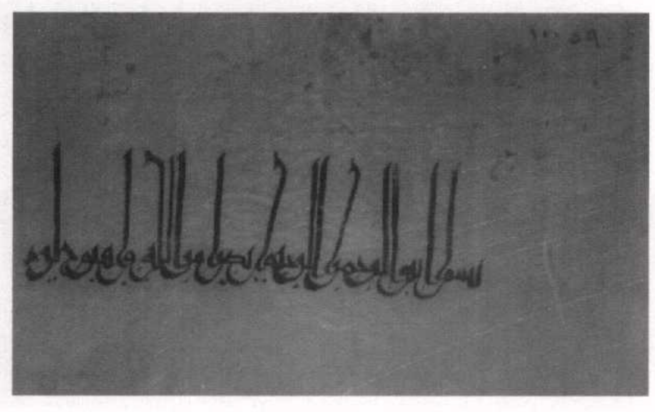
لوحة رقم (٢٠) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٠١٢١ . تمثل قطعة من نسيج الكتان الأبيض عليها سطر كتابة بالخط الكوفى بخيوط حمراء .



لوحة رقم (٢١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٠١٢٤ . تمثل قطعة من نسيج الكتان الأبيض غير منتظمة الشكل ، عليها سطر كتابى بالخط الكوفى المطرز بخيط أزرق .



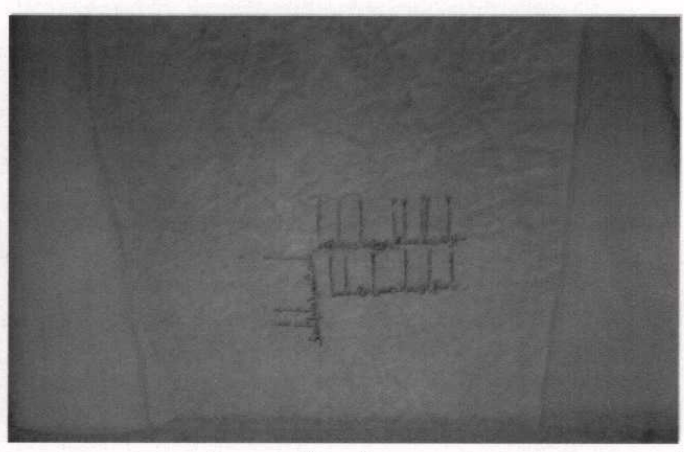
لوحة رقم (٢٢) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٥٤٨٧/٢ . تمثل قطعة من نسيج الكتان عليها كتابة بالخط الكوفى .



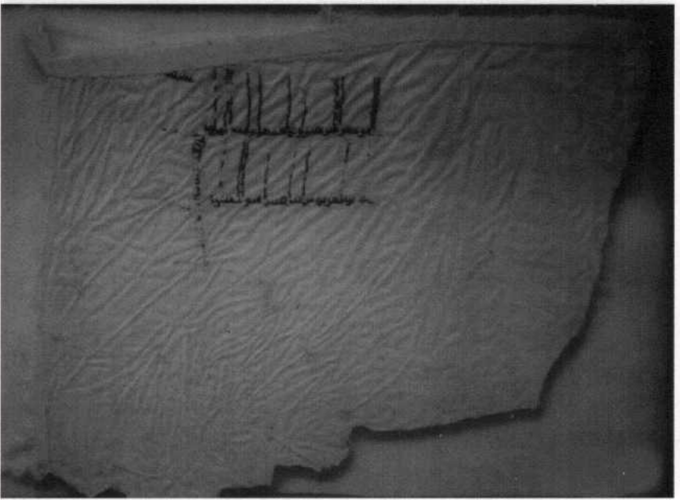
لوحة رقم (٢٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٠٠٥٩ . تمثل قطعة من نسيج الكتان الأبيض عليها سطر كتابى بالخط الكوفى بالمداد الأسود.



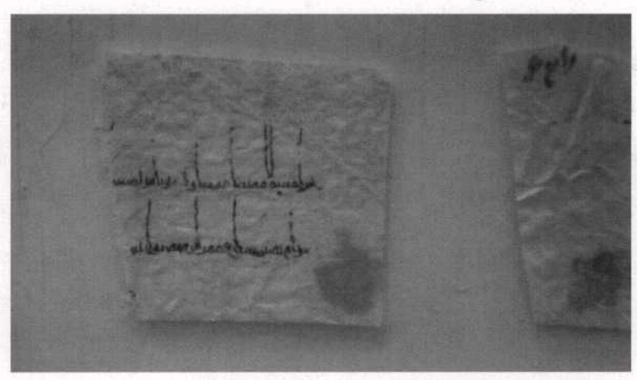
لوحة رقم (٢٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٥٤٨٧/١ . تمثل قطعة من نسيج الكتان عليها كتابة بالخط الكوفى بالمداد الأسود .



لوحة رقم (٢٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ٩٥٩١ . تمثل قطعة من نسيج الكتان الأبيض عليها سطران أفقيان بالخط الكوفى الدقيق وسطر ثالث رأسى .



لوحة رقم (٢٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ٨٤٣٠ . تمثل قطعة من نسيج كتان أبيض مطرز عليها سطران كتابة بالخط الكوفي الدقيق بلون أزرق .



لوحة رقم (٢٧) محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ٨٩٠٩ . تمثل قطعة صغيرة من نسيج الكتان الأبيض عليها بالتطريز بلون أزرق أسطر كتابة بخط كوفي رفيع.



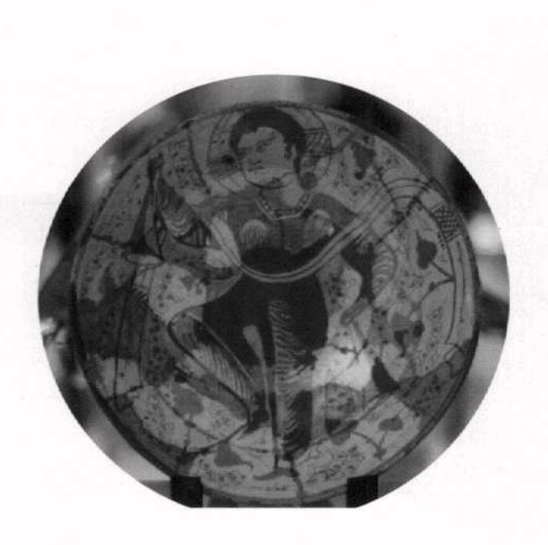
لوحة رقم (٢٨) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٦هـ/١٢م ورقم سجل ١٤٤٠٠ . تمثل قطعة من نسيج الصوف السميك عليها رسم لوجه امرأة داخل دائرة .



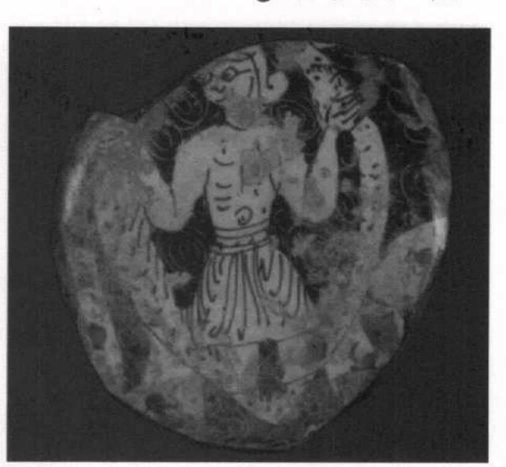
لوحة رقم (٢٩) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للعصر الطولوني ق٣هـ / ٩م برقم سجل ١٩٢٦٨ . تمثل نسيجاً سميكاً من الصوف والكتان بزخارف منسوجة بطريقة القباطى على شكل طائر .



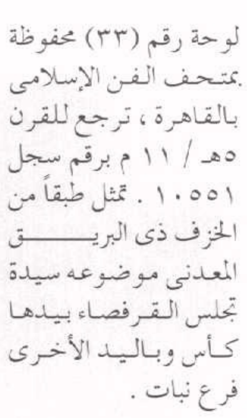
لوحة رقم (٣٠) محفوظة بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة ، ترجع للقرن ٥ هـ / ١١ م برقم سجل ١٦٢٩ . تمثل طبقاً من الخزف ذي البريق المعدنى موضوعه راقصة ترقص بالمناديل .



لوحة رقم (٣١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/١١ م ، رقم سجل ١٥٩٥ . تمثل طبقاً من الخزف ذى البريق المعدنى ، موضوعه راقصة ترقص بالمناديل .



لوحة رقم (٣٢) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥ – ٦ هـ / ١١ – ١٢ م برقم سجل ١ /٣٣٢٣ . تمثل جزءاً من خزف فاطمى موضوعه راقصة ترتدى رداء إلى منتصف القدم تحته سروال .

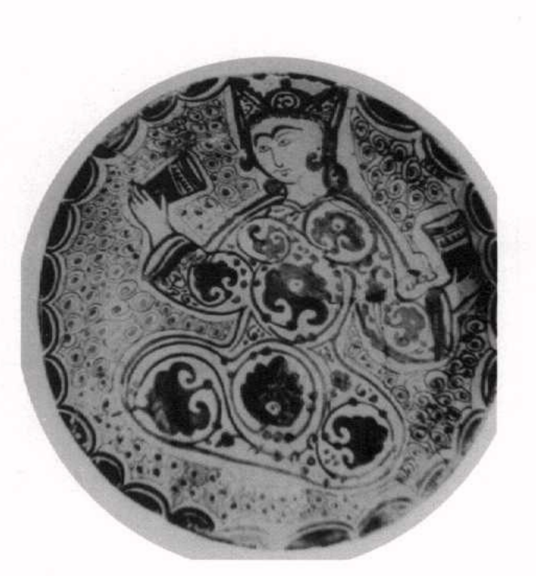




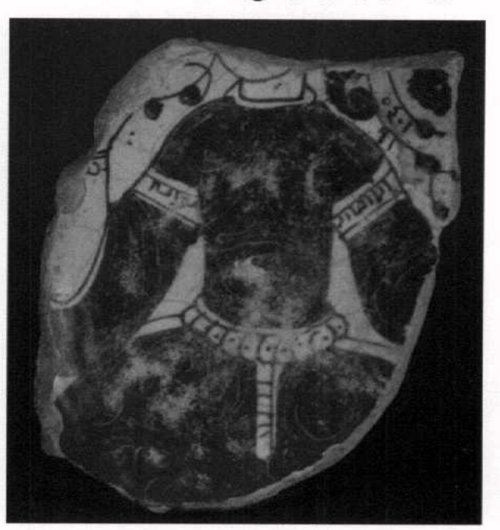
لوحة رقم (٣٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ / ١١ م برقم سجل ١٠٥٥١ . تمثل طبقاً من الخزف ذى البريق المعدنى موضوعه سيدة تجلس القرفصاء بيدها كأس وباليد الأخرى فرع نبات .



لوحة رقم (٣٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ترجع للقرن ٥هـ/١١م برقم سجل ١٤٩٨٧ . تمثل جزءاً من من طبق من الخزف ذي البريق المعدني عليه رسم لسيدة تصب الشراب من دورق في كأس كبير .



لوحة رقم (٣٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ترجع للقرن ٥هـ/١١م برقم سجل ١٣٤٧٨ . تمثل طبقاً من الخزف ذي البريق المعدني فوق طلاء زجاجي زبدي اللون يصور سيدة في جلسة أمامية .



لوحة رقم (٣٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥ – ٦ هـ/١١– ١٢م برقم سجل ٥٤٠١/٩١ . تمثل جزءاً من خزف فاطمى يصور جسد امرأة بدون رأس . ويظهر بها اللباس التالي :
أ – الثوب .
ب – المنطقة .



لوحة رقم (٣٧) محفوظة بمتحف الخزف الإسلامى بالزمالك ، ترجع للقرنين ٣ – ٦م / ٩ – ١٢ م برقم سجل ١٤٩٣٥ . تمثل طبقاً من الخزف ذي البريق المعدنى يصور شخصاً جالساً يعزف على آلة العود .



لوحة رقم (٣٨) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥ هـ/١١م برقم سجل ١٤٩٢٣ . تمثل طبقاً من الخزف ذى البريق المعدنى يصور سيدة تعزف على آلة موسيقية تشبه القيثارة .



لوحة رقم (٣٩) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرنين ٥-٦هـ/١١- ١٢م برقم سجل ٥٨٦٧ . تمثل جزءاً من إناء خزفى بالبريق المعدنى الأصفر اللون ، يصور سيدة فى ملابس رقص أو حمام ويظهر بها اللباس التالى:
أ – الصدار .   ب – التبان .



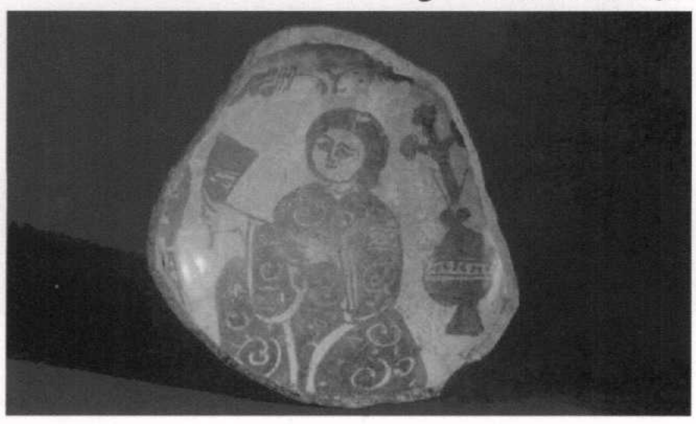
لوحة رقم (٤٠) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/١١م برقم سجل ١٣٤٧٧ . تمثل طبقاً من الخزف ذى البريق المعدنى ، عاجى اللون يصور فارساً على جواد بالملابس العسكرية ويظهر بها اللباس التالى :
أ – العمامة . ب – الزرد.



لوحة رقم (٤١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٩٦٨٩ . تمثل أجزاءً من طبق كبير من الخزف ذى البريق المعدنى عليها بقية رسم يمثل مشهداً لمصارعة بين رجلين ويظهر بها اللباس التالى :
أ – العمامة . ب – السروال .



لوحة رقم (٤٢) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/١١م برقم سجل ١٤٥١٦ . تمثل طبقاً من الخزف ذى البريق المعدنى يصور رجلين يتبارزان بالعصى .



لوحة رقم (٤٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥-٦ هـ / ١١ - ١٢ م برقم سجل ٦٠١٨ . تمثل جزءاً من طبق من الخزف ذى البريق المعدنى يصور امرأة تحمل فى يدها كأساً .



لوحة رقم (٤٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥ هـ / ١١م برقم سجل ٥٣٩٥/٢ . تمثل جزءاً من خزف ، يصور امرأة تضرب على العود، وترتدى ثوباً فضفاضاً .

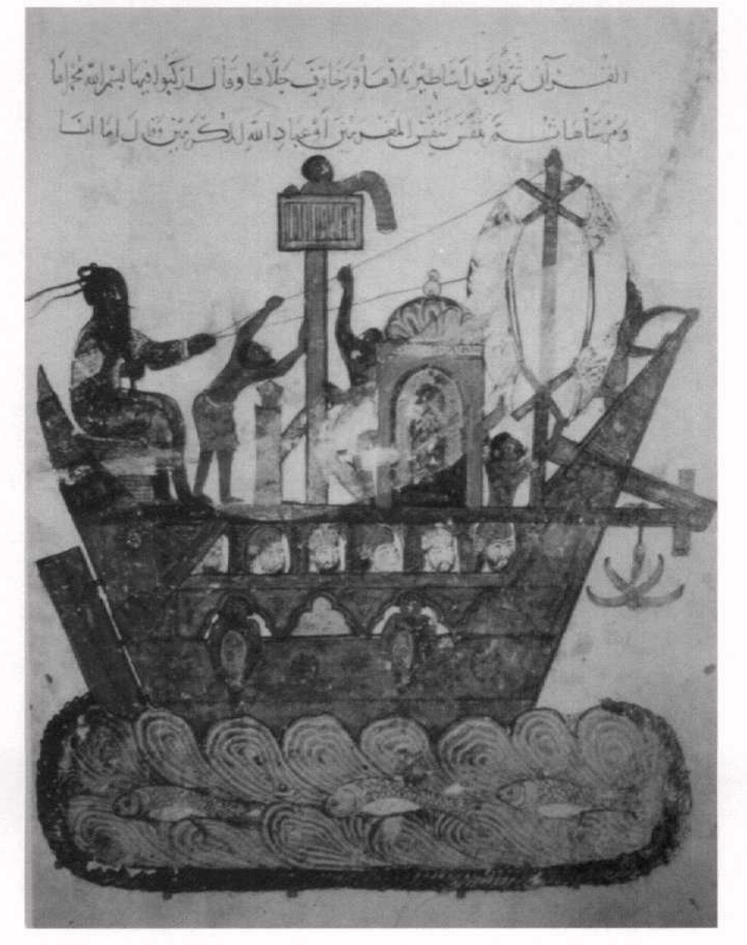


لوحة رقم (٤٥) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤ هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة ، ويظهر بها اللباس التالى :
أ - العمامة . ب - القلنسوة . جـ - القباء.



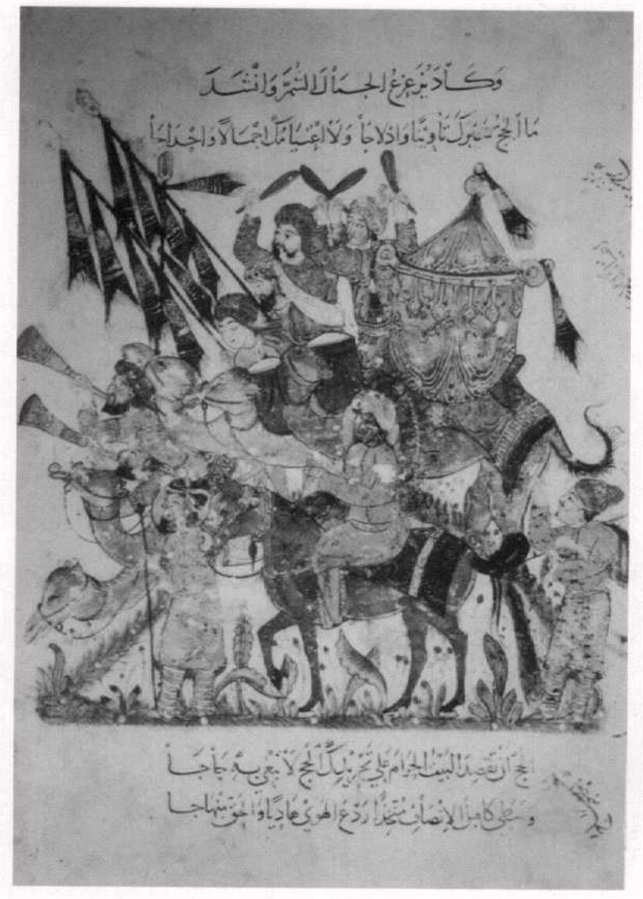
لوحة رقم (٤٦) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤ هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة ، ويظهر بها اللباس التالى :

أ – القلنسوة الطويلة . ب – السروال . جـ – العمامة .



لوحة رقم (٤٧) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤ هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة ، ويظهر بها اللباس التالى :

أ – الإزار . ب – العمامة .



لوحة رقم (٤٨) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤ هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة ، ويظهر بها اللباس التالى :

أ - العمامة .   ب - القلنسوة .   جـ - القباء .

د - الألشين .   هـ - السرموزة.



لوحة رقم (٤٩) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤ هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة ، ويظهر بها اللباس التالى :

أ – الخمار . ب – الرداء . جـ – الخف.



لوحة رقم (٥٠) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤ هـ من كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة ، ويظهر بها اللباس التالى :

أ – العمامة بالذؤابة . ب – الجبة ذات الأكمام الواسعة .

جـ – السروال . د – الخف .



لوحة رقم (٥١) لوحة من مخطوط مقامات الحرير المؤرخ بسنة ٦٣٤ هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة ، ويظهر بها اللباس التالى :

أ – العمامة بالذؤابة .

ب – الجبة ذات الأكمام الواسعة .

جـ – الشملة .

د – الجلباب.



لوحة رقم (٥٢) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤ هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة ، ويظهر بها اللباس التالى :

أ – الحجاب . .

ب – الرداء الطويل .

جـ العمامة .

د – الجبة .

هـ – السروال .

و – المنطقة.



لوحة رقم (٥٣) لوحة من مخطوط خواص العقاقير لديسقوريدس مؤرخ بسنة ٦٢٧ هـ ومحفوظ بمتحف طوبقبو سراى باستانبول ، يظهر بها اللباس التالى :
أ – العمامة . ب – الدراعة . جـ – القباء .
د – القفطان . هـ – الحذاء .



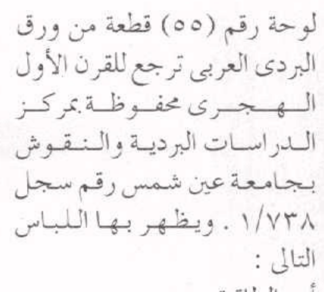
لوحة رقم (٥٤) لوحة تصويرية من الورق ترجع للعصر الفاطمى محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل ١٣٧٠٣ ويظهر بها اللباس التالى :

أ – العمامة . ب – الخوزة.

جـ الزرد. د – المنطقة.

هـ السروال. و – الحذاء.





لوحة رقم (٥٥) قطعة من ورق البردى العربى ترجع للقرن الأول الهجرى محفوظة بمركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس رقم سجل ١/٧٣٨ . ويظهر بها اللباس التالى :

أ – الطاقية .

ب – القميص .

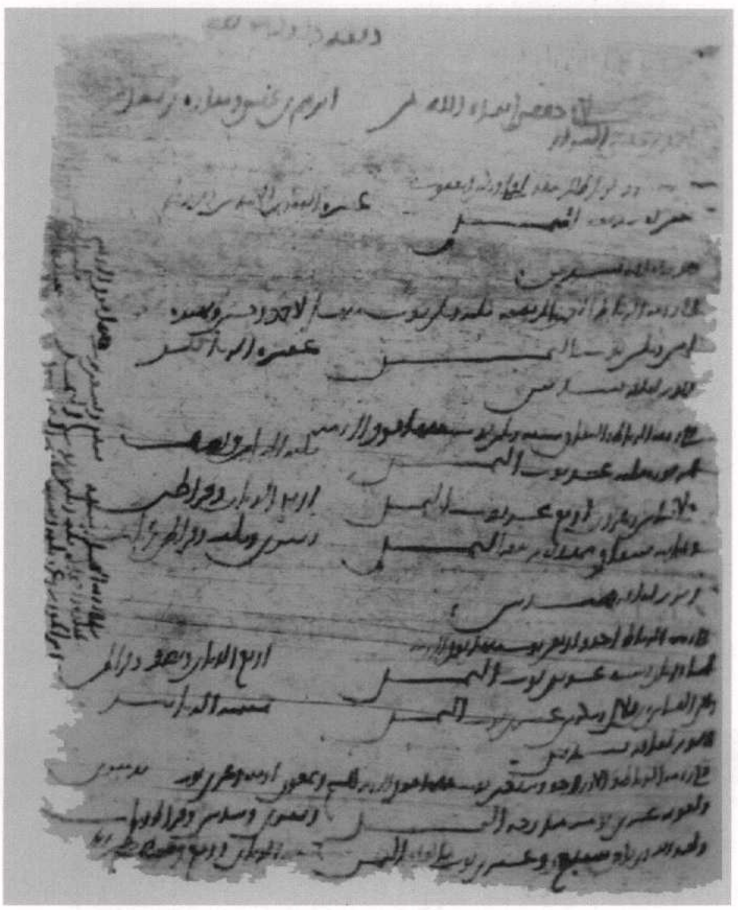
جـ الإزار .



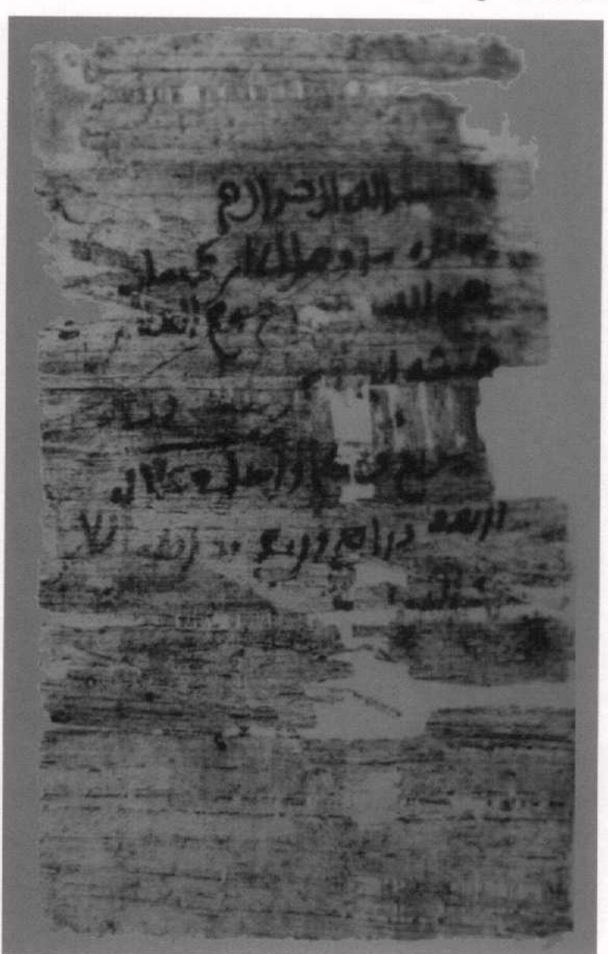
لوحة رقم (٥٦) قطعة من ورق البردى العربى ترجع للقرن الأول الهجرى محفوظة بمركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس رقم سجل ٢/٧٣٨.
ويظهر بها :
أ - الصدار .
ب - الإزار .



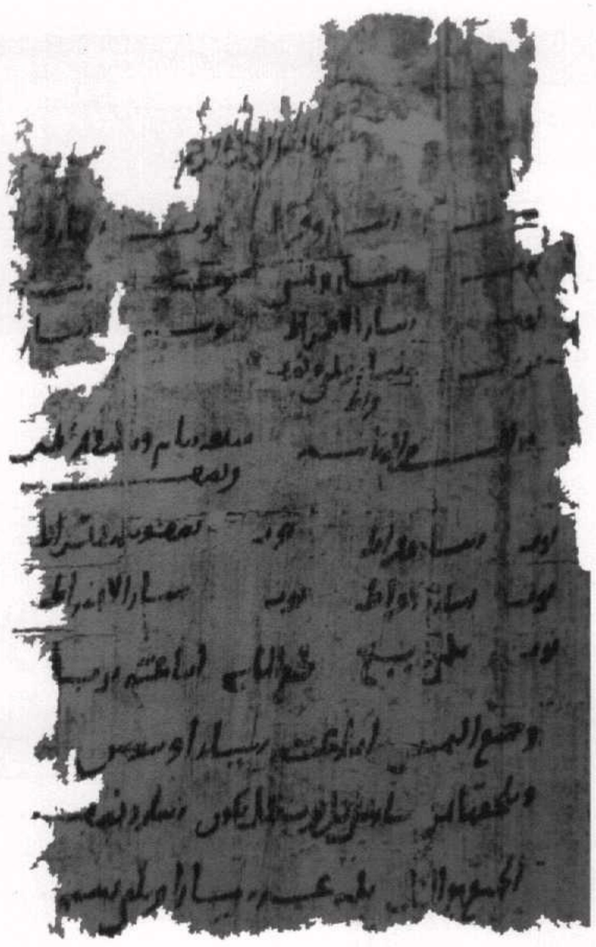
لوحة رقم (٥٧) قطعة من ورق البردى العربي ترجع للقرن الثالث الهجرى ، نقلاً عن كتاب جروهمان (أوراق البردى العربية) برقم سجل ٣٩١ . تمثل قائمة لحساب بزاز .



لوحة رقم (٥٨) قطعة من ورق البردى العربى ترجع للقرن الثالث الهجرى، نقلاً عن كتاب جروهمان (أوراق البردى العربية) برقم سجل ٣٩٢، تمثل قائمة لحساب بزاز .



لوحة رقم (٥٩) قطعة من ورق البردى العربى ، ترجع للقرن الثالث الهجرى ، نقلاً عن كتاب جروهمان (أوراق البردى العربية) ص ٧٢ برقم سجل ٣٨٨ ، تمثل قائمة لحساب خياط.



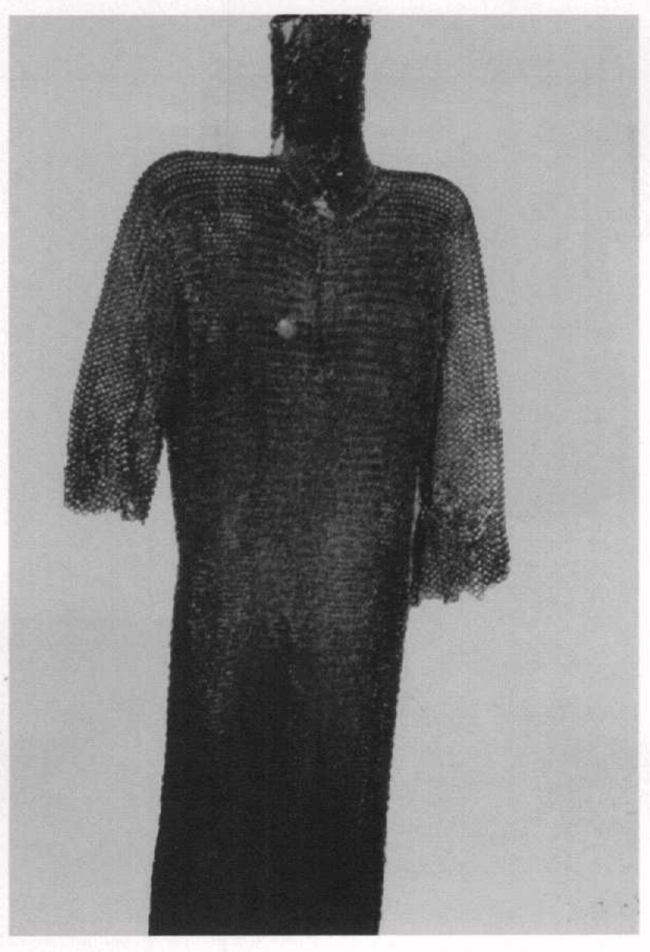
لوحة رقم (٦٠) قطعة من ورق البردى العربى ، ترجع للقرن الثالث الهجرى نقلاً عن كتاب جروهمان (أوراق البردى العربية) برقم سجل ٣٩٣ ، تمثل قائمة لحساب بزاز.



لوحة رقم (٦١) إحدى الجامات التى تزين شمعداناً من النحاس الأصفر المكفت بالفضة من عمل أبو الفتوح الموصلى ، ترجع للقرن السابع الهجرى (١٣م) ، وهي محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (١٥١٢١) ، ويظهر بها اللباس التالى :
أ – القلنسوة . ب – القميص .
جـ – العصابة . د – السروال .
هـ الحذاء



لوحة رقم (٦٢) صورة لرسم بالألوان المائية على الجص من حمام فاطمى كشف عنه فى الفسطاط فى حفائر المتحف الإسلامى بجوار منطقة أبو السعود عام ١٩٣٢ ، ويرجع للقرن الخامس الهجرى (١١م) ، وهو محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة برقم سجل (١٢٨٨٠) ويظهر اللباس التالى .
أ – العمامة كثيرة الطيات .
ب – الجلباب . جـ – الوشاح

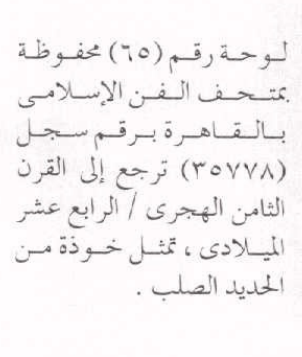


لوحة رقم (٦٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (١٣١٠٠) وترجع للقرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى، تمثل أحد نماذج الزرد السابل .



لوحة رقم (٦٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (٣٧٧٩) ترجع للقرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) تمثل أحد نماذج الزرد القصير .





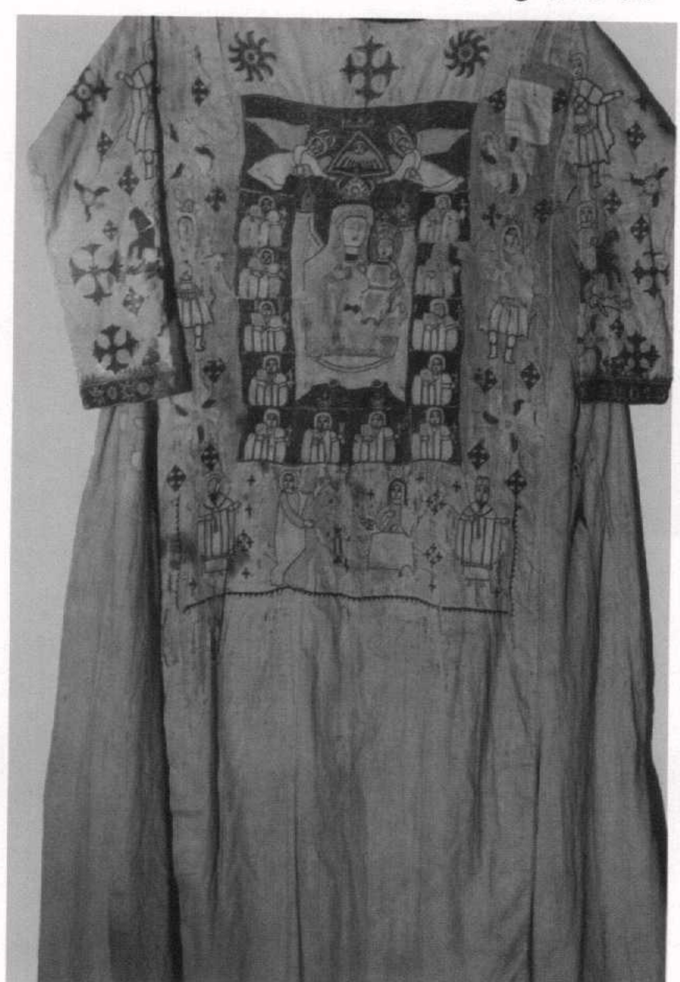
لوحة رقم (٦٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (٣٥٧٧٨) ترجع إلى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، تمثل خوذة من الحديد الصلب .



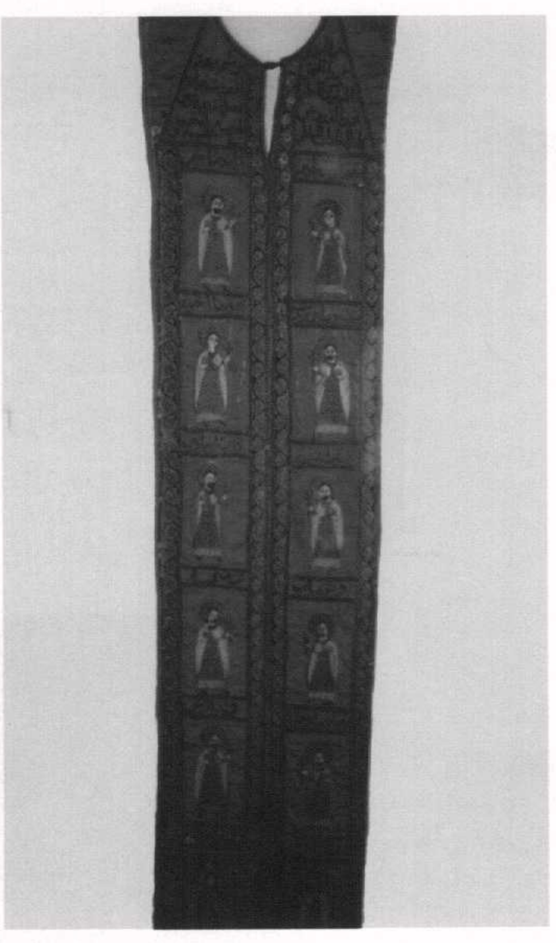
لــوحــة رقــم (٦٦) خــوذة عسكرية لأحد القادة نقلاً عن أحـمـد شـوقـى الـفـنجرى من كتاب العلوم (الإسلامية) .



لوحة رقـم (٦٧) قـمـيص من الكتـان يرجع للـقرنين الرابع والخامس الميـلاديين ، محفـوظ بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل (٨٤٧٠) .



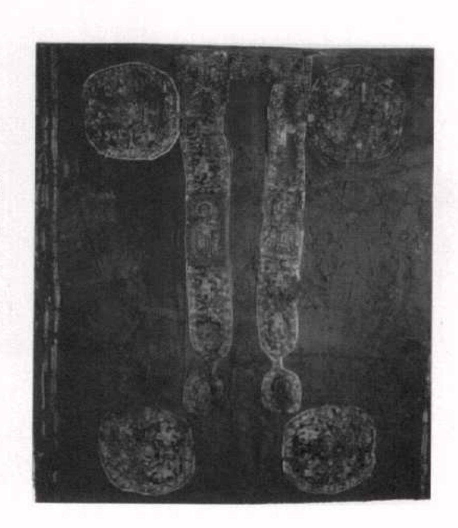
لوحة رقم (٦٨) تونية لأحد الكهنة ورجال الدين النصارى ترجع للقرن (١٨م) محفوظة بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل (٢٢٦٢) .



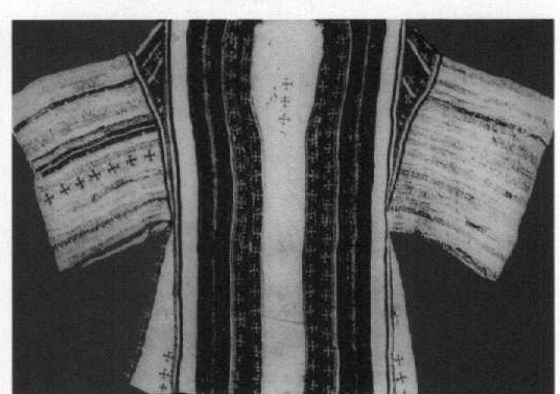
لوحة رقم (٦٩) بطرشيل (صدرية) لأحد رجال الدين النصارى ، يرجع للقرن (١٥م) محفوظ بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل (٢٢٤٦) .



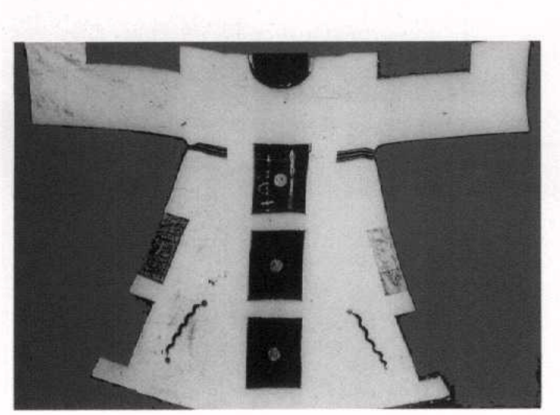
لوحة رقم (٧٠) بطرشيل (صدرية) وكُمان من الأطلس الأحمر من القرن (١٩م) محفوظان بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل (٢١٨١)



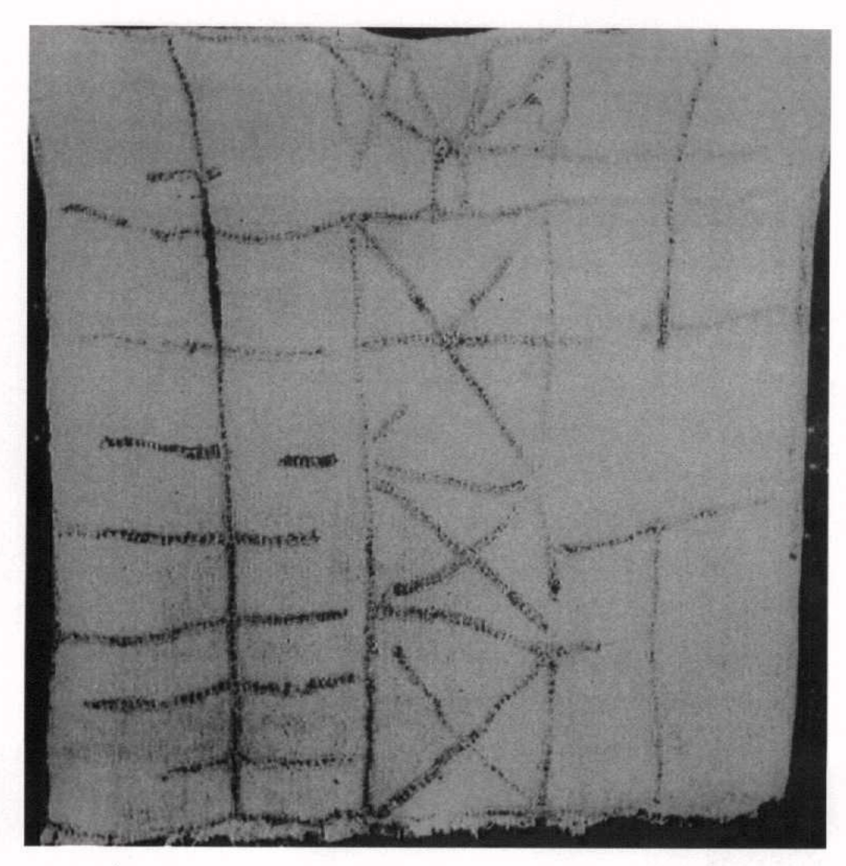
لوحة رقم (٧١) جزء من قميص من الحرير الأحمر ، يرجع للقرن (٥م) محفوظ بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل (٨٤٧٢) .



لوحة رقم (٧٢) قميص كنائسي يرجع للقرن (٦ هـ / ١٢م) نقلاً عن كتاب سعد الخادم (الملابس الشعبية في مصر الإسلامية) .

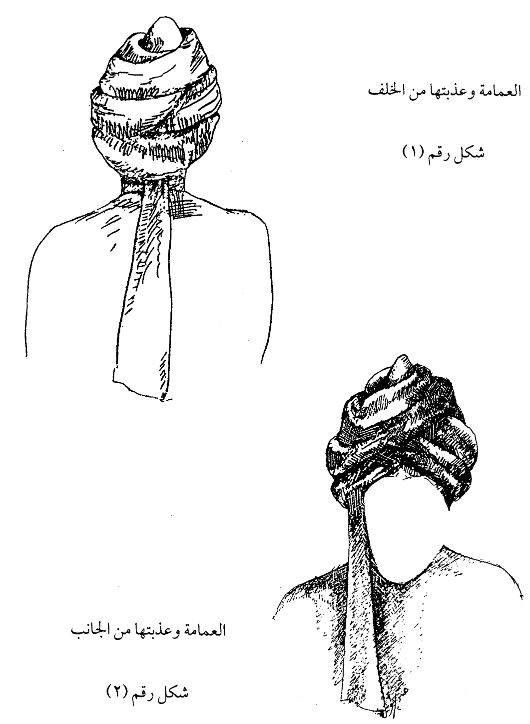


لوحة رقم (٧٣) قميص من القطن مبطن يرجع للعصر الطولوني ، نقلاً عن سعد الخادم ، كتاب (الملابس الشعبية فى مصر الإسلامية) .



لوحة رقم (٧٤) قميص من الكتان الطبيعى يرجع إلى العصر الطولونى ، نقلاً عن سعد الخادم كتاب (الملابس الشعبية فى مصر الإسلامية) .

ثانياً : الأشـــكال

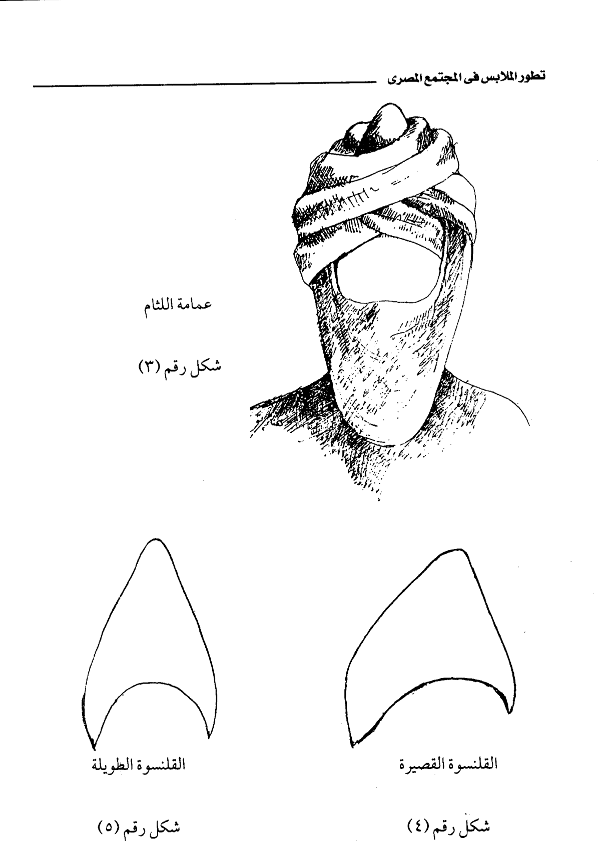


العمامة وعذبتها من الخلف

شكل رقم (١)

العمامة وعذبتها من الجانب

شكل رقم (٢)



عمامة اللثام

شكل رقم (٣)

القلنسوة القصيرة

شكل رقم (٤)

القلنسوة الطويلة

شكل رقم (٥)

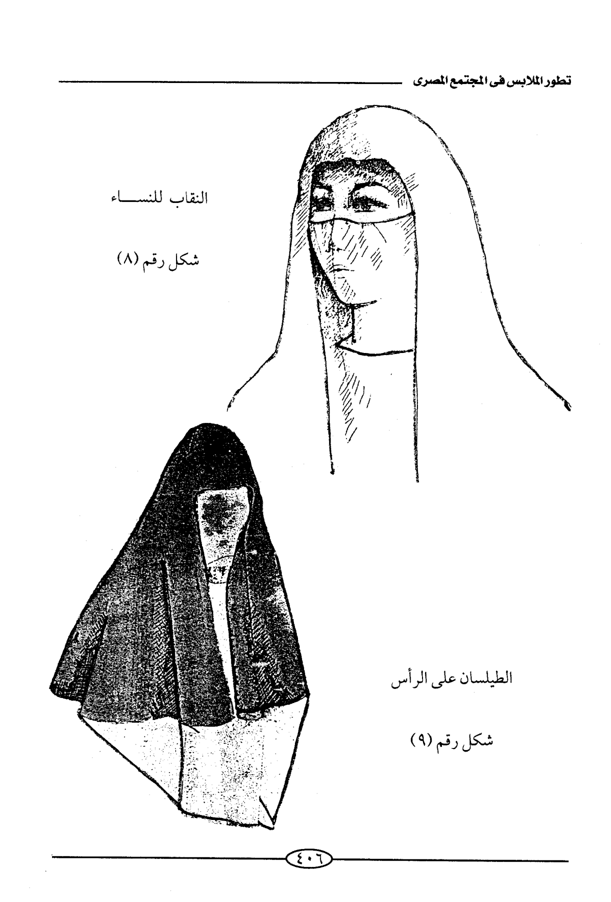


قلنسوة تشبه القارب الشراعى

شكل رقم (٦)

طويلة يرتديها فلاح

شكل رقم (٧)

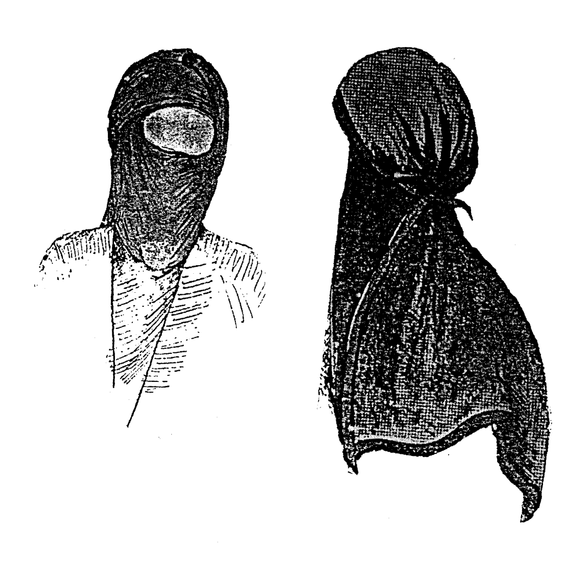


النقاب للنســـاء

شكل رقم (٨)

الطيلسان على الرأس

شكل رقم (٩)



إحد صور الخمار للنساء

شكل رقم (١٠)

العصابة للنساء

شكل رقم (١١)



البرنس للنســـــاء

شكل رقم (١٢)

الطيلسان على الكتف

شكل رقم (١٣)

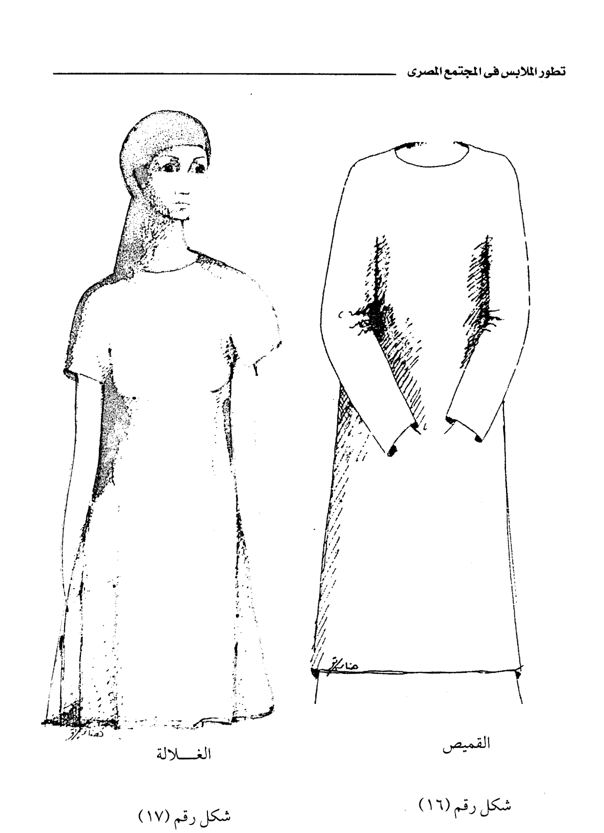


الإزار للرجــال

شكل رقم (١٤)

الإزار فى العصر العباسى

شكل رقم (١٥)



القميص

شكل رقم (١٦)

الغـلالة

شكل رقم (١٧)



جبـــة
شكل رقم (١٨)

دراعة الرجال
شكل رقم (١٩)

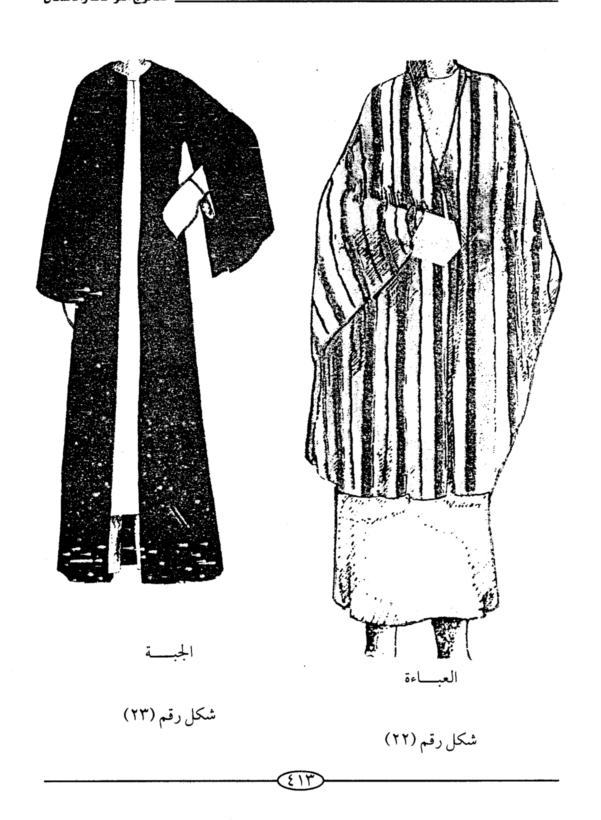


البردة للرجال

شكل رقم (٢١)

الشملة للرجـــال

شكل رقم (٢٠)



الجبـــة

شكل رقم (٢٣)

العبـــاءة

شكل رقم (٢٢)



دراعة ألبسها المنصور لرجاله
شكل رقم (٢٤)

السـروال
شكل رقم (٢٥)

النعـــال

شكل رقم (٢٦)

الجــوارب

شكل رقم (٢٧)

الخـف

شكل رقم (٢٨)



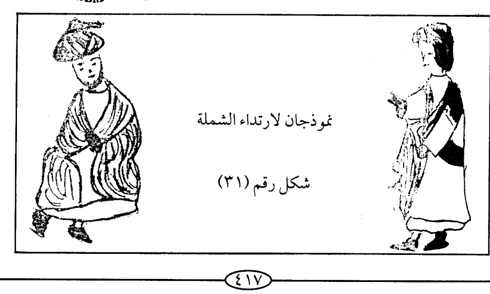
نموذجان لشكل القباء

شكل رقم (٢٩)



الجبة فى العصر االعباسى

شكل رقم (٣٠)



نموذجان لارتداء الشملة

شكل رقم (٣١)

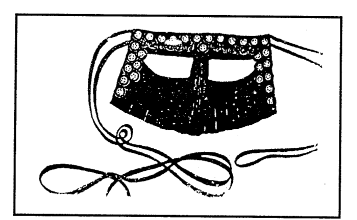


عمامة نسائية
شكل رقم (٣٢)

عمامة من نوع القفداء
شكل رقم (٣٣)

عمامة من نوع القفداء
شكل رقم (٣٤)

الحـذاء
شكل رقم (٣٥)



القناع للنساء

شكل رقم (٣٦)



التبـــان

شكل رقم (٣٧)



الحـــبرة

شكل رقم (٣٨)

الغـــلالة

شكل رقم (٣٩)



الشملة على الكتف

شكل رقم (٤٠)

السبريم

شكل رقم (٤١)



عمامة عالم بالعذبة

شكل رقم (٤٢)

رئيس الكهنـة

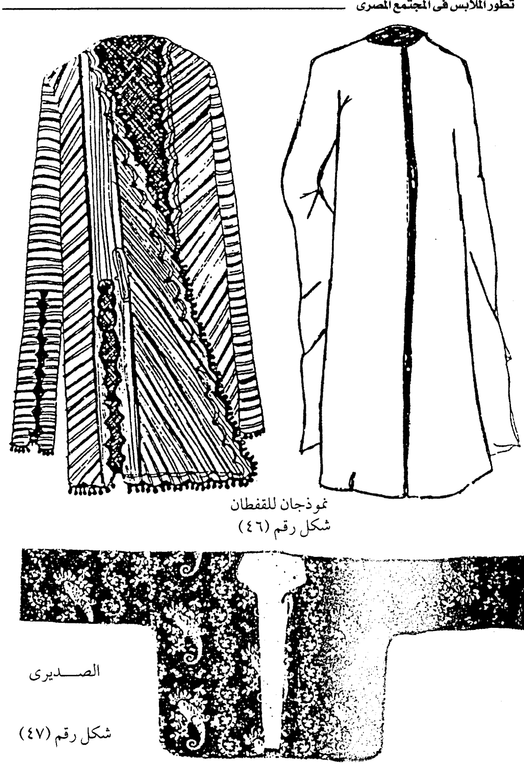
شكل رقم (٤٣)

السروال النسائى

شكل رقم (٤٤)

رجل من الدراويش بملابسه المميزة

شكل رقم (٤٥)



نموذجان للقفطان
شكل رقم (٤٦)

الصـــديرى

شكل رقم (٤٧)

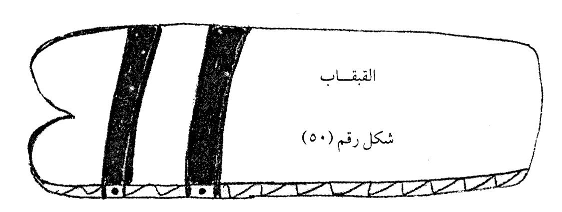


فارس من العصر الفاطمى يرتدى القميص القصير

شكل رقم (٤٨)

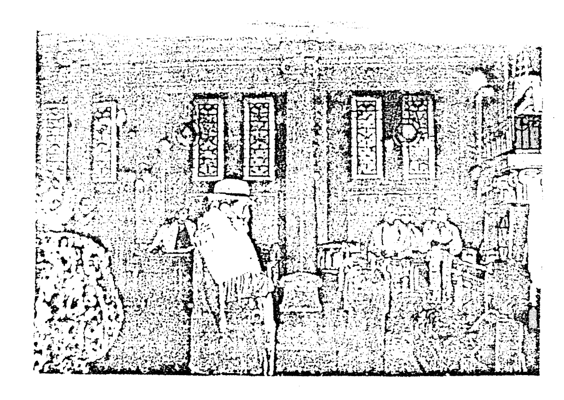
الطرحة النســائية

شكل رقم (٤٩)

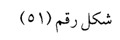


القبقـاب

شكل رقم (٥٠)



الطـاليت



شكل رقم (٥١)





حزام مطعم بالجواهر

شكل رقم (٥٢)

الوشاح المطعم بالجواهر
شكل رقم (٥٣)



الدراسة الوصفية للوحات والأشكال

أولاً : اللوحات :

تعد هذه الدراسة جزءاً مهماً فى تتبع تطور الملابس فى المجتمع المصرى ، من خلال ما جاء منها على بعض الآثار الإسلامية ، وهى تبرز ما احتلته بعض الملابس والثياب من أهمية فى العديد من جوانب الفن الإسلامى على اختلاف فروعه وأشكاله .

١ - المنسوجات :

تشكل المنسوجات إحدى المراحل المهمة فى استقراء تطور الملابس وصناعتها فى مصر ، كما توضح كل ما ارتبط بالنسيج من مراحل تاريخية وفنية وسياسية .

وتعكس بعض قطع النسيج العديد من الدلالات والمفاهيم المرتبطة - كذلك - بتطور الفن الإسلامى وزخارفه فى مصر الإسلامية ، فعلى الجانب الفنى تظهر لنا بعض المنسوجات مدى التأثر الفنى بالحضارات السابقة على الإسلام ، من خلال بعض ما شاع من الرموز الزخرفية الحيوانية والآدمية والنباتية ، كما توضح مدى التأثير القبطى الذى ساد فى المنسوجات من خلال استخدام بعض رموز ومفردات الديانة المسيحية ، التى استمرت فى النسيج المصرى لفترات طويلة حتى بعد دخول الإسلام مصر ، ثم بداية ظهور الطابع الإسلامى الخالص والتحول إلى الرموز الإسلامية فى الزخرفة على النسيج ، كاستخدام الحروف العربية والآيات القرآنية وعبارات الدعاء ، خاصة فى العصر الفاطمى .

على الجانب الآخر تظهر لنا بعض قطع النسيج أسماء العديد من المراكز الخاصة بصناعته وإنتاجه ، إذ حملت بعضها أسماء دور الطراز الخاصة والعامة ، كما وضحت ما اشتهر به كل مركز أو إقليم من خصائص فنية قرنت به ، ومثلت مرحلة مهمة من مراحل التطور الفنى والصناعى له .

ومن الجدير بالذكر أن بعض قطع النسيج تعكس زخارفها براعة الفنان المسلم فى التعبير عن الحيوية والحركة والتناسق المصاحب لبعض الرسومات الحيوانية والآدمية ، كما

تظهر مدى المهارة فى استخدام الأشكال المتقابلة والمتدابرة والجامات والحروف المائلة كوحدات زخرفية .

من ناحية أخرى تؤرخ بعض قطع النسيج لفترات الحكم السياسى لبعض الحكام والخلفاء ، كذلك تبرز المراحل الفنية المصاحبة لكل فترة خاصة فى العصر الفاطمى الذى اهتم بالمنسوجات اهتمامًا بالغًا .

لوحة رقم (١) محفوظة بمتحف ڤكتوريا وألبرت ، ترجع للقرنين الثالث والرابع الميلاديين .

تمثل مجموعة من الأشرطة الزخرفية المستخدمة فى الملابس ، ويظهر بهذه الأشرطة بعض الرسومات الآدمية لأشخاص ومحاربين فى حركات مختلفة .

***

لوحة رقم (٢) محفوظة بمتحف الفن القبطى بالقاهرة ، ترجع للقرن الثالث وأوائل الرابع الميلادى برقم سجل ٧٩٤٨ .

تمثل جزءًا من ستارة كبيرة منسوجة بخيوط الصوف والكتان بطريقة القباطى ، عليها مناظر تمثل زمارًا يقف فى الجانب الأيمن يرتدى طاقية ملونة ، وجزءًا من نسيج يغطى بعض أجزاء جسده العلوى ، أما باقى الجزء السفلى فيظهر عليه فوطة ، وعلى الجانب الأيسر من الستارة تظهر صور لراقصين وراقصات ومحاربين وفرسان يحملون الدروع .

***

لوحة رقم (٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع إلى العصر الطولونى برقم سجل ١٥٦٦١ .

تمثل قطعة من نسيج الصوف والكتان السميك منسوجة بطريقة القباطى ، وهى عبارة عن رسم زخرفى لزهرة اللوتس باللون الأبيض على أرضية سوداء .

***

لوحة رقم (٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة، ترجع للقرن ٤هـ/ ١٠م برقم سجل ٥٢٦١ .

تمثل قطعة من نسيج القباطى عبارة عن شريط به زخارف طيور داخل شكل سداسى (جامات) وكلها تنظر فى اتجاه اليسار ، ويحيط بالشريط من أعلى ومن أسفل شريطان ضيقان بهما زخارف تشبه الكتابة ولكنها غير مقروءة ، إذ يبدو أنها استعملت كشكل زخرفى فقط ، كما يلاحظ أن الطيور الأربعة يتشابه فيها الأول مع الثالث والثانى مع الرابع ، كما أن بين الجامة الأولى والثانية وبين الثالثة والرابعة شكل زخرفى أشبه بوجه إنسان .

***

لوحة رقم (٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، غير محددة التاريخ ورقم سجل ١٣٦٩١ .

تمثل قطعة من نسيج الصوف أرضيتها بيضاء ، وبداخلها رسم للنصف الأعلى من طائر أسود منقط باللون الأبيض، والرسم بدائى جدًا مما يرجح معه أن تاريخ القطعة مبكر .

***

لوحة رقم (٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة وترجع للقرن ٣هـ/ ٩م برقم سجل ٩٠٦١ .

تمثل قطعة من نسيج الصوف والكتان تنسب إلى مدينة الفيوم ، تمثل الزخرفة شريطًا أحمر به رسوم إبل باللونين الأخضر والأبيض مرسومة بأسلوب تخطيطى محور عن الطبيعة ، وتحت هذا الرسم كتابة باللونين الأبيض أو البنى (القهوائي) وتمتاز بما فى سيقانها وهامات حروفها من خطوط منكسرة وزيادات تشبه الدرج ، ونص هذه الكتابة (سعادة ونعمة كاملة لصاحبه مما عمل فى طراز الخاصة بمطمور من كورة الفيوم) ونظرًا لتهالك القطعة فلا تظهر بها كلمة سعادة ، أو باقى الكتابة الأخيرة فى الوقت الحالى ، لكن الدكتور زكى حسن أمكنه قراءة النص من سنوات عدة قبل تهالك القطعة .

وتبرز هذه القطعة من النسيج ما امتازت به الفيوم من استخدام الألوان القوية والرسومات التجريدية المستمدة من حيوانات البيئة المحيطة (الإبل) .

***

لوحة رقم (٧) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٣١٤٣ .

تمثل قطعة من نسيج الصوف الأزرق ، عليها كتابة كوفية تقرأ (بهنسى) وعليها شريط زخارف على أرضية حمراء تتوسط الجزء الباقى منه جامة فى وسطها رسم طائر ، وباقى القطعة متهالك .

***

لوحة رقم (٨) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وترجع للقرن ٣هـ/ ٩م برقم سجل ١٣٤٢٥ .

تمثل قطعة من نسيج الكتان بها شريط كتابى يقرأ (بركة من الله مما عمل فى طراز الخاصة بمدينة البهنسى) وتحت الكتابة شريط زخرفى بداخله دوائر وأشكال سداسية ، والقطعة ممزقة من الجانب الأيسر الفاصل بين كلمة مدينة والبهنسى .

***

لوحة رقم (٩) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٣ - ٤هـ/ ٩ - ١٠م برقم سجل ٥/ ١٢١٣٣ .

تمثل قطعة من نسيج الصوف والكتان السميك تنسب إلى مدينة البهنسى ، تضم كتابة كوفية منسوجة يظهر منها (عمل فى ط) راز ، وعلى الرغم من أنها متهالكة إلا أن حروفها كبيرة وواضحة .

***

لوحة رقم (١٠) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وترجع للقرن ٣هـ/ ٩م برقم سجل ١٣٤٢٥ .

وهى نفس الصورة رقم (٨) ولكنها أكثر وضوحًا حيث يبدو الشريط الزخرفى بألوانه الزاهية ويقرأ بوضوح (بمدينة البهنسى) .

***

لوحة رقم (١١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع إلى القرن الأول أو الثانى الهجرى ، برقم سجل ١٠٨٤٦ .

تمثل قطعة من نسيج عمامة أبيض قاتم بها شريط من جامات تضم طيوراً محورة عن الطبيعة ، وشريط آخر يضم كتابة بالخط الكوفى وقد حدث بين الدارسين خلاف بشأن قراءتها ونصها (هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت فى شهر رجب من شهور المحمد(ية) من سنة ثمان وثما(نين) وقد شك بعض مؤرخى الفن الإسلامى فى صحة هذا التاريخ ؛ لأن أسلوب الشريط الزخرفى يشهد بأن القطعة متأخرة عن القرن الأول الهجرى، ويميل الدكتور زكى حسن - ونحن معه - إلى أن التاريخ الذى تنتهى به هذه الكتابة قد يكون غير كامل وأنه قد يكون ثمان وثمانين ومائة ، خاصة أن أسلوب الشريط الزخرفى أسفل الكتابة قريب فى أسلوبه إلى زخرفة القرن الثالث الهجرى .

***

لوحة رقم (١٢) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وترجع إلى القرن ٤هـ/ ١٠م، برقم سجل ٧٢٧٥ .

تمثل قطعة من نسيج الشاش الأزرق اللون عليها سطران من الكتابة الكوفية أحدهما مقلوب وهو باسم العزيز بالله ، وأسفل الكتابة شريط زخرفى به زخارف ورسوم طيور بشكل البط ، وهى متآكلة من أعلى وأسفل ، وقد نفذت الكتابات والرسوم الزخرفية باللون الأصفر الذهبى الذى شاع فى العصر الفاطمى .

***

لوحة رقم (١٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٤ - ٦هـ/ ١٠م - ١٢م ، برقم سجل ٩٤٤٥ .

تمثل قطعة من النسيج المزخرف برسوم نباتية وحيوانية ونص كتابى أعلى وأسفل الشريط الزخرفى نصه (نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه أبى منصور العزيز بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه) .

وهى تبرز إحدى مراحل تطور النسيج فى العصر الفاطمى ، حيث استخدمت فيها الكتابات المقلوبة التى تتوسطها أشرطة زخرفية لرسوم حيوانية وطيور ، والقطعة متهالكة من أعلى ومن المنتصف .

***

لوحة رقم (١٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وترجع للقرن ٥هـ/ ١١م برقم سجل ١٤٥٣٠ .

تمثل قطعة من النسيج الأبيض القاتم منسوج عليها سطر كتابة كوفى باسم (الحاكم بأمر الله) وكلمة بأمر الله غير ظاهرة ويعلو الكتابة شريط ضيق من الزخرفة غير واضحة منسوجة بالحرير الأزرق .

***

لوحة رقم (١٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ وبرقم سجل ١٤٨٧٧ .

تمثل قطعة رفيعة من نسيج الصوف الأسود عليها شريطان من الكتابة أعلى وأسفل وبينهما شريط زخرفى يمثل أشكال حيوانات متماثلة الشكل مختلفة الألوان والنص الكتابى الأعلى والأسفل عبارة عن كلمتين مكررتين هما (بركة لله) .

ونلاحظ رغم عدم وجود تاريخ محدد لهذه القطعة أنها ومن خلال الأسلوب الزخرفى ترجع للعصر الفاطمى .

***

لوحة رقم (١٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرنين ٥ - ٦هـ/ ١١ - ١٢م وبرقم سجل ١٦٣٣٢ .

تمثل قطعة نسيج من العصر الفاطمى المبكر ترجع لعهد كل من المعز والعزيز والحاكم، وتتألف من شريط زخرفى علوى مكون من عناصر نباتية مورقة ورسوم حيوانات وطيور

تظهر متقابلة أو متدابرة ، داخل أشكال مسدسة أو جامات بيضية ، وأسفله شريط من الكتابة الكوفية يظهر به (المنصور أبى على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين) .

***

لوحة رقم (١٧) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ وبرقم سجل ٩٠٢٨ .

تمثل قطعة من نسيج أسود عليها شريط زخرفى بلون أحمر وأبيض وأصفر ، به خمس جامات مسدسة الشكل باثنتين منها صورة حيوانية وبأخر صورة طائر ، ويعلو هذا الشريط سطر من الكتابة بخط كوفى مكتوب بالعكس من الشمال إلى اليمين ، وبالقطعة بعض تآكل وعدة ثقوب .

***

لوحة رقم (١٨) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وترجع للقرن ٥ - ٦هـ/ ١١ - ١٢م وبرقم سجل ١٥٥٣٨ .

تمثل قطعة من نسيج الصوف الأرمنى ، عليها رسم أرنبين يجريان خلف بعضهما ، والباقى من الأرنب الثانى رأسه ومقدم جسمه فقط ، وهى متآكلة ومفقود منها أجزاء .

وتمتاز هذه القطعة ببراعة تعبير الفنان عن التناسق الحركى الممثل فى دقة تصوير الأرجل الأمامية للأرنب الأول ، يضاف لذلك استخدام الظلال من خلال الألوان الفاتحة والقاتمة .

***

لوحة رقم (١٩) نقلاً عن أطلس الفنون الزخرفية لزكى حسن .

تمثل عباءة التتويج التى صنعت للملك روجر الثانى ملك صقلية عام ٢٥٨هـ، وهى على شكل غفارة (حرملة) كنسية من الحرير المطرز ، أرجوانية اللون ، فى وسطها نخلة تقسمها قسمين كل منهما يمثل ربع دائرة منسوجًا فيه بخيوط من الذهب واللآلئ رسم أسد

ينقض على جمل ليفترسه ، وللعباءة (كنار) منسوج فيه بخيوط ذهبية الكتابة الكوفية الآتى نصها : (مما عمل للخزانة الملكية المعمورة بالسعد والإجلال والمجد والكمال والطول والأفضال والقبول والإقبال والسماحة والجلال والفخر والجمال وبلوغ الأمانى والآمال وطيب الأيام والليالى بلا زوال ولا انتقال بالعز والدعاية والحفظ والحماية والسعد والسلامة والنصر والكفاية بمدينة صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة) .

***

لوحة رقم (٢٠) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٠١٢١ .

تمثل قطعة من نسيج الكتان الأبيض عليها سطر كتابة بالخط الكوفى بخيوط حمراء نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله) .

وهى نموذج من نماذج استخدام الخط فى الزخرفة على النسيج .

***

لوحة رقم (٢١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٠١٢٤ .

تمثل قطعة من نسيج كتان أبيض غير منتظمة الشكل ، عليها سطر كتابى بالخط الكوفى المطرز بخيط أزرق أوله البسملة وما توفيقى إلا بالله ، ويلاحظ امتداد الحروف بشكل زخرفى وتناسقها من البداية للنهاية .

***

لوحة رقم (٢٢) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٥٤٨٧/٢ .

تمثل قطعة من نسيج الكتان عليها كتابة بالخط الكوفى نصها : (بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله ونعمة) .

ويلاحظ امتداد الحروف من أعلى لتكون شكلاً زخرفيًا ، خاصة فى كلمة نصر وحرف الواو السابق لكلمة نعمة ، وهو أسلوب انتشر فى استخدام الكتابة كعنصر زخرفى .

***

لوحة رقم (٢٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل١٠٠٥٩ .

تمثل قطعة من نسيج الكتان الأبيض عليها سطر كتابى بالخط الكوفى بالمداد الأسود نصها : (بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح مبين) .

***

لوحة رقم (٢٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٥٤٨٧/١ .

تمثل قطعة من نسيج الكتان عليها كتابة بالخط الكوفى بالمداد الأسود نصها : (بسم الله الرحمن الرحيم موالكم) .

***

لوحة رقم (٢٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل٩٥٩١ .

تمثل قطعة من نسيج الكتان الأبيض عليها سطران أفقيان بالخط الكوفى الدقيق وسطر ثالث رأسى يقرأ فيه (ثلاثة عشر دينار) أما أول سطر أفقى فيمكن قراءة أوله (غزله سلامة) ونظرًا لدقة وصغر الحروف وتداخلها يصعب قراءة باقى الحروف ونستنتج أنها أحد توقيعات الصناع على النسيج ومقدار تكلفته ، والكتابة باللون الأحمر .

***

لوحة رقم (٢٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل٨٤٣٠ .

تمثل قطعة من نسيج كتان أبيض مطرز عليها سطران كتابة بالخط الكوفى الدقيق بلون أزرق يصعب قراءتها وأغلب الظن أنها تحمل توقيع صانعها .

***

لوحة رقم (٢٧) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل٨٩٠٩ .

تمثل قطعة صغيرة من نسيج الكتان الأبيض عليها بالتطريز بلون أزرق أسطر كتابة بخط كوفى رفيع ، عبارة عن علامات الصناعة ونظرًا لدقة وصغر حجم الحروف يصعب قراءتها .

***

لوحة رقم (٢٨) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٦هـ/ ١٢م ورقم سجل ١٤٤٠٠ .

تمثل قطعة من نسيج الصوف السميك عليها رسم لوجه امرأة داخل دائرة ، ترتدى على رأسها ما يشبه العصابة أو طاقية تنتهى من الجانبين بدلايتين أو طرفى العصابة ويبدو فى الجزء الأسفل للوجه جزء من الرداء بفتحته الدائرية .

***

لوحة رقم (٢٩) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للعصر الطولونى ق٣هـ/ ٩م برقم سجل ١٩٢٦٨ .

تمثل نسيجًا سميكًا من الصوف والكتان بزخارف منسوجة بطريقة القباطى على شكل طائر ، رسم بشكل بدائى فاردًا ذيله أو جناحه .

٢ - الخزف :

تمثل أطباق الخزف ذى البريق المعدنى أحد المعالم المهمة فى التعرف على أشكال الملابس ومكوناتها ، فجاءت أغلب الموضوعات المنفذة على هذه الأطباق موضوعات من الحياة العامة فى المجتمع المصرى خاصة فى العصر الفاطمى الذى وصلتنا عنه أغلب هذه الأطباق .

كما حملت الغالبية العظمى من أطباق الخزف رسومًا لأشخاص يرتدون العديد من أشكال الملابس العربية والإسلامية بشكل يتيح للباحث الوقوف على مكوناتها ، والتعرف على الكثير من المناسبات التى كانت ترتدى فيها .

ومن الملاحظ أن أغلب هذه الأطباق احتلت رسومًا آدمية لشخصيات نسائية ، وشكل موضوع الرقص والشراب عنصرًا مهمًا من عناصر الموضوعات التى مثلتها هذه الأطباق ، كما أن بعض هذه الأطباق جاء كاملاً وسليمًا والبعض الآخر تطرق إليه التلف فلم يبق سوى جزء منه .

وتكمن أهمية هذه الأطباق فى أنها احتفظت فى رسوماتها بكل التفاصيل الدقيقة للشخصية موضوع الرسم ، من الحركة والجلسة وتفاصيل الزخارف وطيات الثياب وتعبيرات الوجه ، مما يؤكد براعة الفنان المسلم فى التصوير والرسم والتعبير عن الحركة .

***

لوحة رقم (٣٠) محفوظة بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/ ١١م برقم سجل ١٦٢٩ .

تمثل طبقًا من الخزف ذى البريق المعدنى موضوعه راقصة ترقص بالمناديل ، وتبرز أهمية هذه الصورة فيما تحمله من تفاصيل للثوب الذى ترتديه الراقصة ، فجاء سابلاً حتى الأقدام ويحمل زخارف تبدأ من الأكتاف حتى نهاية الثوب ، كما انسدل من الوسط شريط أشبه بالحزام المتدلى من الأمام ، وفتحة الثوب من أعلى مربعة ، وتظهر على أكمام الثوب بعض الزخارف أو الأشرطة ورسم فى الجانب الأيمن شكل حيوان أشبه بالأرنب . أما حافة الطبق فشغلت بزخارف نباتية .

***

لوحة رقم (٣١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/ ١١م، رقم سجل ١٥٩٥ .

تمثل طبقًا من الخزف ذى البريق المعدنى ، موضوعه راقصة ترقص بالمناديل ، رسم جذع الراقصة ورأسها رسمًا أماميًا وقدمها رسما جانبيًا ، وقد ظهر ٣/٤ الوجه ، وتفاصيل

الوجه مرسومة بأسلوب بسيط ، ويتدلى شعرها حتى كتفها . كما نجد ذؤابتين أمام الأذنين وطرف خصلتين بأعلى الجبهة وحول الرأس هالة مستديرة بها شريط عرضى مزخرف بمعينات ناشئة عن تقاطع الخطوط . وترتدى الراقصة رداء طويل الذيل والأكمام له فتحة حول العنق مسدسة الشكل .

وقد استخدم الصانع أسلوب التظليل لكى يوضح معالم الجسد ، وتمسك الراقصة فى يديها منديلين وقد رفعت اليد اليمنى بينما خفضت اليسرى مع وضع العضد فى اتجاه مائل على الجسم كما فعلت فى الساق اليمنى ، ونجد وشاحًا طويلاً مرسومًا أمام الخصر ويرتفع إلى أعلى عابرًا فوق الذراعين ثم منخفضًا إلى أسفل مرتكزًا على الذراع اليمنى وهابطا عموديًا بينما يستمر فى ارتفاعه بعد الذراع اليسرى وينخفض إلى أسفل متبعًا حافة الإناء كما يبدو فى الصورة حذاء الراقصة ، وزخرفة حافة السطح الخارجى للطبق من الدوائر والنقط .

***

لوحة رقم (٣٢) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥ - ٦هـ/ ١١ - ١٢م برقم سجل ١/ ٣٣٢٣ .

تمثل جزءًا من خزف فاطمى موضوعه راقصة ترتدى رداء إلى منتصف القدم تحته سروال ، وتبدو فى الجزء الأسفل من الرداء طيات الرداء ، وتنسدل من خلف رأسها خصلة شعر ، وتبدو فتحة الرداء من أعلى ، والرسم بسيط لا يحمل تفاصيل كثيرة .

***

لوحة رقم (٣٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/ ١١م برقم سجل ١٠٥٥١ .

تمثل طبقًا من الخزف ذى البريق المعدنى موضوعه سيدة تجلس القرفصاء بيدها كأس وباليد الأخرى فرع نبات .

ويلاحظ أن رسم الرأس يبدو صغيرًا بالنسبة لباقى الجسد ، وأن زخارف الرداء قوامها مناطق بيضاء شبه مستديرة أو بيضية تتوسطها نقط سوداء .

وترتدى السيدة عصابة للرأس بها شريط متقاطع الخطوط وفتحة الرداء مستديرة وأكمامه واسعة يبدو فى أعلاها شريط مزخرف بخطوط متقاطعة ، كما ترتدى فى معصمها الأيسر أسورة . وعلى يسار الصورة رسم إبريق يميل مع حافة الطبق وزخرفت حافة الطبق بزخارف نباتية .

***

لوحة رقم (٣٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/ ١١م ورقم سجل ١٤٩٨٧ .

تمثل جزءًا من طبق من الخزف ذى البريق المعدنى عليه رسم سيدة تصب الشراب من دورق فى كأس كبير ، وغطاء الرأس عبارة عن عصابة يتدلى طرفاها من الخلف فى الهواء وتتدلى من تحتها خصلة شعر ، وترتدى السيدة رداء فتحته مستديرة مزخرف الأكتاف ، والأكمام واسعة يبدو منها أغلب المعصم الأيمن والأيسر ، كما ترتدى أسورة فى كلتا يديها .

***

لوحة رقم (٣٥) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/ ١١م، برقم سجل ١٣٤٧٨ .

تمثل طبقًا من الخزف ذى البريق المعدنى فوق طلاء زجاجى زبدى اللون يصور سيدة فى جلسة أمامية ، الذراعان مرفوعان قليلاً وفى اليدين كأسان مزخرفان ، وتعتمر بغطاء رأس يشبه التاج ، وقد أدارت بوجهها قليلاً نحو ذراعها اليمنى ، الوجه دقيق والحاجبان متصلان على شكل قوسين متلامسين والشعر الخفيف ينسدل على الأكتاف .

أما الثوب الذى ترتديه السيدة ففضفاض بأكمام واسعة ومغطى بزخارف من أوراق نباتية كبيرة مسننة ومحورة داخل دوائر حلزونية ، أما الأرضية المحيطة برسم السيدة فقوامها مناطق غير منتظمة تتألف من دوائر من النوع المعروف (بعين الديك) المأخوذة من الزخارف العباسية والطولونية ، بينما حافة الطبق مزخرفة بأنصاف دوائر (فستونات) متتابعة ومألوفة .

وفوق اليد اليسرى بجوار الكأس نرى توقيع الخزاف (جعفر) مكتوبًا بخط بسيط .

***

لوحة رقم (٣٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥ - ٦هـ/ ١١ - ١٢م برقم سجل ٩١/ ٥٤٠١ .

تمثل جزءًا من خزف فاطمى يصور جسد امرأة بدون رأس ، ترتدى المرأة رداء طويلاً مزخرف الأكتاف ، ويحيط بالرداء من الوسط حزام ، يتدلى جزؤه فى وسط الرداء ، وفى الجانب الأيسر من الصورة يبدو كم الرداء واسعًا وتخرج منه اليد لأعلى .

***

لوحة رقم (٣٧) محفوظة بمتحف الخزف الإسلامى بالزمالك ، ترجع للقرنين ٣ - ٦هـ/ ٩ - ١٢م برقم سجل ١٤٩٣٥ .

تمثل طبقًا من الخزف ذى البريق المعدنى يصور شخصًا جالسًا يعزف على آلة العود وحوله رسوم فروع ووريقات نباتية ودائرية فى وسطها نقط داكنة ، يرتدى الشخص عمامة تنسدل من جانبها الأيمن خصلة شعر وكذلك فوق الجبهة ، وطيات العمامة تبدو واضحة جدًا . أما الرداء فواسع ذو أكمام فضفاضة ويظهر على الكتف الأيسر شريط زخرفى ، كما تبدو واضحة فى الرداء كثرة الطيات .

***

لوحة رقم (٣٨) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/ ١١م برقم سجل ١٤٩٢٣ .

تمثل طبقًا من الخزف ذى البريق المعدنى يصور سيدة تعزف على آلة موسيقية تشبه القيثارة ، رقيقة الوجه تتدلى على جانبيه خصلتان من الشعر ، وتعتمر بغطاء رأس كبير يشبه العمامة مزخرفًا بشرائط ، كما ترتدى السيدة ثوبًا يغطى الجسد كله وفتحة الثوب على شكل (٧) ، والثوب واسع الأكمام مزين بأشرطة وأشكال صليبية ، أما زخارف طيات الثوب عند الأرجل فتميزت بها معظم أشكال الملابس الفاطمية ، وعلى يسار السيدة رسم

إبريق دقيق التصميم تحيط به أوراق نباتية محورة ومناطق زخرفية غير منتظمة تملؤها زخارف دقيقة حلزونية ، وحملت حافة الصحن زخارف مثلثة مسننة تشبه أسنان المنشار .

***

لوحة رقم (٣٩) محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ترجع للقرنين ٥ - ٦هـ/ ١١ - ١٢م برقم سجل ٥٨٦٧ .

تمثل جزءاً من إناء خزفي بالبريق المعدني الأصفر اللون ، يصور سيدة في ملابس رقص أو حمام ، وإحدى ساقيها مرفوعة فوق الساق الأخرى ، ورأس السيدة وإحدى ذراعيها وقدماها في الجزء المفقود من الإناء .

ويظهر واضحًا أن المرأة ترتدي جزءاً من قميص شفاف بأكمام قصيرة أشبه بالصدار ، وفي الجزء السفلي ترتدي التبان أو النقبة .

وتعكس هذه الصورة براعة الفنان في تصوير الحركة وطريقة الوقفة واستدارة الأرداف .

***

لوحة رقم (٤٠) محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/ ١١م برقم سجل ١٣٤٧٧ .

تمثل طبقًا من الخزف ذي البريق المعدني ، عاجي اللون يصور فارسًا على جواد يرتدي عمامة كبيرة الحجم ويتسدل على وجهه خصلتان من الشعر ، ويمسك الفارس بيده اليسرى طائرًا من الطيور الجارحة التي تستخدم في الصيد ، ويرتدي الفارس قميصًا حربيًا فتحته سداسية الشكل ذا أكمام قصيرة ، ويزخرف صدر القميص ثلاث دوائر بداخلها رسم طائر ، وتتكرر هذه الزخرفة في الجزء السفلي من القميص ، كما يظهر في وسط الفارس حزام أو منطقة يتدلى منها السيف .

***

لوحة رقم (٤١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، بدون تاريخ ورقم سجل ١٩٦٨٩ .

تمثل أجزاء من طبق كبير من الخزف ذى البريق المعدنى عليها بقية رسم لـ٥ أشخاص محجوزة بالأبيض على أرضية بالبريق المعدنى الذهبى والنحاسى ، وعلى ظاهره بقية مجموعتين من دوائر بكل منها دائرتان متحدتا المركز حولهما بقية تهشير وبقع ، والطبق مرمم ومكمل بالجبس .

أما موضوع الرسم فيمثل مشهدًا لمصارعة بين رجلين ، ظهر أحدهما كاملاً ومرتديًا سروالاً ، يبدو حرفه الأعلى ، وعلى جانبى المشهد تظهر بقايا أشخاص ، أما أعلى منتصف الطبق فتطل صورة شاب يرتدى عمامة كبيرة كثيرة الطيات .

***

لوحة رقم (٤٢) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/ ١١م برقم سجل ١٤٥١٦ .

تمثل طبقًا من الخزف ذى البريق المعدنى يصور رجلين يتبارزان بالعصى (التحطيب) كلاهما عارى الرأس ، رسم أحدهما رسمًا جانبيًا بينما يبدو الآخر فى وضعية ثلاثية الأرباع . أما ملابس الرجلين فتظهر فيها الثنايا والطيات الناتجة عن الحركة بأسلوب يكاد يكون طبيعيًا ، وتتطاير فوق أكتافهما أطراف عباءات خفيفة عليها أشرطة من الطراز كانت مألوفة فى ملابس علية القوم ، والمساحات المحيطة بالرجلين ملأها الخزاف بوحدات محورة من أوراق نباتية تتفاوت فى الحجم ، ويحيط بالموضوع التصويرى على الحافة شريط من زخرفة خطية هندسية تتقطعها أوراق نباتية محورة ، ونلاحظ أن أجزاء عديدة من الطبق قد تعرضت للترميم والتجديد ، وأعيد تلوين بعض المناطق ورسم بعض الأجزاء الناقصة .

ويعكس هذا الموضوع مظهرًا من مظاهر الحياة الاجتماعية فى مصر وما يرتدى فيها من ثياب .

***

لوحة رقم (٤٣) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة، ترجع للقرنين ٥ - ٦هـ/ ١١ - ١٢م برقم سجل ٦٠١٨ .

تمثل جزءًا من طبق من الخزف ذى البريق المعدنى يصور امرأة تحمل فى يدها كأسًا وفى الجانب الأيمن توجد قنازة ورد ، وترتدى المرأة ثوبًا فضفاضًا فتحة رقبته على شكل (٧) وأكمامه واسعة ، على أكتافها شريط من الزخرفة ، أما زخرفة الثوب فعبارة عن دوائر ، كما يحيط بالجزء العلوى من حافة الطبق زخارف نباتية .

***

لوحة رقم (٤٤) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرن ٥هـ/ ١١م برقم سجل ٢/ ٥٣٩٥ .

تمثل جزءًا من خزف ، يصور امرأة تضرب على العود ، ويظهر فى أعلى رقبتها عقد ، وترتدى ثوبًا فضفاضًا فتحة رقبته دائرية ، كما يظهر على كتفها الأيسر شريط من الزخرفة ، وأكمام الثوب واسعة جدًا وتظهر بحافتها بعض الخطوط أو التطريز .

***

٣ - المخطوطات المصورة :

تمثل المخطوطات المصورة مصدرًا مهمًا فى الدراسة الوصفية للملابس وتطورها فى المجتمع الإسلامى ، إذ كانت أحد فنون التصوير الإسلامى التى عبر فيها الفنان المسلم بالرسم واللون عن الكثير من الموضوعات الاجتماعية ومشاهد الحياة اليومية .

وتعد مقامات الحريرى من أشهر المخطوطات المصورة التى حوت رسوماتها الكثير من تفاصيل الثياب والملابس ، إذ برع الفنان المسلم من خلالها فى رسم العديد من الشخصيات وما ارتدته من ملابس فى مناسبات ومواقف متباينة ، فكانت - بحق - تعبيرًا صادقًا لحياة العديد من الطبقات المختلفة داخل المجتمع ، كما امتازت رسوماتها - رغم بساطتها - ببراعة التصوير الحركى للشخوص والأشكال ، إضافة إلى ألوانها الغنية البراقة المتناسقة ، كما نجحت فى التعبير عن أدق تفاصيل الثياب وإبراز بعض الزخارف المستخدمة فى الكثير من الملابس مع إظهار الكسرات والطيات المصاحبة لها .

***

لوحة رقم (٤٥) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة . تصور هذه الصورة قافلة تضم أشخاصًا فوق الجمال يرتدون الجبة والعمامة والقلنسوة ، وقد ظهر على أكمام الجباب شريط زخرفى ، أما الشخص الواقف أمام القافلة فيرتدى القباء المزرر الذى بدا من أسفله السروال ، أما غطاء الرأس فعبارة عن قلنسوة طويلة .

***

لوحة رقم (٤٦) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة .

تصور هذه اللوحة بعض الرجال خلف صخرة ممتطين الخيول وقد ارتدوا جميعًا الدراعة والعمامة ، ويبدو الشخص الأخير منهم مرتديًا قلنسوة طويلة ، أما الشخص الذى يظهر فى الأمام فيرتدى عمامة صغيرة وقباء قصيرًا يبدو من أسفله السروال والخف .

***

لوحة رقم (٤٧) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة .

تصور سفينة تعبر خليج البصرة وعليها بعض الملاحين فى الجزء العلوى يرتدون المآزر ، بينما الشخص الجالس فى المؤخرة يرتدى رداء ذا أكمام طويلة فى جوانبها بعض الأشرطة أو الزخارف .

أما الجزء الأسفل من السفينة فتظهر من خلال فتحاته أو نوافذه ستة رؤوس لرجال يعتقد أيضًا أنهم ملاحون ، لا يبدو منهم إلا عمائمهم .

***

لوحة رقم (٤٨) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة .

تصور موكب الاحتفال بالحج ، ويظهر بها بعض الأشخاص بالطبول والبنود والأبواق مرتدين جميعهم العمامة ، وخلف الموكب وأمامه صورة لرجلين يرتديان

القلنسوة والقباء ، ويلتف حول أرجلهم الالشين أو لفافة القدم ، بينما فى وسط الصورة فارس يمتطى جواده بنفس الملابس مع اختلاف غطاء الرأس ، وتظهر فى جميع ملابس الرجال زخارف الأكمام وطيات وكسرات الثياب .

***

لوحة رقم (٤٩) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة .

تصور مجموعة من الإبل تقودهم راعية ممسكة بعصا فى يدها اليمنى ، وقد ارتدت الراعية الخمار والرداء الطويل بالأكمام الواسعة ، ويظهر فى قدمها الخف .

***

لوحة رقم (٥٠) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ من كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة .

تصور رجلين يرتديان العمامة ذات الذؤابة المرخاة من الخلف والجبة ذات الأكمام المتسعة المزخرفة ، ويبدو من أسفل الجبة السروال والخف ، وفى يمين الصورة شجرة تعلوها بعض الطيور والثمار .

***

لوحة رقم (٥١) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة .

تصور مجموعة من الرجال الجالسين والواقفين ، بينما يعتلى أحد الأشخاص المنبر ممسكًا فى يده اليسرى بعصا .

وتعكس الصورة بعض أنواع الملابس كالعمامة بالذؤابة المرخاة من الخلف والتى تصل إلى منتصف الظهر ، كما يظهر بها الجلباب والجبة والشملة ، وقد نجح الفنان فى إظهار طيات الثياب وتموجاتها على هيئة دوائر المياه المتكسرة ، مع إبراز الزخارف على الأكمام .

***

لوحة رقم (٥٢) لوحة من مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ نقلاً عن كتاب فن الواسطى للدكتور ثروت عكاشة . تصور سيدة تقوم بعملية الغزل بواسطة نول أسطوانى الشكل مثبت على قائم معدنى ، وترتدى السيدة الحجاب ورداء طويلاً تزين أكمامه بعض الأشرطة الزخرفية ، بينما يقف فى الجانب الآخر من الصورة رجل وصبى وقد ارتدى كلاهما العمامة والجبة ويظهر فى أسفلها جزء من السروال .

***

لوحة رقم (٥٣) لوحة من مخطوط خواص العقاقير لديسقوريدس مؤرخ بسنة ٦٢٧هـ ومحفوظ بمتحف طوبقبو سراى باستانبول تصور طالبًا وأستاذًا يرتديان العمامة بالعذبة المرخاة ، ويرتدى الطالب الدراعة الطويلة المخططة ويظهر بالكم الأيمن الشريط الزخرفى ، أما فتحة الدراعة فدائرية كما تصل عذبة العمامة إلى منتصف الظهر .

أما الأستاذ فيرتدى الجبة التى امتازت بأكمامها الواسعة ، كما يظهر من خلال أحد أكمامها جزء من القفطان ، أما الجزء الأعلى من الكم فيحتوى على الشريط الزخرفى المعتاد، أما الأقدام فيظهر بها حذاء قصير .

وتعكس الصورة نجاح الفنان فى إظهار الطيات والكسرات الخاصة بالعمامة والثياب وإن كانت صورة الأستاذ يظهر بها بعض التقشير فى الجزء السفلى .

***

لوحة رقم (٥٤) لوحة تصويرية من الورق ترجع للعصر الفاطمى محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل ١٣٧٠٣ تصور اللوحة رسمًا لرجلين بينهما زخرفة نباتية ذات زهور وأوراق وأغصان فضلاً عن رسم أربعة طيور ، أما عن الرجل الأيمن فقد ظهر ممسكًا فى يده برمح ، وعلى رأسه عمامة كثيرة الطيات وفى طرفها شريط عليه كلمة (بركة) وللرجل ذؤابتان من الشعر وشارب يتدلى .

أما الرجل الأيسر فيتمنطق فى وسطه بسيف عليه عبارة (عز وإقبال) وممسك فى يده برمح ، أما غطاء الرأس فعبارة عن خوذة ذات ذؤابتين جانبيتين ، وقد ارتدى كلا الرجلين

الزرد ذا الحلقات المعدنية ، كما أحيط برأسيهما بهالة دائرية ، كذلك يبدو فى الجزء الأسفل من ملابسهما السروال أما الرجل الأيمن فظهر فى قدمه حذاء مدبب معقوف لأعلى . وفوق الرجلين شريط من الكتابة الكوفية المزهرة نصها (عز وإقبال للقائد أبى منصور) ويحيط بالصورة كلها إطار من الزخرفة المجدولة .

ويعلق الدكتور حسن الباشا على هذه الصورة بأنها تمثل أهم الملابس العسكرية التى كانت سائدة فى العصر الفاطمى ، كما تبرز بوضوح كسرات وطيات الثياب .

***

٤ ــ أوراق البردى العربية :

تشكل أوراق البردى العربية مصدرًا وثائقيًا على درجة كبيرة من الأهمية ، إذ إن معظمها يعود إلى عصور مبكرة من تاريخ الإسلام بصفة عامة ، وتاريخ مصر بصفة خاصة .

كما تبرز أهميتها فى أنها تضمنت العديد من المراسلات الإدارية والشخصية وعقود البيع والشراء والزواج وقوائم الزواج ، فضلاً عما حوته من إيصالات لاستلام أو تسليم ملابس ، كذلك تناولت بعض نصوصها الكثير من أسماء المنسوجات والثياب التى انتشرت فى المجتمع المصرى من خلال بعض قوائم الأسعار .

على الجانب الآخر تظهر أهمية أوراق البردى العربية من خلال بعض ما ورد عليها من رسومات بدائية تعود لفترة مبكرة جدًا من تاريخ مصر ، حاول فيها الفنان المسلم التعبير بالرسم عن الشخصيات والمواقف الاجتماعية ، وهى محاولة لم تتكرر كثيرًا فى هذه الفترة المبكرة ، ولكنها عكست بلا شك المحاولات الأولى للتصوير الإسلامى على أوراق البردى ، كما أظهرت أهم قطع الملابس المنتشرة فى هذه المرحلة .

***

لوحة رقم (٥٥) قطعة من ورق البردى العربى ترجع للقرن الأول الهجرى محفوظة بمركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس رقم سجل ١/٧٣٨ . تصور رجلاً

واقفًا يرتدى طاقية أو قلنسوة صغيرة ، ويظهر فى وجهه العينان واللحية ، أما ملابس البدن فيظهر بالرسم أنها القميص بشكل بسيط بدائى ، وقد برزت منه بعض الأزرار ، كما يلاحظ أن للقميص أكمامًا ، أما الجزء الأسفل من الرجل فيظهر به الإزار .

على الجانب الأيسر من الصورة يوجد شكل لحيوان أقرب إلى الأرنب أو القرد . ربما كانت هذه الصورة تعبر عن الحاوى مع أحد الحيوانات .

***

لوحة رقم (٥٦) قطعة من ورق البردى العربى ترجع للقرن الأول الهجرى محفوظة بمركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس رقم سجل ٧٣٨/ ٢ . تصور امرأة تقف وبيدها ما يشبه المنديل ، ويظهر من هذه المرأة الشعر المنسدل إلى الخلف ، أما الصدر فيغطيه الصدار بينما الخصر مكشوف ، أما الجزء الأسفل لصورة المرأة فيظهر به شكل بدائى للإزار ، ويظهر أمام المرأة فى الجانب الآخر من الصورة شكل بدائى أقرب إلى امرأة حامل ويظهر خلف الرأس جزء من الشعر المنسدل ، أما باقى الجسم فلا يوجد به ثياب .

وربما كانت هذه الصورة تعبر عن قابلة تقوم بعملها مع امرأة حامل ، أو راقصة تؤدى بعض الحركات أمام امرأة أخرى ، وإن كان التصور الأول هو الأكثر قبولاً .

***

لوحة رقم (٥٧) قطعة من ورق البردى العربى ترجع للقرن الثالث الهجرى ، نقلاً عن كتاب جروهمان (أوراق البردى العربية) ص٧٩ ورقم سجل ٣٩١ .

البردية طولها ٢٠سم وعرضها ٦,٩سم وعدد أسطرها أحد عشر سطرًا ، تمثل قائمة لحساب بزاز ، والمكان الذى كشفت فيه البردية غير معروف .

أما قراءتها :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - هذا حساب أبو محمد بن

٣ - مروان البزاز منحت له

٤ - بطانه صفرا بالحشيش

٥ - وفرد بطانة حمرا بالبقم

٦ - وجبة خز حمرى صغار

٧ - وقميص وسراويل معصفر

٨ - بدرهمين وأيضًا جبة

٩ - عنابية وبطانتها صفرا

١٠ - وهذا حساب خالد $\frac{١}{٣}$

١١ - وصل إليه ثمن كراة السنة

***

لوحة رقم (٥٨) قطعة من ورق البردى العربى ترجع للقرن الثالث الهجرى ، نقلاً عن كتاب جروهمان (أوراق البردى العربية) ص٨١ برقم سجل ٣٩٢ .

البردية طولها ٢٧,٦سم وعرضها ٢٢,٤سم وتتكون من عشرين سطرًا ، وكتب على ظهرها : حساب أبو جعفر أحمد بن عيسى البزاز ، والمكان الذى كشفت فيه البردية غير معروف ، أما قراءتها :

١ - فى رزمة داود الرياط المرتفعة لعلى وذكرى ويعقوب

٢ - ثلثين ثوب مربعة الثمن عشرة دنانير إلا سدس

٢ - وثوب لباقة سدس

٤ - وفى رزمة الرياط الأحمر المرتفعة ثلثه وثلثين ثوب منها لأحمد وحسين وبهيوه

٥ - اثنى وثلثين ثوب الثمن عشرة دنانير

٦ - وثوب لباقة بسدس

٧ - وفى رزمة الرياط والشقاق ستة وثلثين ثوب منها فوق الرزمة

٨ - لمرقورة ثلثة عشر ثوب الثمن ثلثة دنانير ونصف

٩ - ولشاى وهرون أربع عشر ثوب الثمن أربع دنانير وقيراطين
١٠ - وثمانية شقاق مهدة مرتفعة الثمن دينرين وثلث وقيراطين غير ثلث
١١ - وثوب لباقة سدس
١٢ - وفى رزمة الرياط أحد وأربعين ثوب منها فوق الرزمة
١٣ - لمينا وقزمان وسبنه عشرين ثوب الثمن أربع دنانير ونصف وقيراطين
١٤ - ولأبى العباس وبن بلال وسكرس عشرين ثوب الثمن خمسة دنانير
١٥ - وثوب لباقة سدس
١٦ - وفى رزمة الرياط والادم أحد وسبعين ثوب منها فوق الرزمة للشيخ وسمعون أربعة وعشرين ثوب بدينرين
١٧ - ولفوته عشرين ثوب مدرجة الثمن دينرين وسدس وقيراط وثلث
١٨ - ولعبد الله ورقاص سبع وعشرين بالعامة الثمن خمسة دنانير وربع ونصف قيراط
١٩ - على الهامش الأيسر : وفى رزمة النجار سيه سبع وتسعين ثوب منها فوق الرزمة
٢٠ - عبادة وأصحابه ثلثه وثلثين ثوب الثمن ثلثه دنانير .

وفوق قائمة الحساب ثلاثه أسطر أخرى :

١ - دفعه داود مع بقطر بن ردر
٢ - لأبى جعفر أبقاه الله مع إبرهيم بن عنس ومقارة بن ميناقير
٣- أحمد بن عيسى البزاز

***

لوحة رقم (٥٩) قطعة من ورق البردى العربى ، ترجع للقرن الثالث الهجرى ، نقلاً عن كتاب جروهمان (أوراق البردى العربية) ص٧٢ برقم سجل ٣٨٨ وهى بعنوان حساب خياط .

البردية طولها ١٨,٥سم وعرضها ١٠,٨سم وتتكون من ثمانية أسطر ، والمكان الذى كشفت فيه البردية غير معروف .

أما قرأتها :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - تذكرة ما وصل إلى أبى عثمان

٣ ـ أعزه الله من الدراهم مع الغلام

٤ - خمسة دراهم ونصف فى جلاب

٥ - نصف

٦ - حوائج درهم وأيضًا فى غلالة

٧ ـ أربعة دراهم وربع وخياطة الغلايل

٨ - والمدا . . . . . درهم

***

لوحة رقم (٦٠) قطعة من ورق البردى العربى ، ترجع للقرن الثالث الهجرى نقلاً عن كتاب جروهمان (أوراق البردى العربية) ص٨٥ برقم سجل ٣٩٣ وهى بعنوان حساب بزاز . البردية طولها ١٨,٨ سم وعرضها ١٢ سم وتتكون من أربعة عشر سطرًا ، والمكان الذى كشفت فيه البردية غير معروف .

أما قراءتها :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - ثوب - دينر وقيراطين - ثوب - دينار وسدس

٣ - ثوب - دينار وثمن - ثوب - دينار

٤ - ثوب - دينار إلاقيراط - ثوب - دينار

٥ - ثوب - دينار وثلثى ونصف

٦ - قيراط

٧ - فذلك - من الدنانير - سبعة دنانير وثلث وقيراطين

٨ - ونصف

٩ - ثوب - دينار وقيراط - ثوب - نصف وثلث قيراط

١٠ - ثوب - دينار إلا قيراط - ثوب - دينار إلا قيراط
١١ - ثوب - ثلثى وربع - فجميع الباب اثنا عشر ثوبًا
١٢ - وجميع الثمن - اثنا عشر دينارا وسدس
١٣ - ويلحقها ثمن دينار على كل ثوب عمل يكون دينار ونصف
١٤ - الجميع مع العمل ثلثة عشر ديناراً وثلثى دينر

***

٥ - الملابس الكاملة وعلى بعض التحف التطبيقية :

تشكل بعض نماذج الملابس الكاملة المحفوظة ببعض المتاحف ، أهمية كبرى فى دراسة تطور الملابس ، إذ تظهر الملامح العامة والخاصة للملابس الإسلامية ، والسمات المشتركة لبعضها ، كما توضح أهم الزخارف والرسومات المستخدمة بها ، وعلى الرغم من قلة المعروض من هذه الملابس الكاملة أو ما اعترى بعضها من التلف والبلى ، إلا أن بعض ما جاء منها على بعض التحف التطبيقية يعوض هذا النقص ، إذ كانت الملابس موضوعًا محببًا للفنان المسلم استخدمه فى التصوير والرسم على بعض المعادن أو الجدران ، لذلك كانت هذه القطع الفنية عنصراً من عناصر تتبع تطور الملابس وإبراز معالمها الفنية والزخرفية .

***

لوحة رقم (٦١) إحدى الجامات التى تزين شمعدانًا من النحاس الأصفر المكفت بالفضة من عمل أبو الفتوح الموصلى ، يرجع للقرن السابع الهجرى (١٣م) ، وهو محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (١٥١٢١) .

تمثل الصورة رسمًا لستة أشخاص يتصدرهم أمير أو قائد يجلس على كرسى وبيده اليمنى سيف وبيده اليسرى كأس ، أما ملابسه فغطاء الرأس عبارة عن قلنسوة قصيرة ، أما الرداء فعبارة عن قميص مقفول على أكتافه بعض الشرائط الزخرفية ، أما الجزء السفلى لملابسه فيظهر به السروال .

أما الأشخاص الخمسة المحيطون بالأمير ، فاثنان منهم يقفان على يساره ويمينه كحرس وبأيديهما مراوح للتهوية ، يرتديان القمصان القصيرة والسراويل الواسعة وبأرجلهم الأحذية .

أما الأشخاص الثلاثة فى أسفل الرسم فيبدو أنهم من الندماء ، إذ تبدو فى الجانب الأيسر سيدة (جارية) على رأسها عصابة ويبرز فى الصورة ثديها ، أما الشخص الأوسط فمن خلال حركته وطريقة رسمه يبدو أنه راقص أو مهرج يرتدى قميصًا قصيرًا أسفله سروال ، أما الشخص الذى على يمينه فالأغلب أنه عازف .

ويصور هذا الرسم فى أغلب الظن مجلسًا من مجالس الرقص أو الطرب فى قصور أحد الأمراء .

***

لوحة رقم (٦٢) صورة لرسم بالألوان المائية على الجص من حمام فاطمى كشف عنه فى الفسطاط فى حفائر المتحف الإسلامى بجوار منطقة أبو السعود عام ١٩٣٢م ، ويرجع للقرن الخامس الهجرى (١١م) ، وهو محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (١٢٨٨٠) .

يمثل الرسم شابًا جالسًا يمسك بيده كأسًا ، يرتدى جلبابًا تزينه حليات من زخرفة نباتية حمراء اللون ، وحول كل من الذراعين شريط زخرفى ، وعلى رأسه عمامة ذات طيات عديدة ، يظهر أسفلها من الأمام والخلف جزء من الشعر ، وحول الرأس هالة كاملة الاستدارة ويضع الشاب حول ظهره وشاحًا يخرج طرفاه من تحت الإبطين وينثنيان إلى أسفل مع التعليق فى الهواء ، وجسم الشاب فى وضعية أمامية ، ولكن وجهه فى وضعية ثلاثية الأرباع ، كما يحف بالصورة كلها شريط أو إفريز من حبات اللؤلؤ .

***

لوحة رقم (٦٣) قميص من الزرد السابل لحماية الفارس باسم : أحمد الحلبى ، يرجع للقرن العاشر الهجرى (١٦م) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (١٣١٠٠) . يمثل هذا الزرد إحدى قطع الملابس الحربية للفرسان والمصنوعة من حلقات

الحديد والنحاس المتداخلة ، وهو من الأنواع الطويلة التى تغطى الجسد كله مع وجود فتحة أسفله لسهولة حركة الأرجل أثناء ركوب الخيل .

***

لوحة رقم (٦٤) قميص من الزرد (قصير) مصنوع من حلقات الحديد ، يرجع للقرن التاسع الهجرى (١٥م) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (٣٧٧٩) يمتاز هذا الزرد عن سابقه بأن أكمامه قصيرة ، كما يحتوى على عراوى وأزرار يقفل بها من الأمام ، كما تبدو حلقاته أكثر ضيقًا وإحكامًا من الزرد السابل السابق وصفه .

***

لوحة رقم (٦٥) خوذة من الحديد الصلب ترجع للقرن ٨هـ (١٤م) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (٣٥٧٧٨) تمثل أحد أغطية الرأس الخاصة بالفرسان فى المعارك ، وهى على هيئة نصف دائرة عليها كتابات نسخية دائرية بأسماء العشرة المبشرين بالجنة تقرأ (نصر قريب من الله وبشر المؤمنين بفتح قريب يا محمد) كما يظهر فى أحد الأركان بعض الأدعية (بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله) (بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو) ويتدلى من أسفل الخوذة زرد لوقاية الرقبة ، أما من الأمام فيظهر واقى الأنف مثبتًا فى منتصف الخوذة بمسمارين .

***

لوحة رقم (٦٦) خوذة عسكرية لأحد القادة نقلاً عن أحمد شوقى الفنجرى من كتاب (العلوم الإسلامية) جـ٢ ص١١٥ .

تمثل هذه الخوذة مرحلة متأخرة من مراحل الملابس العسكرية وأغلب الظن أنها تعود للعصر المملوكى ، لما تمتاز به من كثرة الزخارف وغناها وأسلوب الخط ، وهى محلاة بشريط من الآيات القرآنية يقرأ (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) ، كما يوجد على أحد جانبيها غطاء للأذن عوضًا عن الزرد ، أما واقى الأنف فقد حمل أعلاه نقش (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كما طعمت الخوذة ببعض الأحجار الكريمة الملونة مع بعض الزخارف النباتية المحفورة .

***

لوحة رقم (٦٧) قميص من الكتان يرجع للقرنين الرابع والخامس الميلاديين ، محفوظ بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل (٨٤٧٠) .

هذا القميص منسوج من خيوط الكتان ، به أربع جامات متشابهة اثنتان بجوار الكتف واثنتان فى أسفله وهى جامات بها مناظر آدمية وحيوانية ، والقميص له فتحة دائرية يتدلى بالقرب منها شريطان رأسيان مزخرفان برسوم نباتية وغزلان وأرانب تعدو ، كما يوجد على الأكمام شريطان من الزخرفة ، وبالقميص أجزاء كثيرة متآكلة خاصة فى منطقة الصدر .

***

لوحة رقم (٦٨) تونية لأحد الكهنة ورجال الدين النصارى ترجع للقرن (١٨م) محفوظة بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل (٢٢٦٢) .

هذه التونية مصنوعة من الكتان ومحلاة برسوم تمثل السيدة العذراء تحمل الطفل يسوع وحولها الاثنا عشر رسولاً وبعض القديسين والملائكة وأشكال الصلبان ، أما الكمان فعلى كل منهما رسم لقديس يمتطى جواده مع وجود بعض الصلبان بأشكال مختلفة ، وتبدو الأكمام قصيرة مع وجود شريط زخرفى يزين نهايتها ، أما فتحة التونية فمستديرة .

***

لوحة رقم (٦٩) بطرشيل (صدرية) لأحد رجال الدين النصارى ، يرجع للقرن (١٥م) محفوظ بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل (٢٢٤٦) هذا البطرشيل من الأطلس الأحمر المشغول بخيوط الفضة ، وهو مزين برسوم الاثنى عشر رسولاً كتب فوق كل منهما اسمه باللغة العربية ، كما طرز الجزء الأعلى للبطرشيل ببعض الأدعية ، أما فتحة الرأس فدائرية أسفلها فتح فى منتصف الصدر يقفل بعروة .

***

لوحة رقم (٧٠) بطرشيل (صدرية) وكُمان من الأطلس الأحمر من القرن (١٩م) محفوظان بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل (٢١٨١) .

وهما مصنوعان من الحرير الأحمر المشغول بخيوط الفضة ، وتمثل الرسومات بهما الاثنى عشر رسولاً كما طرز الكمان ببعض الأسماء يقرأ بعضها (إبراهيم) .

***

لوحة رقم (٧١) جزء من قميص من الحرير الأحمر ، يرجع للقرن (٥م) محفوظ بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل (٨٤٧٢) .

يمثل جزءاً من قميص محلى بشريطين وأربع جامات ، وقوام الزخرفة بهما رسوم آدمية وأسطورية .

***

لوحة رقم (٧٢) قميص كنائسى يرجع للقرن (٦هـ/ ١٢م) نقلاً عن كتاب سعد الخادم (الملابس الشعبية فى مصر الإسلامية) .

يمتاز هذا القميص بأكمامه القصيرة والعريضة ، مع وجود أشرطة من الحرير داخل النسيج القطنى للقميص ، أما الزخارف فقوامها مجموعة من الصلبان على الصدر والأكمام .

***

لوحة رقم (٧٣) نقلاً عن سعد الخادم كتاب (الملابس الشعبية فى مصر الإسلامية) تمثل قميصًا من القطن المبطن يرجع تاريخه إلى العصر الطولونى ، ويمتاز بأكمامه العريضة الواسعة وفتحة العنق دائرية ، كما توجد على صدر القميص ثلاثة أشكال زخرفية .

***

لوحة رقم (٧٤) نقلاً عن سعد الخادم كتاب (الملابس الشعبية فى مصر الإسلامية) تمثل قميصًا من الكتان الطبيعى وجد بالفيوم ويرجع تاريخه إلى العصر الطولونى ، ويمتاز بالبساطة ولا تظهر به أكمام ، أما زخرفته فعبارة عن خطوط طولية وعرضية على الصدر .

***

ثانياً الأشكال :

* شكل رقم (١) يمثل العمامة من الخلف وعذبتها .
* شكل رقم (٢) يمثل العمامة من الأمام وعذبتها من الجانب .
* شكل رقم (٣) يمثل عمامة اللثام .
* شكل رقم (٤) يمثل القلنسوة القصيرة .
* شكل رقم (٥) يمثل القلنسوة الطويلة .
* شكل رقم (٦) يمثل قلنسوة تشبه القارب الشراعى نقلاً عن مخطوط مقامات الحريرى (المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ) .
* شكل رقم (٧) يمثل قلنسوة طويلة يرتديها فلاح نقلاً عن مخطوط كتاب الترياق ، مؤرخ بسنة ٥٩٥هـ.
* شكل رقم (٨) يمثل النقاب وهو أحد أغطية الوجه للنساء .
* شكل رقم (٩) يمثل الطيلسان على الرأس .
* شكل رقم (١٠) يمثل صورة الخمار للنساء .
* شكل رقم (١١) يمثل إحدى عصائب النساء من الخلف .
* شكل رقم (١٢) يمثل سيدة ترتدى البرنس الطويل وقد زينت حافته ببعض الزخارف .
* شكل رقم (١٣) يمثل الطيلسان موضوعًا على الكتف .
* شكل رقم (١٤) يمثل الإزار للرجال .
* شكل رقم (١٥) يمثل الإزار للنساء ، وقد حليت حواشيه ببعض الزخارف .
* شكل رقم (١٦) يمثل القميص الطويل للرجال .
* شكل رقم (١٧) يمثل الغلالة للنساء .
* شكل رقم (١٨) يمثل الجبة الطويلة المفتوحة من الأمام .
* شكل رقم (١٩) يمثل الدراعة القصيرة للرجال .
* شكل رقم (٢٠) يمثل الشملة المخططة موضوعة على الكتفين .
* شكل رقم (٢١) يمثل البردة على الكتفين وقد حليت حواشيها ببعض الزخارف .

* شكل رقم (٢٢) يمثل العباءة الواسعة ذات الخطوط الطولية .
* شكل رقم (٢٣) يمثل جبة طويلة مشقوقة الأكمام .
* شكل رقم (٢٤) يمثل دراعة قصيرة ألبسها الخليفة المنصور لرجاله مكتوبًا على ظهرها (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) .
* شكل رقم (٢٥) يمثل أحد نماذج السروال الضيق المقفول من أسفل ، كما تبدو بجواره التكة المرخاة .
* شكل رقم (٢٦) يمثل أحد أشكال النعال العربية .
* شكل رقم (٢٧) يمثل الجوارب الملفوفة على الساق ، كما يظهر فى مقدمة القدم الخف .
* شكل رقم (٢٨) يمثل أحد أشكال الخف القصير .
* شكل رقم (٢٩) يمثل نموذجين للقباء الذى شاع فى العصر العباسى .
* شكل رقم (٣٠) يمثل الجبة الطويلة واسعة الأكمام والتى حليت أكمامها وحواشيها ببعض الزخارف .
* شكل رقم (٣١) يمثل الشملة وقد لفت حول الجسد عدة لفات .
* شكل رقم (٣٢) يمثل أحد أشكال عمائم النساء المطعمة بالجواهر .
* شكل رقم (٣٣) يمثل عمامة من نوع القفداء مصورة على صحن من الخزف ذى البريق المعدنى مؤرخ بسنة ٦٠٧هـ ومحفوظ بمتحف المتروبوليتان بنيويورك .
* شكل رقم (٣٤) يمثل عمامة من نوع القفداء مصورة فى مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ.
* شكل رقم (٣٥) يمثل نموذجًا لشكل الحذاء مرسومًا فى مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ.
* شكل رقم (٣٦) يمثل نموذجًا للقناع الخاص بالنساء ويظهر به الخيط (الشبام) الذى يربط به من الخلف .
* شكل رقم (٣٧) يمثل أحد نماذج التبان الذى يرتديه الرجال .
* شكل رقم (٣٨) يمثل أحد نماذج الحبرة المخططة للنساء .

* شكل رقم (٣٩) يمثل أحد نماذج الغلالة فى رسم باللون المائى على جدران قصر الجوسق الخاقانى فى سامراء يرجع إلى القرن الثالث الهجرى ومحفوظ بالمتحف العراقى ببغداد .
* شكل رقم (٤٠) يمثل أحد أشكال الشملة المصورة فى مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ.
* شكل رقم (٤١) يمثل أحد أشكال الأحزمة (البريم) متدليًا على الرداء الخارجى فى مخطوط مقامات الحريرى المؤرخ بسنة ٦٣٤هـ.
* شكل رقم (٤٢) يمثل عمامة يرتديها عالم فى تصويرة من كتاب (خواص العقاقير) المؤرخ بسنة ٦٢٦هـ والمحفوظ فى متحف طوبقبوسراى باستانبول .
* شكل رقم (٤٣) يوضح أجزاء الملابس الكهنوتية لرئيس الكهنة .
* شكل رقم (٤٤) يمثل جارية ترتدى قميصًا مفتوح الرقبة تحته سروال متسع به بعض الزخارف .
* شكل رقم (٤٥) يمثل أحد رجال الدراويش والمتصوفة وقد ارتدى غطاء رأس طويلاً (دورق) ، أما الملابس الخارجية فتمثل التنورة الواسعة .
* شكل رقم (٤٦) يمثل نموذجين للقفطان أحدهما سادة والآخر مقلم ويبدو فى أحدهما الأكمام المشقوقة .
* شكل رقم (٤٧) يمثل أحد أشكال الصديرى المشقوق من الصدر ويحمل بعض الزخارف .
* شكل رقم (٤٨) يمثل فارسًا من العصر الفاطمى مرتديًا نوعًا من القمصان القصيرة .
* شكل رقم (٤٩) يمثل أحد أشكال طرح النساء وقد حليت أطرافها ببعض الزخارف .
* شكل رقم (٥٠) يمثل أحد أشكال القبقاب الخشبى .
* شكل رقم (٥١) يمثل أحد اليهود وهو يصلى مرتديًا الطاليت (شال الصلاة لليهود) .
* شكل رقم (٥٢) يمثل نموذجًا لأحد الأحزمة المطعمة بالجواهر .
* شكل رقم (٥٣) يمثل الوشاح المطعم بالجواهر على الصدر .

